تاريخ
الشرق الأدنى القديم وحضاراته
منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر

الجزء الأول
إيران - العراق

تأليف
د. رمضان عبده على
أستاذ علم المصريات
كلية الآداب - جامعة المنيا



للطبع والنشر والتوزيع

تــــاريخ
الشرق الأدنى القديم وحضاراته

منذ فجر التاريخ حتى مجئ حملة الإسكندر الأكبر

الجـــزء الأول
إيـــران - العـــراق

تأليف

د. رمضان عبده على

أستاذ علم البصريات

كلية الآداب - جامعة المنيا



الكتـــــــــــاب : تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته
الجزء الأول (إيران – العراق)
المؤلـــــــــــف : د. رمضان عبده على
رقـــم الطبعـــــة : الطبعة الأولى
تاريـــخ الإصـــــدار : يناير ٢٠٠٢

الناشـــــــــــر : دار نهضة الشرق
العنـــــــــوان : ٣٢ شارع طلعت حرب – القاهرة
تليفـــــــــــون : ٥٧٩٥٩٦٠ – ٥٧٥٨٣٨٤
فاكـــــــــــس : ٥٧٩٥٩٨٠
رقـــم الإيـــــداع : ٩٨٩٤
الترقيـــم الدولــــي : I.S.B.N. 977-245-160-3

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على

سيدنا محمد النور وآله

التعريف الجغرافى

تعريف منطقة الشرق الأدنى القديم :

قد يختلف علماء التاريخ حول مهد الجنس البشرى بوجه عام غير أنـــهم لا يختلفون حول المهد الذى نشأت فيه أقدم التواريخ وأقدم الحضـــارات التــى عرفــها الإنسان أنه " الشرق الأدنى " .

والشرق الأدنى مصطلح جغرافى أطلقته أوروبا فى بادئ الأمر فى أواخــر القرن التاسع عشر ، وبصورة غير محددة ، على هذا الجزء مـــن جنــوب شــرقى أوروبا الذى كان ما يزال حينذاك تحت الحكم العثمانى ثم اقتبسته الولايــات المتحــدة وأضافت إلى رقعته الشرق العربى ، وأصبح المصطلح أكثر تحديدا يشمل المنطقـــة الواقعة بين الخليج العربى شرقا وحدود شمال أفريقيا غربا ، وأعالى آسيا الصغــرى وأعالى بلاد النهرين شمالا ، وسواحل بحر العرب (أو المحيط الهندى) جنوبا .

وقد ظل المصطلح الجغرافى " الشرق الأدنى " شائع الاستعمال حتى الحرب العالمية الثانية ، عندما أنشأت الحكومة البريطانية منطقة عسكرية تمتد من إيران إلــى ليبيا ، وأطلقت عليها اسم الشرق الأوسط وهو مصطلح كان حتى ذلك الحيــن يضــم عادة الهند والبلدان المجاورة لها ، ثم أنشئ بعد ذلك فى القاهرة مركز تموين للشــرق الأوسط ، الذى اصبح فيما بعد مشروعا أنجلو أمريكيا ، وأصبــح الشــرق الأوســط يتكون حسب ما هو متداول فى وقتنا الحاضر إيران وتركيا ، وقد تضاف أفغانســتان إليهما ، وكذلك العراق والجزيرة العربية وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن ومصــر بالإضافة إلى بعض الإمدادات المختلفة المحددة تجاه الجنوب والغرب حتى المنـــاطق الأفريقية التى تتحدث بالعربية .[١]

---

(١) د. عمر عبد العزيز : تاريخ المشرق العربى ، بيروت ، دار النهضة العربيــة ، ١٩٨٤ ، ص ١٢ ، ١٤ ، ١٩ .

واندمج الاصطلاح الجديد " الشرق الأوسط " مع الاصطلاح القديم " الشرق الأدنى " وتحولا إلى اصطلاح عام ، وأصبح المصطلح الجغرافى " الشرق الأوسط " مصطلحا شائع الاستعمال حتى الآن ويستخدم عند الحديث عن الأوضاع السياسية فى منطقة الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، إلا أن المصطلح القديم " الشرق الأدنى " [١] فقد أعيد استخدامه بواسطة أغلب العلماء الأجانب والمصريين فى مؤلفاتهم العلمية وأبحاثهم عن تاريخ وحضارات المنطقة فى التاريخ القديم .[٢]

---

(١) وذلك تميزا عن اصطلاح " الشرق الأقصى " الذى نجد فيه حضارات الصين والهند والبلدان المجاورة لهما . عن المفهوم الجغرافى للشرق القديم ، راجع : د. توفيق سليمان : دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة ، (من أقدم العصور إلى عام ١١٩٠ ق. م) (الشرق الأدنى القديم : بلاد ما بين النهرين - بلاد الشام)، بيروت ، دار دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ ، ص ١٥ - ٢١ .

(٢) د. نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، ستة أجزاء الإسكندرية ١٩٥٩ ؛ عبد العزيز عثمان : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، بيروت ١٩٦٦ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٩ ؛ المؤلف نفسه : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم (من أقدم العصور إلى مجئ الإسكندر) بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

وفى بعض المراجع المترجمة إلى اللغة العربية مثل : هنرى فرانكفورت : فجر الحضارة فى الشرق الأدنى (ترجمة ميخائيل خورى) بيروت ، ١٩٥٦ ، أنطون مورتجات : تاريخ الشرق الأدنى القديم (ترجمة توفيق سليمان) . دمشق ١٩٦٧ . وفى بعض المراجع الأجنبية مثل :

Hall, The Ancient History of the Near East, London 1947; Pritchard, the Ancient Near East, Princeton 1951; Frankfort, The Birth of Civilisation in the Near East, London 1951; Braidwood, The Near East and the Foundations of Civilisations, Eugene 1953; ==

وأحيانا يستخدمون اصطلاحا أقل انتشارا وهو " الشرق القديم ".[١]

وبناء على ذلك فإن الشرق الأدنى القديم كان يتكون من ثماني مناطق رئيسية والتي تشمل حاليا إيران (بلاد فارس) ، العراق (بلاد النهرين) . الأناضول (تركيا) ، بلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين والأردن) ، دول الخليج العربي (الكويت ، البحرين ، قطر ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، وسلطنة عمان) ، شبه الجزيرة العربية ، اليمن وأخيرا مصر بوضعها الفريد بين الشرق وشرق شمال القارة الأفريقية .

لعبت منطقة الشرق الأدنى دورا هاما في التاريخ القديم كما أنها كانت مركزا لحضارات قديمة كان لها تأثيرها الفعال على حضارات العالم القديم .

وسوف نستعرض في الصفحات التالية " تاريخ الشرق الأدنى القديم " ونترك الحديث عن مظاهر " حضارات الشرق الأدنى القديم " لدراسة أخرى تفصيلية ولكن سوف نشير إلى بعض هذه المظاهر . وسوف لا نتحدث هنا عن تاريخ مصر القديم وبعض مظاهر حضارته فهذا موضوع يحتاج وحده إلى مئات الصفحات[٢] .

Mellart, Earliest Civilisations of the Near East, London 1965; ==
Brottero, The Near East : The Early Civilisations, London 1967; Contenau, les Civilisations du Proche – Orient, Paris 1963; Amiet, les Civilisations Antiques du Proche – Orient, Paris 1971 .

(١) استخدم هذا المصطلح :

د. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٥٨ ؛ المؤلف نفسه في ترجمته لكتاب : جيمس هنري بريستد : انتصار الحضارة ، تاريخ الشرق القديم ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

(٢) قمنا بتأليف كتابين عن " تاريخ مصر القديمة ، ظهر الجزء الأول منه في سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، هيئة الآثار المصرية ، تحت رقم ١٦ عام ١٩٨٨، وصدر الجزء الثاني في السلسة نفسها تحت رقم ٢١ عام ١٩٩٣.

ولكن سوف نهتم فى هذه الدراسة بطبيعة مظاهر تلك العلاقات التى كانت قائمة بين مصر وغالبية بلاد الشرق الأدنى القديم منذ أقدم العصور .

ويشمل هذا المؤلف ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول : إيران والعراق . والجزء الثانى : الأناضول وبلاد الشام ، والجزء الثالث : دول الخليج العربى وشبه الجزيرة العربية واليمن .

أهمية دراسة ومعرفة تاريخ الشرق الأدنى القديم وبعض مظاهر حضاراته [١] :

ترجع أهمية دراسة تاريخ وحضارات منطقة الشرق الأدنى القديم إلى عدة عوامل :

أولا : أنها منطقة يتوافر فيها أقدم الآثار والوثائق التاريخية التى تخص حياة إنسان الشرق القديم وأطولها بقاء فى الزمن ، وأكثرها كما وتنوعا وليس هناك

---

(١) من أهم المؤلفات والمراجع التى اعتمدنا عليها فى هذه الدراسة عن تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته ، ما يلى :

د. أحمد فخرى : المرجع السابق ؛ د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد (مقدمة فى تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ ق. م) ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ؛ المؤلف نفسه : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، سبق ذكرهما .

أهم المراجع الأجنبية :

Contenau, les Civilisations du Proche Orient; Amiet, les Civilisations Antiques du Proche – Orient; Ghirshman, L'Iran des Origines a'l' Islam, Paris 1951; Chr. Et J. Palou, la Perse Antique, Paris 1967; Eydoux, A la Recherche des Mondes Perdus, Paris 1967; Renald, les Grands enigmes des Civilisations disparues, Paris 1971.

من رقعة جغرافية اخرى فى العالم توافر فيها مثل هــذا السـجل الحضــارى الــذى حرص إنسان الشرق القديم على تدوينه ليكون سجلا مطردا استمر أكثر من خمســـة آلاف سنة وربما أكثر بكثير ، كما أن المنطقة لا تزال تحتفظ فـــى بــاطن أرضـــها بالكثير من الآثار والوثائق التى لم يكشف عنها معول رجال الحفائر حتى الآن . فــإذا كانت مصر بآثارها المتنوعة تعتبر متحفا مفتوحا فإن بلاد الشرق الأدنى القديم تعتــبر متحفا عالميا مترامى الأطراف .

<u>ثانيا</u> : أنها منطقة نشوء للحضارات القديمة ، فظهرت فيها حتى الآن أولـــى وأقدم الحضارات التى عرفنا عنها معظم أو أغلب مظاهرها نظرا لأصالتها ، فكــانت مهدا حضاريا توصل فيه إنسان الشرق إلى أقدم المعارف والتجارب والمظاهر أكــثر مما حققه الإنسان فى بقية مناطق حضارات العالم القديم مثل حضارات : بحر إيجـــه (المينوية) واليونان والهند والصين واليابان وكوريا والمكسيك والمايا ، واليوقاطيــه والأندى (الأربعة الأخيرة فى أمريكا الوسطى والجنوبية) .[١]

فإذا قارنا حضارات منطقة الشرق الأدنى القديم ببقية الحضارات التى كــانت معروفة فى العالم القديم ، نجد أنه فى <u>الشمال</u> حيــــث القارة الأوربيـــة والجـــزر البريطانية ، هى منطقة عرفت عصور ما قبل التأريخ ولكنها لم تدخل على مســـــرح التاريخ الحضارى إلا بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية ابتداء من القـــرن الخـــامس الميلادى ، وحتى بعد ذلك التاريخ ظلت حتى عصر النهضة فى أوائل القرن الســادس عشر الميلادى فى شبه انغلاق مظلم على نفسها ، بينما ظلت الجزر البريطانية فـــى انعزالها الحضارى حتى أوائل العصر الحديث .

وإذا كان الرومان قد انطلقوا من خلال عصورهـــم إلـــى غالـــة (فرنســـا الحالية) وإلى بريطانية ، فإن انطلاقهم كان فى حالة غالة لا يشكل إلا حركة تـــأمين لحدود الإمبراطورية الرومانية ضد القبائل الكلتية المتبربرة الموجودة فى هذه المنطقة وباستثناء ذلك فقد بقيت المنطقة مغلقة على نفسها ، ومن ثم منعدمة التـــأثير والتـــأثر الحضارى .

---

(١) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم، ص ٤٦- ٤٧ حاشية (١) .

والشئ ذاته نجده فى المنطقة إلى جنوبي منطقة نشوء الحضـــارات والتـــى يسكنها الجنس الأسود إلى الجنوب من الصحراء الكبرى التـــى تمتـد عـبر القـارة الأفريقية من غربها إلى شرقها ، وهى منطقة لها منجزات حضارية قديمة بســيطة ، وبقيت مغلقة فى أرجائها دون أن تجد سبيلها للانتشار الواسع أو للتأثير الفعال خـارج حدود منطقتها .

وتأتى أخيرا المنطقة الواقعة إلى الشرق من منطقة نشوء الحضارات والتـى يقطن أغلبها الجنس الأصفر أو العنصر المغولى ، وهذه المنطقة لـــم تظـهر فيـها الحضارة إلا فى وقت متأخر . ففى الصين مثلا التى كـان يعتقـد خطـأ أنـها ذات حضارة بالغة فى القدم ، نجد أن أول - قطعة معدنية تشير إلى اســتخدام الصينييـن للمعادن وترجع إلى القرن الثانى عشر ق. م . أى بعد استخدام المعادن فـى مصـر بنحو ثلاثة آلاف سنة على الأقل ، وبعد استخراجها فى غربى آسيا بأكثر مـن ذلـك وكذلك بلاد فارس .

أما عن الكتابة ، فإن أقدم وثيقة مكتوبة باللغة الصينية عثر عليها ترجع إلـى القرن الحادى عشر ق. م . أو إلى القرن الذى يسبقه على أكثر تقدير ، أى بعد ألفـى سنة أو أكثر من ظهور الكتابة فى منطقة الشرق القديم وخاصة فـى مصـر وبـلاد النهرين وعيلام فى إيران .[١]

وعلى الرغم من أن هذه الحضارات قد اضمحلت وتوارت ، إلا أن تأثيرهـا لا يزال مستمرا على الحضارات التالية لها لتترك بذلك تأثيرها ، بشـكل مباشـر أو غير مباشر ، على المسيرة الحضارية التى نعيش الآن أحداث مراحلها .

ثالثا : خلف إنسان الشرق الأدنى القديم للأجيال التالية تراثا حضاريا غنيـا بالنظم الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والأفكار الدينية والمعارف فى الحياة الثقافيـة

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة (مدخل حضارى فى تـاريخ العرب قبل الإسلام) ، ص ٢٣ ، ٢٥ .

والعلمية وأساليب التعليم والإبداع فى الحياة الفنية والتنـوع فـى مجـال العلاقـات الخارجية ولا نزال جميعا نشعر بقيمة هذا الـتراث وهـذه المنجـزات الحضاريـة فالشواهد الأثرية خير دليل على ذلك .

فقد ساعدت عدة عوامل هذا الإنسان على وضع أسس للحضارة والتطـور بها منها : ملائمة المناخ للنشاط البشرى ، سهولة المواصلات أو الانتقال بين أرجـاء المنطقة ، وسهولة الطرق البرية ، كما كانت البحار عاملا اسهم إلى حد كبـير فـى سهولة الاتصالات ، وجود الحدود شبه المانعة للمنطقة(١) ، توافر المواد الأولية فـى المنطقة مثل أنواع الأحجار والمعادن والأخشاب ، إن الإنجاز الحضـارى لـم يكـن حكرا على عنصر بشرى دون غيره من العناصر المنتشرة فى المنطقة ، ولكن كـان هناك أشبه بالتجانس البشرى فى كل بلد على حده ، وأدى هذا التجانس إلـى بـروز الشخصية الحضارية لكل بلد ، وأدى بالتالى إلى بروز الشخصية الحضارية الجماعيـة لمنطقة الشرق الأدنى القديم ، أخيرا أنها حضارات قامت على قدرات إنسان الشـرق القديم نفسه ونشاطه وتجاربه وجلده وصبره وتفانيه فى عمله وفى منجزاتـه ، وأدى ذلك إلى نجاحه فى التطور بتجاربه وتعميقها بدلا من بعثرتها وتسطيحها وأدى كذلـك إلى تطور وتعمق التجربة الحضارية وأصبح لها جذور ممتدة إلى الأعماق فى بـاطن التاريخ وهذا ساعد على عدم تبعثرها وعاشت بدلا من أن تندثر .

فكان إنسان الشرق الأدنى القديم أول من أنشأ وألـف الحيـاة المدنيـة ذات الحكومات وأول من وضع أسس لنظم الحكم والإدارة . وتطور بـهذه النظـم مـن بداياتها الفردية التى تقوم على المساندة من جانب المعبودات واكتساب الحق المقـدس للحاكم حتى وصلت إلى تحديد ما على الحاكم وما على كبـار رجـال الدولـة مـن مسئوليات وواجبات ، وقد ظهر هذا الاتجاه فى مصر فى عهد الملك تحوتمس الثـالث (١٥٠٤ - ١٤٥٠ ق. م) ، عندما نقرأ وصايا هذا الملك لوزيره رخمـى رع يـوم أسند إليه منصب الوزارة ورسم له الطريق الذى يجب أن يسير عليه ، وهى وصايـا

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢٦ - ٣٢ .

وتوجيهات لم تكن دستورا صالحا لعصرها فقط ، بل صالحة لكل زمان ومكان وفيها تحليل نفسي للشعب ، والصلة التي يجب أن تكون بين الحاكم والمحكوم .[١]

وأول من وضع النظم الاجتماعية ، فظهرت أول مجموعة قانونية متكاملة تنظم القيم الجماعية والعرف والتقاليد والعلاقات في بلاد النهرين في عهود الملك اوركاجينا من سلالة لجش في أواخر العصر السومرى الأول ، والذى يعد أول مشروع في تاريخ البشرية حيث وردت بعض الإشارات التي تشير إلى إصلاحاته الاجتماعية وتنظيمه الإدارة وإزالة الظلم عن طبقة الفقراء .

واورنمو مؤسس أسرة أور الثالثة والذى كان يعد أيضا من أقدم واضعي التشريعات المكتوبة في بلاد النهرين،ولبث عشتار خامس ملوك مدينة اسين في عصر الأحياء السومرى . وبلا لاما أهم ملوك مدينة اشنونا في عصر الأحياء السومرى[٢] وأخيرا التشريعات الشهيرة للملك حمورابي (عام ١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق. م)[٣] وتشريعات حور محب في عصر (١٣٣٩ – ١٣١٤ ق. م) .[٤] كما أن تقسيم المجتمع إلى طبقات ظهر أول ما ظهر في بلاد الشرق الأدنى القديم .

وأول من وضع النظم الاقتصادية ، وتطور بمعارفه في مجال الزراعة والصناعة والتجارة . أقام الملك امنمحات الثالث سادس ملوك الأسرة الثانية عشرة (١٨٨٤ – ١٧٩٧ ق. م) خزانا أو سدا عند مدخل الفيوم وذلك لخزن مياه فيضان النيل . وكان هذا الخزان مقفلا بواسطة سد كبير له أهوسة وعيون تفتح في نهاية

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، الطبعة الخامسة ١٩٨١ ، ص ٢٨٤ .

(٢) راجع فيما بعد ، ص ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢١١ – ٢١٣ ، ٢١٤ – ٢١٥ .

(٣) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٣٦ – ٣٣٧ .

فصل الخريف وفى بداية فصل الصيف .[١] ويذكر بعض المؤرخين أن اليمنيين قد أنشؤوا مئات السدود والخزانات وأنهم أول من توسع فى إقامتها . وكان أعظمها سد مأرب وذلك لتنظيم عملية رى الأراضى ومنعا لحدوث فيضانات نتيجة للأمطار التى كان ينتج عنها سيولا مدمرة . كما اعتنى اليمنيون بزراعة النباتات النادرة والحبوب المختلفة والفواكه المتنوعة .[٢] واشتهر أهل الشرق القديم بعدة صناعات أصبحت لها شهرة عالمية ، مثل صناعة البردى فى مصر ، والنسيج فى سوريا . فقد برع الفينيقيون فى صناعة النسيج ، وكانوا يصنعون الأقمشة الصوفية منذ منتصف الألف الثانية قبل الميلاد ، وعرفوا المنسوجات القطنية بعد ذلك بزمن طويل ، وربما فى القرن السابع أو السادس قبل الميلاد ومما ساعد على رواج النسيج والأقمشة الفينيقية إتقانهم لصباغتها بالألوان الزاهية وبخاصة اللون الأرجوانى .[٣]

وكان الفينيقيون من أقدر الشعوب الملاحية التى عرفها العالم القديم ، بل ربما كانوا أقدرهم ، فكانوا يحملون منتجات الشرق القديم إلى مختلف أنحاء العالم القديم فوصلت سفنهم التجارية إلى موانئ البحر المتوسط وموانئ أبعد من ذلك ، هذا بالإضافة إلى تأسيسهم للمدن والمراكز التجارية فى شمال أفريقيا وفى جميع البلدان المطلة على البحر المتوسط .. كما كان أهل اليمن القدماء وسطاء نشيطين فى نقل تجارة الهند وجزر الهند الشرقية والصين وسواحل شرق أفريقيا إلى مصر وبلاد النهرين وسوريا .[٤] كما اهتم المصريون القدماء بعلاقاتهم التجارية مع الساحل السورى وأفريقيا وسواحلها الشرقية منذ أقدم العصور .

---

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، ص ٦٨٠ .

(٢) د. توفيق برو : تاريخ العرب القديم ، بيروت ١٩٨٤ ، ص ٩١ .

(٣) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١١٩ .

(٤) د. توفيق برو : المرجع السابق ، ص ٩١ - ٩٢ .

وأول من فكر في المعبودات والعبادات المختلفة وأول من فكر في الديانة والمعتقدات في الدنيا والآخرة وما على الإنسان أن يقوم به تجاه المعبودات وما يجب عليه أن يتبعه من مبادئ وقيم فى الحياة ، وظهر هذا الاتجاه فى مصر فى نصوص كتاب الموتى والنصوص الدينية من الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ - ١٣٢٠ ق. م) وتبين فصول هذا الكتاب فكرة الحساب والمسئولية أمام الأرباب فى عالم الآخرة . وحينئذ يتحدد مصيره ، فأما إلى جنات ذات غدران وزروع ترتفع سنابلها إلى سبعة أذرع ، وإما إلى جحيم تتنوع فيه صور الحرمان وألوان العذاب والفزع والخوف وأذى الوحوش والحيات وعذاب النار .(١)

وأول من وضع أسس الحياة الثقافية فكان أول من اخترع الكتابة ووضع أسس لنظم التعليم : يقول رالف لنتون بأن الكتابة هى إحدى مخترعات دول الشرق الأدنى القديم ، وأن فضلها وأثرها أعظم كثيرا من اكتشاف المعادن ومعرفة الزراعة . فلولا الطرق الفنية الخاصة بتسجيل وحفظ نتائج الملاحظات ، لما تيسر ظهور العلوم والمعارف إلى حيز الوجود .(٢)

فقد ظهرت تباشير الكتابة منذ عصور ما قبل التأريخ فى حوالى عام ٣٥٠٠ ق. م . فى حضارة الوركاء فى بلاد النهرين ونقادة فى مصر وحضارة عيلام فى إيران وقد أطلق العلماء على هذه الكتابة الأخيرة اسم " قبل العيلامية " .(٣) وكانت جميعها فى البداية كتابة تصويرية وقد ظهرت الكتابة فى وقت واحد فى كل من مصر وبلاد النهرين . وتحتل الكتابة المصرية مجال السبق مع الكتابة المسمارية ، ولم يثبت حتى الآن أيهما أقدم تاريخيا ، وإن كانت الآثار المصرية التى تحمل كتابات

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٢ ، ص ٣٤٤ .

(٢) د. شعبان خليفة : الكتابة العربية فى رحلة النشوء والارتقاء ، دار العربى للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٨ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ١٨٩ - ٥٤٧ .

مصرية أقدم تاريخيا بأكثر من ألف عام . ومن هنا اعتقد كثير من الباحثين أن الكتابة المصرية اسبق وجودا من الكتابة المسمارية .

وكان أهل بلاد النهرين والمصريون القدماء والفينيقيون أول من اخترع الحروف الهجائية .[١] كما كان المصريون القدماء وأهل بلاد النهرين يميلون إلى العلم والتعليم ويعرفون ما يجنيه المتعلم من ثمار التعليم ومن فائدة التعليم . فكانوا أول من وضع النصوص التى تمثل المناهج الدراسية . كما حدثنا ديودور الصقلى (الذى زار مصر فى حوالى عام ٥٩ ق. م) عن المناهج الدراسية فى مدارس المعابد المصرية وقد عثر على بقايا هذه المدارس حول المعابد ، كما أن المعابد الكبرى كانت تضم مكتبات تحفظ فيها وثائق المعبد ومجموعة من النصوص المختلفة الأغراض ومنها ما يخص العلوم والمعارف المتعددة ومنها ما يخص التعاليم والأدب وفروعه ومنها ما يخص الفنون . ومن الأدب السومرى لدينا نصا مسماريا وصف تلميذ فيه طرفا من حياته المدرسية بناء على أسئلة وجهت إليه .[٢] كما نعرف أن سرجون الثانى (عام ٧٢٢ – ٧٠٥ ق. م) أنشأ مكتبة فى نينوى ، وزاد هذه المكتبة

---

(١) هناك من يذكر بأن اللغات السامية كما هو معترف بها اليوم هى مجموعة لغوية خاصة تضم اللغات الآشورية – البابلية (الأكدية) والكنعانية (الفينيقية) والآرامية والعبرية والعربية والحبشية وكذلك المصرية القديمة واللغات الحامية والتى كانت منتشرة فى غرب آسيا وشمال وشرق أفريقيا مشتقة كلها من لغة واحدة ، لأن الأسلاف البعيدين للذين كانوا يتحدثون هذه اللغات كانوا غالبا يشكلون جماعة واحدة قبل أن تحدث بينهم هذه الاختلافات اللغوية أو اللهجات ، راجع : د. فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (ترجمة : جورج حداد وعبد الكريم رافق) الجزء الأول ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ٦٦ – ٦٧ ؛ د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ٣١ حاشية (١) ؛ خالد العسك : تاريخ القدس العربى القديم ، ص ٥١ حاشية (١٤) .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٤٥ – ٤٤٦ .

وأسس مثلها أولاده وحفدته . وكان أكثرهم اهتماما بالثقافات القديمة وجمعها في مكتبات هو آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق. م) .[١]

وأول من وضع الأسس العلمية لبعض المعارف التي توصل إليها ، فقد شهدت منطقة الشرق القديم أولى المحاولات لتحويل المعرفة القائمة على التجربة أو الخبرة إلى نسق علمي في ميادين الرياضة والحساب والفلك . ففي مجال الهندسة المعمارية ظهرت أولى السدود المستخدمة في التحكم في المياه وتخزينها في بلاد النهرين واليمن . كما ظهرت أول معجزات البناء الذي ترتكز فيه عشرات الآلاف من أطنان الحجر على سقف غرفة صغيرة في داخل الهرم الأكبر بالجيزة في مصر .[٢] وكان يوجد في بلاد فارس ومصر الأطباء المتخصصون كما برع المصريون القدماء في فن التحنيط وفي مجالات أخرى .

وأول من وضع أسس الفنون المختلفة ، في العمارة الدنيوية والدينية والجنائزية وفي النحت والنقش والرسم والتلوين والتطعيم والفنون الصغرى ، ونرى ذلك في البقايا الأثرية في العواصم القديمة في الشرق الأدنى القديم : سوس ، برسي بوليس ، بابل ، نينوى ، نمرود[٣]، بوغازكوى ، ماري ، صيدا ، بيبلوس ، رأس الشمرا ، تدمر ، القدس ، الفاو ، صرواح ، مأرب ، وفي بقايا العواصم والأقاليم والجبانات المصرية القديمة في مصر العليا وفي الوجه البحري .

ويكفي أن نذكر أنه من بين عجائب الدنيا السبع التي اشتهرت عند اليونانيين حتى القرن الثاني قبل الميلاد ، ثلاث منها في بلاد الشرق القديم : الهرم الأكبر ، منارة الإسكندرية ، زاقورة بابل وملحقاتها .[٤] كما أبدع إنسان الشرق القديم في الفنون الأخرى في الموسيقى والغناء بأنواعه والرقص بأنواعه . فكان المصريون

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٤٥ - ٥٤٦ .
(٢) د. لطفي عبد الوهاب : المرجع ،سابق ، ص ٢٢ .
(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٣٦ - ٥٤٥ .
(٤) د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ١٠٨ حاشية (١) .

القدماء أول من وضع النوتة الموسيقية . كما عنى الفينيقيون بالموسيقى وانتشرت آلاتهم الموسيقية فى جميع بلدان الشرق القديم .

وأخيرا كان أول من وضع أسس العلاقات الدولية ، من ذلك نرى أن الصلات السياسية بين مصر وجاراتها فى آسيا وفى البلاد المطلة على البحر المتوسط وفى بعض المناطق فى أفريقيا كانت قائمة على قواعد وأعراف متفق عليها ، وكانت لغة المراسلات الرسمية هى اللغة البابلية وكانت تعقد معاهدات صداقة بين مصر وتلك البلاد يؤكدها إرسال الهدايا مع رسل من الجانبين ، وعقد أواصر المصاهرات . إذ أن ملوك بابل وآشور وميتانى كانوا على حدود مناطق النفوذ الخاضعة لمصر فى بلاد الشام ، وفضل الملوك المصريون أن يكونون على صفاء معهم .[١]

ويؤكد هذه العلاقات المراسلات التى عثر عليها فى تل العمارنة [٢] ، ورأس الشمرا[٣] ومارى[٤] وبوغازكوى .[٥] فعقد الملك حور محب معاهدة مع مورسيل الثالث ملك الحيثيين ضمنت له استقرار الأمور على الحدود[٦] ، والمعاهدة التى وقعها رمسيس الثانى مع خاتوسيل فى عام ١٢٨٠ ق. م . وكان أصلها مكتوبا بالخط المسمارى على لوح من الفضة وقد ترجم الأصل إلى اللغة المصرية كما عثر

---

(١) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ٨٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٧٧ – ٨٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٧٥ – ٧٦ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٠٨ – ٣١٠ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٧٣ – ٧٤ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٨٨ .
(٦) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣٣٦ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥١٤ .

على الأصل فى حفائر بوغازكوى . وهى تعتبر معاهدة سلام ودفاع ومساعدة مشتركة بينهما .. وأيضا تعاهدا على تفادى الحرب بينهما واحترام مناطق نفوذهما فى مكان ما فى شمال سوريا لا يمكننا التعرف عليه ، وألا يعتدى أحدهما على حدود الآخر ، ومعاونة أحدهما الآخر فى حالة اعتداء دولة أجنبية أخرى على أحدهما ، والتعاون ضد الثورات الداخلية وتبادل اللاجئين السياسيين والفارين والتعهد بعودتهم إلى بلادهم الأصلية دون أن يتعرضوا لأية عقوبة ، وأديا القسم أمام ألف معبود حيثى وألف معبود مصرى أن يراعيا تنفيذ بنود هذه المعاهدة .[١] كما عثر فى حفائر رأس الشمرا على مجموعة من المراسلات الدبلوماسية التى تبادلها ملوك أوجاريت مع ملوك الحيثيين ، ومن بينهما معاهدة صداقة عقدت بين ملك أوجاريت والملك الحيثى شوبيوليوما .[٢]

ومن رسائل تل العمارنة نعرف بعض قواعد البروتوكول المتبعة . فعند تولى أمنحتب الرابع العرش أرسل إليه ملك خيتا رسالة تهنئة . وكان من عادة ملوك ميتانى وآشور وبابل أن تبدأ خطاباتهم بتحية الملك وزوجه ، ولكن ملك قبرص كتب إلى أمنحتب الثالث باعثا إليه بالتحية ثم اضاف " وإلى أقاربك وخادماتك وأبنائك وزوجاتك ، وأبعث بتهانى إليك على عرباتك العديدة وخيولك ، كما أبعث أيضا بسلامى إلى بلادك " .[٣]

ولم تكن كل هذه المظاهر والمنجزات مجرد نظم حضارية ظهرت وانقرضت فى الحدود المحلية للمنطقة ، وإنما كانت منجزات أثرت فى غيرها من المناطق واستمر تأثيرها كأساس للتطور الحضارى الإنسانى فيما بعد .

<u>رابعا</u> : لم يعرف الكثيرون قبل مئة سنة أن حضارة الشرق الأدنى القديم كانت مقدمة لنشأة الحضارة الأوربية القديمة . ولم يكن أحد يدرك مبلغ الدين

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٥٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٨٣ ، ٨٥ .

الحضارى الذى كانت بلاد اليونان وروما مدينتين به لحضارة الشرق الأدنى القديم . ونعلم أن الحضارة اليونانية نشأت متأخرة عن حضارات الشرق الأدنى جميعا ولذلك أفادت منها كثيرا فى أكثر من مظهر حضارى بل أن ظهور هذه الحضارة على سواحل آسيا الصغرى لا فى اليونان نفسها راجع إلى احتكاكها واتصالها بالحضارة الفينيقية . على أن اقتباس الحضارة اليونانية لمعارف ومظاهر من حضارة بلاد النهرين لم يكن بصورة مباشرة وإنما عن طريق شعوب آسيا الصغرى التى كانت على اتصال دائم بالبابليين والآشوريين والتى خضعت لنفوذهم ، وقولنا هذا لا يقلل من شأن عظمة بلاد اليونان وحضارتها ولا من شأن عظمة روما ولا من إنجازاتها فى ميدان الحضارة الإنسانية لأن المنجزات الحضارية التى حققها الإنسان فى الشرق الأدنى القديم انتقلت إلى جزر بحر ايجه ، ومن جزر بحر ايجه وجدت هذه المنجزات سبيلها إلى أوربا حيث أصبحت نواة للحضارة الكلاسيكية التى نشأت فى بلاد اليونان وفى روما وهى أم الحضارة الأوروبية .

ويقول جوردون تشيلد فى كتابه عن <u>فجر الحضارة الأوروبية</u> :

" لا أتردد فى القول أن الغرب مدين للشرق بفضل تقدماته الأولية من أدوات وصنائع وفنون حررت الإنسان ووضعت بين يديه سلاحا يعتق به نفسه من كابوس محيطه الطبيعى ، وهو مدين للشرق أيضا بفضل الروابط الروحية التى وحدت الإنسان فى سعيه نحو الحضارة والتقدم " .(١)

وفى مؤلف آخر له بعنوان : " <u>أضواء جديدة على الشرق الأدنى القديم</u> " يقول :

" إن تاريخ أوروبا السابق للتاريخ المدون ليس سوى تقليد – أو إن شئت تكييف – لما قام به الشرقيون من أعمال حضارية " .(٢)

---

(١) د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر ، ص ٧٦ حاشية (١) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٦ حاشية (٢) .

كانت جزيرة كريت فى البحر المتوسط ومقاطعة ميسيا فى جنوبى اليونان نقطتى ارتكاز تنطلق منهما هذه المنجزات الحضارية إلى داخل القارة الأوروبية . كما أن بلاد الأناضول وفينيقيا ومصر كان أشبه بجسور تعبر عليها إلى جنوب أوروبا .

انتقلت بعض مظاهر حضارات الشرق الأدنى القديم إلى بلاد اليونان عن طريق خمسة طرق أولا : بفضل ما نقله الفينيقيون من معارف وخبرات . فقد أنشأ الفينيقيون المراكز والموانى التجارية على سواحل البحر المتوسط وجزره وجعلوها أسواقا تجارية لهم ومحطات لتموين سفنهم فى قبرص وصقلية وسواحل آسيا الصغرى[١] ، وثانيا : بفضل المرتزقة اليونانيين الذين كانوا يعملون فى الجيش المصرى فى القرن السابع ق. م . وكانوا يعودون إلى بلادهم يحملون معهم إلى الشاطئ الآخر من البحر المتوسط قصصا عجيبة عن رخاء المصريين ويروجون لثقافتها وفنونها وآدابها وديانتها وكل ما رأونه فيها .[٢]

وثالثا : بفضل الرحالة اليونانيين الذين كانوا يتوافدون على بلاد فارس وبلاد النهرين وسوريا ومصر ابتداء من القرن الخامس ق. م . وسجلوا العديد من المعارف التى توصل إليها أهل الشرق القديم ونقلوها إلى بلادهم . ورابعا : بدأ اليونانيون من جانبهم يفدون على بلاد الشرق الأدنى القديم لدراسة الديانة والطب والرسم والنحت والعمارة والموسيقى وخاصة فى مصر . فطاليس (٦٤٠ ق. م) استمد ثقافته من مصر وبلاد النهرين ، وفيثاغورس (٥٨٠ ق. م) زار مصر وتعلم من كهنتها كثيرا من المسائل الفلكية والهندسية وزار أيضا الجزيرة العربية وسوريا وبابل .

وفى خلال مراحل الاتصال هذه نجد أن الحضارة اليونانية طورت ما أخذته من مجتمعات الشرق الأدنى القديم ، وزادت عليه وصاغت كل ذلك صياغة جديدة وبخاصة خلال القرنين الخامس والرابع ق. م .

---

(١) د. فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ص ١٠٤ .
(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٢٩ .

وظلت حضارات الشرق تمد الحضارة الأغريقية طوال تاريخها بكثير من عناصر تراثها . فمن شعوب الشرق تعلموا الزراعة واستخدموا الحديد وصناعة الغزل والنسيج واستئناس الحيوان ، بل أن آثينا وهو لفظ غير يوناني قد أسسها مصرى يدعى سيكروبس ، وطيبة أسسها كادموس وهو فينيقى (وفى رأى آخر أنه أحد الأمراء المصريين الذين عاشوا في القرن الرابع عشر ق. م .[١]

وخامسا : زاد هذا الاتصال بفضل حملة الإسكندر المقدونى حيث كان تأثير الحضارة اليونانية هو الظاهر هذه المرة على الشرق الأدنى القديم سواء فى جوانب العلم أو الفكر أو الأدب والفن . على أن ذلك لا يعنى أن الشرق قد غلب على أمره ، إذ كانت الروح الشرقية أصيلة راسخة فظل الناس يتخاطبون بلغتهم الوطنية ويمارسون عادتهم المألوفة من قديم الزمان لأن الغشاء اليونانى الذى غش الروح الشرقية كان رقيقا ويزداد رقة وتختفى ملامحه كلما توغلنا فى أقاصى أقطار الشرق وبعدنا عن ساحل البحر المتوسط الذى كانت المراكز الثقافية الإغريقية منتشرة عليه ، لقد عجزت الروح اليونانية عن أن تتغلغل فتسرى فى أعماق العقلية الشرقية ، إذ كانت الديانة راسخة فى الأعماق ومؤثرة فى معظم بلدان الشرق القديم منذ أقدم العصور ، ومن ثم يتعذر أن تزعزعه روح عشقت مباهج الحياة الدنيا والمادة ، فاستسلم اليونانيون للطقوس الدينية فى مصر وفينيقيا وسوريا . لقد عرض اليونان على الشرق الفلسفة وعرض الشرق على اليونان الدين والحكمة فكانت الغلبة للدين والحكمة ، لأن الفلسفة كانت ترفا يقدم للأقلية من الناس بينما الدين سلوى لأكثرهم وراحة نفسية لأغلبهم .[٢]

اتصلت حضارة اليونان بثلاث حضارات كبرى فى الشرق الأدنى القديم ، وهى حضارة مصر القديمة ، وحضارة فينيقيا القديمة وحضارة بلاد النهرين

---

(١) د. أحمد صبحى : فى فلسفة الحضارة (الحضارة الإغريقية) مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، ص ١٨ (وهامش) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٢ – ١٨٣ .

القديمة .

كان للحضارة المصرية القديمة تأثير كبير على الحضارة اليونانية وجزر بحر إيجه وخاصة فى مجال الحياة الثقافية .

ويرى د. ايفار أن ما قدمته مصر للحضارة الإنسانية عامة ولحضارة اليونان خاصة لم يحظ بالتقدير المطلوب ، وذلك لأنها زودت اليونان بعلوم ومعارف عديدة . وقد آلت هذه المعارف إلى اليونان عن طريق الفينيقيين والسوريين واليهود والكريتيين واليونانيين المرتزقة والرومان أنفسهم .(١) ونذكر على سبيل المثال أن الفينيقيين هم الذين أدخلوا البردى بلاد الإغريق .

ومن الصعب تحديد إلى أى مدى استطاعت الحضارة المصرية القديمة التأثير فى الحضارة اليونانية الناشئة ، ولكن يمكن القول بأنه كان للحضارة المصرية فضل كبير فى تطور الحضارة اليونانية فى العديد من مظاهرها .

كانت مصر هى الدولة الوحيدة المنتجة والمصدرة للبردى فى الشرق القديم وكانت بلاد اليونان منذ نهضتها الثقافية الكبرى فى القرن الخامس ق.م . فى حاجة ماسة إلى هذه السلعة .

وهيرودوت ذلك المؤرخ اليونانى الذى أطلق عليه الخطيب الرومانى شيشرون لقب " أبو التاريخ " والذى زار مصر فى حوالى عام ٤٤٨ ق.م . يقول : " وعن طريق اليونانيين وصلت إلى الحضارة الغربية بعض الأفكار المصرية " .(٢)

نشطت فى الأسرات المتأخرة العلاقات مع المدن اليونانية ، وكان المرتزقة اليونانيون الذين كانوا يخدمون فى القوات المصرية ، يعودون إلى بلادهم حاملين

---

(١) د. ايفار ليسنر : الماضى الحى (حضارات تمتد سبعة آلاف سنة) (ترجمة شاكر إبراهيم ومراجعة د. أبو المحاسن عصفور) القاهرة ١٩٨١ ، ص ٧٤ .

(٢) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 8.

معهم إلى الشاطئ الآخر من البحر المتوسط قصصا عجيبة عن رخاء مصر وثـــراء مظاهرها الحضارية ويروجون لكل ما رأوه وتأثروا به .

وفى الفترة فيما بين القرنين قبل الميلاد والثانى بعد الميلاد جاء عدد كبـــير من الشخصيات اليونانية إلى مصر منهم الرحالة والمؤرخين الذين كتبوا وصفــا لمــا شاهدوه وسمعوه فى مصر من أمثال هؤلاء : هيكاتيه الملتى ، هيرودوت ، وديودور الصقلى ، وسترابون ، وبلوتارخ ، ومنهم الفلاسفة من أمثال أفلاطون . كما قصدهــا النابغون من أهل العلم والفكر فى اليونان ، وكانوا يفخرون دائما بتلك السنوات التــى قضوها فى مصر مع الكهنة المصريين فى المدارس المختلفة الملحقة بالمعـــابد فــى إيونو وأبيدوس ومنف والأشمونين وطيبة وسايس حتـــى الطلبــة اليونــانيين بــدأوا يختلطون بدور العلم المصرية ، ولدينا نص بردية يونانية ، عبارة عن رسالة مـــن أم يونانية إلى ابنها الذى يقيم فى مصر لتلقى العلم ، جاء فيها :

و " عندما بلغنى أنك تتعلم الكتابة المصرية فرحت لك " .(١)

وفى ذلك ما يدل على أن اليونانيين الذين جاءوا إلى مصر منهم مـــن كـــان يرى أن الإفادة الكاملة لن تتم دون تعلم لغة البلاد أى اللغة المصرية . وكان بعـــض المصريين الذين هاجروا إلى بلاد اليونان يقومون بتعليم الموســيقى والعــزف علـــى الآلات المختلفة لبعض اليونانيين .(٢)

وبدأ اليونانيون من جانبهم فى دراسة الثقافة والعلوم المصرية فـــى بلادهـــم وخاصة فى مجال الهندسة والطب .

وكما تعلم أفلاطون فروع العلم المختلفة ، وتعلم تلميذه يودكس الفلك ، ومـــن الفلاسفة نعرف أيضا ديمقراط . ومن الرياضيين نعرف طاليس الذى تعلـــم أســـرار

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٢٤٣ حاشية (٢) .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦١٩ .

المعارف من الكهنة المصريين ونقل عنهم أصول النحت والهندسة إلى مواطنيه اليونان ، وقد نصح طاليس تلميذه بيثا جوارس أن يتم دراسته مع الكهنة المصريين ، فقضى فى مصر اثنين وعشرين عاما تعلم فيها الفلك والهندسة فى معابدها . كما تعلم بيثا جوراس أصول النوتة الموسيقية والسلم الموسيقى فى مصر . ومن الرياضيين نعرف أيضا فيثاغورس الذى درس فيها الفلك والهندسة وفى الطب نعرف هيبوقراتس.

. وكل من هؤلاء كان معروفا بنظرياته العلمية والرياضية والفلسفية ، ومن المشرعين **سولون وليكورج** . ومن الموسيقيين أورفى ومن الشعراء **هوميروس وانوبيدز** . وكان هومير يتغنى بحكمة مصر وتفوقها فى مختلف ميادين العلم والفنون .[١]

وقد أخذ اليونانيون عن المصريين الكثير من مبادئ العلوم ومنها حوالى ثلاثين نظرية فى قواعد العلوم المختلفة .[٢]

وهى مبادئ علمية لم يقتصر مجالها على الخبرة الناتجة عن الممارسة فحسب وإنما دونها المصريون القدماء فى شكل قواعد علمية كما يظهر لنا بوضوح فى أوراق البردى الطبية مثل بردية إيرس المحفوظة الآن فى جامعة لايبزج ، وبردية هرست المحفوظة الآن فى جامعة كاليفورنيا ، وبردية إدوين سميث الموجودة حاليا فى حيازة الجمعية التاريخية فى نيويورك ، وبردية برلين الموجودة الآن فى متحف برلين .

وقد تركت هذه البرديات وغيرها وما سطر عليها أثرها على المنجزات الطبية فى الطب اليونانى القديم وهو أثر وصل إلى درجة الاقتباس الكامل فى كثير

---

(١) عن ذكر مصر والمصريين انظر الاوديسية ، نشيد ٤ : ٨٣؛ نشيد ١٤ : ٢٦٣، ٢٨٦؛ نشيد ١٧ : ٤٣٢، راجع : د. لطفى عبد الوهاب : هوميروس تاريخ حياة عصر، مركز التعاون الجامعى، الإسكندرية ١٩٦٨، ص ١٥ حاشية (١٣)، ص ٣٢، ٤٧، ١٠٨ .

(٢) د. إبراهيم نصحى : تاريخ التربية والتعليم فى مصر (الجزء الثانى – مصر البطالمة) ، ص ٢٠٣ ؛ د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٧٩ – ٥٨٠ .

من الأحيان كما يظهر لنا بوضوح في كتابات **ديوسكوريديس وجالينوس وهيبوقراتيس** ، (ابقراط) الذى يعتبر المعلم الإنسانى الأول لمهنة الطب ، وهو أول من رتب الطب وبوبه ، وذلك فى القرن الخامس قبل الميلاد ، ولقد بنى الطب على أسس علمية صحيحه وطهره من الخرافات وجعل التجربة الصحيحة أساسا له .[١]

كذلك أخذ اليونان عن المصريين المبادئ الأولى لفن النحت فجاءت التماثيل اليونانية فى عصرها المبكر نسخة من الاتجاه المصرى فى الوقفة المعتدلة والنظرة المتجهة إلى الأمام والذراعان الملتصقان إلى الجانبين واليدان المقبوضتان والقدم اليسرى المتقدمة قليلا عن اليمنى . وهذه أوضاع نجدها جميعا فى عدد من التماثيل اليونانية الموجودة فى المتحف الوطنى فى أثينا .

كما أخذ الفنانون اليونانيون ابتداء من عصر الطغاة (حوالي القرن السادس ق. م) عن معابد مصر عمارة الأبهاء والأعمدة لتصبح بعد ذلك هى النمط السائد عند اليونانيين كما يتضح من مقارنة معبد الكرنك وبقايا معبد أبوللون فى أوليمبية .[٢]

<u>أما عن تأثير الحضارة الفينيقية فى الحضارة اليونانية</u> ، فلنا أن نذكر أن الحروف الهجائية التى طورها الفينيقيون عن حروف المخربشات السينائية ونقوها[٣] من آخر المقاطع التصويرية للكتابة الهيروغليفية التى كانت لا تزال عالقة بها ، بحيث أصبحت الأبجدية تمثل القيم الصوتية فحسب ، قد نقلوها فى أثناء نشاطهم التجارى فى البحر المتوسط ، إلى بلاد اليونان لتصبح (بعد أن زاد اليونان عليها

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : اليونان ، مقدمة فى التاريخ الحضارى ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٧ ، ص ٢٠ ؛ د. محمد أحمد : مظاهر الحضارة فى مصر العليا فى عهد سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية القاهرة ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٧ ، ص ٣١٤ حاشية (٢٦٢) .

(٢) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢٠ – ٢١ .

(٣) عن الأبجدية الفينيقية أم الأبجديات وتأثيرها فى الكتابة اليونانية ، راجع : د. شعبان خليفة : الكتابة العربية فى رحلة النشوء والارتقاء ، ص ٤٨ – ٥٢ .

حروف الحركة) أداة طيعه لسرعة انتشار الكتابة ، ومن ثم لانتشار الحركة الثقافية بكل عمقها واتساعها وقد تم دخول الكتابة إلى بلاد اليونان بين بداية القرن التاسع ق. م. وأواسطه تقريبا ، حتى إذا وصلنا إلى أواسط القرن الثامن (٧٥٠ ق. م) وجدناها قد انتشرت فى مناطق يونانية كثيرة .[١] فنحن نعرف أن أصل اللغات الأوربية الحديثة هى اللغة اللاتينية ، وأن اللاتينية مأخوذة أساسا عن الرومان ، وأن الرومان قد أخذوها بدورهم عن اليونانيين ، وأن اليونانيين بدورهم قد أخذوها من الفينيقيين ، وكما ذكرنا أن الأبجدية الفينيقية استمدت أصولها من بضع مصادر أهمها الخط الهيروغليفى الذى كتبت به مخربشات سيناء . وقد عثر فى شبه جزيرة سيناء على نقوش عرفنا منها أصول كثيرة من الحروف الفينيقية .[٢] كما تأثر اليونانيون بمارينوس الصورى مؤسس الجغرافية الرياضية التى كان يعتمد عليها بعض مفكرى العالم القديم .

<u>وعن بلاد النهرين أخذ اليونان مبادئ الرياضيات</u> التى لم يقتصر فيها أهل بلاد النهرين على نتائج التجارب العلمية وإنما وصلوا فيها إلى درجة التنظير العلمى (وضع النظريات) . ويكفى أن نذكر فى هذا المجال أن الأصل الذى أخذ عنه عالم الرياضيات اليونانى فيثاغورس نظريته ، توصل إليه أهل الخبرة فى بلاد النهرين وكتب على لوح من الطين المحروق محفوظ الآن فى متحف الآثار ببغداد . وقد نقل اليونانيون آراء الكلدانيين فى علم الفلك الذين أطلعوا البشرية لأول مرة فى التاريخ على نظام ثابت للأجرام السماوية .[٣] فأخذ اليونانيون عن البابليين استخدام الساعة المائية والشمسية . كما اقتبسوا عنهم مبادئ الفلك وآلات الرصد والجداول الفلكية والخرائط الجغرافية وطريقة تقسيم الدائرة إلى ٣٦٠ درجة وكل درجة إلى ٦٠ دقيقة

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ص ٢٢؛ المؤلف نفسه : هوميروس تاريخ حياة عصر، مركز التعاون الجامعى ، الإسكندرية ١٩٦٨، ص ٢٣، ٣٩ .

(٢) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١١٧ – ١١٨ .

(٣) د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ص ٢١ ؛ د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ١٩٨ .

وكل دقيقة إلى ٦٠ ثانية وما استطاع طاليس أن يتنبأ بكسوف الشمس الذى حدث فى عام ٥٨٥ ق. م. إلا بفضل معرفته لحسابات ومعارف البابليين عن حركات النجوم .[١]

كما أننا نجد أن **تأثير بلاد النهرين كان واضحا كذلك فى مجالين آخرين :**

أحدهما : هو مجال أدب الملاحم الذى ظهر عند السومريين والبابليين فى عدد من الملاحم أبرزها ملحمة جلجامش وملحمة اينوما ايليش وأثر الملحمة الأولى يظهر فى أكثر من جانب فى ملحمة الأوديسية المنسوبة إلى الشاعر اليونانى هوميروس .

والمجال الثانى : هو مجال الأساطير التى كان الإنسان فى العصور القديمة يحاول عن طريقها أن يفسر الظواهر الطبيعية وظواهر الكون المحيط به ، مثل مظاهر الخلق والحياة والموت والخصوبة والإجداب وغيرها ومن ثم يحدد علاقته بها وموقفه منها .

وهنا نجد قدرا غير قليل من الأساطير اليونانية تكاد تتطابق فكرة وتفصيلا مع الأساطير التى سبقتها فى بلاد النهرين ، مثل الأساطير المتعلقة بقصة الطوفان وقصة خلق الإنسان من طين وماء وروح مقدسة ، وأسطورة انانا وتموزى (وعشتار وتموز) البابلية ونظيرتها أسطورة افروديتى وأدونيس اليونانية التى وصلت إليهم عن طريق الفينيقيين .[٢] كما يظهر تأثير الآشوريين فى الفن اليونانى فى طريقة نحت التماثيل الحيوانية ونقش الأفاريز التى كان يتبعها اليونانيون فى بادئ الأمر .

<u>خامسا</u> : أن الشرق الأدنى القديم صاحب الإرث الروحى ، وصاحب الرصيد الدينى الذى لا يوجد له نظير فى مناطق أخرى من العالم القديم والحديث .

---

(١) د. محمد عياد : تاريخ اليونان ، الجزء الأول ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨١ ، ص ١٣٥ .

(٢) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢١ .

فإذا كان الاتجاه الدينى فى بادئ الأمر كان قائما على عبادة عدة معبودات ، نجد أن اخناتون فى مصر ، حاول أن ينشر عبادة موحدة لمعبود واحد هو آتون ونشيده الكبير هو الأصل الذى نقل عنه الجزء الأكبر من مزمور ١٠٤ لسيدنا داود ، كما أن بردية امنموبت كانت أيضا الأصل الذى نقل عنه جامع سفر الأمثال لسيدنا سليمان ، وبعبارة أخرى كان لمصر فضل لا ينكر على العبرانيين فى تكوين جانب من فكرهم الدينى ، عندما بدأوا ، فى القرن الثامن قبل الميلاد ، فى كتابة بعض أجزاء من كتاب العهد القديم . فالكتاب المقدس هو نفحة من نفحات الشرق الأدنى القديم ، وقد استمد الكثير من أصوله الأولى من بلاد النهرين وأيضا من مصر .[1]

وكان لبعض المعتقدات الدينية القديمة فى الشرق القديم أثرها فى أوروبا فى القرن الأول الميلادى . فقد كان للمعبودة المصرية ايزيس معابد كثيرة فى روما وغيرها من المدن الرومانية فى هذه الفترة . وكان يقوم على خدمة تلك المعابد كهنة من المصريين يساعدهم كهنة من أبناء البلاد . وكانت مواكب هذه المعبودة وتمثيل قصتها كل عام ذات اثر كبير على أفكار الناس عامة فى ذلك العهد ، بل أن التمثيليات التى كانت تقام سنويا فى أعياد المعبودة ، وبخاصة قصة الصراع بين أوزيروست وحورس وست التى كانت تمثل منذ أربعة آلاف عام وتعتبر أقدم المسرحيات الدينية فى تاريخ العالم القديم لأنها تمثل الصراع بين الخير والشر ، كانت الأصل للتمثيليات الدينية فى العصور الوسطى فى أوروبا ، كما عبد المعبود آمون المصرى فى بلاد اليونان .[2]

كما اقتبس اليونان عبادة المعبود الكنعانى أدون (بمعنى سيد) وجعلوا منه ادونيس ، واصبح أشهر المعبودات السورية وأقيمت عبادة له فى اليونان فى القرن الخامس ق. م . كما انتشرت عبادة رفيقة حدد (أتارغاتس) بين اليونانيين فى العصر السلوقى وبواسطتهم وصلت إلى روما حيث أقيم معبد باسمها .[3] كما أثرت

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٥٠ .
(٢) المرجع السابق : ص ٤٥٠ – ٤٥١ ؛ د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٦٢ – ٦٣ .
(٣) د. فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول (ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق ، ص ١٢٦ ، ١٨٨) .

الديانة الزرادشتية على اليونانيين والرومان .[١]

وبعد ذلك جاءت فترة ظهر فيها فى مختلف بقاع الشـــرق الأدنـــى القديـــم الأنبياء والرسل أصحاب الرسالات نادى كل منهم برسالة التوحيد والإيمان والتســـليم لله وحده وعبادته دون سواه ، أمثال سيدنا ابراهيم الذى ظـــهر فـــى بـــلاد النـــهرين وفلسطين ومصر وشبه الجزيرة العربية ثم عاد إلـــى فلســـطين ودفـــن فـــى مدينـــة الخليل .[٢] وسيدنا نوح الذى وصلت سفينته إلى جنوب وادى النـــهرين .[٣] وســـيدنا يحيى فى فلسطين وسيدنا أيوب الذى يعد أقدم الأنبياء فى الجزيرة العربية وربما كـــان من شمال نجد وشرق العقبة[٤] وسيدنا هود فى منطقة الأحقاف وسيدنا صـــالح فـــى الحجر وسيدنا شعيب فى شمال الجزيرة العربية ، وسيدنا لوط فـــى ســـهل الأردن ، وسكن سيدنا يعقوب أرض فلسطين وجاء إلى مصر ، كما نعلم الكثير عن قصة سيدنا يوسف ومجيئه إلى مصر ثم مجئ أخوته إليه ومجئ أبويه إليه وغير هـــؤلاء الذيـــن ظهروا فى أماكن عديدة من بلاد الشرق القديم .

كل ذلك كان تمهيدا لأن يصبح الشرق الأدنى القديم منبعا لديانـــة التوحيـــد ومهبطا للكتب السماوية التى نادت بعبادة الله وحده وعدم الشرك به وكان هذا الشـــرق عينه ، وهذا الجزء من الشرق العربى بالذات ، هو الذى قدم للإنســـانية ثلاثـــة مـــن أعظم رسلها ومعلميها وذلك لهداية البشر أجمعين ، لقد ولد سيدنا موسى ونشـــأ فـــى أرض مصر ، ولم يكن قومه إلا من المصريين أنفسهم وعنـــاصر مـــن أهـــل هـــذا الشرق ، وربما من شمال الجزيرة العربية أو من أراضى فـــى فلســـطين ، ولكنـــهم كانوا يعيشون آنذاك فى مصر وتبليغـــه ومعـــه ســـيدنا هـــارون رســـالة التوحيـــد والإيمان لأحد المسئولين الذى كان يحمل لقب فرعون علـــى أرض مصـــر ، وولـــد

---

(١) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ٢٣٢ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٤٢٩ .

(٣) د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة (مدخـــل حضـــارى فـــى تاريخ العرب قبل الإسلام) ، ص ٥٥ .

(٤) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٠٦ .

سيدنا عيسى ونشأ فى فلسطين ، وولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونشأ فى مكة وسط الجزيرة العربية .

وفى أهل الشرق القديم نزلت الكتب السماوية التى هـــى بمثابــة وثــائق ووصايا إلهية أنزلها الله سبحانه على رسله ، فيها هدى ونور لعبـاده وضمنــها مــا يصلح أحوالهم فى العقائد والعبادات والأحكام والآداب ، ونبأ المرســلين ، وقصــص الأولين ؛ لتصلح دنياهم ، وتسعد آخرتهم . وقد ذكر القرآن منها أربعة : الزبور الذى أنزل على سيدنا داود[١] والكتاب الذى أنزل على سيدنا موسى [٢] أو الفرقــان الـذى أنزل على سيدنا موسى وهارون[٣] والإنجيل الذى أنزل علـــى ســيدنا عيســى [٤] ، والقرآن الذى أنزل على سيدنا محمد .[٥] لقد أنزل الله هذه الكتب المقدسة على هؤلاء الرسل والأنبياء ، مصداقا لقوله سبحانه وتعالى : " لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنــا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط " .[٦] وجاء ذكر هؤلاء الرسل فى آيــات كثيرة . ابتداء من سيدنا آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقــوب ويوســف وأيوب ويونس والأسباط وعيسى وموسى وهارون وداود وسليمان[٧] ، وادريــس وذا

---

(١) سورة النساء : الآية ١٦٣ ؛ سورة الإسراء : الآية ٥٥ .
(٢) سورة المؤمنون : الآية ٤٩ ؛ سورة القصص : الآية ٤٣ .
(٣) سورة الأنبياء : الآية ٤٨ .
(٤) سورة الحديد : الآية ٢٧ ؛ سورة المائدة : الآية ٤٦ .
(٥) سورة الإنسان : الآية ٢٣ .
(٦) سورة الحديد : الآية ٢٥ .
(٧) سورة البقرة : الآيات ١٣٠ - ١٣١، ١٣٦؛ سورة آل عمــران : الآيــات ٣٣، ٤٥، ٦٨؛ سورة النساء : الآية ١٦٣؛ سورة الأنعام : الآيات ٨٣ - ٨٦ ؛ سورة الأعراف : الآية ٥٩ ؛ سورة هود : الآيات ٥٨، ٦١، ٧١، ٨٤، ٩٦؛ ســـورة مريم : الآيات ٣٠، ٣١، ٤١؛ سورة طه: الآية ١١٦؛ سورة الأنبياء: الآيـــات ٤٨، ٧١-٨١، ٨٣-٨٤، ٨٩-٩١؛ سورة الشعراء : الآيـــات ١٦، ٢١، ١٠٧؛ العنكبوت : الآية ٢٧؛ الصافات: الآيـــات ٧٩، ٨١، ٨٣، ١١٩-١٢٣، ١٢٩-١٣٤؛ ص : الآيات ١٧، ٣٠، ٤١، ٤٥-٤٨، ٧٢-٧٤؛ سورة غافر : الآيـــات ٢٣-٣٥؛ سورة الذاريات : الآية ٣٨ ؛ سورة القمر : الآيات ٩-٤٢ .

الكفل وزكريا ويحيى والسيدة مريم[١] والياس واليسع[٢] وياسين[٣] وهـــود وصـــالح ولوط وشعيب[٤] مصداقا لقوله تعالى : " أن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين "[٥] " ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا فـــى ذريتـــهما النبـــوة والكتاب " .[٦] هذا بالإضافة إلى الرسل الذين لم يذكروا فى آيات القرآن " ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك " .[٧]

سادسا : أن تلك الآثار الذى لا يزال معظمها قائما فى مكانه فـــى معظـــم بلدان الشرق الأوسط أو العالم العربى ، فى إيران والعراق وتركيا وســـوريا ولبنـــان وفلسطين والأردن وفى بعض مناطق الخليج وشبه الجزيرة العربيـــة وخاصـــة فـــى الجزء الجنوبى منها أو التى نقل بعضها أثناء فترة الضعف السياسى التى مـــر بـــها الشرق الأوسط وعالمنا العربى فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشـــرين مـــن العصر الحديث إلى دور التحف العالمية فى أوربا وأمريكا واســـتراليا واليابـــان ، أو التى لا يزال بعضها ضمن ملكيات ومجموعات خاصة فى أوروبا وأمريكا وغيرهـــا **تعد كلها أدلة حقيقية وشواهد ثابتة بما كان لأهل الشرق الأدنى القديم مـــن ســـبق**

---

(١) سورة آل عمران : الآيات ٣٩ ، ٤٢ ؛ سورة مريـــم : الآيـــات ٢ ، ٧ ، ١٢ ، ٥١ ، ٥٣ – ٥٦ ؛ سورة الأنبياء : الآيات ٨٥ ، ٩١ ؛ سورة المؤمنون : الآيـــة ٥ .

(٢) سورة الأنعام : الآيات ٨٥ – ٨٧ ؛ سورة : ص الآية ٤٨ .

(٣) سورة يس : الآيات ١-٦ ؛ سورة الصافات : الآيات ١٣٠- ١٣٢ .

(٤) سورة الأعراف : الآيات ٦٥، ٧٣، ٨٠-٨١ ، ٨٥، ٩٢ ؛ سورة هود : الآيـات ٥٠، ٥٨، ٦١، ٧٧، ٨٤، ٨٩، ٩٤-٩٥ ؛ ســـورة الشـــعراء : الآيـــات ١٢٤-١٢٥، ١٤٢-١٤٣ ، ١٦١-١٦٢ ، ١٧٧-١٧٨؛ سورة العنكبوت : الآيات ٣٣، ٣٦ ؛ سورة الصافات : الآيات ١٣٣ – ١٣٤ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٣٣ .

(٦) سورة الحديد : الآية ٢٦ .

(٧) سورة النساء : الآيات ١٦٤ – ١٦٥ .

تاريخى وما كان لأهل الشرق الأدنى القديم من سبق فى الحضـــارة أيضـــا .[١] وأن مجد إقامة هذه الآثار كلها ، وما تدل عليه من مظاهر حضاريـــة وتاريخيـــة يتقاســـم الفخر فيه كل ملك وحاكم وكل مهندس معمارى ومشرف وكل رئيس عمال وكل فنان وصانع وعامل فى كل بلد من بلدان الشرق الأدنى القديم .

لكل هذه الأسباب الستة التى ذكرناها **يستأثر تاريخ منطقة الشرق الأدنـــى القديم باهتمامنا** فلم يكن عالما غامضا أو متخلفا ولكنه كان بكل حضاراته المختلفـــة يمثل الحلقات الأولى فى السلسلة التى تمثل الحضارات المتتابعة للإنسانية منذ بدايتـــها حتى عصرنا الحالى . **فعن حضارة الشرق الأدنى القديم أخذ اليونانيون** كما ذكرنا ، دروسهم الأولى وطوروها واستفادوا منها ، ثم أعادوها للشرق الأدنـــى القديـــم فـــى أعقاب فتوحات الإسكندر الأكبر وصدرها اليونانيون بدورهـــم للرومـــان ، وعمقـــها الرومان فى أنحاء إمبراطوريتهم الرومانية التى شملت كل حوض البحـــر المتوســـط وجزءا من منطقة الشرق الأدنى القديم . وعن هذا التراث الحضارى كله أخذ العـــرب بعد ظهور دعوة الإسلام والفتوحات العربية التى أعقبتها وطوروها وأضافوا إليـــها . فعندما اهتم المسلمون بالعلوم العقلية فإنهم استمدوا آراءهم وعلومـــــهم مـــن الثقافـــة اليونانية (المدينة أصلا لحضارة الشرق الأدنى القديم) التى كـــــانت منتشـــرة منـــذ فتوحات الإسكندر فى انطاكية وحران والرها وقنسرين فى شمالى سوريا ونصيبيـــن فى العراق وجند يسابور فى جنوب إيران والإسكندرية فى مصر . وقامت فى هـــذه المدن مراكز ثقافية خرج منها العلم والفلسفة الإغريقيان . وقد استمرت هذه المراكـــز فى تأدية دورها فى نشر الثقافة اليونانية حتى العصر الإسلامى حتى بلغـــت حركـــة الترجمة من اليونانية إلى العربية ذروتها فى عصر الخليفة العباسى المأمون (١٩٨ – ٢١٨ هـــ) . خاصة فى مجال الطب والرياضة والعلوم والفلســـفة التـــى اســـتوعبها العلماء العرب بسهولة وأضافوا إليها ، فإلى أهل حران يرجع الفضل فى ترجمة كثير من الكتب عن اللغات الأجنبية .

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، مقدمة ص (و) .

وكان خالد بن يزيد بن معاوية أول من عنى بنقل علوم الطب والكيمياء إلـى العربية ، فدعا جماعة من اليونانيين من مدرسة الإسكندرية حيـث راجـت المعـارف الكيميائية فيها . وطلب منهم أن ينقلوا له كثيرا من الكتب اليونانية والبرديات المكتوبة بالخط القبطى التى تتناول البحث فى مجال الكيمياء العلمية .. كما طلـب إليـهم أن يترجموا كتب جالينوس فى الطب . ووضع بذلك أسس المعارف الطبيـة ، وعقـب حركة الترجمة هذه جاء عصر الابتكار والإنتاج والتأليف من قبل العلماء المسـلمين فى شتى العلوم . وطور علماء العرب كل هذه المعارف بعد ذلك ، ولقد شهد العصـر العباسى الأول نهضة علمية شاملة بظهور أعلام المسلمين والنوابغ من أمثال الكنـدى الذى اشتغل بالطب والحساب والهندسة والفلك ومن بعده ابن رشد واسحق بن حنيـن والغزالى والفارابى وابن سينا وغيرهم الذين كانوا يشـتغلون بـالطب والطبيعيـات والرياضيات .[1]

---

(١) وغيرهم من أمثال : الحارث بن كلدة الذى ولد فى الطائف فى القرن السـادس الميلادى وكان أشهر أطباء عصره ، وقد درس الطب بمارستان جند يسـابور بخوزستان إذ أسسه كسرى أنوشروان ، ولما ظهر الإسلام قربه سيدنا رسـول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، وكان محل ثقة العرب ، وتوفى فى عام ٢٣هـ . كما تخرج من هذا المعهد ابن الحارث : النصر الذى ذاعت شهرته أيضا . كمـا استعان الأمويون ببعض الأطباء الذين كانوا يعملون فى هذا المعـهد الطبـى . كابن أثال الطبيب النصرانى الذى اتخذه معاوية ابن أبى سفيان طبيبا له ، وحكـم الدمشقى ، وتيادوق وغيرهم ، راجع : د. حسـن إبراهيـم : تـاريخ الإسـلام السياسى والدينى والثقافى والاجتمـاعى ، الجـزء الأول ، ص ٥٢٤ – ٥٢٥ ؛ د. محمد عياد : تاريخ اليونان ، الجزء الأول ، دمشق ، دار الفكـر ، ١٩٨١ ، ص ٢٠٤ ؛ د. فتح الله خليف : ترجمة التراث اليونانى وأثرها على الحضـارة الإسلامية (حوليات كليات الإنسانيات والعلوم الإنسانية ، جامعة قطر) العـدد الثانى عشر عام ١٩٨٩ ، ص ٢٤٧ .

وأصبح كل هؤلاء يشكلون جزءا أساسيا من تراث العرب الثقافى والعلمى .

وعما تبقى من التراث اليونانى والرومانى وعن العرب أخذت أوروبا فى عصر النهضة (فى القرن السادس عشر الميلادى) وفى بدايات العصر الحديث ثقافتها العلمية لتطورها بدورها وتنشرها فى العالم الحديث بما فيه العالم العربى (المهد الأصلى) ليسترد بذلك جزءا من تراث معارف حضاراته القديمة ولكن فى صورة متطورة وحديثة .[1] لهذا كله يقول هنرى فيلد فى مؤلف له :

" ليس فى الأرض بقعة قدمت للبشرية من المنافع والخدمات ما قدمته المنطقة التى نطلق عليها اسم جنوبى غربى آسيا . فإن المعارف الزراعية الأولية وتدجين الحيوانات واختراع الكتابة ومبادئ علم الفلك والبحث العلمى ، وجمع الشرائع وتدوينها وفن العمارة والرى وغيرها من التقدمات لخير البشرية وتوحيدها ظهرت أول ما ظهرت فى هذه البقعة من الأرض .[2]

ويجب أن نشير هنا إلى مدى تسابق معظم متاحف أوروبا وأمريكا وأصحاب السلطة والنفوذ والثراء المادى فيها فى اقتناء البرديات العربية فى ظل غياب الوعى العربى عن العناية بتراث الوثائق البردية . فكلنا يعرف قصة تهريب أغنى مجموعة بردية إلى النمسا ربما تتعدى الـ ١٠٠,٠٠٠ وثيقة متنوعة مصرية قديمة ويونانية وفارسية وعربية . وهى " مجموعة الأرشيدوق راينر " وهى محفوظة فى قاعة البرتينا ، جمعها واشتراها ثلاث شخصيات نمساوية من أطلال الفيوم ومنف والأشمونين والبهنسا وأهناسيا وأخميم وأسيوط وأدفو وطما والنوبة والفسطاط والدلتا

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢٣ ؛ د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٥٢٢ – ٥٢٤ .

(٢) د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحالى (ترجمة : د. أنيس فريحة ومراجعة : د. نقولا زيادة) بيروت ، دار الثقافة ، الطبعة الثانية ١٩٧٢ ، ص ٧٦ وحاشية (٣) .

وغيرها .[١]

بداية الاهتمام بدراسة تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته :

لم تصبح دراسة تاريخ الشرق الأدنى القديم ممكنة أو ميسرة إلا بفضل الاكتشافات الأثرية التى حدثت فى منتصف القرن التاسع عشر بوجه عام . ففى تلك الفترة ، قامت البعثات الأجنبية المختلفة بأول حفائر أثرية فى العديد من مناطق الشرق الأدنى القديم .

وقد بدأت هذه الحفائر أولا فى أماكن العواصم القديمة فى بلاد الشرق الأدنى القديم ، وانتقلت بعد ذلك إلى بقية المواقع الأخرى . فمن العواصم التى كشف عنها : سوس ، برسى بوليس (فى بلاد فارس) ، وأور ، وبابل ، ونينوى،ونمرود (فى بلاد النهرين) ، وبوغازكوى (فى الأناضول) ومارى ، وبيبلوس ، وأوجاريت (فى سوريا ولبنان) ، والقدس والسامرة (فى فلسطين) ، وتدمر (فى جنوب الأردن) ، والفاو (فى الجزيرة العربية) ، وصرواح ومأرب (فى اليمن) ، هذا بالإضافة إلى مئات المواقع الأثرية فى مصر . وفى الواقع أن كل هذه الحفائر لم تحقق الغرض المطلوب منها إلا بفضل النشر العلمى للآثار والتوصل إلى حل رموز الكتابات القديمة التى تحملها وترجمة هذه الكتابات والنصوص ترجمة علمية دقيقة . وقد نشرت النتائج العلمية لهذه الحفائر والأبحاث التى أسهمت فيها معظم بلاد أوروبا وأمريكا ، فى مؤلفات علمية مستقلة ذات أهمية كبرى أو فى مجالات علمية متخصصة وكل هذه المؤلفات والمجلات العلمية تسمح للدارس العادى بأن يطلع على أحدث الاكتشافات الأثرية فى مناطق الشرق الأدنى القديم ، ومعرفة الكثير عن تاريخها وحضارتها .

---

(١) د. سعيد مغاورى : البرديات العربية فى مصر الإسلامية ، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ٢٢١ - ٢٣٩ .

وقد بدأت تلك الحفائر أولا فى آشور وخورسباد بالقرب من نينــــوى عـــام ١٨٤٢ بواسطة العالم الفرنسى " بوتا – Botta " وانتشرت الحفائر شيئا فشــيئا فــى بلاد الشرق القديم ، فبالإضافة أنها عمت كل آشور نجد أن الحفائر قد امتـــدت إلـــى جنوب العراق (بلاد سومر) بفضل أعمال العالم الفرنســـى " دى ســـارزك – De Sarzec " عام ١٨٧٧ ، ومنذ عام ١٩٠٠ حتى الآن تقوم بعثة فرنسية بعملية تنقيــب فى إيران فى موقع العاصمة القديمة سوس ، وبدأت حفائر العالم الألمـــانى " ونكلــر Winckler " عام ١٩٠٦ فى آسيا الصغرى فى موقع العاصمة بوغازكوى . وأيضــا حفائر الفرنسى " رينان – Renan " فـــى ســـوريا العليـــا " وكلرمونـــت – جـــانو Clermont - Ganneau " فى فلسطين ، وأخيرا حفـــائر العـــالمين " راتجنـــس – Rathjens " وفيسمان Wissmann اللذين قاما فى عـــامى ١٩٣١ – ١٩٣٢ بعمــل أول حفائر فى منطقة النخلة الحمراء وغيمان ومجه فى اليمن .

وقد نشرت نتائج هذه الحفائر فى مؤلفات مستقلة أو فى بعـــض المجـــلات العلمية المتخصصة مثل :

- La Revue d'Assyriologie .
- La Revue Biblique .
- La Revue Arche'ologique .
- Syria .

وكلها تتناول مقالات تخص وثائق وآثار خرجت أصلا من حفـــائر إيـــران والعراق وآسيا الصغرى وسوريا وفلسطين والجزيرة العربية واليمن .

ومن ناحية أخرى نجد أن بعض الآثار التى خرجت من هذه الحفـــائر قـــد نقلت إلى عواصم البلاد الأوروبية التى اسهم علماؤها فى الكشف عن هــــذه الآثـــار وبعضها الآخر قد بقى فى البلاد العربية التى اكتشفت فيها .

وتمتلك معظم المتاحف الرئيسية فى أوروبا وأمريكا مجموعة كبـــيرة مـــن الآثار التى خرجت من بلاد الشرق الأدنى القديم ، مثل متحف اللوفـــر ، والمتحـــف البريطانى ، ومتحف برلين ، ومتحف بروكسل ، ومتحف ليدن فى هولندا ، ومتحـــف

تورينو فى إيطاليا ، ومتحف فلادلفيا ومعهد الدراسات الشرقية فـــى شـيكاغو فـــى الولايات المتحدة وغيرها من متاحف المدن الكبرى .

هذا إلى جانب متاحف : طهران وبغداد والكويت وقطر والوطنى بالريـاض وعدن ومأرب وصنعاء وأنقره والعثمانى بأسطنبول وحلب واللاذيقية والوطنـــى فـــى دمشق والوطنى فى بيروت ومتحف الجامعة الأمريكية فى بيروت ومتحـــف القـدس وغيرها .

وكانت النصوص والكتابة المختلفة التى وجدت على تلك الآثـــار موضـــع بحث من جانب العلماء وأمكن التوصل إلـــى حـل رموزهـا ، ومعرفـة قواعدهـا ونحوها ، ولهذا أمكن عمل تراجم لأغلب هذه النصوص بواسطة المتخصصين فـــى مجال اللغات القديمة فى جامعات أوروبا وأمريكا .

وإذا قمنا بدراسة هذه الآثار وتحليل تراجم تلك النقوش التـى كتبـت بعـدة لغات قديمة فى بلاد فارس وبلاد النهرين وآسيا الصغرى وسوريا ولبنان وفلســطين والأردن ومنطقة الخليج العربى والبلاد المطلة عليه وشبه الجزيرة العربيـــة واليمـن ومصر فإنه يتضح لنا أنه لم يكن لدى شعوب الشرق الأدنى القديم وسـيلة أو منـــهج لكتابة التاريخ كما هو مفهوم فى عصرنا الحالى ، وأغلب ما وصل إلينا مـن وثـائق ونقوش هى عبارة عن نصوص تاريخية تتحدث بصفة عامة عن الأعمال التى حققـها بعض ملوك وحكام وأمراء الشرق القديم فى مجال السياسة الداخلية أو الخارجيـــة ، وهذا النوع من النصوص يمكن الاعتماد عليه عند التفكير فى كتابة التـــاريخ القديـم للشرق الأدنى أو تتبع حدث ما أو هى نصوص تحدثنا عن مظهر معين من المظـاهر الحضارية التى كانت معروفة فى دول الشرق الأدنى القديم ، فهى إما دينية وتتحـدث عن عبادة المعبودات والأساطير الدينية والطقوس والأناشيد المختلفة ، أو وثائق أدبيـة متنوعة ، ولا سيما نصوص أدب القصة التى نتعرف منـــها علـى حقيقـة وتطـور الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى كانت السائدة فى المجتمع فى فـــترة ما فى العصور القديمة المختلفة .

فلم يكن لأهل بلاد النهرين ومصر القديمة عهد ثابت قاموا بتاريخ حوادثهم به ، ولكنهم كانوا يؤرخون الحوادث بالنسبة إلى سنى حكم الملوك . وكان بعض الكتبة يقومون بتدوين حوادث الملوك فى قوائم منذ توليهم العرش . وقد عرف الشرق الأدنى القديم مؤرخين قدماء . **أولهما** المؤرخ البابلى الشهير **بروسوس (برغوث)** الذى قام بكتابة تاريخ بلاد النهرين باللغة اليونانية فى القرن الثالث ق. م . ولم تصلنا أصول هذا التاريخ ولكن جاء بعضها فى كتابات بعض الكتاب اليونانيين . **وثانيهما** هو المؤرخ المصرى **مانيتون** أو **مانيتون السمنودى (٣٢٣ – ٢٤٥ ق. م)** الذى كتب تاريخ مصر باللغة اليونانية كما فعل البابلى ، ولكن ضاعت الأصول التى كتبها أيضا والتى كانت موضوعة فى مكتبة الإسكندرية ، فلما تعرضت هذه المكتبة للحريق ضاعت تلك الأصول ووصلت إلينا مقتطفات منها ، فى تواريخ جوليوس الأفريقى وأوسب .[١]

ويبدأ تاريخ الشرق الأدنى القديم بالعصور الحجرية التى يختلف ظهورها من بلد إلى آخر ، ثم تبدأ بعد ذلك العصور التاريخية التى تبدأ بالألف الثالثة ق. م ، وتختلف بدايتها أيضا من بلد إلى آخر .

ويمكن اعتبار الألف الثالثة ق. م . المرحلة التى استقرت خلالها الجذور الحضارية وتحققت معظم المظاهر الحضارية ، وبدأ كل بلد فى منطقة الشرق الأدنى القديم فى اتخاذ نمط من التشكيل الحضارى وتأهبت المنطقة لمراحل توسع وانتشار وقيام إمبراطوريات شاسعة خلال الألفين الثانية والأولى ق. م . وظهرت النظم السياسية فى كل بلد من بلاد منطقة الشرق الأدنى القديم .[٢] ولكنها كانت واضحة المعالم فى كل بلاد فارس وبلاد النهرين ومصر أكثر منها فى أى بلد آخر .

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٩٤ ، ٢١١ .

(٢) د. سليمان سعدون : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم : منطقة الخليج العربى خلال الألفين الثانى والأول قبل الميلاد ، الكويت ١٩٧٨ ، ص ٢١ .

والغزوات الداخلية والدخيلة . ومما ساعد على التطور الحضـــارى أيضـــا أن هـــذه الحضارات قامت على عاتق إنسان الشرق الأدنى القديم وقدراته فى مجـــال الفكـــر والمادة معا فى كل بلد على حدة ، ولهذا كان لكل حضارة خصائصــــها ، وأن هـــذه الحضارات قامت على عقائد دينية استوحاها الإنسان من بيئته . فكان إنسان الشـــرق الأدنى القديم فى معظم البلدان بعيدا عن كل مظاهر التعصب والعنف ، كما أن هـــذه الحضارات قامت على القيم والفضائل التى أوجدت فـــى معظمـــها نظـــم اجتماعيـــة متماسكة بعيدة عن الاضطرابات وحافظت على تماســكها مجموعـــة مـــن القوانيـــن والتشريعات تضمنت فى ثناياها أحكاما راقية وبسيطة يتقبلها المنطق والعقل فى كـــل مكان وزمان .

كما كانت هناك عوامل ضعف أثرت فى تاريخ وحضارة كل بلـــد ، وكـــان لهذه العوامل أثرها على حياة الإنسان فى الشرق الأدنـــى القديـــم ، فكـــان عليـــه أن يوجهها بفكره وقدراته وإمكانيات عصره ، حتى نجح فى التغلب على معظمها .

ويتضمن تاريخ إنسان الشرق الأدنى القديم الأحداث التـــى تعرضـــت لـــها الممالك والأسرات والإمارات والمدن والحكام والمحكومين وقامت حضاراتـــه علـــى مجموعة من المعارف والنظم والمظاهر فكان تاريخه أطول تجربة إنسانية ، وكـــانت حضاراته سلسلة مترابطة الحلقات .

لذلك تعتبر منطقة الشرق الأدنى القديم (بما فيها مصر القديمة) صاحبـــة أقدم أحداث وتأثيرات تاريخية ومنجزات حضارية حققها الإنسان منذ آلاف السنين .

كما أن هذه المنجزات كبيرة كانت أم صغيرة تدل على مدى قدرة الإنســـان الذى استقر فى مناطق الشرق القديم منذ أقدم العصور .

وسوف نقتصر فى دراستنا الموجزة هذه على تاريخ الشرق الأدنـــى القديـــم وبعض مظاهر حضاراته فى المناطق السبع التى ذكرناها ، وسوف نتتبع تاريخ كـــل منطقة على حده مع نبذة عن بعض المظاهر الحضارية العديدة والمتنوعة فى أســـلوب تطورها ، ولو أننا أحيانا نجد أن بعض المظاهر الحضارية متداخلـــة مـــع أحـــداث التاريخ ولا يمكن فصلها عن بعضها البعض لأنها جزء من تـــاريخ الإنســـان وممـــا

حققه . وذلك منذ أقدم العصور التى يمكن الرجوع إليها حتى اللحظة التـــى ظـــهرت فيها حملة الإسكندر المقدونى فى القرن الرابع قبل الميلاد وغيرت من وجـــه العـــالم القديم وأرست قواعد ونظم حضارية جديدة . وعلى الرغم مما أحدثته حملة الإســكندر من تغيرات حضارية وسياسية وإدارية على معظم بلدان الشرق الأدنى القديم ، إلا أن الإسكندر المقدونى ، وكذلك خلفاؤه من الإغريق ، فضلا عن الرومان من بعدهم . لم يكتب لهم نجاحا بعيد المدى أو قصير فى السيطرة على شبه الجزيرة العربية ، ومـــن ثم بقى هذا الجزء العزيز من العالم العربى القديم ، بعيـــدا عـــن قبضـــة اليونـــانيين والرومان ، رغم المحاولات المتكررة التى بذلها هؤلاء وأولئك للسيطرة علـــى شـــبه الجزيرة وإذا كان قد كتب لهم بعض النجاح فى الانتشار فى أطراف شبه الجزيـــرة ، فإنهم فشلوا تماما فى أن يخترقوا قلبها وربوعها فحافظت بذلك على نقـــاوة وســـلامة تاريخها القديم .[١]

---

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ٢٢ .

وقد ارتبطت بالعصور الحجرية بعض المظاهر الحضارية ، كما ارتبطت بالعصور التاريخية العديد من المظاهر الحضارية تطورت طبقا للمقومات الداخلية فى كل بلد . ولهذا فقد تميزت منطقة الشرق الأدنى **بالسبق التاريخى والسبق الحضارى (فى عدة مجالات) على حد سواء .**

وقد أثرت فى تاريخ وحضارة كل بلد من هذه المنطقة الشاسعة **عدة عوامل** منها عوامل طبيعية كعوامل المناخ وظروف البيئة ، وكذلك **الهجرات البشرية** أو ما يسمى **بالهجرات الدورية** المنتظمة **من داخل المنطقة** من بلد إلى آخر أو من بلد إلى بقية أرجاء المنطقة بسبب القحط أو الجفاف أو الإقفار أو بسبب اختلال الأمن وتدهور العناية بالموارد الاقتصادية (مثل بعض الهجرات التى يقال عنها السامية من الجزيرة العربية إلى شمالها) ، أو **الهجرات الكبرى** من حين لآخر من خارج المنطقة إلى داخلها (مثل هجرات العناصر الآرية والهندأوروبية) وكان لهذا العامل أثره الكبير والفعال فى مجريات الأحداث والتطور الحضارى فى عدد من دول منطقة الشرق القديم ، أو الغزوات داخل المنطقة – بلد على بلد آخر ، أو الغزوات من خارج المنطقة على بعض البلدان فى الداخل (الهكسوس وشعوب البحر)[١] ، هذا بالإضافة إلى الصراعات المحلية للتوسع فى حدود بلد على حساب بلد آخر ، أو الصراعات الداخلية على السلطة أو العرش داخل حدود كل بلد وما كان له من **تأثير على الأوضاع الداخلية والخارجية لهذا البلد** . وربما كان من العوامل التى ساعدت على التطور الحضارى فى المناطق السبع التى ذكرناها وفى مصر ، أن طرق الشرق الأدنى البرية والتى سلكها أهله القدماء فى تنقلاتهم واتصالاتهم كانت مفتوحة ومطروقة فى أغلب العصور ، وخاصة فى أوقات الهجرات الداخلية والدخيلة

---

(١) بالنسبة للنصوص المتعلقة بهجرات وتحركات شعوب البحر التى حاولت أن تستقر فى مناطق مختلفة على الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط ، راجع : د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة (مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الإسلام) ، ص ٧٢ حاشية (٣١) .

تاريخ إيران القديم وبعض مظاهر حضارته

تاريخ إيران القديم*

جغرافية الهضبة الإيرانية :

يتكون القسم الأكبر من إيران من أرض واسعة تحيط بها سلاسل من الجبال الشاهقة من كل جانب فتحدها من الناحية الشرقية ثلاثة من الجبال المتوازية تعـــرف

----

* عن تاريخ إيران القديم رجعنا إلى :

حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم (من البداية حتى نهايـة العصر الساسانى) ترجمة : د. محمد نور الدين عبد المنعم ود. السباعى محمد السباعى . ومراجعــــة : د. يحيـــى الخشـــاب ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٩ .

د. محمد عبد القادر : إيران منذ فجر التاريخ حتى الفتـح الإسلامى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولـــى ١٩٨٢ ، بعض المراجع الأجنبية :

- Chr. Et. Palou, la Perse Antique, Paris, 1967.
- Dupont-Sommer, les Civilisations de Iran, Paris 1952.
- Chirshman, L'Iran des Origines a l'Islam, Paris 1952 .
- Id., Perse, Proto-Iraniens, Medes, Achemenides, Paris 1963 .
- Filliozet, les Sciences grecques dans Empire Achemenide, la Civilisation Iranienne, Paris 1952 .

راجع حديثا : د. أحمد سليم : تاريخ العراق – إيران – آسيا الصغـرى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٢٢٩ – ٤٤٩ . وأيضا المؤلـف نفسه : إيران منذ أقدم العصور حتى أواسط الألف الثالث قبل الميـــلاد ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٨ ، ص ١٣ – ٢٤٠ . وهناك قائمة بأهم المراجع الأجنبية عن تاريخ شعوب إيران القديـــم نجدهـا عنـد :
Ghirshman, Pesre, Proto-Iraniens, Medes, Achemenides, Paris 1963, p. 405 – 418 .

بجبال سليمان (القوقاز) وتحيط بها من الشمال جبال البرز التى تطوقها كالسلسلة من الشرق إلى الغرب حيث تنفصل فى الغرب عن جبال أرمينيا ، مارة بجنوب بحر الخرز ، عن طريق جبل بابا لتواصل امتدادها إلى بلاد الهند ، حيث تتصل بجبال الهمالايا أعلى جبال العالم . وتحدها من الغرب جبال كردستان أو زاجروس (كما يسميها الأوربيون) ، التى تمتد من الشمال إلى الجنوب ، ثم تعرج جنوبا وشرقا لتصل إلى بحر عمان .

وتتكون الجبال الجنوبية والشرقية من المواد الجيرية ، ونشاهد فى الجبال الغربية قريبا من بحيرة أورمية أحجار جرانتية . وتتركب بعض الجبال الشمالية من مواد بركانية . وتبلغ الهضبة الإيرانية أقصى ارتفاعها فى الجنوب ، ويقل كلما اتجهنا شمالا . وتبلغ مساحة الهضبة الإيرانية ستمائة ألف ومليونين كيلو متر مربع تقريبا ، وتشغل إيران الحالية حوالى ثلاثة وستين فى المائة من تلك المساحة تقريبا ، أى ما يقرب من الثلثين .

ويتسم المناخ فى إيران بالجفاف وبخاصة وسط الهضبة إذ توجد صحراء يسميها أهل الجنوب لوت (ويسميها أهل الشمال كوير) وتعد من أكثر مناطق العالم ارتفاعا فى درجة الحرارة ، مع استثناء جيلان ومازندران وسواحل الخليج ، حيث تنهمر الأمطار هناك بشدة ولا تتجاوز كمية مياه الأمطار طوال العام فى مناطق إيران الأخرى إلا كميات بسيطة ومتفاوتة .

ورغم عدم التباين الشديد بين أجزاء الهضبة الإيرانية فى الارتفاع ، حيث لا يقل الارتفاع فيها عن ٦٠٩ مترا ، فإن عبور الصحراء أمر فى غاية الصعوبة بالنسبة للقوافل التجارية نتيجة لمستنقعاتها وامتلائها بالرمال المتحركة . ويعد نهر كارون هو النهر الوحيد الصالح للملاحة فى الهضبة الإيرانية وينبع هذا النهر من جبال بختيارى ، حيث يخترق منطقة خوزستان ليصب فى شط العرب . وفى الشمال يوجد ثلاثة أنهار آرس وسرخ رود أو قزل أوزن واترك وفى الناحية الشرقية مرغاب وهريرود اللذان يجريان فى صحراء التركمان وفى الشمال الشرقى ينبع نهر

جيحون من بدخشان ويصب فى بحر آرال .[١]

وتوجد فى الهضبة الإيرانية عدة بحيرات ، يعتبرها علماء الجيولوجيا بقايا بحر كان يغطى الجزء الأكبر من هذه الهضبة ، وهذه البحيرات هى : بحيرة أورمية ، وبحيرة وانفى تركيا وبحيرة كى جاى . وأهم تلك البحيرات بحيرة أورمية التى يصل عمقها إلى خمسة عشر ذراعا ومياهها شديدة الملوحة .

وتوجد فى مقاطعة فارس بحيرتان : مهارلو ونيريز ، وفى سيستان بحيرة هامون التى تصب ما يتبقى فيها من مياه الأمطار فى منخفض زرة ، وبحيرة بنمك زار (يذكرها بعض الباحثين باسم بحيرة جز مزيان) وتوجد بحيرة قم أو حوض سلطان بين طهران وقم .

وقد سبق القول بأن الهضبة الإيرانية يحدها من الناحية الشمالية بحر الخوز وقد سمى بهذا الاسم نسبة إلى الأقوام التى استوطنت الشاطئ الشمالى الغربى من هذا البحر لقرون عديدة وكانت تعرف باسم الخرز . ويزداد عمقا فى الناحية الجنوبية منه بينما يقل العمق كثيرا فى الناحية الشمالية .

ويحد الهضبة الإيرانية من الناحية الجنوبية الخليج وبحر عمان ، وهذا الخليج من أكثر بقاع العالم حرارة ، ويفصل الجزيرة عن إيران ويتصل ببحر عمان عبر مضيق هرمز ، حيث ترتبط مناطق العالم المختلفة عن طريقه . ويصب شط العرب فى هذا الخليج ويضم هذا الخليج العديد من الجزر أكبرها قشم والبحرين .

وفى الهضبة الإيرانية الكثير من المعادن مثل النحاس والحديد والرصاص والفحم الحجرى والمرمر والطين الأحمر (المغرة) والفيروز وغير ذلك . وكذلك كشف عن الذهب ويقول علماء الجيولوجيا أن الهضبة الإيرانية تسبح فوق بحر من النفط وتعتمد الزراعة فى بعض مناطق إيران على الرى (رى الحياض) نظرا لنقص مياه الأمطار أو قلتها نتيجة لتغير الأحوال الجوية وطبيعة

---

(١) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٥ – ٧ .

ونوعية المناخ ، وأكثر المناطق الزراعية هما المنطقتان الشمالية والغربيــة من الهضبة فنجدهما أكثر غنى فى محصولاتهما الزراعية من المنطقتيــن الوسـطى والشرقية ، ولعل السبب فى ذلك وجود بحر الخرز فى الشمال حتى سلســلة جبـال البرز وتأثير بحر العرب فى الغرب .

وعلى الرغم من أن العرض الجغرافى للهضبة الإيرانية يتراوح بين خطـى ٢٤ و ٤٢ شمالا ، وأن هذا العرض لا يؤدى إلى اختلاف بين فـى منـاخ مناطقـها المختلفة، إلا أن تفاوت الارتفـاع بينـها والمنـاطق الملاصقـة لشـواطئ البحـار والبحيرات ، وسفوح الجبال والمناطق المجاورة للصحراء قد أدى إلى وجود اختـلاف كبير بين تلك المناطق فى المناخ داخل الهضبة ، ولذا فإن الأشجار تنبـت والـورود والرياحين فى غيران كلها .

وطرق التجارة والاتصال الحالية فى إيران هى التى كانت موجودة فى إيران القديـم ، نذكر بعضها لأهميتها التاريخية : الطريق الممتد من بلاد النـهرين حتـى الهضبـة الإيرانية حيث يبدأ المكان الذى سمى بعد ذلك سلوقية والقريب من بغداد الحالية ، ثـم يعبر نهر دجلة إلى وادى دياله ليصل إلى أرتى ميتا قرب قزل أرباط الحالية لينتـهى عند مدينة شالا حاضرة حلوان (إحدى القلاع فى جبال كردستان)[1] ثم يبدأ صعـوده بعد ذلك إلى الهضبة الإيرانية . ويستمر هذا الطريـق فـى امتـداده عـابرا جبـال زاجروس وكامبا دين اوكرمانشاه الحالية ليصل إلى وادى بلندجرخـة ، ثـم يعـبر كنكاور لينتهى إلى همدان . وترتبط همدان بشوش (أوسوس) والمدن الأخرى بكثير من الطرق . ومن الطرق الأخرى الجديرة بالذكر الطـرق الممتـدة مـن الهضبـة الإيرانية حتى الهند ، إحداهما الطريق الذى يبدأ من وادى كابل إلى بيشـاور عـبر جبال سليمان فى وادى السند ، والطريق الآخر أقصر من الأول ويعبر ممر خيـبر ، وقد سلك فاتحو الهند وكذلك نادرشاه هذا الطريق . وآخر هذه الطرق الطريق الـذى يربط أفغانستان الحالية بوادى آموية (جيحون) والطرق الممتدة مـن الـرى إلـى أذربيجان وجيلان وخراسان وأصفهان ومن خراسان إلى آسيا الوسطى ومن بنـدر

---

(١) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٨ – ١٠ .

عباس (كمرون العهد القديم) إلى سيزار . ومن الرى عن طريق دافعان إلى طبرستان وجرجان .[١]

ووسط هذا الحزام الهام من الطرق يمتد الطريق الوحيد بين شرق آسيا وغربها ، وهو طريق الحرير الشهير الذى يصل إلى الصين فى الشرق وعليه تسير القوافل حتى تصل إلى القسطنطينية فى الغرب بعد التقائها بالطريق الملكى وغيره من الطرق ، وعلى طريق الحرير هذا سارت الجيوش العربية حتى نهر جيحون فعبرته واستولت على بخارى وسمرقند وتابعت سيرها حتى حدود الصين .

وتمتاز اذربيجان التى تنتهى بها جبال البرز عند نهايتها الغربية بكثرة ما ينمو فيها وفى وديانها من حنطة ودخن وتبغ وارز . وهى الباب الأول الذى انحدرت منه الأقوام الفارسية المشهورة مثل قبائل الميديين والفرس وغيرها من الأقوام: اللولوبيين والأورارتيين .[٢]

وتعد الهضبة الإيرانية جسرا يربط بين الأجزاء الشرقية والغربية من آسيا ، وقد أكسب هذا الموقع إيران أهمية خاصة عبر التاريخ ، فقد كانت غيران الطريق الوحيد لربط أجزاء آسيا مع بعضها البعض وكذلك ربطها بممالك بحر العرب وأوروبا فى الأزمنة التى لم يكن عبور البحار فيها سهلا ممكنا ، كما أن موقع إيران فى الطرق الأربعة للعالم القديم جعلها ملتقى لكثير من الشعوب والأجناس .[٣] وكان لهذا الموقع الجغرافى كثير من النتائج الإيجابية .

ترك معظم الآريين موطنهم فى جنوب روسيا وإتجهوا إلى سهول وسط آسيا ، ولم يبق إلا عدد قليل من الآريين ، فقد أقام بعض الإيرانيين فى الهضبة . ومن أقدم المناطق التى قام بالتنقيب فيها علماء الآثار هى منطقة تبة سيالك . وكان

---

(١) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ١١ .

(٢) د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ٥٤٣ ، ٥٤٥ .

سكانها قديما يقيمون حول بحيرة يصب فيها نهر صغير . وتبين لعلماء الآثار أن أهل هذه المنطقة كانوا يعرفون الزراعة منذ حوالى عام ٥٠٠٠ ق. م . وأن أهل سيالك قاموا بفلاحة الأرض وحفظ الحبوب .[١]

مصادر دراسة تاريخ إيران القديم وحضارته :

أولا - المادة الأثرية بأنواعها :

تعد الآثار بأنواعها المصدر الأول لدراسة تاريخ إيران القديم ومظاهر حضارته القديمة . وتشمل هذه المادة الأثرية جميع أنواع البقايا الأثرية القائمة والمكتشفة والتى يتم العثور عليها أثناء عمليات الحفائر والاكتشافات الأثرية التى تنفذ من وقت لآخر فى المناطق الأثرية . فالمادة التاريخية تأتى بوجه خاص من نصوص هذه الآثار .

ولعل أهم ما يميز هذه المادة الأثرية عن غيرها من المصادر : أنها جزء من تراث هذا البلد ، أنها المصدر الأكثر صدقا والأقرب إلى الصحة ، أنها المصدر الوحيد الذى عاصر كل الأحداث التى مر بها تاريخ إيران القديم ، أنها من تفكير وصنع وإنتاج وتنفيذ الشعوب القديمة التى سكنت بلاد إيران وتعبر عن أحداث عصورهم القديمة والكثير من معارفهم ، أنها تغطى جميع فترات التاريخ منذ أقدم العصور أى فجر العصور التاريخية حتى فترة مجئ الإسكندر الأكبر إلى بلاد الشرق الأدنى القديم .

وتنقسم هذه المادة الأثرية إلى نوعين منها ما هو منقوش أو مكتوب ومنها ما هو غير منقوش ولا يحمل أى كتابات ولكن له أهميته .

---

(١) عن جغرافية الهضبة الإيرانية وقدوم الآريين إليها واستقرارهم فيها ، راجع : حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٥ - ١٩ .

ثانيا – ما كتبه الرحالة اليونان والرومان :

يعد ما كتبه هؤلاء المؤرخون والرحالة اليونان من كتابات عن إيران القديم من أهم المصادر لدراسة تاريخ هذه البلاد ومظاهر حضارتها القديمة ومنهم :

<u>هيكاتيه الملتى</u> : مؤرخ وجغرافى يونانى من بلدة ملتيه ، عاش فى القرن السادس ق. م . ألف كتابا عن البلاد التى زارها وأسماه " رحلة حول العالم " من جزئين الأول خاص بأوروبا والثانى بآسيا وتتميز كتاباته التى وصلتنا عن بلاد فارس بأنها أقرب إلى الوصف الجغرافى .(١)

<u>هيرودوت</u> : ولد عام ٤٨٩ ق. م . فى هاليكارناس إحدى المدن اليونانية وقد قام بعمل بحث عن العلاقة بين اليونانيين والفرس فى كتابه " الأسماء " كما كتب عن تاريخ إيران . وزار العديد من بلاد الشرق الأدنى القديم .(٢)

<u>ايسخولوس</u> : كان شاعرا ومؤلفا مسرحيا ، كتب مسرحية عن الفرس واشترك فى معركة الماراثون ووردت بعض المعلومات فى مسرحيته عن معركة سلاميس البحرية التى وقعت بين اليونانيين والفرس عام ٤٨٠ ق. م .(٣)

<u>ثوكوديدس</u> : (٤٦٥ – ٣٩٥ ق. م) الذى ألف كتابا عن الحروب البلوبونيزيه من بدايتها حتى عام ٤١١ ق. م . وألقى فيه الضوء على الحروب الفارسية .(٤)

---

(١) د. أحمد سليم: تاريخ العراق – إيران – آسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٣٢٤ – ٣٢٥ ؛ د. رمضان عبده: تاريخ مصر القديم ، القاهرة دار نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة ، القاهرة ٢٠٠١ ، ص ٢٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣١ – ٣٣٥ وأيضا : د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ – ٢٥٢ .

(٣) د. أحمد سليم : المرجع السابق، ص ٣٢٥ – ٣٢٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٣٥ –٣٣٧؛ Petit Larousse (1735)

زينوفون : قائد ومؤرخ يونانى درس على أيدى سقراط عاش من ٤٣٠ – ٣٥٢ ق. م ، وألف كتابا عن حروب قورش . قام بإعادة المرتزقة اليونانيين إلى اليونان ويسمى هذا بانسحاب العشرة آلاف ، بعد معركة كوناكسا بين ارتاكسركسيس الثانى وأخيه قورش الصغير . ويعد ما كتبه زينوفون مصدرا هاما لدراسة جغرافية المناطق التى مر بها .[١]

كتسياس : كان طبيبا فى بلاط الملك ارتاكسركسيس الثانى (٤٠٤– ٣٥٩ ق. م) وصاحبه فى معركة كوناكسا . وألف كتابا عن تاريخ إيران والهند فى ثلاثة وعشرين جزءا ، ولكن للأسف لم يبق منه شئ . ولكن وصلنا الموجز الذى كتبه عنه فوتيوس .[٢]

ديودور الصقلى : عاش فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد . كتب مؤلفا عن تاريخ العالم تحت اسم " المكتبة التاريخية " ، يتناول فى الكتب الأولى تاريخ الفترة السابقة على الحروب الطروادية ، وأشار فى الجزء من ١١ – ٢٠ إلى تاريخ إيران القديم .[٣]

سترابون : (٥٨ ق. م – ٢١ أو ٢٥ ميلادية) وكتب كتابا عن جغرافية العالم القديم وخصص جزءا مما كتبه عن إيران ومصر . ووصف الكثير من المناطق التى شهدت الحروب الفارسية ، كما تحدث عن الخليج الفارسى .[٤]

---

(١) د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٣٣٨ – ٣٣٩ ، وفيما بعد ، ص ٩٤ –٩٥

(٢) المرجع السابق، ص ٣٣٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٠–٣٤١ ؛ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ – ٢٥٦ .

(٤) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٥٦ – ٥٧ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٣٤١–٣٤٢ ؛ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٢٥٦– ٢٥٧ .

بلوتارخ : (عاش بين عامى ٥٠ و ١٢٥ ميلادية) ، أشار فى مؤلفاتـــه إلى الحروب الفارسية وأقوال العديد من ملوك الفرس وقوادهم .[١]

بداية الاهتمام بآثار بلاد إيران القديمة :

بدأ التعرف على آثار ونقوش إيران منذ أن زارها بعض المبشرين والرحالة الأجانب فى القرن الخامس عشر الميلادى . حتى جاء انجلبرت كيمبفـــر علـــى رأس بعثة سويدية عام ١٦٨٣ . وكان أول من وصف اثارها وصفا علميا ، وقام بتســـجيل نقوشها ، وكان أول من أطلق عليها اسم الكتابة المسمارية . وجاء بعد ذلك نيبؤر عام ١٧٦٥ وقام بزيارة برسى بوليس ونينوى وعمل تخطيط للمناطق الأثريـــة ، وكـــان مشغولا بنسخ مجموعة من الكتابات المسمارية التى قدر لها أن تكون المادة الأساسـية فى حل رموز الخط المسمارى على يد العلماء اللاحقين فى القرن الثامن عشـــر .[٢] وكان أول من أشار إلى أن ما تحمله الآثار من نقوش كتب بثلاثة خطوط مختلفـــة . وجاء بعد ذلك مجموعة من العلماء منهم جروتفند عام ١٨٠٢ ، الـــذى اعتمـــد فـــى التعرف على الأماكن الأثرية فى إيران على بعض كتابات هـــيرودوت التـــى كتبـــت باليونانية القديمة . وحاول أن يترجم أو يحل بعض الرموز التى كتبـــت بالمســـمارية القديمة . وتعرف بالفعل على أسماء ثلاثة ملوك وأمكنه قراءتها . وجاء فى أعقابـــه مجموعة من علماء اللغات القديمة الذين حاولوا دراسة رموز الكتابـــات والخطـــوط الفارسـية القديمـــة منـــهم راســـك (الدانمركـــى)، وبرنـــوف (الفرنســـى) ولاســـن (النرويجى) وحاول كل منهم قدر جهده معرفة جانب من جوانب هذه اللغة وسعوا إلى إكمال النتائج التى توصل إليها جروتفند .[٣] ولعل أبرز الذين درسوا هذه اللغة هـــو الإنجليزى رولنسون ابتداء من عام ١٨٣٥ الذى تمكن من نسخ نقشـــين (العيلامـــى والبابلى) من النقوش الثلاثة الموجودة على صخور جبال بيهســـتون (أوبهســـتون أو بيستون) جنوب همدان وكل من النقشين كتبا بخطوط ثلاثة : الفارســـية القديمـــة ، العيلاميـــة العتيقـــة ، والبابليـــة (أو الأشـــورية).[٤] وبعـــد جـــهد دام اثنتـــى

---

(١) د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ ؛ د. رمضـــان عبـــده : المرجـــع السابق ، ص ٢٥٩ – ٢٦٠ .
(٢) د. فاضل عبد الواحد : سومر : أسطورة وملحمة ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ٢٠٠٠ ، ص ١٥ .
(٣) د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٣٣٩-٤٠١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٤٠٠ – ٤٠١ ؛ راجع فيما بعـــد ، ص ٨٧-٨٨ حاشـــية (٣)، ١٤٢ – ١٤٤ .

عشرة سنة كاملة نجح فى ترجمة النصين العيلامى والبابلى عام ١٨٤٧ . وذلك بمقارنة الفارسية القديمة منها بنصوص أخرى عثر عليها فى اصطخرا (برسى بوليس) .(١)

وقد بدأت الحفائر العلمية فى إيران عام ١٨٣٨ واستمرت حتى عام ١٩٦١ .(٢) وجاءت بعثات أثرية من إيران نفسها ومن إنجلترا وألمانيا وأمريكا وبلجيكا وفرنسا واليابان والسويد .(٣)

ثم بدأت الحفائر الأولية فى سوس ، وهى إحدى العواصم القديمة فى بلاد فارس وقد تعرف العلماء على هذا الموقع الهام فى منتصف القرن التاسع عشر ، بفضل الحفائر السطحية التى قام بها العالم الإنجليزى " **لوفتوس** " وبعد ذلك بحوالى ثلاثين عاما تقريبا ، فى عام ١٨٨٤ ، قام الفرنسى " ديلافو " بعملية حفائر على نطاق واسع وكشف عن لوحة الرماة التى أقامها الملك قورش والملك دارا الأول ، وهى الآن بمتحف اللوفر فى باريس . ثم اكتشف فيها العالم الفرنسى " دى مورجان " عن بعض الآثار التى كانت قد نقلت من بابل ، منها تمثال من البرونز للملكة نابير - اسو التى عاشت فى القرن الثالث عشر ق. م . ولكن هذا التمثال تنقصه الرأس (وهو الآن موجود بمتحف اللوفر أيضا) وهو يزن حوالى ١٧٥٠ كيلو جرام ، كما كشف فيها عام ١٩٠١ عن لوحة حمورابى التى تعد من أهم الآثار الشرقية بمتحف اللوفر كذلك . وبالقرب من سوس ، عثر فى تشوجا - زامبيل على موقع هام عثر فيه على زاقورة ضخمة ، وعثر حولها على كثير من المعابد المشيدة من الطوب اللبن والتى تحمل اسم الملك العيلامى " اونتاش - جال الذى عاش فى القرن الثالث أو الثانى ق. م " .

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٣٧١ .

(٢) Ghirshman, Perse, Proto – Iraniens, p. XV1.

(٣) Ghirshman, op. cit., p. XV1.

وامتدت الحفائر كذلك إلى برسى بوليس ، وهى العاصمة الثانية فى بلاد فارس وكانت قد شيدت فى عام ٥٢٠ ق. م . وكشف فيها على بقايا قصر الملك دارا الأول . ولا تزال عمليات الحفائر مستمرة حتى الآن .

وبفضل هذه المادة الأثرية (المتجددة بفضل الحفائر والاكتشافات) وما تحمله بعض عناصرها من نقوش ونصوص استطاع علماء الدراسات الشرقية وتاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته ترجمتها وتحليلها وفهم الغرض منها . وبفضل ما كتبه بعض الرحالة اليونان والرومان وما أظهرته الحفائر والدراسات المتواصلة للآثار والنصوص المتعددة أمكن للعلماء المتخصصين من تحديد العصور التى مر بها تاريخ إيران القديم منذ أقدم العصور أى فجر العصور التاريخية حتى عام ٣٢٥ ق. م . عندما دخلت إيران تحت سيادة الإسكندر الأكبر وخلفائه من السلوقيين .

عصور ما قبل التأريخ (أو فجر العصور التاريخية) :

أثناء العصور الجليدية التى اجتاحت أوروبا ، كانت إيران تزخر بالسفوح المائية لتعرضها للأمطار الغزيرة وفيما بين الألفين الخامسة عشرة والعاشرة ق. م . أخذ المناخ يميل إلى الجفاف وحدثت بعض التطورات فى البيئة أدت إلى تراكم رواسب الأنهار عند مصباتها مكونة مدرجات مرتفعة كونت فاصلا بين الجبال وبين السهول [١] ، وفى هذه العصور عاش الإنسان فى الهضبة وكان يعيش فى جماعات متفرقة متباعدة . وقد عثر على بقاياه فى عدة مناطق ، دلت هذه البقايا على إن إيران عاشت العصور الحجرية القديمة أو عصور فجر التاريخ .

العصر الحجرى القديم :

عثر على البقايا الأثرية لمراحله الثلاث : الأسفل والأوسط والأعلى فقد عثر جهير شمان على بعض الأدوات الحجرية من العصر الحجرى القديم الأسفل فى كهف " تنجى باندا " فى جبال بختيارى فى الغرب .[٢] وهى عبارة عن فؤوس

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٦٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨٩ .

حجرية صغيرة . مما يدل على ان الإنسان كان يسكن الكهوف . أما العصر الحجرى القديم الأوسط فقد عثر على أدواته على سفوح جبال زاجروس وشمال جبال البرز ، وتمتاز هذه الأدوات بأنها كانت صغيرة الحجم ومتنوعة الأشكال . أما العصر الحجرى القديم الأعلى فقد عثر على أدواته فى كهف هوتو ، وتمتاز بأنها أدوات حجرية دقيقة وحادة ، وقد عثر فى هذه المناطق على العديد من الكهوف التى كان يسكنها إنسان هذه الحقبة البعيدة .[١]

العصر الحجرى الوسيط :

عثر على بقايا هذا العصر فى كهف بلت (غارى كامارباند) ويقع إلى الغرب من مدينة بهشهر . وعثر فى هذا الكهف على كميات كبيرة من قرون الغزال وعدد من الفؤوس والسهام ذات النصال . ويرى البعض أنه شغل بسكنى الإنسان منذ حوالى منتصف الألف العاشرة ق. م . واعتمد سكانه فى حياتهم على صيد عجل البحر . ويرجع إلى نفس الفترة ، موقع آخر ، هو تبة أسياب إلى الشرق من كرمانشاه . وكشف فيها على أدوات حجرية مصنوعة من حجر الصوان . ويرجع العلماء تاريخ هذا الموقع إلى الألف التاسعة أو السابعة ق. م .[٢]

العصر الحجرى الحديث :

عثر على بقايا هذا العصر فى عدة مناطق فى " لورستان " فى وسط منطقة زاجروس ، وتبة ساراب بالقرب من كرمانشاه حيث عثر فيها على أكواخ للصيادين ، كانت تؤويهم لفترة وجيزة طوال العام .[٣]

وعرف الإنسان فى هذا العصر الفخار الملون . فقد عثر فى تبة جيان بالقرب من نهافند على فخار ملون بأشكال هندسية يشبه الفخار الذى كان سائدا فى

---

(١)د. أحمد سليم : تاريخ العراق – إيران – آسيا الصغرى ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٣٥٧ – ٣٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦٥ – ٣٦٩ .

(٣) Amiet, les Civilisations Antiques du Proche – Orient, p. 20.

حضارة تل حلف فى العراق . وعرفت سهول عيلام بعض التطورات المشابهة ، فقد عثر على مجموعة من المواقع بالقرب من سوس ، اكتشفت فيها حضارة تماثل حضارة تل حسونة مما يدل على أنه كان هناك تأثير ما من حضارة بلاد النهرين ..[١] ولعل أهم ما يمثل حضارات العصر الحجرى الحديث تلك الحفائر والدراسات التى قام بها العالم الفرنسى " جهير شمان " فى منطقة سيالك فى الشمال الغربى من إيران على مقربة من قاشان فى الجنوب الشرقى من طهران ، على بعد ٢٣٠ كم وهى بعثة فرنسية بدأت حفائرها عام ١٩٣٣ - ١٩٣٤ و ١٩٣٧ حيث عثر هناك على أقدم موضع لاستقرار إنسان السهول[٢] ، فقد كشفت حفائره عن بقايا قوى وأكواخ مبنية من فروع الأشجار . وقام جهير شمان بتقسيم هذه الحضارة إلى ثلاث مراحل [٣] :

فترة سيالك الأولى :

وهى التسمية التى أطلقت على أقدم الطبقات التى دلت على أول استقرار للإنسان . وهى ترجع إلى حوالى الألف الخامسة ق. م . وقد تعدى الإنسان فيها مرحلة الصيد وأصبح الآن راعيا ومزارعا . فقد عثر على بقايا عظام جاموس وخراف بالقرب من مساكنه ، مما يدل على أنه استأنس الحيوان مثل الماشية والأغنام . واستخدم الفخار الذى كان يصنع باليد ، وهو إما أسود أو أحمر . وكان ملونا فى بعض الأحيان . وكانت جميع أدواته مصنوعة من الحجر . واستخدم فى

---

(١) د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ١٣ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٣٧٥ .

(٢) صور لنا جهير شمان موقع سيالك الذى كان عبارة عن تل من الطوب اللبن والحجارة (ويرجع إلى الألف العاشرة أو التاسعة ق. م) ، راجع : Ghirshman, op. cit., p. 9 Fig 5.

(٣) د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٢٠ - ٢٣ ؛ وأيضا : Ch. Et J. Palou, op. cit., p. 8 – 12; Ghirshman, op. cit., p. 21 – 22.

هذه الفترة السلال . وبدأت تظهر فى هذا العصر أولـــى الأدوات المصنوعـة مـن النحاس مثل الدبابيس وهناك عدة تساؤلات يمكن أن يسألها كل قارئ : كيف وبــأى طريقة ووسيلة عرف إنسان العصر الحجرى الحديث أماكن وجود النحاس كمادة خـام فى البيئة أو فى المحاجر ؟ وكيف استخرجه ؟ وكيف تم صهره ؟ وكيف تخلص مـن الشوائب فيه ؟ وكيف تم تصنيعه وإخراجه فى أشكالا عديدة ؟ هى فى الواقع أسـئلة هامة محتاجة منا إلى مزيد من البحث لمعرفة مدى الجهد الذى بذلـه إنسـان هـذه العصور السحيقة لاستخدام هذا المعدن وغيره من المعادن . وكان الإنسان يسـتخدم الكحل الذى كان يسحق فى أوانى حجرية . وكان الموتـى يوسـدون فـى وضـع القرفصاء ، ويتم الدفن فى مقابر معدة تحت أرضية المساكن[١] وتوضع معهم بعـض الأدوات المصنوعة من الفخار كمتاع جنائزى . واستخدم الإنسـان أيضـا القواقـع والأحجار للزينة وصنع منها القلائد .[٢] ومن أجمل ما عثر عليه مقبض سكين تمثـل إنسانا يضع قلنسوة . ويعد هذا من أقدم التماثيل التى عثر عليها فـى بـلاد الشـرق الأدنى القديم .[٣]

---

(١) Contenau, les Civilisations Anciennes du Proche-Orient, p. 89.
وقد صور لنا جهير شمان جبانة مـن سـيالك بـها عـدة مقـابر ، راجـع : Ghirshman, op. cit., p. 9 Fig. 5 وعن موقع سـيالك بوجـه عـام ومـا استخرجه منه من آثار ، راجع : Id., op. cit., p. X11 – X1V, p. 1 – 4, 6, 9, 22 – 26, 41 – 42, 51, 60 – 62, 73, 77 – 79, 81, 85, 97, 115, 123, 131, 136, 230, 234, 237, 249, 256, 260, 269, 277, 280 – 286, 290 – 293, 296 – 297, 320, 332, 335 – 337, 338.

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنـى القديـم ، ص ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٣) كتب جهير شمان عن هذا الموقع مؤلفين :
Ghirshman, Fouilles de Sialk, pres de Kashan, 1933, 1934, 1937, Vol, I, Musée du louvre, departement des Antiquités orientales, serie archéologique, T. IV, Paris, 1938; Vol. II, Musée du louvre, serie archéologique, T. V, Paris, 1939.

فترة سيالك الثانية :

ترجع هذه الطبقة إلى الألف الرابعة ق. م . وعرف فيها الإنسان تشييد المساكن التى شيدت من الطوب المصنوع باليد ، والمجفف تحت أشعة الشمس وأصبحت المساكن أكثر اتساعا ومزودة بأبواب أو منافذ مغطاة بالحصير .

وتقدمت صناعة الفخار فى هذه الفترة وأصبح أكثر تطورا وأكثر دقة . واخترع الإنسان عجلة الفخار وكان مزينا برسومات تمثل الحيوانات والطيور ويشهد هذا النوع من الفخار لفنان ذلك العصر بالإبداع والمهارة والمقدرة الفنية لأنه لم يعثر على هذا النوع من الفخار فى أية منطقة أخرى من الشرق القديم .[٢] وتطورت أساليب الزراعة واستخدم الإنسان فى هذا العصر المحراث . وكان يزرع الشعير والقمح على السهول وعرف أيضا الخيول الصغيرة " السيسى " والماشية والأغنام وكلاب الصيد . وقد استخدم الإنسان فى ذلك العصر المعادن ، ولكن بقدر يسير وذلك فى صناعة بعض الأدوات وذلك بدلا من العظام كما كانوا يستخدمون النحاس بعد طرقه فى صناعة بعض أدوات الزينة وكانوا يدفنون موتاهم تحت أرضية المساكن .[٣]

---

(١) صور لنا جهير شمان مجموعة كبيرة من هذه الأوانى لملونة الجميلة ، ويحتفظ متحفى طهران واللوفر بمجموعة كبيرة منها وهى ترجع إلى نهاية الألف الرابعة ، راجع : Ghirshman, op. cit., p. 1 Fig. 1, p. 11-14 Fig. 6-14. ؛ وأنظر أيضا : Parrot, Assur, p. 239 Fig. 294 ؛ وأيضا : د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم، ١٩٥٨، ص ٢٠٦ – ٢١٠.

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٩٢-٣٩٣ ؛ وأيضا : Chr. Et J. Palou, op. cit., p. 9.

فترة سيالك الثالثة :

وتشغل الجزء الثانى من الألف الرابعة ق. م . وكانت أكثر تقدما وتطورا من الفترات السابقة . فقد شيد الإنسان المساكن من الطوب وأدخل فيها الأساسات والنوافذ من الحجارة . وكانت هذه المساكن موزعة فى أحياء ويفصل بينها شوارع صغيرة وكانت تلك المساكن مزودة بأبواب ونوافذ صغيرة تطلى باللون الأحمر . وشاع استخدام عجلة الفخار فى هذه الفترة . ونجد أن عجينة الفخار أصبحت ذات ألوان متعددة منها الرمادى والأحمر الوردى والأخضر الداكن . وأخذ الفنان يرسم عليه أشكالا حيوانية أكثر واقعية وصور عليه أيضا مناظر تمثل الصيادين والمزارعين وبعض المجموعات التى تؤدى رقصات دينية .(١) واستخدم الإنسان النحاس المصهور فى قوالب ، والحلى المصنوعة من الأحجار الكريمة . وقد عثر أيضا على بعض الأشكال والتماثيل الصغيرة للمعبودة الأم ومعها طفلها .(٢) وكان الإنسان يدفن موتاه ، كما فى العصر السابق ، تحت أرضية المنازل فى وضع القرفصاء مع تزويده ببعض المتاع الجنائزى . ويبدو أن هذه الفترة قد انتهت بحريق كبير لأن البقايا التى عثر عليها كانت مغطاة بطبقة سميكة من الرماد .

وفى حوالى الألف الثالثة ق. م . ظهرت فوق طبقة هذه الحضارة ، طبقة حضارية أخرى تجعلنا نعتقد بأنه ربما حدث نوع من الغزو المفاجئ لأراضى تلك الحضارة من عناصر دخيلة ، لأنها حضارة أكثر ثقافة وأكثر تطورا ، كما تميزت بظهور بعض علامات الكتابة ، وترجع هذه الطبقة إلى فترة ما قبل العيلاميين .(٣)

إلى جانب موقع سيالك الهام من العصر الحجرى الحديث ، عثر على مواقع

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٩٤ شكل ٣٥ – ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٩٤ – ٣٩٥ ؛ د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٢١٢؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق، ص ٣٧١ – ٣٨٧ .

(٣) Chr. Et J. Palou, op. cit., p. 12.

أخرى من الألفين الخامسة والرابعة قبل الميلاد . وكان معظم إيران واقعا تحت تـأثير حضارتى العبيد والوركاء فى بلاد النهرين وتحولت القرى الصغيرة إلى قرى كبـيرة نوعا ما . وعثر على عدة مواقع هامة فى هضبة إيران غير سيالك وهى مواقع تقـع شرقى الخليج العربى وسوف نتحدث عنها عندما نتناول تاريخ الخليج القديم . **وتؤرخ هذه المواقع من ٧٠٠٠ ق. م . إلى ما بين ١٠٠٠ – ٧٠٠ ق. م[1]، منها حضارة تبة جنى داره** فى غرب إيران وتعد من أقدم الحضارات وترجع إلـى ٧٠٠٠ ق. م ، **حضارة تل جرى ب** ، التى تتميز بفخارها الخشن الملمس ويمكن تاريخها مـا بيـن ٥٥٠٠ – ٥٠٠٠ ق. م ، **وحضارة تل موشكى** وتمتاز بفخارها الأحمر وترجع إلـى ٥٠٠٠ – ٤٥٠٠ ق. م ، وحضارة تل كفتارى وتتميز بثلاث مجموعات من الفخـار وترجع إلى ٥٣٠٠ – ٢٥٠٠ ق. م ، **وحضارة تل القلعة** وتمتاز بفخارها المصنـوع من صلصال محروق حرقا جيدا وترجع إلى ٢٥٠٠ – ٢٠٠٠ ق. م ، **وحضارة تـل شوغا** وتمتاز بفخارها الذى يشبه الأوانـى وترجـع إلـى ٢٠٠٠ – ١٦٠٠ ق. م ، **وحضارة تل تيموران** وتمتاز بثلاث مجموعات من الفخار وترجـع إلـى ١٦٠٠ – ١٢٠٠ ق. م ، **وحضارة تل تيموران ب** وتتميز هذه الحضارة بفخارها الأسود الغـير ملون وترجع إلى ١٢٠٠ – ١٠٠٠ ق. م . **وأخيرا حضارة تل جالاباد** وعـثر فيـها على أوانى غير ملونة سوداء وحمراء . وهذا الفخار يشبه فخار حضارة سـيالك ب ، ويمثل هذا الفخار هؤلاء الإيرانيين الذين وصلوا إلى سهل فارس (اصطخر) ما بين ١٠٠٠ – ٧٠٠ ق. م .

وهناك مواقع أخرى فى قم ، ساوه ، رى ، تل باكون ، ولعل أهمها سـوس أو سوسه أو شوشه . فقد عثر فى هذا الموقع الأخير على أكواب ملونة مـن الألـف الرابعة وهى بمتحف اللوفر .[2]

---

(١) عن هذه المواقع ، راجع : د. محمد عبد القادر : المرجع السـابق ، ص ١٣ – ٢٠ .

(٢) Parrot, Sumer, p. 60 – 61 Fig. 78 – 79.

يعطينا جهير شمان فى مؤلفه عن " فارس " قائمة أثرية تمثل أهم الآثار فى كل عصر ابتداء من عصور ما قبل التاريخ أو عصور فجر التاريخ ، فهناك قائمة تتكون من ٤٨ أثرا عثر عليها فى مناطق مختلفة من عصور ما قبل التاريخ هى : تبة تورانج (من الألف الثانية ق. م) ، تبة سيالك (من القرن العاشر إلى التاسع ق. م) ، وهورفن (من القرن التاسع إلى الثامن ق. م) ، وحسنلو (من القرن التاسع إلى الثامن ق. م) ، ويوريستان (من القرن الثامن إلى السابع ق. م) ، واملاشى (من القرن التاسع إلى الثامن ق. م) .(١)

العصور التاريخية :

سوف نلاحظ عند استعراض الأحداث التاريخية لبلاد فارس القديمة أن هذه الأحداث يغلب عليها طابع التداخل والتشابك نظرا لتعدد الولايات والمدن وكثرة المنازعات بين الأقوام القوية .(٢)

---

(١) راجع : Ghirshman, Perse, Proto-Iraniens, Medes, Achemenides, p. 419 – 421.

(٢) تناول جهير شمان فى مؤلفه عن " فارس " تاريخ فارس وفنونها ، وقسم مؤلفه إلى جزئين تناول فى الجزء الأول فى خمسة فصول المواضيع الآتية :

ففى الفصل الأول تحدث فيه عن الفن قبل العصر التاريخى الإيرانى، وفى الفصل الثانى تحدث عن الكيمريين والفن اللوريستانى ، وفى الفصل الثالث تحدث عن الفن الإيرانى فى القرن السابع ق. م ، وفى الفصل الرابع تحدث عن الفن الفارسى الأخمينى من عمارة ونحت ، وفى الفصل الخامس تحدث عن الفن الفارسى الأخمينى : فن الكماليات والصناعات والحرف .

وتناول فى الجزء الثانى فى ثلاثة فصول المواضيع الآتية :

ففى الفصل السادس تحدث عن عصر ما قبل التاريخ والتأريخ ، وفى الفصل السابع تحدث عن الأورارتيين ، وفى الفصل الثامن تحدث عن ميراث الفن الأخمينى ، راجع : Ghirshman, Perse, Proto – Iraniens, Medes, Achemenides, Publ. Gallimard (Paris), 1963, p. 9 – 345.

العيلاميون :

ظلت النهضة الإيرانية خلال الألف الثالثة قبل الميلاد مسرحا لهجمات كثيرة من جيرانها من الجوتيين واللوبيين ، وأن أهل الهضبة لم يكن لهم فى الألف الثالثة أو الألف الثانية قبل الميلاد أى وحدة تجمع قبائلها تحت سلطان رجل واحد .[١]

وقبل الدخول فى تاريخ الإيرانيين يجب الإشارة هنا إلى العيلاميين الذين وضعوا أسسا لحضارة تساعدنا على فهم تاريخ إيران ، لأنه فى بداية الألف الثالثة ق. م . لم يدخل من مناطق إيران فى العصور التاريخية سوى منطقة عيلام ، وأطلق لفظ " عيلام " (الذى يعنى المنطقة الجبلية) على مملكة شملت الولايات الآتية :

خوزستان . لرستاى . بشت كوه . جبال بختيارى ، ومن أشهر مدن عيلام سوس (شوش) التى تعتبر أهم مدن عيلام ومن أقدم مدن العالم القديم[٢] ، ومدينة ماداكتو خايدالو (حزام آباد الآن) والأهواز .

أما عن أصل جنس العيلاميين فيعتقد أنهم من أصل اسيانى أوزاجرو – عيلامى أو من سواحل الخليج . ولم ينحدروا من عائلة سامية أو هندوا أوربية . ويضعهم بعض العلماء ضمن مجموعة الشعوب التى تتحدث اللغات القوقازية . وقد ازدهرت ممتلكاتهم فكانت تشمل سهل سوس وتحدها مرتفعات زاجورس وامتدت إلى الشرق حتى أصفهان وإلى الغرب حتى بابل[٣] ، وأطلق سكان عيلام على مملكتهم اسم انزان سوسونكا .

ينقسم تاريخ العيلاميين إلى قسمين[٤] :

---

(١) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٥٤٧ .

(٢) هناك منظر عام لموقع سوس عند Parrot, Assur, p. 191 Fig. 239

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٤٨ .

(٤) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٢٩ – ٣٠ .

- **عصور ما قبل التاريخ .**

- **العصور التاريخية .**

- تشمل عصور ما قبل التاريخ ، العصور الحجرية ، وعثر على حضارات هذه العصور فى سوسة ، وهى ترجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد . وعثر فى موقع سوسة على بقايا مساكن شيدت بعناية وكانت مزودة بمواقد لإعداد الطعام . كما عثر بها على بقايا أثاث متواضع خشن الصنع ، كما عثر أيضا على أدوات للزينة مطعمة بالأصداف والأحجار الكريمة وأقراط مزينة بقطع من الذهب وأساور من فضة وعقود ، وعثر كذلك على فخار جميل الشكل . واستخدم الإنسان الختم الأسطوانى بدلا من الختم المخروطى . وتنحصر أهمية حضارة سوس فى اختراع الإنسان لعلامات الكتابة التى كانت تسجل على ألواح من الطين وهى التى عرفت باسم " قبل العيلامية " والتى عرفت فى سوسة ودخلت أيضا إلى منطقة سيالك .[١] وكانوا يدفنون موتاهم كما هى العادة ، تحت أرضية المنازل ويضعون معهم بعض الأدوات الجنائزية .

- **أما العصور التاريخية لعيلام فيمكن تقسيمها إلى ثلاثة عصور :**

(١) عصر عاصر فيه تاريخ عيلام تاريخ السومريين والأكديين فى بلاد النهرين (منذ أقدم العصور حتى ٢٢٢٥ ق. م) .

(٢) عصر عاصر فيه تاريخ عيلام تاريخ بابل (من ٢٢٢٥ إلى ٧٤٥ ق. م) .

(٣) عصر عاصر فيه تاريخ عيلام تاريخ آشور (من ٧٤٥ إلى ٦٤٥ ق. م) .[٢]

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٣٩٧ – ٣٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠٢ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٥٢ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٣٩٢ – ٣٩٨ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧– ٤٠٨.

(١) **ففى الفترة الأولى :** دخلت مملكة عيلام فى صراع مع السومريين والأكديين وكان من نتيجة هذا الصراع :

(أ) هزيمة عيلام على أيدى السومريين والأكديين فى البداية .

(ب) ثم قضاء عيلام على مملكة السومريين بعد ذلك فى عصر الأحياء السومرى .

فى حوالى الربع الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد قامت أسرة عيلامية كانت تحكم مساحات كبيرة من السهول والمناطق الجبلية . وكان من بين حكام عيلام حاكم وطنى يحمل اسم " بوزور – انشوشناق " الذى حاول النهوض بعيلام . وفى أثناء هذه المرحلة الأولى ، استقرت أقوام من السومريين الأكديين منذ زمن غير معروف فى إحدى الممالك التى عرفت منذ القرن الثالث والعشرين باسم دولة أكد . وكان السومريون يعيشون على رأس الخليج وعلى شاطئ شط العرب واستقر الأكديون فى الناحية الشمالية . وليس من السهل تحديد حدود مملكة سومر وأكد .

(أ) هزيمة عيلام على أيدى السومريين والأكديين فى البداية :

كان العيلاميون يقومون بشن حملات مستمرة على السومريين فاضطر حاكم لجش السومرى (حوالى ٢٥٠٠ ق. م) اياناتم الأول لمحاربتهم . وبعد زوال حكم السومريين بدأ عهد الأكديين ، وتولى حكم أكد عام ٢٣٥٠ ق. م . مانيشتوسو الذى أسس اسرة كيش ، ونجح فى إخضاع ملك عيلام واصطحبه إلى أكد . ومن هنا أخذ نجم الأكديين فى الصعود . وأخذ ملكها الذى عرف باسم سرجون الأول فى توسيع مملكته على حساب جيرانه . وكان الهدف من فتوحات الأكديين فى المناطق المجاورة لهم هو الاستيلاء على دولة العيلاميين على الرغم من أن العيلاميين كانوا يدفعون الجزية للأكديين . وبعد فترة تولى الحكم أسرة سامية أخرى فى أكد واتخذت عاصمتها فى مدينة ارخ . وفى عهد تلك الأسرة كون سكان المشرق دولة سامية عرفت باسم حكم الجوتيين . وفى عام ٢١٢٥ استعادت سومر مجدها وصارت مدينة لجش عاصمة الملك للحاكم الأكبر جوديا واستعاد السومريون قوتهم من جديد .

وامتدت فتوحاتهم واستولوا على عيلام ومنطقة لولبى .[١]

(ب) ثم قضاء عيلام على مملكة السومريين فى عصر الأحياء السومرى :

كان سلوك السومريين سببا فى عدة اضطرابات فى المملكة وقيام ثـــورات عديدة مما أجبر السومريين على تعبئة الجيوش وشن الحملات المتفرقة . ممـــا كـــان سببا فى إضعاف السومريين وإنهاك قوتهم . وفى نهاية الأمر تمكن العيلاميون مـــن شن حملة مكثفة على سومر وقبضوا على ملكها وحملوه إلى عيلام . ففى عام ٢٢٨٠ ق. م . استولى ملك عيلام على المدينة وخربها وأطاح بالأسرة الحاكمة وهى أســـرة أور الثالثة فى عصر الأحياء السومرى . ومن حكام عيلام الذين نعرفهم فـــى هـــذه الفترة " **سوكالماه** " الذى استمد سلطاته من المعبودات وكان يخضع لأوامر حكام ذوو سلطات أقل ، سوف يصلون شيئا فشيئا إلى المراكز العليا . ويلاحظ من جهة أخـــرى أن هذا الحاكم قد طبق فى عيلام بطريقة عملية ومنظمة ، النظام الإقطاعي ، مع منح هبات من الأراضى التى كانت تعد وقفا حقيقيا وقد عثر على وثيقة فى سوس تعطينـــا معلومات قيمة بالنسبة لشخصية أحد كبار الحكام فى ذلك الوقت وهو : **كوك ناشـــور** الذى كان معاصرا للملك إمى زادوجا من الأسرة البابلية الأولى . وقد اقترح العــــالم سيدنى كتاريخ لهذه الفترة عام ١٦٤٧ – ١٦٢٦ ق. م .[٢]

(٢) وفى الفترة الثانية قويت مملكة عيلام واستقلت ودخلت فـــى صـــراع مـــع البابليين ونجحت فى هزيمتهم بعد ذلك :

اعتلى زعماء الساميين عرش بابل منذ عام ١٨٨٠ ق. م . وأسســـوا دولـــة كانت من أقوى وأكبر الدول التى تجاور عيلام . تعاقب على عرشها خمســـة ملـــوك حتى تولى حكم بابل سادس ملوكها وأكثرهم شهرة وهو حمورابى ، واســـتهدف فـــى بداية حكمه توحيد بلاد النهرين مع القضاء على النفوذ العيلامى فى جنوب العـــراق ، فسجلت له حولياته أخبار جهوده فى إخضاع مدن كثيرة مثل اوروك واسين ومـــلحى .

---

(١) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٣٠ – ٣٥ .

(٢) Contenuau, op. cit., p. 96.

ولعله أراد بانتصاراته عليها أن يحد من نفوذ أعنف منافسيه ريم ســـين ذو الأصـــل العيلامى آخر ملوك لارسا .

أحست دولة بابل بتسللات الكاسيين والحوريين والخاتيين أيضا واســتطاعت جيوش حمورابى أن ترد خطرهم فانكسرت شوكتهم إلى حين وبعد ذلك ساد الكاســيون جزءا كبيرا من العراق عام ١٥٨٠ ق. م . وفى هذه الفترة كانت عيلام دولة مســتقلة وقوية فأخذت عيلام فى التوسع حتى وصلت إلى " بندر – بوشير " التى كانت تســمى فى ذلك الحين " ليان " . وكان يحكم فى هذه الفترة ملك يسمى " <u>اونتاش – جال</u> " (أو اونتاش – هوبان) وقد ترك لنا هذا الملك نصوصا عديدة تحدثنا عن أعماله المعمارية ومن عصره تؤرخ بقايا لوحة كبيرة باسمه وأيضا تمثال للملكة " نابيراسو " ، ويوجــد هذان الأثران فى متحف اللوفر . وقد تمتعت مدينة " دورونداش " التى تقع على بعـــد قليل من سوس برخاء كبير فى عصر هذا الملك . وقد عثر على بقايا هذه المدينة فـــى منطقة تشوجا – زامبيل بفضل حفائر جهير شمان . وبعد إتمام عملية الحفائر أمكـــن إعادة ترميم زاقورة كبيرة عثر على بقاياها فى هذه المدينة كما عثر على بقايا بعـــض المعابد والقصور . وأرادت عيلام أن تأخذ بثأرها من السيطرة التى فرضتـــها عليـــها بابل ، واستغل ملوكها الخلافات التى وقعت بين آشـــور وبـــابل وأخـــذوا يـــؤازرون المؤامرات والفتن التى أزكوا نارها فى بابل . وشعرت عيلام بقوتها المـــتزايدة فـــى عصر اشهر ملوكها :

<u>شوتروك – ناخونتا</u> الذى أغار على بابل وأنزل ضرباته القويـــة عليـــها ، وفى ذلك الحين أيضا هاجم الملك الآشورى " آشـــور – دان " بـــابل ، فـــانضم إليـــه شوتروك – ناخونتا وعلى الرغم من مقاومة ملك بابل " انليل – نادين – آهى " (عـــام ١١٧٣ – ١١٧١ ق. م) إلا أن شوتروك – ناخونتا نجح فى إقصاء الأسرة الكاســـية عن العرش . ونتيجة لهذه الهزيمة تعرضت العاصمة بابل والمدن الرئيســـية لعمليـــة نهب وسلب شديدة . وحمل شوتروك – ناخونتا معه من كل مدينة هامة الكثـــير مـــن الغنائم التى شملت بعض القطع الفنية . وقد محى من على بعضها أسماء ملوكها لكـــى يضع اسمه هو عليها ولكى يسجل ذكرى هذا الانتصار . وكشفت لنا حفائر سوس عن بعض هذه القطع الفنية مثل اللوحة التى أطلق عليها " لوحة المسلة " والخاصة بـــالملك

" مانيشتو – سو " ملك أكد . وقد عثر مع هذه اللوحة على تمثالين لنفس الملك السابق كانا قد نهبا من مدينة كيش وأيضا لوحة للملك مليشيباك ، وعقود ووثائق خاصة بأوقاف وهبات الأراضى التى كان يطلق عليها اسم " كودورو " . وقد سجلت هذه الهبات على كتل حجرية نقشت عليها رموز المعبودات التى كانت تمثل بوجه عام مجمع المعبودات والتى كان عليها مسئولية حراسة الأثر وحماية الهبات حتى يخلد ذكرها . والملك مليشيباك هو ملك كاسى ترك لنا لوحة " كدورو " عثر عليها فى سوس وهى معروضة الآن بمتحف اللوفر . نرى فى أعلاها الملك وهو يقود ابنته إلى إلهة جالسة على عرشها .[١]

وبعد أن أجهزت حروب العيلاميين وغاراتهم المستمرة على الأسرة الكاسية وقضت عليها ، تولى حكم بابل أسرة جديدة هى الأسرة الرابعة (الباثون) التى حاربت العيلاميين حربا شعواء حتى جاءت الأسرة السادسة (البازيون) وحكمت فى الأماكن البحرية من عام ١٠٥٢ – ١٠٣٢ ق. م ، وفى ذلك الوقت عادت السيطرة للعيلاميين على بابل وجلس أحد الملوك العيلاميين على عرش بابل ، ولم يدم حكمه أكثر من ست سنوات .[٢]

(٣) وفى الفترة الثالثة دخلت مملكة عيلام فى صراع مع الآشوريين ونجاحهم فى القضاء عليها :

ففى هذه الفترة تولى عرش آشور الملك سنحاريب الذى حاصر " كالودوس " ملك عيلام وقتله ودخل مدينة سوس وخربها وأسر أهلها وعاد بهم إلى آشور . وعندما تولى اسرحدون عرش آشور رأى ملك عيلام أن ملك آشور كان

---

(١) د. سيد توفيق : تاريخ الفن فى الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، دار النهضة العربية ١٩٨٧ ، ص ٣٦٣ صورة ٢١٨ .

(٢) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٣٨ – ٤٢ ؛ وأيضا :

Contenuau, op. cit., p. 107.

مشغولا بحروبه فى أماكن أخرى فشن هجمات على مملكة بابل . وتقدم حتى مدينة سيبار ورجع بعدها إلى سوس محملا بالغنائم فى عام ٦٧٤ ق. م . وتولى بعد ذلك آشور بانيبال عرش آشور فى عام ٦٦٩ ق. م . فتحارب الطرفان حربا لا هوادة فيها فأنزلت آشور بعيلام هزيمة كبيرة . وفى عام ٦٤٥ ق. م . كان الملك الآشورى غير راض عن نتائج حروبه مع عيلام لذلك هاجم ملك آشور سوس فى نفس العام وسقطت مدينة عيلام واستولى الآشوريون على كل ما يستطيعون حمله من غنائم .[١]

وحمل الآشوريون على عرباتهم كل تماثيل المعابد العيلامية وأرسلوها إلى نينوى وهكذا محيت عيلام من الوجود على يد الآشوريين عام ٦٤٥ ق. م . وطواها النسيان بمرور الأيام .

وهكذا على الرغم من أن العيلاميين قد حافظوا على قوميتهم لفترة طويلة من الزمان إلا أنهم لم ينجحوا فى صد هجمات السومريين والأكديين والدول القوية مثل بابل وآشور .[٢]

وعندما تتبعنا نشاط العيلاميين الحربى والسياسى كنا نعتمد على وثائق غير عيلامية . وقد جاءت أخبارهم مكتوبة أحيانا فى عهد لاحق لعهدهم . فقد كشف عن بعض قوالب من الطوب سجل عليها تأسيس بعض المعابد . ومن هذه السجلات أمكننا معرفة نشاط ملوك عيلام ، وإذا جمعنا النصوص التى كتبت على هذه القوالب وعادة ما تكون قصيرة ومتشابهة ، فهى تعطنا اسم المنشئ " وسلسلة نسبه ولقبه " ، والعبارة الآتية " قمت بإقامة بناء كذا وكذا من أجل المعبود ومنحته له " . وفى بعض الأحيان تصب اللعنة على كل من تخوله نفسه تشويه البناء ودعاء من المعبود إلى الملك الذى قام بالبناء أو الدعوات لكى تصبح أيامه كلها رخاء وأن يعيش حياة طويلة .[٣]

ويعطينا د. زايد قائمة بأسماء بعض ملوك عيلام مع تواريخ حكمه وهم :

---

(١) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٤٦ – ٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٥٢ – ٥٥٣ .

خورباتيلا ، باخيراشان ، اتار – كيتاخ ، خومبان – نومنا ، أونتاش جال ، ونباتار – جال ، وكيدين – خوتران ، وحكموا من ١٣٥٠ إلى ١٢٣٩ ق. م .[١]

ولدينا وثائق عديدة من أيام رابع هؤلاء الملوك خومبان – نومبا ، ومنها استطعنا أن نعرف أنه قام ببناء مقصورة فى ليان . كما ذكر اسم الخامس اونتاش – جال على العديد من الآثار التى عثر عليها فى سوس ، ويبلغ عدد ما شيده من مقاصير عشرين مقصورة . وشيد فى سوس زاقورة بنيت على غرار زاقورات نيبور وغيرها من الأماكن المقدسة فى بلاد النهرين .

وتعد زاقورة تشوجازامبيل التى شيدها اونتاش – جال رائعة أطلال هذه المدينة وقد كشف عنها عام ١٩٣٥ ، وقام بتكملة الحفائر من حولها الأثرى جيهير شمان عام ١٩٥١ . وتختلف زاقورة تشوجازامبيل عن زاقورات بلاد النهرين فى طريقة البناء وفى تصميم الزاقورة . ففى تشوجازامبيل نجدها مربعة ، ويرتفع الطابق الأول ثمانية أمتار ويبلغ ارتفاع البناء كله ٥٢,٦ مترا . وقد أحيطت الزاقورة بمعبدين للمعبود أن شوشيناك وأفنية واسعة مبلطة . كما أحيطت الزاقورة بأبنية أخرى كانت معابد لمعبودات مرتبطة بالمعبود الرئيسى .[٢]

ويحتفظ متحف اللوفر بلوحة باسم أونتاش – جال وبها إطار على هيئة ثعبانين وقد مثل الملك فى أعلى اللوحة وقد وضع فوق رأسه قلنسوة زودت بثلاثة أزواج من القرون وصور الملك وفى صحبته زوجته نابيراسو .

كما عثر على تماثيل من الحجر الجيرى من أيام أونتاش – جال وأحدها يمثل الملك وكتب على نصفه السفلى بالأكدية والعيلامية . كما عثر على تماثيل من البرونز للملكة نابيراسو ويبلغ ارتفاع التمثال المفقود الرأس ١,٢٠ متر ويبلغ وزنه نحو ١٧٥٠ كيلو جرام . ولم يعرف بعد الطريقة التى استخدمت فى صب هذا التمثال الكبير الحجم من المعدن ، ويعد هذا الأثر قطعة فنية رائعة . وقد قام الفنان بإخراج

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥٢ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٥٥ .

هذا التمثال ، بما فى ذلك الطيات المختلفة من المعدن والتطريز والأنشطة والتطعيم مثل الحلى الموجودة فى الأصابع وفى الرسغين ، فى غاية الدقة والإتقان . وهو يمثل الملكة واقفة واضعة يديها متقاطعة فوق صدرها . وارتدت ثيابا مطرزة ملتصقة تماما بكتفيها وصدرها . وقد كتب على طرف الثوب نص عيلامى موجه من المعبودات إلى كل من تخوله نفسه تشويه هذا التمثال أو محو اسم الملكة من عليه .(١)

ومن أعمال الملك أونتاش – جال أنه شيد عاصمة جديدة أسماها " دور أونتاش " على المكان الذى يسمى حاليا تشوجا – زامبيل .

وذكر أنه بنى وكرس للمعبود خومبان أحد معبودات عيلام والمعبود أن – شوشيناك مقصورة زينت بقوالب طليت بالمينا وطعمت بالفضة والذهب وبالأوبسيديان والمرمر(٢) ، وقد علق فى أحد الحجرات قيثارة .

ومن معبودات عيلام المعروفة أن – شوشيناك ، وخومبان ، وناهونتا ، وبينيكير ، وأبوركوياك ، هذا إلى جانب العديد من سوس البابلية التى عبدت فى سوس مثل نابو ، وسين ، واداد ، وزوجه شاله . وقد قام الملك أونتاش – جال بنحت تمثال لكل معبود من هذه المعبودات من الحجر أو المعدن ووضعه فى مكان ممتاز بالمعبد وقد كشف عن حوالى إثنى عشر معبدا من هذه المعابد فى مدينة سوس .(٣)

الشعوب التى وفدت على إيران بعد ذلك :

إننا نجهل تماما التاريخ الصحيح لوصول الهندوإيرانيين (الأريين) إلى هضبة إيران . وغالبا ما حدث هذا فى أوائل الألف الأولى قبل الميلاد .

ويرى بعض العلماء أن تحركات الهندوإيرانيين بدأت فى النصف الثانى من

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٥٣ .

الألف الثانية ق. م . وقد جاءت هذه الجماعات من أربع مناطق من المنطقة الواقعة بين بحر آرال والبحر الكسبى ومن المنطقة الواقعة إلى شمال المنطقة السابقة ومن القوقاز ومن غرب البحر الأسود واتجهت إلى الشرق .[١]

ويعد أن هاجر اريو الهند وإيران من هذه المناطق الأربع عاشوا معا زمنا طويلا ، ثم اتجهوا غربا ، واتجهت العناصر الهندية إلى الهند وانتشروا فى البنجاب فى الهند ، واتجهت العناصر الإيرانية إلى الجنوب والغرب وانتشروا فى الهضبة الإيرانية مع بداية الألف الأولى ق. م .[٢] ومن هنا يتضح أن اسم إيران مشتق من اسم هؤلاء الأقوام ، لأنهم كانوا يطلقون على أنفسهم اسم " آيريا " أى النجيب أو الوفى . وكان اسم غيران فيما مضى آيران ثم حرف إلى إيران . وعندما وصل الإيرانيون إلى الهضبة وصلوا بزوجاتهم وأولادهم وانتهزوا فرصة انقسام البلاد إلى دويلات فدخلوا فى خدمة أمرائها كمحاربين مرتزقة ، وتمكنوا فى النهاية من الحصول على السلطة وأجبروا السكان الأصليين على الخضوع لهم .[٣]

وكانت هذه الشعوب تعيش حياة البداوة معتمدين على قطعانهم . ولم يكونوا من الشعوب الزراعية ، كما كانوا يحسنون أيضا تربية الخيول ويحسنون ركوبها واستخدامها فى الحروب . ولم يمض وقت طويل حتى كان زعماؤهم يحبون حياة الأمراء الإقطاعيين ، يعيش كل منهم محاطا بجنوده وبلاطه ، ويبذل العمال والصناع جهدهم فى خدمته ، ويعمل الفلاحون من أجله فى أراضيه التى يملكها .[٤]

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٦٤ – ٥٦٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٦٤ .

(٣) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ١٦ حاشية (١) ، ص ٥٣ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ – ٢٦٧ ؛ د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٤٧ – ٤٩ ؛ وأيضا :

Contenuau, op. cit., p. 109.

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ – ٢٠٩ .

وقد استقر أمراء تلك الشعوب فى بعض جهات آسيا الغربية أو فى هضبة إيران وما جاورها ، وعثر فى بقاع مختلفة من الهضبة على بعض مقابر الإيرانيين وعلى القليل جدا من بقايا عمائرهم الحربية . ومن أهم تلك الأماكن سيالك فى واحة قاشان حيث شيد أولئك القوم الحصن الذى كان يقيم فيه زعيمهم فوق المرتفع الذى كان يقيم فيه أهل سيالك فى عصر ما قبل التأريخ . ولم يتبع الإيرانيون ما كان يتبعه أهل سيالك القدماء من عادة دفن الموتى تحت أرضية المساكن ، بل كانوا يدفنون موتاهم فى جبانات خاصة وكانت سقوف المقابر مدببة على هيئة جملون . وكانوا يضعون إلى جوار المتوفى أسلحته وحليه وملابسه وكثيرا من الأوانى . وقد عثر جهير شمان على آلاف من تلك المعدات ، من حراب وسيوف وخناجر وأنواع الأسلحة المختلفة ومنها أطقم الخيل ، كما وجد أيضا كثيرا من الحلى مثل الأساور والعقود والأقراط والخلاخل ، وبعض ما كان يتحلى به النساء والرجال من أحزمة وصدريات ، وما كان النساء يضعنه فى شعورهن من دبابيس معدنية طويلة لها رؤوس حيوانات ، أما المعادن التى صنعت منها تلك الأسلحة والحلى والأوانى فكانت من النحاس والبرونز وأغلب الأسلحة من الحديد . كما استمر الإيرانيون فى صناعة الأوانى الفخارية وزخرفتها . ونجدهم قد مزجوا الفنون المحلية القديمة ببعض تأثيرات غربية جديدة ونرى على بعضها زخارف جميلة يدخل فى عنصرها رسم الحصان والشمس مع بعض رسوم هندسية .[1]

وتوزعت هذه الشعوب بعد ذلك فى ثمانى أجناس أربعة كبرى وأربعة صغرى هم :

السكيثيون ، الكيمريون ، الميديون ، والفرس الأخمينيون . وقد لعبت هذه الأجناس الأربعة دورا رئيسيا فى تاريخ إيران فى الألف الأولى ق. م . **كما أنه كان يوجد أربعة شعوب أخرى صغيرة** أثرت فى تاريخ إيران أيضا وهم :

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ – ٢١٠ .

اللولوبيون :

(١) شعب جبلى كان يقيم فى القسم الشمالى من مرتفعات زاجـــروس ، وكـــانوا يكونون مجموعة من الشعوب التى تنتمى لأصل اسيانى أو ما سمى زاجــــرو- عيلامى ، وقد امتد إقليمهم حتى بحيرة أورميا وربما إلى أبعد من ذلك شـــمالا . وكانت لهم مملكة قوية فى نهاية الألف الثانية ق. م ، واصطدمت هـــذه الدولـــة بالآشوريين ومنذ القرن التاسع ق. م . اختفى اسم اللولوبيين .(١)

المنايون :

هم من العائلة التى اصطلح على تسميتها زاجرو - عيلامى وهـــم أقربـــاء للولوبيين واختلطوا بالحوريين . ومنذ بداية القرن التاسع إلى الثـــامن ق. م . بـــدأت تظهر أسماء إيرانية بين المنايين . وقد ذكرت مملكتهم جنوب بحيرة أورميـــة لأول مرة فى النصف الثانى من القرن التاسع ق. م . وكانت عاصمتها اسيرتا التـــى تقـــع على بعد ٥٠ كم إلى الشرق من المدينة الحديثة ساكيز . وقد كانت هذه المملكة فـــى القرن الثامن ق. م . غالبا أقوى مملكة بعد مملكة اورارتو ، وقد فاقتها فى التطـــور فى نهاية هذا القرن . وقد اتحد السكيثيون مع المنايين فـــى القـــرن الســـابع ق. م . وعاونوهم فى الصراع الذى كان قائما بينهم وبين الآشوريين . وقـــد قضـــى آشـــور بانيبال على المنايين وأصبحوا من رعايا آشور ، ثم ساروا فى ركب الميديين عندمـــا انتصر هؤلاء على الآشوريين .(٢)

---

(١) د. عبدد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٦١ - ٥٦٢ ؛ حســـن بيرنيـــا : المرجع السابق ، ص ٥٣ ؛ د. محمد عبد القادر : المرجـــع الســـابق ، ص ٦ ، ٣٩ - ٥٥ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٦٢ - ٥٦٣ .

الأورارتيون :

شعب له صلة بالحوريين ، وأصل لغته قوقازى . وقد قامت مملكة أورارتو فى أثناء النصف الثانى من القرن التاسع ق. م . فاتحدت عدة إمارات صغيرة فى إقليم نائرى فى مساحة حول بحيرة فان الحالية وجبال أرارات شرقى آسيا الصغرى وكونت دولة سميت أورارتو ، وقبل نهاية هذا القرن ، انتهزت هذه الدولة فرصة ضعف آشور ومدت حدودها وسيادتها إلى ما وراء بحيرة فان . ولهذا يقال أرارات أو الأورارتيون أى الجنس الغنى . وأقاموا عاصمتهم فى توشبه . ونعرف من ملوكها أربعة : منوا الذى حكم من عام ٨١٠ إلى ٧٨١ ق. م ، وارجشتى الأول الذى كان معاصرا لشالما – نصر الرابع ، وجاء بعد ذلك أرجشتى الثانى (٧١٤ – ٦٨٥ ق. م) ، وسادور الثانى ، وامتد سلطانهم فى القرن الثامن ق. م . إلى الجنوب من بحيرة أورمية ، وإلى الشرق حتى اراكيس ، ووصلت فى الشمال إلى حدود البحر الأسود ، ووصلت فى فترة ازدياد نفوذها وكانت هذه الدولة تمثل العدو الخصم الشديد المراس للأشوريين الذين نجحوا فى عهد نابوخذ نصر الثانى (٦٠٤ – ٥٦٢ ق. م) ، فى وضع نهاية لمملكة اورارتو . وفى بداية القرن السادس انضمت إلى الميديين .[١] ولدينا عدة نماذج عن الفن الأورارتى .[٢]

اللوريستانيون :

وهم شعوب من الكاسيين الذين من أصل اسيانى زاجرو – عيلامى وكانوا يقيمون فى الجزء الأوسط من مرتفعات زاجروس ، وهى منطقة لورستان الحالية ،

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٦٥ ، ٥٧٤ – ٥٧٥ ، ٧٠٤ – ٧٠٥ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٩٥ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، الطبعة الثالثة ١٩٨٢ ، ص ٥١٧ .

(٢) عن هذه النماذج راجع :
Ghirshman, Perse, Proto-Iraniens, p. 423 – 426 (119, 126, 133, 138 – 141, 145, 168 – 169).

وقد حكموا فى بابل من القرن السادس عشر إلى القرن الثانى عشر ق. م . وتسموا بعد ذلك باللوريستانيين وكانوا فرسانا مهرة فى ركوب الخيل وترويضها . ونحن نجهل تماما ما حمله هؤلاء من موطنهم الأصلى ، وغالبا ما ستكون أدوات حروب أو زينة للخيل من منطقة القوقاز التى جاءوا منها[١] ، وكانت هناك بينهم وبين الكيمريين والميديين علاقات خصوصا فى المعتقدات الدينية وقد تأثروا فى فنونهم ببلاد النهرين..[٢]

أما الشعوب الكبرى التى استقرت فى إيران وأثرت فى تاريخها القديم تأثيرا مباشرا فهى :

السكيثيون :

شعب من أصل إيرانى ، جاء من غربى آسيا من جنوب روسيا ، وغالبا عن طريق القوقاز ، وقد جاء ذكرهم فى النصوص الاشورية وذكرهم أيضا هيرودوت . كما جاء ذكرهم فى العهد القديم تحت اسم اسجوزا . وقد ارتبطت هجرتهم إلى غرب آسيا بهجرة الكيمريين فى القرن الثامن ق. م. وقد كان السكيثيون بداة رحل ، على هيئة قبائل محاربة وكانوا يرتزقون من القتال فعملوا مع الميديين

---

(١) أعطانا جهيرشمان قائمة كاملة بالآثار التى تمثل الفن اللوريستانى بوجه عام (ويبلغ مجموع هذه الآثار ٥٨ أثرا) راجع :
Ghirshman, op. cit., p. 421 – 423 (49 – 108)
كما أعطانا قائمة بالعديد من المؤلفات العلمية عن فن البرونز فى لوريستان (ويبلغ عددها ٤٨ مؤلفا) راجع : Ghirshman, op. cit., p. 416 – 418 ،
وأخيرا يعطينا باروه صورا لعدة نماذج من الفن اللوريستانى ترجع إلى النصف الأول من الألف الأولى وهى موزعة بين متحف اللوفر والمجموعات الخاصة ، راجع : Parrot, Assur, p. 128 – 134, 137 Fig. 149-156, 158 – 159, 163- 166.

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٦١ ، ٥٧١ .

ومع الآشوريين . ويؤرخ تسللهم إلى الشرق ابتداء من القرن السابع ق. م. وقد مروا فى هذه الفترة بمنطقة الشرق الأدنى من القوقاز حتى فلسطين ومن أورارتو حتى إيران . وقد ذكر اسمهم فى كثير من الوثائق التى عثر عليها فى الأماكن التى مروا بها . ويبدو أن السكيثيين قد رجعوا إلى شمال القوقاز فى القرن السادس ق. م .[1] وعثر على مقابر ملوك السكيثيين فى جنوبى الاتحاد السوفيتى . وامتد نفوذهم إلى إقليم اذربيجان الإيرانى وإلى منطقة واسعة حوله . وقد عثر رجال الآثار منذ سنوات على مقبرة لأحد الملوك السكيثيين على مقربة من مدينة " ساكيز " فى جنوب بحيرة أورمية فى الكردستان ، وهى من أهم ما عثر عليه فى تاريخ إيران القديم ، نرى فى محتوياتها الفن السكيثى الوطنى ونرى بينها أيضا بعض التحف الآشورية التى تلقاها ذلك الملك كهدية من الملك اسرحدون (٦٨٠ – ٦٦٩ ق. م) أو أحد خلفائه .[2]

وعلى ذكر كنز مدينة " ساكيز " يجب ألا ننسى أنه قد عثر أيضا فى منطقة لورستان فى إيران على كثير من الأدوات البرونزية الهامة ، وهى أيضا صناعة إيرانية من أيام السكيثيين[3] ، وبعضها كان متأثرا بالفن الآشورى وبعضها الآخر متأثرا بالفن الاوراراتى[4] ، ولكنها تمتاز بالكثير من مظاهر الفن السكيثى النقى وبخاصة إتقانهم لتمثيل الحيوانات ، وتتجلى مهاراتهم أيضا فى القطع المصنوعة من

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٦٣ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(٣) عن الفن السكيثى ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٧٨ – ٥٨٢ ؛ وأيضا د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ . وعن نماذج للفن السكيثى ، راجع خاصة : Ghirshman, Perse, p. 425 – 426 (132, 148 – 151, 156 – 159, 164 – 165.

(٤) وعن نماذج من الفن السكيثى – الاوراراتى ، راجع : Ghirshman, op. cit., p. 425 – 426 (143, 172).

البرونز ، والتى كانت فى الأصل أجزاء من أطقم الخيل وكانت مثبتة فى بعض أدوات القتال .

ولقد تأثر السكيثيون كثيرا بالحضارة الأورارتية ، كذلك كانت توجد علاقة بين الفن السكيثى واللوريستانى وقد اقتبس السكيثيون استخدام الصدريات من الأورارتيين . وعثر على الصدريات فى القبر الملكى بزاوية بالقرب من مدينة ساكيز إلى الجنوب من بحيرة أورمية ، والذى عثر فيه على أجزاء من تابوت من البرونز وأختام أسطوانية وصدريات .[١]

الكيمريون :

شعب من أصل إيرانى ، جاء من جنوب روسيا عن طريق القوقاز إلى غرب إيران فى القرن الثامن ق. م . وأصبحت لهم السلطة فى شمال غربى إيران فى القرن السابع ق. م . وكانوا معروفين بالشدة والعنف . وربما كان الكيمريون من سكان شبه جزيرة القرم وتركوا موطنهم وداروا حول البحر الأسود .

وكانت أولى الممالك التى تحطمت أمام جحافلهم هى أورارتو حوالى عام ٧١٤ ق. م . ثم انقسموا بعد ذلك إلى فريقين ، سار فريق منهم إلى بحيرة أورمية فى الهضبة ، وسار الفريق الآخر إلى آسيا الصغرى ، ثم استقروا أخيرا فى جنوب البحر الأسود . وقضى الكيمريون على مملكة الفريجيين فى آسيا الصغرى . وانتحر ملكها " تيداس " كما فعل " روساس "[٢] ملك اورارتو من قبل ، ثم هجموا على مملكة ليديا فهزموها ، وساروا إلى كيليكيا ولكن آشور بانيبال استطاع أن ينقذ آسيا الصغرى وسوريا منهم ، فهزمهم وفروا راجعين إلى الهضبة ليعيشوا مع أبناء عمومتهم

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٩٣ – ٥٩٦ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢١١ ؛ د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٣٩ – ٤٦ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٦٣ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ – ٤٢٩ .

السكيثيين . وقد اتحد الكيمريون مع الأوراراتيين منذ القرن الثامن ق. م . وقد انقسم هؤلاء إلى فريقين :

الفريق الأول : اندفع إلى آسيا الصغرى ، بينما تسلل **الفريق الثاني** إلى شرقى آشور وقد استقر فى تلك المنطقة ليحمل اسم الكاسيين والذين تسموا بعد ذلك باللوريستانيين . وقد تأثروا بالفن فى بلاد النهرين وخاصة فى الرسوم التى تصور صراع بين حيوانين . وعثر فى معبد سورخ دوم بمنطقة لوريستان على دبابيس وضعت عادة داخل حوائط المعبد وكانت مصنوعة من البرونز وهى مؤرخة ما بين القرنين الثامن والسابع ق. م . وزينت من الداخل بالمعبودة الأم الآسيانية التى كانت تنتشر عبادتها من آسيا الصغرى إلى سوس ، وهى غالبا تمثل المعبودة اشى أخت المعبود سراؤش . ولم يهتد العلماء إلى السر فى وضع هذه الدبابيس فى المعابد ربما لغرض سحرى . كما عثر فى لوريستان على مئات من التمائم على هيئة حيوانات أو طيور وكذلك عثر فى مخلفات تلك المنطقة على جميع معدات الخيل والعربات ، وقد زينت بزخارف مختلفة . كما عثر على فؤوس من البرونز مختلفة الأشكال فى مقابر لورستان . أما عن معارفنا عن فخار مقابر لوريستان فهى بسيطة ، وغالبا ما كان الفخار يقلد الأوانى البرونزية . وكان الفن اللوريستانى متقدما جدا فى صناعة المعادن من ناحية التنوع فى الأشكال والزخارف ، وواضح أنه كان متأثرا بالأوراراتيين .[1]

ونلاحظ أن السكيثيين وكل الشعوب التى لها صلة بهم كانوا يدفنون مع موتاهم خيولهم . وقد بينت لنا مقبرة هاسانلو ، وهى الوحيدة التى عرفت فى إيران ، صحة هذه النظرية ، وقد قام أهالى لوريستان بالاستعاضة عن هذه الخيول بالمقاود وكانت توضع ، تحت رأس المتوفى ، وذلك لخداع الموتى بسلامة وسيلة الرحلة إلى عالم الآخرة ، وقد فحص الكثير من هذه الألجمة فوجد أنه لا يوجد أى أثر لاستخدامها . وكان بعضها يزن كيلو جرامين .[2]

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٧١ – ٥٧٤ .
(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق، ٥٧٣ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق، ص ٤٢٩ – ٤٣١ .

ظهور شعوب الميديين والفرس :

وصل الميديون (أقوام آريه) إلى الجنوب الشرقى ، فى إقليم همدان ، ووصل الفرس أيضا (أقوام آريه) إلى الغرب والجنوب الغربى من بحيرة أورمية . وفى هذا الوقت أيضا ظهرت أسماء الإيرانيين فى جيش ملوك أورارتو . ويبدو أن الفرس لم يطيلوا إقامتهم فى الشمال الغربى من إيران . ففى القرن الثامن ، كانوا يتحركون ، ويرسمون خطة للاتجاه نحو الجنوب الشرقى متتبعين منحنيات مرتفعات زاجروس . ولا نعلم تماما الفترة التى عاشوا فيها تحت سيطرة شعوب الأورارتو . وقبل أن يغادروا حدود أورارتو ، وقبل أن يغزو نهائيا فارس ، كانوا قد عرفوا الكثير عن الحضارة الأورارتية ، فنقلوا عنهم الكثير من الخصائص المعمارية التى تجدها فى بازار جادة وبرسى بوليس .[1]

وقد أثر الفن الأورارتى كثيرا فى الفنون الإيرانية وكان الحصان عنصرا هاما فى حياة الأورارتيين العسكرية والاقتصادية . وقد أشارت النصوص الأورارتية الملكية إلى آلاف من هذه الدواب التى كانت تربى فى الهضاب المرتفعة ، ومن الجائز أنه كانت توجد عند هؤلاء الناس معبودات كانت لها صلة بالحصان ؛ ويوجد بين ودائع المتحف البريطانى تمثال صغير من البرونز لمعبودة جالسة على مقدمة حصانين ، وهذا التمثال من أصل أورارتى .

ويوجد فى متحف اللوفر تمثال آخر من البرونز يمثل أحد المحاربين تعلو رأسه ريشة وهى التى نراها دائما فوق رؤوس المحاربين الأورارتيين كما ذكر روسا ملك أورارتو أنه حصل على عرشه بفضل خيوله وبفضل قائد عربته ، ويدل كل هذا على أهمية الحصان فى القتال .

وأخيرا سلك الفرس طريقة الأورارتيين فى المراسلات أو المراسم الملكية .[2] وعندما وصل الفرس فى البداية إلى الهضبة الإيرانية أبعدوا إلى الجنوب

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٧٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧٦ – ٥٧٧ .

بواسطة الميديين الذين احتلوا الجزء الشمالى وأخضعوا الفرس تحت سيطرتهم . وقد نزل الميديون فى شمال غرب الهضبة ثم كونوا دولة لم تستمر طويلا هى الدولة الميدية . ونزل الفرس فى الجزء الجنوبى الغربى وأصبح اسمهم يطلق على هذه المنطقة التى استقروا فيها .

وفى الواقع أن ظهور هذه الشعوب فى هضبة إيران واندماجها مع سكانها الأصليين قد بث فيها حيوية ونهضة حضارية عظيمة .

الميديون وتأسيس دولتهم وأهم ملوكها :

أقوام آرية الجنس استوطنوا أذربيجان وكردستان الحالية .[١] وشعب الأمادايين هو الشعب الميدى ؛ وهذه التسمية أطلقها عليهم الآشوريون فى القرن التاسع ق. م . وظل الميديون تابعين للآشوريين فترة طويلة . فقد تكررت غزوات الآشوريين وحملاتهم على منطقة كردستان والمناطق المجاورة لها . ويذكر هيرودوت أن الميديين ظلوا تابعين لآشور فترة خمسمائة عام .[٢] وكان الميديون يعملون بالرعى وكانوا يملكون الأنعام والعبيد ومارسوا الزراعة واستوطنوا المدن وكانوا يتحركون فى عربات ، ويعرفون الصناعات من الذهب والفضة .[٣] هذا وقد تأثر الفن الميدى بفنين آخرين هما الفن السكيثى[٤] ، والفن الكيمرى .[٥] وقد ورد اسم الميديين فى النصوص الاشورية منذ القرن التاسع ق . م . على أقل تقدير .

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٨٣ – ٥٨٩ ، ٥٩٠ – ٥٩٣ ؛ حسن بيرنيا : المرجع السابق، ص ٥٨؛ د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٤٩ – ٥١ .

(٢) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٥٩؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق، ص ٤١٥– ٤٢٠ .

(٣) عن نماذج من الفن الميدى ، راجع :
Ghirshman, Perse, p. 423 – 424 (109, 111-114, 118, 120-122, 124-125, 127-129, 159).

(٤) عن الفن الميدى – السكيثى ، راجع :
Id., op. cit., p. 423-426 (115-116, 170-172).

(٥) عن الفن الميدى – الكيمرى ، راجع : Id., op. cit., p. 423 (117)

ديا اكو :

حكم هذا الملك فى الفترة من ٧٠٨ – أو ٧٠١ – ٦٥٥ ق . م . وكان قد اختير ملكا بواسطة عامة الشعب لأنه كان محل تقدير بينهم . واختار عاصمته فى أكباتان[١] التى كانت قد دمرت أيام الآشوريين . وأعاد هذا الملك إلى هذه المدينة رونقها وجعل منها مدينة محصنة تحيط بها أسوار عالية . وعمل توحيد كلمة كل العناصر" الميدية .[٢] وعمل على تقديم الجزية للآشوريين وحكم من بعده ثلاثة ملوك .

تحالف الميديون مع الكيمريين ومع سكان جبال الكردستان ؛ واطمأنوا إلى ارتباطهم برباط الصداقة أيضا مع السكيثيين . وتم لملكهم خشاثريتا إخضاع الفرس الذين قبلوا دفع الجزية لهم . وبعد ذلك طمعوا فيما هو أكثر من ذلك ، فقرر ملكهم غزو بابل ، وهنا استغل السكيثيون هذه الفرصة فهاجموا الميديين فى عقر ديارهم وأخضعوهم لنفوذهم فظلوا على ذلك ثمانية وعشرين عاما من ٦٥٣ إلى ٦٢٥ ق. م ، كما ذكر هيرودوت . وكان ملك السكيثيين فى ذلك الوقت يسمى ماديس . وكان هذا الانتصار خير مشجع للسكيثيين على التوسع فى فتوحاتهم فاتجهوا غربا وخربوا آشور ، وانضم إليهم الكيمريون ، فاتحدت قبائل الشعبين ونزلت لتنهب كل ما تجده فى آسيا الصغرى وشمال سوريا وفينيقيا وفلسطين ، ناشرين القتل والحرق والنهب فى كل مكان ، ثم عادوا بعد ذلك إلى موطنهم .[٣]

ويحدثنا هيرودوت عن الميديين بأنهم كانوا يعدون أنفسهم للثأر من السكيثيين والاستقلال بأمورهم فتم لهم ذلك بعد ثمانية وعشرين عاما . وهزموا أعداءهم وأجلوا جنودهم عن المنطقة .

---

(١) مكانها الآن مدينة همدان .

(٢) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٦١ – ٦٢ .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

كان ملك الميديين الذى قام بتخليص بلاده يسمى " كياكسارس " وقد تم لـــه توطيد نفوذه ، وعادت لبلاده قوتها واسترجعت سيطرتها على الفرس وعلى المنـــابيين سكان جبال الكردستان ، ولم يكتف كياكسارس بذلك بل أراد مهاجمة بـــلاد النـــهرين وآشور على وجه الخصوص .[١] وكانت عيلام قد سقطت فى عام ٦٤٥ ق. م . على أيدى الآشوريين وتعرضت للنهب والسلب . كما تعرضت لنفس المصير مدينة سوس وهدمت معابد ومقابر ملوكها وتماثيل معبوداتها . وعقب وفاة الملك آشور بانيبال فـى عام ٦٢٦ ق. م . خطط الميديون للقضاء على آشور والثأر منها عما فعلته مع عيلام وسوس . ونجح الميديون بالاتحاد مع البابليين وشعوب السيث (وهم قبائل من البربر كانت تعيش فى جنوب روسيا) وكانوا حلفاء للآشوريين فـــى أول الأمـــر ولكنـــهم خانوهم وانضموا إلى أعدائهم ملك بابل وملك الميديين[٢] للقضاء على آشــور وذلــك تحت قيادة الملك البابلى نابو بلاصر الذى حكم عام ٦٢٦ – ٦٠٥ ق. م. ونجحوا فـى دخول عاصمة آشور ، وتابع الميديون تقدمهم حتى آسيا الصغرى . ورث الميديـــون أملاك الآشوريين الشمالية والشرقية وابتلعوا مناطق أورارتو شيئا فشيئا ، واســتمروا فى زحفهم نحو الشمال الغربى حتى بلغوا نهر هاليس فى آســيا الصغــرى . وهنــا اصطدمت أطماعهم بدولة ليديا المتأغرقة والتى جمعت فى سياستها وعلومها وحيـــاة ملوكها بين معارف وتقاليد الشرق والغرب معا ، وتطور التنافس بين الميديين وبيـــن الليديين بعد فترة إلى صدام مسلح وقفت بابل فيه بجانب حلفائها الميديين ولكـــن هـــذا الصدام توقف بصلح ثم انتهى الأمر إلى هدنة أيدها البيتان الحاكمان بالمصاهرة .

ولكن لم يطل الأمر بالنهضة الميدية ، وأحاط بها بعد وفاة ملكـــها هواخشير (كياكساريس) ما أحاط بجيرانها أكثر من مرة من تفكك أوصالها وظـهور

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٢٧ حاشية (١) .

المنازعات الداخلية[١] التى ظهرت هذه المرة فى إقليم انشان (فى عيلام القديمة) . وهو إقليم كان يحكمه أمراء لهم صلة قرابة بالبيت المالك وكانوا يعتقدون أنهم أحق بالملك . وحقق حلمهم هذا أمير قورش (حوالى عام ٥٥٩ ق. م) فجمع الحاقدين على البيت المالك وقضى على عرش الميديين فى حوالى ٥٥٥ ق. م . وبدأ أسرة حاكمة جديدة . ذكرتها المصادر الفارسية باسم الدولة الهخامنشية ، وأطلقت المصادر اليونانية عليها اسم الدولة الأخمينية . وتذكرها المؤلفات الحديثة باسم الدولة الفارسية الأولى .وعثر فى برسى بوليس على نقش يمثل رأس ميدى ، يرجع إلى القرن الخامس أو الرابع ق. م ، ويوجد الآن بمتحف اللوفر .[٢]

الفرس الأخمينيون ودولتهم وأهم ملوكها :

طبقا لهيرودوت ينقسم الفرس إلى ست طوائف من سكان المدن والقرى وأربع طوائف من سكان الخيام .[٣]

وكانت أسرة الأخمينيين من أكثر الأسر الفارسية عراقة بين هذه الطوائف وعقب وفاة نابوخذ نصر الثانى ملك بابل ، ظهر على مسرح الأحداث فى الشرق القديم من ملوك الأسرة الأخمينية الملك قورش العظيم ، الذى كان يحمل لقب " قورش الملك العظيم ملك أنشان " ، وورث ملك الميديين وكان لظهور الدولة الفارسية وازدياد نفوذها سببا فى إزعاج كل من بابل ومصر ومملكة ليديا . وكانت ليديا فى أوج مجدها فى عهد ملكها كرويسوس (٥٦٩ – ٥٤٦ ق. م) وأصبحت تتطلع إلى إخضاع الدول المطلة على البحر المتوسط فتقدمت جيوشها ناحية الشرق ، وخاصة وأن ملك ليديا كان متحالفا مع الملك المصرى أمازيس ومع ملك اسبرطة . وكان من الطبيعى أن تصطدم جيوش ليديا بجيوش الفرس القوية . وسار قورش تجاه ليديا وغزا آسيا الصغرى بعد معركة بتريا واستولى على عاصمة ملك ليديا ساردس وأسر ملكها عام ٥٤٦ ق. م . ومن عام ٥٤٥ إلى ٥٣٩ غزا عدة بلاد فى آسيا الصغرى

---

(١) ظهرت المنازعات فى عهد استياجس الذى خلف أباه كياكسارس .

(٢) Parrot, Assur, p. 188 Fig. 237.

(٣) حسن بيرنيا : المرجع السابق، ص ٧١؛ د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٥٥ ، ٩٥ .

مثل فريجية وقليقية وليقية . وهكذا خضعت لسيطرته كل آسيا الصغرى . وفى بابل لم تستمر فترة القوة بعد نابوخذ نصر الثانى طويلا ، وتعاقب من بعده ثلاثة ملوك حكموا سبع سنوات ، ثم انتقل الحكم منهم إلى نابونهيد الذى تظاهر فى البداية بمناصرة قورش الفارسى ضد الميديين حلفاء بابل سابقا . ولكن قورش كان يطمع فى قرارة نفسه أن يضم بابل إلى مملكته ، وهنا حاول نابونهيد أن يجمع الأحلاف حوله ، ولكنه لم ينجح فى ذلك كثيرا ، وخشى الآخرين من بطش الفرس . وبالفعل فى عام ٥٣٩ ق. م . دخل قورش بجيوشه إلى بابل وادعى فى نصوصه أن أهلها رحبوا به ملكا . وتوج قورش ملكا فى معبد بابل الكبير طبقا للطقوس الدينية البابلية .[١] وانتهى دور بابل فى تاريخ الشرق القديم كدولة مستقلة فى عام ٥٣٩ ق. م . ومن هذا التاريخ بدأ ميلاد إمبراطورية جديدة .

قورش (٥٣٩ – ٥٢٩ ق. م) :

أصبح حاكما لأكبر إمبراطورية شهدها حتى الآن[٢] تاريخ الشرق القديم . واتبع سياسة جديدة فى تلك الإمبراطورية ، فقد حاول أن يكسب محبة وصداقة الشعوب التى غزاها عن طريق سياسة التسامح عوضا عن تنفيذ سياسة القوة والقهر . فسمح للعبرانيين بالعودة إلى أورشليم وإعادة تشييد معبدهم الذى كان قد هدم بواسطة الآشوريين . ورجع اثنان وأربعون ألفا من العبرانيين إلى أورشليم .[٣]

---

(١) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٧٧ – ٨٣ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٤٣١ – ٤٤٩ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٠٠ – ٦٠٨ .

(٣) لا يمكن أن نحدد بالضبط عدد اليهود الذين استفادوا من هذه الفرصة . وكان زعيم اليهود العائدين زروبابل هو من سلالة الملك يهوياقين . وقد ارجع معه كنوز الهيكل المزعوم (؟) التى نهبها نابوخذ نصر واعترفت به الجماعة العائدة حاكما عليها لبعض الوقت . وبعد صعوبات كثيرة انتهى من بناء الهيكل (؟) للمرة الثانية فى عام ٥١٥ ق.م. فى عهد الملك دارا الأول . وقد حذا =

وكان للإمبراطورية الجديدة أكثر من عاصمة ، فكانت أولا فى سوس فـــى بلاد أنشان أو أنزان القديمة ، والتى خرج منها قورش العظيم ، وحلت محلها بعد ذلك كل من بازار جادة [١] وبرسى بوليس .[٢]

= ارتاكسركيس الأول حذو قورش فسمح بعودة فريقين متتاليين مـــن المســبيين : الأول برئاسة نحميا والآخر برئاسة عزرا ، وقد وصل أورشــليم حوالـــى عـــام ٤٤٤ ق. م. وكان هدفه الصريح إعادة بناء أسوار المدينة ، راجـــع د. فيليــب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول (ترجمة : د. جورج حداد وعبد الكريم رافق) ص ٢٤٣ – ٢٤٥ ؛ حسن بيرنيا : المرجع الســـابق ، ص ٨٣ – ٨٤ .

(١) توجد فى الشمال الشرقى . وهناك منظر عام لبقايا قصر بازار جادة من القـــرن السادس ق. م . ، راجع : Parrot, Assur, p. 192 Fig. 240

وعن أهم آثار هذه العاصمة ، راجع : Ghirshman, Perse, p. 174 – 175, 178-179, 181- 184 .

وعن الاكتشافات الأثرية بها ، راجع : Id., op. cit., p. 131 – 133, 135-136, 139-140, 145, 224, 227, 230-237, 295-296, 347-348 .

(٢) وهناك منظر عام لبرسى بوليس عند : Parrot, op. cit., p. 193 Fig. 242

وهناك بقايا للسلم الضخم من الجزء الشرقى للقصر الملكى بالعاصمة ، راجـع : Parrot, op. cit., p. 195 Fig. 243

وعن هذه العاصمة والاكتشافات الأثرية بها ، راجع :

Ghirshman, Perse, p. XI- XV, p. 20, 57, 68, 70, 87, 94, 120, 123-124, 133, 135, 138, 142, 147, 154, 201, 205, 207, 209, 215, 222, 226-230, 234, 243, 245, 250-252, 256, 258, 260-261, 263-264, 283, 295, 312, 318, 347-348, 350, 353, 355-357, 362, 364.

وقد اختار قورش مدينة سوس عاصمة عيلام لتكون مركزا لإدارته[١] ولكنه غير العاصمة بعد ذلك واتخذ مدينة " أكباتان " العاصمة الميدية الشهيرة عاصمة له.[٢]

فلما تم فتح بابل عام ٥٣٩ ق.م . اتخذها أيضا كعاصمة له واستقر رأيه بعد ذلك على إنشاء عاصمة جديدة فى مدينة بازار جادة والتى تقع إلى الشمال من مدينة برسى بوليس ويعنى اسمها الأصلى فى الفارسية " مخيم الفرس " ومكانها الحالى " مشهدى مرغاب " .

وبدأ الفرس يتجهون بأنظارهم إلى مصر ، ومن المحتمل أن الذى أنقذ مصر من الخطر هى وفاة الملك قورش فى عام ٥٢٩ ق.م . أثناء حملة قام بها ضد قبائل البارث وهى إحدى القبائل البدوية فى شمال بلاد فارس ، وكان قد ذهب إلى هناك لإخماد ثورة اندلعت فى هذه المناطق فأصابه سهم قاتل .[٣]

---

(١) ذكرت فى التوراة باسم شوشن والآن تسمى شوش ، راجع : د. فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، ص ٢٤٠ حاشية (١) . عن هذه العاصمة سوس وما تم فيها من حفائر ، راجع :
Ghirshman, Perse, p. 20, 48, 59, 70, 77, 81, 90, 129, 135, 138-140, 142, 144-145, 147, 156, 209, 214-215, 222-225, 236, 243, 249-250, 258, 260, 262, 264, 268, 283-284, 290-291, 293, 318, 326, 333, 339, 347-348, 353, 355, 357, 362 .
وعن أهم آثارها ، راجع : Id., op. cit., Fig. 186-189, 190-192, 194- 195, 318, 348, 318, 348, 351, 545, 562 .

(٢) عن هذه العاصمة أكباتان وما تم فيها من حفائر ، راجع :
Ghirshman, Perse, p. 42, 80, 85-87, 94-95, 97, 138, 224, 229, 237, 250-252, 256, 261, 263-264, 266, 285, 295, 297, 322, 338, 346, 362.
وعن أهم آثارها ، راجع : Id., op. cit., Fig. 122, 124-125, 309-310, 317, 326-328, 478, 548-557, 560.

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ ؛ Contenau, op. cit., p. 120.

قمبيز (٥٢٩ – ٥٢٢ ق.م) :

تولى من بعد قورش ابنه قمبيز الذى حاول تحقيق حلم أبيه بغزو مصـــر . فأخذ يعد العدة لإتمام ما بدأه أبوه ، فأخضع باقى آسيا الصغرى وسار قمبـــيز نحـو مصر وتقابل الجيش المصرى مع الجيش الفارسى عند بلوزيوم (تل فرما) وانتصـو الفرس ودخلوا منف وتكونت أول أسرة فارسية لحكم مصر ، وهى الأسرة الســـابعة والعشرون .[1] (سوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل فيما بعد عند الحديث عـن إيــران القديم وعلاقاته الخارجية ، ص ١٠٠ – ١٢٣)

وقد رغب قمبيز فى أن يزيد من التوسع فقرر وهو فى مصـــر أن يرسـل ثلاث حملات حربية . واحدة للاستيلاء على واحدة سيوة مقر معبد وحـــى المعبـود آمون ، والثانية للاستيلاء على قرطاجة ،.والثالثة للاستيلاء على كوش . واتجه فـــى الوقت نفسه إلى الاستيلاء على الممالك المجاورة لمصر . فاستسلمت ليبيـــا وبرقـة والتى كانت مستعمرة يونانية (وهى الآن جزء من طرابلس الغرب) . وأراد قمبـيز أن يشن حربا على قرطاجة (تونس حاليا) تلك المملكة الشهيرة التى تتمتع بـــالثراء وذلك لأن الفينيقيين أهالى قرطاجة وكانوا من المهاجرين قد رفضـــوا إمـداد قمبـيز بالسفن ولأن البحارة الفينيقيين رفضوا تسيير أسطوله لغزو أبناء جلدتهم وأهلهم فـــى قرطاجة ..

ولكن هذه الحملة باءت بالفشل كما فشلت حملته على مقر معبد الوحى فـــى سيوة وهلك جميع جنود هذه الحملة تحت رمال الصحراء الغربية ولم يعثر لها علـــى أى أثر حتى الآن على الرغم من المحاولات العديدة للعثور على بقايـــا جيـــش هـذه الحملة .

---

(١) د. رمضان السيد : تاريخ مصر القديمة ، سلسلة الثقافة الأثريـــة والتاريخيـة رقم ٢١ هيئة الآثار المصرية ، ١٩٩٣ ، ص ٢٨٧ – ٢٩٥ ؛ د. عبد الحميـــد زايد : المرجع السابق، ص ٦٠٩ – ٦٣٠؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونيـة، الطبعة الخامسة ١٩٨١ ، ص ٤٣١ .

أما الحملة الثالثة فقد كان نصيبها الفشل أيضا ، وهلك أكثر الجيش لنقص المؤن ولم يتمكن من الوصول إلى عاصمة نباتا مروى فعاد مهزوما نحو الشمال .(١)

وكان فشل هذه الحملات الثلاث سببا فى فقدان صوابه ، وصب جام غضبه على المصريين ومعتقداتهم .

وجاءت إلى مصر أنباء عن قيام ثورة فى فارس فأسرع قمبيز للرحيل عنها للقضاء على من تزعم الثورة وكان يدعى " جوماتا " وكان قد استغل ملامح الشبه بينه وبين أخيه برديا وادعى أحقيته فى الملك بعد أن قتل أخو قمبيز الحقيقى . وقد صدقته العديد من الولايات وبايعته بالحكم وكان ذلك فى عام ٥٢٢ ق. م . ولكن هذا المدعى وجد من يقف فى وجهه ، إذ اجتمع سبعة من النبلاء بزعامة دارا بن هيستابوس وقاوموه ، ولكن قمبيز توفى وهو فى طريق عودته بالقرب من جبال الكرمل عام ٥٢٢ ق. م . وتضاربت الروايات فى سبب وفاته ، فذكرت بعضها أنه انتحر عمدا وذكر البعض الآخر أنه مات متأثرا من جرح أحدثه بجسده فى إحدى نوبات الصرع التى كانت تصيبه من حين لآخر .

دارا الأول (٥٢٢ – ٤٨٥ ق. م) :

تولى الحكم عقب المؤامرة التى أشرنا إليها ، واستطاع أن يقضى على المتآمرين والمغتصبين فى مختلف أنحاء البلاد بعد مضى عام واحد من توليه الحكم . وحكم بإرادة قوية استطاع معها التغلب على جميع المشكلات التى واجهته وأخذ يدعم أركان حكمه فى داخل بلاد فارس ، ولكن كان عليه أن يواجه بعد قليل ثورة فى عيلام ، فقد أعلن أحد الحكام فى عيلام التمرد على حكم دارا فأرسل إليه هذا الأخير جيشا وصل إلى سوس حيث قضى على المتمردين وتم القضاء عليه . وفى بابل خرج شخص يدعى بخت نصر الثالث ابن نابونيد ملك بابل السابق ورفع راية العصيان . فتوجه دارا إلى بابل على رأس جيش كبير وأنزل بالبابليين هزيمة نكراء . ثم أمر دارا أحد قواده بإخماد ثورة قامت بها عناصر من الميديين ، وبعد

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢١٧ – ٢١٨ .

ذلك هاجم بنفسه الميديين وانتصر عليهم وبعد ذلك أخذت الاضطرابات تتفاقم فى ليديا ولكن دارا قضى عليها . وبعد أن انتهى دارا من تثبيت أركان الأمن فى الممالك التابعة له . قام بضم عدة ولايات لمملكته إحداها البنجاب والأخرى السند . وعندما كان فى الهند عمل على تشييد أسطول من السفن ، ثم استولى على آسيا الصغرى .

وجاء إلى مصر وحكم فيها وقام فيها بعدة إصلاحات .[١] وترك الحاميات فيها وقد استغرقت عمليات دارا الحربية لإخضاع الممالك الثائرة عشرين رحلة . وترك منْ ورائه إمبراطورية ضخمة تضم عشرين إقليما كبيرا . وكان يطلق على كل إقليم اسم " ولاية " حيث كانت تربطها بالعاصمة فى فارس شبكة من طرق المواصلات .

ومما ساعد الملك دارا على تكوين هذه الإمبراطورية الشاسعة وبسط نفوذه المباشر على جميع ولاياتها ما أنشأ من طرق تربط أطراف بلاده ، ونظام البريد المنتظم بين العاصمة والمراكز الهامة فى جميع الولايات . وكانت أهم الواجبات الملقاه على عاتق كل والى هى إدارة ولايته وحفظ الأمن فيها ثم جمع الضرائب ، وكانت الجزية المقررة على كل ولاية هى مقدار معين من الفضة أو العملة .

وكانت ولاية الهند على رأس جميع الولايات فى كمية الجزية السنوية ، وتليها بابل وآشور ومصر ، ومما ساعد على تماسك الإمبراطورية اتخاذ النقود المصكوكة فى عهد الملك دارا الأول . ومن الأمور الهامة التى حدثت فى عهد هذه الإمبراطورية هى محاولة إيجاد لغة واحدة من أجل التعامل التجارى ، فكانت اللغة الآرامية هى لغة التجارة كما كان الخط الآرامى مستخدماً إلى جانب الخط المسمارى الفارسى الذى انتشر فى أرجاء الإمبراطورية .

لم يقتنع دارا بالعواصم التى اختارها خلفاؤه . واستقر رأيه على إنشاء عاصمة جديدة فى موطن قومه ، أى فى فارس . واختار العاصمة التى أطلق عليها

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣١ .

الإغريق اسم " برسى بوليس " أى مدينة الفرس ، وهى نفسها البلد المعـــروف باســـم " اصطخرا " أى الحصن .[١] (وهى تخت جمشيد الحالية) وبدأ دارا فـــى تشـــييدها عام ٥٢٠ ق. م ، ولكنها لم تتم إلا فى عهد أرتاكسركسيس الأول حوالى عـــام ٤٦٠ ق. م . وقد عثر فى حفائرها على آثار هامة كما ذكرنا من قبل .[٢]

وقد سجل دارا انتصاراته فى النقـــش الشـــهير المعـــروف باســـم " نقـــش بيستون– Bisutun " فى أحد الممرات الجبلية فى الطريق بين كرمنشاه وهمـــدان .[٣] ويقع على بعد ٣٠ كم شرق كرمنشاه .

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ – ٢٢٩ .

(٢) راجع فيما سبق ، ص ٨٢ حاشية (٢) .

(٣) أمر الملوك الفرس بكتابة نقوش فى أماكن مختلفة من إيـــــران . ويبلـــغ عـــدد النقوش المكتشفة حتى الآن سواء على الآثار المختلفة أو على أشـــياء أخـــرى أربعين نقشا . أهمها النقوش التى خلفها دارا الأول ، وأشـــــهر هـــذه النقـــوش وأكثرها تفصيلا نقش بيستون الكبير الذى حفر أو نقش بثلاث لغات (أو كتابات) هى الفارسية القديمة والعلامية العتيقة والبابلية (البعض يسميها الآشـــورية) . وكان أول من اهتم بنسخ هذا النص هنرى رولنســـون أحـــد موظفـــى الســـلك الدبلوماسى البريطانى الذى جاء إلى بيستون عام ١٨٣٥ . وأخذ يصعـــد هـــذه الصخرة التى نقش عليها النص وهى على ارتفاع ١٣٠ أو ١٤٠ مـــترا وكـــاد يعرض حياته لأشد الأخطار . وكثيرا ما كان يشد نفسه بحبل وهو يقوم بنســـخ كل حرف من حروف هذا النص بعناية . وبعد جهد دام اثنتى عشرة سنة كاملـــة فى عمل مقارنات بين ألفاظ ومفردات الكتابات الثلاث نجح فى ترجمة النصيـــن العيلامى والبابلى عام ١٨٤٧ . وأرادت هيئـــة الجمعيـــة الملكيـــة للدراســـات الآسيوية فى لندن أن تتأكد مما توصل إليه رولنسون وغيره من العلمـــاء مـــن قراءات لهذا النص وغيره من الوثائق . أرسلت أربع نسخ من وثيقة مســـمارية غير منشورة وغير معروفة إلى ثلاثة من علماء الآثار الآشورية وهـــم اليونـــز المستشرق فى جامعة السربون والأيرلندى

أما عن أسماء الولايات العشرين التى أخضعها دارا ، فهى :

(١) مصر	(٢) فلسطين	(٣) سوريا
(٤) فينيقيا	(٥) ليديا	(٦) فريجيا
(٧) آيونيا	(٨) كبادوكيا	(٩) كيليكيا
(١٠) أرمينيا	(١١) بابل وآشور	(١٢) بلاد الميديين

== هينكس والمستشرق الإنجليزى تالبوت ونسخة إلى رولنسون نفسه، وطلبت إلى كل منهم على انفراد أن يعد ترجمة مستقلة عن الثلاثة الآخرين دون أن يتصل بهم أو يراسلهم أحد فلما جاءت الردود الأربعة وجدت كلها متفقة مع بعضها اتفاقا يكاد يكون تاما وذلك بعد ان شكلت هيئة الجمعية الملكية للدراسات الآسيوية فى لندن لجنة خماسية لدراستها وتبين بعد المقارنة ان التراجم الأربع متقاربة للنص الذى كان يخص الملك تيجلات بلاصر الأول، ونشر بعد ذلك النص الكامل لنقش بيستون بالكتابة البابلية عام ١٨٥١ . ولقب رولنسون بأبى الدراسات المسمارية . وتوالت بعدها الدراسات من مختلف الدول الأوربية ، وقد تبين للعلماء أن هذه الكتابات المسمارية الثلاث تضم حوالى ٥٠٠ علامة، وتبين أيضا أنها لم تكن مؤلفة من حروف هجائية بل من رموز مقطعية . راجع : حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ١٥٦ ؛ د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٦٩ ؛ د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ١٩١ – ١٩٢ ؛ د. توفيق سليمان : دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة ، ص ٢٥– ٢٦ ؛ نخبة من الباحثين العراقيين : حضارة العراق ، الجزء الأول ، ص ٢٣٢ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢١٩ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ١٤٥ حاشية (٢) ؛ د. شعبان خليفة : الكتابة العربية فى رحلة النشوء والارتقاء ، ص ١٥؛ د. أحمد سليم : تاريخ العراق – إيران – آسيا الصغرى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٣٢٢ ؛د. فاضل عبد الواحد : سومر : أسطورة وملحمة ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ٢٠٠٠ ، ص ١٦ – ٢٠ . وانظر فيما سبق ، ص ٤٩ ؛ راجع فيما بعد ، ص ١٤٢ – ١٤٤ .

(١٣) فارس (١٤) القوقاز

(١٥) أفغانستان وبلوخستان (١٦) الهند

(١٧) بلاد الصغد (١٨) بلاد البخت

(١٩) مساجيتا

(٢٠) ولاية تضم قبائل التركمان فى أواسط آسيا .[١]

ونقش بيستون عبارة عن صخرة تطل على الطريق التجارى القديم على مسافة مائة كم جنوب أكباتان وبالقرب منها دارت معركة كوندور والتى قضى فيها دارا على آخر خصومه .

وبيستون تعنى بالفارسية القديمة " باجا ستانا " أى مكان المعبود .

ويتكون النص الذى كتب بالفارسية القديمة من خمسة أعمدة تضم ٤١٤ سطرا . والنص العيلامى يتكون من ثلاثة أعمدة تضم ٢١٣ سطرا . والنص البابلى يتكون من ٢١٢ سطرا .[٢] وفوق هذا النقش نقش بالحفر البارز منظرا يمثل المعبود اهورا مازدا بنصف أعلى (الجسم إنسان) يبرز من قرص مجنح [٣] وأسفل صورة المعبود صور الملك وصور دارا واقفا وقدمه اليمنى فوق جاوماتا مدعى العرش وأمامه الملوك المخادعين مكبلين .[٤]

ويذكر دارا فى هذا النقش نسبه وأصله ثم يتحدث عن الاضطرابات التى نشبت فى بداية حكمه والحملات التى قام بها والحروب التى خاضها لإخماد تلك

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق : ٢١٩ - ٢٢٩ . وعن هذا النقش الهام راجع : Ghirshman, Perse, p. 89, 234, 236, 269

وعن مناظر هذه النقوش ، راجع : Id., op. cit., Fig. 278, 282- 284

(٢) د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٧ ، ١٩ .

(٣) صورة اهورا مازدا بهذه الهيئة على أكثر من أثر وعلى مجموعة من الأختام الأسطوانية بمتحف اللوفر ، راجع : Parrot, Assur p. 167 Fig. 214. P. 208 Fig. 256, p. 209 Fig. 261.

(٤) Ghieshman, Perse, Proto – Iraniens, p. 229 Fig. 278, p. 235 Fig. 283.

الثورات ويتحدث عن الولايات العشرين التى أخضعها لحكمه . ويتحدث فى نهاية النقش قائلا :

" إن الاضطرابات نشبت نتيجة ادعاءات كاذبة من بعض الأشخاص ، فقد ادعى شخص فى كل ولاية انتسابه إلى العائلة الملكية وخدع الناس بذلك " .

وأنهى نقشه بهذه النصيحة :

" يا من ستتولى مقاليد الملك . احترس من الكذب بكل ما أوتيت من قوة . وإن فكرت ماذا أفعل لكى أحافظ على مملكتى أقول لك . فتش عن الكاذب واجتثه ولا تصادق الكاذب والظالم وجز رقابهما بالسيوف " .

ويدعو فى نهاية النقش إلى المحافظة على هذه الآثار وأن من يقومون بحفظها يبلغون الناس بمضمونها .[١]

ومن أشهر النقوش بعد هذا النقش نقش معروف باسم رستم[٢] الذى يتحدث دارا فيه عن أقسام بلاد فارس وحدودها فى ذلك الوقت . وفى نهاية حياته وقعت الحرب بينه وبين اليونانيين وانهزم الجيش الفارسى فى موقعة الماراثون ٤٨٦ ق. م .[٣]

وتوفى دارا بعد عام واحد أو أكثر من هذه الحرب أثناء استعداده لحرب جديدة أو جولة جديدة وكان يبلغ من العمر أربعة وستين عاما ، حكم خلالها ستة وثلاثين عاما .

---

(١) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

(٢) نقش رستم هو مقبرة دارا الأول، راجع : Parrot, Assur, p. 200 Fig. 298

(٣) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق، ص ٢٣١ – ٤٤١؛ د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

ويقال إن الملك دارا ركز كل اهتمامه فى الانتقام من الآثينيين حتى أنه كلف شخصا ليذكره بذلك كل صباح بقوله : " مولاى لا تنس الأثينيين " ، راجع : حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٩٤ – ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٩ .

عثر للملك دارا فى عام ١٩٧٢ على تمثال ضخم من الديوريت الأسود فــى بقايا العاصمة القديمة سوس وعثرت عليه البعثة الفرنسية التى تعمل هناك منذ عـــام ١٩٠٠، وهو محفوظ الآن بمتحف طهران وهو تمثال مغطى بنقوش كتبــت بــالخط الهيروغليفى يحدثنا فيها عن فترة حكمه لمصر وعن شعوب الإمبراطورية الفارســية التى أخضعها ونلاحظ ان اسم كل بلد كتب داخل خرطوش ملكى ، ومثل كل شــعب من هذه الشعوب بشخص راكع فوق كل خرطوش ويرفع يديه إلى أعلى . ويلاحــظ ان كل شخص اتخذ ملامح الشعب الذى يمثله . وتمثيل كل شخص فى هذا الوضــع راكعا ورافعا يديه إنما يرمز إلى خضوع الشعب الذى يمثله للملك .[١]

اكسركسيس الأول (٤٨٥ – ٤٦٤ ق. م) :

كان أكسركسيس أثناء حكم دارا واليا على بابل طيلة إثنى عشر عاما . وقـد عينه أبوه دارا قبل وفاته ليخلفه فى حكم البلاد .

فاعتلى العرش وكان أول عمل قام به هو إخماد الثورات التــى كـانت قـد اندلعت فى مصر وفى غيرها . واتبع فى ذلك قسوة بالغة أعادت إلى الأذهان أســوأ أيام قمبيز .

وسار على الأسلوب نفسه فى إخماد ثورة قامت فى بابل ، وبلغ من غضبــه أنه بعد انتصاره دك حصون المدينة ومعابدها ونهب ما فيها من تماثيل ذهبية ، وبلــغ تخريب مدينة بابل إلى الحد الذى جعل أكثرها أكواما وخرائب ومنها زاقــورة بــابل الشهيرة .

ولم يكن اكسركسيس الأول ميالا إلى الحروب بل كان ميالا إلى حياة الترف وإلى تشييد القصور والاستمتاع بأبهة الملك .

---

(١) Yoyotte, Inscriptions Hieroglyphiques Egyptiennes de la statue Darius, dans C. R. Academie des Inscriptions et Belles letters, Paris (1973), p. 256 – 259; Id., dans Journal Asiatique (1972), p. 235 – 239 et p. 253 – 266.

ولكن ضغط الجماعات التى كانت تحيط به وتذكره دائما بضرورة القضاء على قوة اليونانيين جعله ينشغل كثيرا بحملاته ضد اليونان . وبدأ فى الاستعداد لحرب اليونانيين واستمرت هذه الاستعدادات للجولة الثانية ثلاث سنوات ، وسار على رأس جيش كبير لغزو بلاد اليونان عن طريق البر . وقد بنى له الفينيقيون فى مدى سبعة أيام جسرا على البسفور عبرت عليه جيوشه .

وتم اختيار كبادوكيا الواقعة فى آسيا الصغرى مكانا لتجمع كل الجيوش الفارسية . ومن المحتمل أن عدد جيش اكسركسيس الأول من قوات برية وبحرية بلغ حوالى ٣٥٠ ألف جندى .

وكان له فى البحر ١٢٠٠ سفينة حربية و ٣٠٠٠ سفينة نقل وحملة مؤن (قد يكون فى هذه الأعداد الهائلة نوع من المبالغة التى تقتضيه الأخبار الحربية) وتحرك الجيش فى شكل فرق صغيرة من آسيا الصغرى حتى بلاد اليونان ووصل أخيرا إلى أثينا واستولى عليها .. ولكن هذا الحدث لم يضع نهاية للحرب إذ تعرض الجيش الفارسى لهزيمة كبيرة فى معركة سلاميس البحرية فى عام ٤٨٠ ق. م .[1]

---

(١) كان الأسطول الفينيقى عماد البحرية الفارسية فى هجومها على اليونان ، ويبدو أن الفينيقيين رحبوا بفرصة ضرب منافسيهم اليونانيين فى مراكزهم التجارية التى أنشأوها فى البحر المتوسط، لذلك قدموا ٢٠٧ سفينة . كما نجح الفينيقيون فى حفر قناة فى المضيق الذى يقع بين جبل أنوس والبر واصروا على أن يكون عرض سطح القناة مساويا لعرض قاعها لتجنب العواصف حول انوس ، مما يدل على مهارتهم ، كما أنهم اشتركوا فى بناء الجسر الخشبى القائم على مراكب والذى عبرت عليه جيوش أكسركسيس الأول فوق الدردنيل إلى الشاطئ الأوروبى . وبذلك يكونوا أول من استخدم الكبارى العائمة فى الحروب . ولكن على الرغم من كل ذلك فقد دمر الأسطول الفارسى كله فى معركة سلاميس البحرية عام ٤٨٠ ق. م ، راجع : د. فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ص ٢٤٦ ؛ المؤلف نفسه : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ١٨٨ ؛ د. أحمد فخرى ، المرجع السابق ، ص ٢٢١ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٣١ – ٦٣٩ .

وحطم الأسطول الفارسى ، مما اضطر الجيش الفارسى إلى الانسحاب شمالا . وبعد ذلك أخذ اكسركسيس الأول يعد العدة لحملة أخرى . وتقابلت القوات الفارسية بقيادة ماردونيوس مع الجيش اليونانى فى معركة بلاتيا ، وانتصر اليونانيون فى هذه المعركة أيضا . وكان ذلك بفضل شجاعة الجنود الأسبرطيين ولقد كانت معركة بلاتيا " سيتايرون " مع معركة سلاميس من المعارك الحاسمة فى التاريخ . وبعد أن قتل ماردونيوس فى معركة بلاتيا ، تولى قيادة جيش الفرس بعده ارتاباوزس على رأس قوة بلغت ١٠٤ ألف من المقاتلين . وبدأ هذا الأخير فى العودة إلى هلس بونت .

وعاد اكسركسيس الأول إلى عاصمة ملكه وفى نفسه مرارة من عدم تمكنه من القضاء على قوة اليونانيين ولم يستأنف حملاته الحربية ضد اليونانيين بعد ذلك . بل انصرف إلى إقامة العمائر وتجميل عواصم مملكته وبخاصة برسى بوليس (اصطخرا) وسوس . ويمكن اعتباره آخر ملوك الأسرة الأخمينية الأقوياء .

وفى هذه الفترة قتل الحاكم فراندتس فى مصر . وعين اكسركسيس الأول اخمينس بدلا منه .

وفى عصر اكسركسيس الأول ثار يهود أورشليم ، وتحركت قوات اكسركسيس إلى فلسطين لإخماد ثورتهم .

ارتاكسركسيس الأول (٤٦٤ – ٤٢٤ ق. م) :

فى عام ٤٦٤ ق. م . تولى الحكم – أرتاكسركسيس الأول – وهو الابن الثانى لاكسركسيس الأول . وكان عليه أن يواجه الثورات التى اندلعت فى مصر بزعامة أناروس وأميرتى الذى استطاع أن يحصل على العون من آثينا . ونجح المصريون فى هزيمة الجيش الفارسى بفضل مساعدة المرتزقة اليونانيين والأسطول اليونانى . ولكن أرتاكسركسيس الأول أرسل حاكما جديدا إلى مصر هو ارسامس ومعه قوات كبيرة من سفن فينيقية وعتاد وأسر اناروس واصطحبه إلى سوس وحكم

عليه بالإعدام وهزم أسطول الإمدادات اليونانى بواسطة البحارة الفينيقيين وانسحب أميرتى إلى الدلتا . وسقطت بقية مصر من جديد تحت قبضة الفرس .

دارا الثانى (٤٢٤ – ٤٠٤ ق. م) :

تولى الحكم فى عام ٤٢٤ ق. م ، وتوج ملكا على مصر . وحاول أن يطبق سياسة أكثر مرونة تجاه المصريين . وبموت دارا الثانى تنسمت مصر الحرية وبعد عشرين سنة أى عام ٤٠٤ ق. م . نالت مصر استقلالها .

ارتاكسركسيس الثانى (٤٠٤ – ٣٥٩ ق. م) :

فى مستهل حكمه للبلاد تعرض لمحاولة فاشلة للاغتيال إذ قام أخوه الأصغر ، وكان يسمى قورش الصغير ، بطعنه بخنجر أثناء الاحتفال بتتويجه فى المعبد فى مدينة بازار جاده . ولكنه عفا عنه أمام توسلات أمه ، بل وزاد عفوه بتعيينه واليا على آسيا الصغرى وقائدا عاما للجيوش الفارسية هناك . ولكن قورش لم يقابل هذا العطف بما يستحقه بل لم يمض عليه وقت طويل حتى جدد عصيانه وأعلن الثورة على أخيه وقاد جيشا وزحف به على فارس لخلع أخيه عن العرش . وضم إلى هذا الجيش مرتزقة من الإغريق . وكان عددهم عشرة آلاف جندى يونانى . وتقابل الجيشان فى كوناكسا على مقربة من بابل . وهناك تبارز الأخوان واستطاع قورش أن يجرح أخاه ولكن ارتاكسركسيس قضى عليه بضربة رمح فانهزمت جيوشه . ولم يحاول المرتزقة الإغريق مساعدة قورش الصغير. وقد سمح الفرس لهؤلاء الجنود المرتزقة أن يعودوا إلى بلادهم ففضلوا العودة عن طريق غير الطريق الذى سلكوه عند حضورهم مجتازين بلادا لا يعرفونها وكان يقودهم عند العودة كليرخوس وأرسل ملك الفرس معهم قائدا فارسيا لمراقبتهم أثناء العودة حتى يتركوا حدود البلاد الفارسية . وأثناء العودة اقترح القائد الفارسى تسافيرنوس على قائد المرتزقة الإغريق كليرخوس عقد مؤتمر يحضره جميع الضباط الإغريق . وكانت مؤامرة استطاع خلالها كليرخوس تنفيذها وقتل جميع الضباط الإغريق . ولكن الجنود المرتزقة انتخبوا واحدا منهم وهو زينوفون ليكون قائدا لهم وكان زينوفون

قائدا وكاتبا ، درس على أيدى سقراط .[١] وأعيد هؤلاء المرتزقة اليونانيين إلى اليونان بفضل قيادة زينوفون ، ويسمى هذا بانسحاب العشرة آلاف . وقد نجح في مهمته وعادوا إلى أوطانهم . وقد وصلت إلينا جميع هذه التفاصيل من الكتاب الذى كتبه زينوفون بعد عودته ، وهو مصدر عام أيضا لدراسة بلاد المنطقة من الناحية الجغرافية كما أنه مصدر هام كذلك لمعرفة الشعوب التى كانت تسكن تلك المناطق فى القرن الخامس قبل الميلاد .[٢]

ومن الطريف أن زينوفون مر على أنقاض مدينة نينوى دون أن يلاحظ شيئا يدونه لأنها كانت قد خربت قبل ذلك بحوالى مائتى عام ، ويبدو أن التخريب كان كاملا . ولما وصل الجيش إلى منطقة تسمى " زاخوا " ذكر زينوفون أنه كان يسكن هناك قوم أطلق عليهم اسم الكردوجيين وهم الأكراد ، ويصفهم بأنهم قوم أشداء محبون للقتال : " يعيشون فى الجبال ولا يطيعون الملك " .

وعندما لاح للجنود الإغريق البحر الأسود من بعيد ورأوا مياهه أخذوا يصيحون جميعا " البحر ، البحر " وأخذوا يعانقون بعضهم البعض وقد اغرورقت عيونهم بالدموع . وفكر أرتاكسركسيس الثانى فى غزو قبرص ومصر .

وبدأ يعد العدة لغزو قبرص وبعد أن تم له غزو قبرص ، بدأ يوجه أنظاره إلى مصر لاستعادة سيطرة الفرس عليها . وعندما تقدم الجيش الفارسى لمحاصرة منف لم يستطع الاستيلاء عليها ونجت مصر للمرة الثانية من سيطرة الفرس ، كما حدث أيام هكر (اخوريس) عندما هاجم الفرس إقليم سويد فى شرقى الدلتا واضطروا إلى الانسحاب .

---

(١) Barraclough, Atlas of World History 1984, p. 333.

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

أرتاكسوكسيس الثالث (٣٥٩ – ٣٣٨ ق. م) :

وكان على شئ من الحنكة السياسية ولكنه كان قاسيا إذ نجد أن أول عمـــل قام به عند توليه العرش ، هو قتل جميع أخوته الذكور والإناث على حد سواء [1] ثـم اتجه بعد ذلك إلى إخماد الثورات وحاول استعادة مصر وجاء لغزوها عام ٣٥١ ق. م . ولكنه فشل . وبعد هذا الفشل الفارسى قامت الثورات ضد الاحتلال الفارسى فى كل مكان فى فينيقيا وقبرص . وتقدم الملك الفارسى على رأس جيش يقدر عدده بحوالـــى ثلاثمائة ألف مقاتل وقضى على الثورة فى حينها قضاء نهائيا .

وفى عام ٣٤١ ق. م . بدأ يفكر مرة أخرى فى غزو مصر من جديد ونجـح فى غزوها . ونفى بعض الأمراء المصريين إلى بلاد فارس وعـــاد أرتاكسركبســيس الثالث إلى بلاده بعد أن أسس اسرة فارسية فى مصر للمرة الثانية هو وخليفته ارسس (٣٣٨ – ٣٣٥ ق. م) ودارا الثالث – قودمان (٣٣٥ – ٣٢٥ ق. م) .

لم يتقبل المصريون هذا الوضع . وبدأت الثورات تتفجر فى كل مكان وكان أهمها تلك التى تزعمها أمير وطنى من الدلتا والذى ظهر فـــى حوالـــى عـــام ٣٣٦ ق. م ، وأعلن نفسه ملكا وتلقب بالألقاب الملكية وهو خباباشا . ولم ينجح خباباشا فـى تحرير مصر من قبضة الفرس . ولم يتمكن من قهر الأسطول الفارسى ، وتـوج دارا الثالث ملكا على مصر عام ٣٣٤ ق. م .

ومنذ عام ٣٣٨ ظهرت مقدونيا ، مقدونيا جديدة تريد السيطرة على العالم القديم . ففى هذه الفترة كان فيليب الأول ملك مقدونيا (٣٥٦ – ٣٣٦ ق. م) قد أعاد تنظيم الدولة المقدونية وأعد جيشا قويا كان الغرض منه الانتقام من الحملات التى شـــنها الفـــرس ضد اليونانيين وحتى لا يتدخل الفرس فى شئون اليونان مرة أخرى . وجاء من بعـــده ولده الإسكندر الأكبر الذى حـــافظ علـــى نفـــس القـــوة العســـكرية وقـــام بـــإعداد

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ ؛ عن ملوك الفترة الأخـــيرة مـــن الأسرة الأخمينية ، راجع : حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ١١١ – ١١٩ ، ١٢١ – ١٢٨ – ١٣١ – ١٣٩ .

جيشا قوامه أربعين ألف مقاتل من المقدونيين واليونانيين وعبر الإسكندر بوغاز الدردنيل فى ربيع عام ٣٣٤ ق. م . ودخل آسيا الصغرى . وحدثت المعركة الأولى مع الجيش الفارسى على شاطئ نهر كرانيك . وكان الجيش الفارسى يتكون آنذاك من عشرين ألف مقاتل ومثلهم من المرتزقة اليونانيين . وبعد أن استولى الإسكندر على آسيا الصغرى اتجه إلى سوريا واستعد دارا الثالث للقاء الإسكندر الأكبر فى إسوس عام ٣٣٤ ق. م . ولكن الإسكندر الأكبر نجح فى هزيمة دارا الثالث – قودمان فى معركة إسوس شمال الإسكندرونة فى عام ٣٣٣ ق. م . وفر دارا الثالث ونزل الإسكندر بعدها إلى غزة وأصبحت أبواب مصر مفتوحة أمامه . وفى نهاية عام ٣٣٢ ق. م . سار نحو مصر والتى سارع آخر موظفى الفرس بالرحيل عنها ، واستلم الحاكم الفارسى ساباسس . وكان الإسكندر يهدف من وراء دخوله مصر أن يربطها هى ومقدونيا واليونان وآسيا الصغرى وسوريا بإمبراطورية كبيرة تطل على البحر المتوسط .

وكان يهدف إلى فرض حصار على الفرس ولذلك خطط للاستيلاء على الأراضى الواقعة شرق دجلة والفرات، وكان من الطبيعى أن يصطدم الجيشان من جديد . ففى عام ٣٣١ ق. م . تقابل الجيشان فى جاوجامله .[1] بالقرب من نينوى وهزم الفرس للمرة الثانية . وبعدها تابع الإسكندر مسيرته وراء دارا الثالث حتى اربل ، وبعد ذلك ذهب إلى بابل ودخلها واستولى على تمثال المعبود

---

(١) الواقعة على نهر بومردوس . وكان جيش دارا يضم مرتزقة من اليونان ، وجنود من الهند ومعهم بعض الأفيال ، وبعض الكاريين ، ووحدات بابلية ، وبعض المحاربين من شواطئ الخليج العربى ، وآخرين ممن كانوا يقيمون فى شرق سوس ، وفرسان من السكيثيين والبارثيين والميديين ، وما حدث فى إسوس تكرر وقوعه فى جاوجامله ، فقد فر الملك دارا وتبعه بقية الفرس وسحبوا فى فرارهم قوات المؤخرة ، ووقع فى ساحة القتال ستون من رفقاء الإسكندر ، ولكن كان النصر مرة أخرى من نصيب الإسكندر ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٧٦ – ٦٨٠ .

ماردوك وأمر بتعمير المدينة التى كان قد خربها اكسركسيس الأول ، ودخل بعدها مدينة سوس واستولى على كميات كبيرة من الذهب وتوجه منها إلى برسى بوليس (اصطخرا وهى تخت جمشيد الحالية) وبازار جادة (مشهد مرغاب الحالية) عن طريق بهبهان . وبعد دخول الإسكندر برسى بوليس أصبحت بلاد فارس تحت سيطرة الإسكندر . وعندما توفى فى مدينة بابل عام ٣٢٣ ق. م . كان غزو كل مناطق الإمبراطورية الفارسية قد تم كلية منذ عامين أى منذ عام ٣٢٥ ق. م .

• لم تعمر دولة الفرس الأخمينيين إلا أقل من قرنين ، حتى قضى عليها الإسكندر ولكن انتصاره لم يؤد إلى زوال مدينة برسى بوليس بل احتفظت بالكثير من عناصرها . وعندما قضى الإسكندر على إمبراطورية الفرس فى عشر سنوات حوالى عام ٣٢٥ ق. م . وحولها إلى ولاية إغريقية عرفت فيما بعد باسم سلوقيا نسبةً إلى القائد الإغريقى الذى كان حاكما عليها بعد وفاة الإسكندر . ولكن فرع من الفرس عرف باسم البارثيون نجح فى تقوية دعائم سلوقيا واستمروا فترة طويلة يحكمون البلاد كأمراء إقطاع حتى نجح أحدهم وهو بابك بن ساسان فى توحيد إيران مرة أخرى ، وتأسيس مملكة الساسان التى كانت عاصمتها طيسفون (المدائن) فى بلاد النهرين . وانتهت دولة الفرس الساسان بالفتح الإسلامى عند منتصف القرن السابع الميلادى تقريبا (٦٥١ أو ٦٥٢ ميلادية) .

بعد هزيمة الفرس فى معركة نهاوند عام ٢١ هـ التى عرفت بفتح الفتوح لأنه لم تقع بعدها معارك كبيرة فى بلاد فارس وقد لقى النعمان بن مقرن ربه شهيدا فى هذه المعركة الحاسمة .[١]

إيران القديم وعلاقاته الخارجية :

ارتبط تاريخ إيران بالصراع الدائم بينها وبين دويلات وإمبراطوريات العراق القديم من ناحية وبين الشعوب البعيدة من ناحية أخرى .

---

(١) د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٦ ، ١٩٨ – ١٩٩ .

ومنذ البداية تحدثنا عن تاريخ عيلام والصراع بين السومريين والأكديين والعيلاميين وانقراض دولة السومريين على يد العيلاميين[١] ، ثم إزدياد قوة الآشوريين وحروب آشور وعيلام وآشور بانيبال وسقوط عيلام .[٢]

ثم جاءت فترة حكم الملوك الميديين وبعد ذلك اصطدام الميديون بدولة الليديين وهى مملكة تقع فى الطرف الغربى من آسيا الصغرى .[٣] ولم يمض وقت طويل حتى دخلت الدولتان فى حرب معا . وكان الجيش الميدى أكثر عدة من الجيش الليدى ولكن الجنود المرتزقة اليونانيين كانوا على درجة كبيرة من التدريب وكانوا ضمن القوات الليدية . ولهذا امتدت الحرب ست سنوات دون إحراز أى تقدم ، حتى تدخل الملك البابلى بخت نصر للفصل بين الطرفين وتزوج ملك الميديين ابنة ملك ليديا المسماه " ارينيس " عام ٥٨٥ ق. م .

تولى عرش مملكة فارس – قورش الثانى – فى عام ٥٥٨ ق. م . وبعد مرور خمسة أعوام ثار ضد الملك قورش " استياج " ملك الميديين ولكن قورش هزمه فى عام ٥٥٠ ق. م . واستولى على عاصمته أكباتان ، فقد كان قورش محاربا عظيما . وفى عام ٥٤٦ ق. م . هاجم كرويسوس ملك ليديا الذى كان متحالفا مع الملك المصرى امازيس ، وسار تجاه ليديا وغزا آسيا الصغرى بعد معركة – بتريا – واستولى على عاصمة ملك الليديين ، سارد . وابتداء من عام ٥٤٥ إلى عام ٥٣٩ ق. م . غزا عدة بلاد وممالك وبعد ذلك اتجه إلى بابل وبعد معركة فى أوفيس فى شمال بغداد وصل قورش إلى بابل[٤] واستولى عليها بسهولة على الرغم من أسوارها الثلاثة التى كانت تحيط بها ويقال أنه هو الذى حرر اليهود وسمح لهم بالعودة إلى أورشليم وتشييد الهيكل المزعوم (؟).

---

(١) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٣٥ – ٣٦ .
(٢) المرجع السابق ن ص ٤٧ – ٤٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٦٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٧٧ – ٨٢ .

لم يكن لدى الملك المصرى القوات الكافية لكى يساعد حلفاءه ، وأحس هو نفسه بالخطر ، وبدأ الفرس يتجهون بأنظارهم نحو مصر ، ومن المحتمل أن الذى أنقذ مصر من الخطر هو وفاة قورش فى عام ٥٢٩ ق. م [١] ، عندما كان يحارب ضد القبائل التوارنيين وطبقا لأقوال هيرودوت فإن مصر كانت آمنة والأوضاع الداخلية مستقرة تحت حكم أمازيس . وتوفى أمازيس فى عام ٥٢٥ ق. م . وكان الشعور العام السائد هو أن الفرس سوف يجتاحون عن قريب شرق الدلتا وبالفعل بعد وفاته بستة اشهر غزا قمبيز مصر .

جاء بعد ذلك بسماتيك الثالث الذى توج على العرش فى الوقت المناسب لكى يحاول أن يوقف الغزو المرتقب الذى لا يمكن تجنبه بقيادة قمبيز خليفة قورش . فبعد قليل من توليه العرش ، هاجمه قمبيز وقد خانه فانس وهو أحد قواد الجنود المرتزقة اليونانيين وهزم الجيش المصرى فى بلوزيوم (تل الفرما) وسقطت منف ، بعد أن قاوم المصريون بقوة . وكانت هذه الهزيمة كفيلة بتقرير مصير مصر . وترك بعض اليونانيين خدمة الملك المصرى وانضموا إلى معسكر قمبيز وعزل بسماتيك الثالث عن العرش وحكم عليه بالموت ، وتوج قمبيز ملكا على مصر . وخضع له الليبيون وأهل برقة وأصبحت مصر مقاطعة فارسية . وهكذا خضعت مصر للفرس كما خضعت غيرها من ولايات الشرق القديم .

إيران القديم وعلاقته بمصر :

لم تحدثنا الوثائق المصرية فى عصر الدولة الحديثة بالذات عن بلاد فارس ، فقد حارب المصريون كما نعلم حتى وصلوا فى عهد الملك تحوتمس الأول والثالث حتى حدود العراق ، ولكن لم يحاربوا الفرس ، لأنه فى الواقع لم تكن لهم علاقة مباشرة بالفرس أو الميديين وسوف نخطئ إذا قدرنا أن المصريين لم تكن لديهم فكرة عن هذه الشعوب ، أو أنهم لم يدخلوا فى علاقات معهم ، فقد كان المصريون يتجولون أكثر مما نعتقد .

---

(١) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٨٥ .

تكوين أسرة فارسية للمرة الأولى فى مصر (٥٢٥ – ٤٠٥ ق. م) (الأسرة السابعة والعشرون) [1] :

أهم أعمال ملوكها :

مسوت رع – قمبيز (كمبيث)[2] (كموجيه) :

كان أحد القوات اليونانيين من جيش أمازيس قد فر إلى قمبيز ويدعى فانس وهو أحد قواد الجنود المرتزقة اليونانيين الذين كانوا يعملون فى صفوف الجيش المصرى . وأخذ يغريه بمهاجمة مصر ورسم له الخطة ودله على مواطن الضعف فى استحكامات البلاد . ولم تطل حياة الملك المصرى أمازيس ليرى هذا السهوان إذ مات فى العام الذى قرر فيه قمبيز مهاجمة مصر . فسار الجيش تحت قيادة اليونانى الخائن . فكانت أول معركة تقابل فيها جيش قمبيز مع جيش مصر عند بلوزيوم " تل فرما " وبالرغم من استبسال المصريين والمرتزقة اليونانيين الذين كانوا يحاربون فى صفوف الجيش المصرى ، وعلى الرغم من حسن دفاعهم تغلبت عليهم جيوش الفرس . وقد مهد القائد البحرى وقائد الأسطول المصرى " وجاحر رسنت " السبيل للفرس للاستيلاء على مدينة سايس فى غرب الدلتا . ثم حوصرت هليوبوليس حتى استسلمت وارتد الجيش المصرى إلى منف وتحصن فيها فتبعته جيوش الفرس إلى هناك وكان الملك المصرى بسماتيك الثالث قد فر إلى منف ليعتصم فيها . وظهر مدى ضعف الجيش المصرى ولم يستطع الدفاع عن المدينة ، واستولى عليها قمبيز . وذكر هيرودوت أنه عامل بسماتيك الثالث معاملة طيبة فى أول الأمر وأطلق سراحه وأبقاه على رأس الحكم ولكن بسماتيك الثالث حاول القيام بتمرد ضد الغزاة وأن يثير

---

(١) عن حكم هذه الأسرة فى مصر ، راجع : د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ – ٢٩٥ .

(٢) عن كتابة أسماء الملوك الفرس بالمصرية ، راجع : Posener, la Premiere Domination Perse (BdE 11), le Caire 1936, p. 161-163.

الشعور العام ضد الفرس ولكن الثورة فشلت فقبض عليه وأرغم علـــى الانتحـــار أو توفى .

ويبدأ مانيتون تاريخ هذه الأسرة بعام ٥٢٥ ق. م ، أى فى اللحظة التى تـوج فيها قمبيز – ملك الفرس – ملكا على مصر .

وتكونت بذلك الأسرة السابعة والعشرون من ملوك الفـــرس . وقبـــل هـــذه الفترة ، كان المصريون يتمتعون برخاء عظيم ، وذلك خلال فـــترة النهضـــة التـــى عاصروها وساهموا فى بنائها خلال الأسرة السادسة والعشرين ، وكانوا واثقين مـــن تفوقهم فى جميع المجالات حتى أنهم أصيبوا واختلط الأمر عليـــهم عندمـــا غزاهـــم الفرس وقد رفضوا أن يعدوا أنفسهم تحت سيطرة ملك أجنبى ، ولكنـــهم أعلنـــوا أن قمبيز ملك من اختيارهم وهو بذلك ملك شرعى . وقد تمسكوا بأن يتوجـــوه . ملكـــا للوجهين القبلى والبحرى ، وأطلقوا عليه الاسم الحورى والنبتـــى أى المنتمـــى إلـــى المعبودتين " نخبت وواجيت " وسارع أى ابن رع . وأنعموا عليـــه بكـــل الألقـــاب الأخرى المتوارثة والخاصة بالملوك المصريين السابقين ، ومنحوه أيضا اسما مصريا – مسوت رع – " ميلاد رع أى المولود من رع " وحرصوا على أن يصوروه وهـــو يتعبد إلى المعبودات المصرية الرئيسية .(١)

وتأثر قمبيز كثيرا بثراء وثقافة هذا البلد العريق وشعر بنوع من الفخر وهـو يرى نفسه متوجا كملك على الطريقة المصرية . ونرى فى هذا أن – صيت مصـــر الذى كان معروفا فى كافة أنحاء العالم القديم كمهد للحضارة – قد عاش على الرغـــم من كل الكوارث التى حلت بها ، وقد احترم قمبيز معتقدات المصريين .

---

(١) فقد صور الملك قمبيز على لوحة للعجـــل أبيـــس كملـــك مصـــرى ، راجـــع : Posener, op. cit., p. 5 – 6 pl. 3 ؛ كما صور الملك دارا الأول على واجهة ناووس (مقصورة) ملون من الخشب عثر عليه فى تونا الجبـــل داخـــل السرداب الثالث ، ونرى على الواجهة الملك فى منظر مزدوج وهو يرتدى تـــاج الوجهين ويقدم بيده اليسرى العين وجات إلى مومياء قرد داخل ناووس مغلـــق ، راجع : محمد عبد التواب – د. حشمت مسيحه : دليل متحف آثار ملوى ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٣، ص ٣٢- ٣٣ لوحة رقم (٢٢) .

وكان قمبيز أبعد ما يكون من أن يفكر فى نهب البلاد ، فبعد أن تحقق لــه غزو مصر حاول الحد من أساليب السلب والنهب التى اتبعها الجيش الفارسى والتى قاست منها البلاد . ومن المؤكد أن استيلاء الفرس على البلاد لم يمر هكذا بسـهولة وسلام إذ أن نار الحمية الوطنية المغلوبة على أمرها لم تخب تماما تحت الرماد ، فقد قامت الثورات فى بعض الأنحاء . ويؤكد ذلك الوثائق المحلية والمعابد التى أقام فيـها الأجانب وتركوا آثار الحريق فيها .

وقد شاهد سترابون أيضا كثير من الآثار فى عين شمس خاصـة – التى كانت تحمل آثار حرائق الفرس فى المقاصير . وتؤكد البرديات الآرامية التى عـثر عليها فى الفنتين هذه المعلومات عن المقاومة . وهكذا أصبح التاج المصرى من الآن جزءا من الإمبراطورية الفارسية وأصبحت العاصمة منف بعد أن كانت مدينة سـليس فى الأسرة السابقة . وأراد قمبيز أن يستولى على الواحات تمهيدا لغـزو قرطاجـة . فأمر بإرسال جيشا يتكون من خمسين ألف جندى عبر الصحراء الليبية لكـى يحتـل الواحات ولكى يحطم معبد آمون فى واحة سيوة .

فقد كان لواحة سيوة فى ذلك مكانة خاصة لأنها كانت مركز نبوءة اشـتهرت بصدق ما يصدر عن كهنة معبد آمون ، وكانت شعوب العالم القديم تؤمن فـى هـذه الفترة إيمانا شديدا بنبوءات الوحى التى تصدر من بعض المعابد الكبرى ، ومن بينـها نبوءة معبد آمون فى سيوة ، الذى كان يأتى إليه بعض الزوار من بلاد اليونان . وكـان الإغريق يثقون ثقة كبيرة فى نبوءة وحى آمون . فلما سأل الزوار من بـلاد اليونـان كهنة آمون فى سيوة عن قمبيز وغزو الفرس لمصر ، فجاء الجواب بسوء المصـير لقمبيز وفتوحاته وبأن الفرس سوف يرحلون وأن قمبيز سوف يلاقى سوء المصـير ، ولهذا السبب أرسل قمبيز جيشه للانتقام من كهنة هذا المعبد ولهدمه وتلقيـن هـؤلاء الكهنة درسا قاسيا ويثبت للعالم أجمع عدم صدق هذه النبوءة ، فأرسل إليهم تلك الحملة لتدمير المعبد وأسر كهنته وخرجت الحملة من طيبة ووصلت إلى الواحات الخارجيـة وأخذت ما يلزمها من مؤن وأدلاء ، وغادرت الخارجة فى طريقها إلى سيوة ولكن لم يصل جندى واحد إلى سيوة أو يعد منها إلى الخارجة .

ويقص علينا هيرودوت قصة هذه الحملة ويقول أن عـــدد جنودهـا كـان خمسون ألفا (ربما كان هذا العدد مبالغ فيه بعض الشئ) . وكان هيرودوت قـد زار مصر بعد خمسة وسبعين عاما تقريبا من هذا الحدث . ويزيد قائلا أن كهنة آمون فى سيوة سئلوا فيما بعد ذلك عن مصير هذا الجيش فقالوا أن المعبود آمون انتقـم مـن أعدائه وأرسل عليهم لعنته وغضبه وانتقامه . فبينما كان هذا الجيش فـى منتصـف الطريق هبت عليه عاصفة رملية شديدة ردمته ودفنته جميعا . وما يزال مصير هـذا الجيش سرا من أسرار الصحراء الغربية حتى الآن . وقـد حـاول الكثـيرون فـى عصرنا الحاضر البحث عن آثاره مستخدمين كل المعدات والوسائل الحديثـة ولكـن دون جدوى . وهو ما زال دفينا تحت ركام الرمال المتلاحقة والمتراكمة عـبر آلاف السنين . ويمكن القول بأن هذه الحملة قد تعرضت لكثير من المصاعب بسبب قسـوة الصحراء فيما بين الواحة الخارجة وسيوة .[١]

وكان قمبيز يفكر فى حملة ثانية على قرطاجة تلك المملكة التجارية الشـهيرة والتى كانت تتمتع بالثراء المادى وبعد أن أصيب بالفشل وهلك معظـم جنـوده فـى حملته الأولى على معبد الوحى فى سيوة ، رفض البحارة الفينيقيـون فـى أسـطوله الاتجاه إلى غزو قرطاجة التى أسسها أبناء جلدتهم وأهلهم مـن بنـى جنسـهم مـن الفينيقيين وكان الفينيقيون من أهل قرطاجة قد رفضوا إمداد قمبيز بالسفن لضمها إلـى أسطوله .

ولما رفض الفينيقيون فى أسطول قمبيز مهاجمة قرطاجة حاول إرضائهم بالعدول عن فكرة مهاجمة قرطاجة نظير قيامهم بتأدية ما عليهم من التزامات نحو جيشه ووقوفـهم معه والوفاء له .

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٣٤ ؛ المؤلف نفسه : واحات مصـر (ترجمة د. جاب الله على) ، سلسلة الثقافة الأثريـة والتاريخيـة، ١٩٩٣، ص ١١٠ - ١١١ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٦ .

أما الحملة الثالثة فقد كان نصيبها الفشل أيضا . فقد قاد قمبيز بنفسه الجيش[1]، وصعد النيل بغرض ضم مملكة نباتا الكبيرة (كوش) (السودان وإثيوبيا) والتي خرج منها ملوك الأسرة الخامسة والعشرين وكان ذلك فى علم ٥٢٤ ق. م . وكان يطمع فى ثروات هذه المملكة من ذهب وغيره . ولكن حلت المتاعب بهذه الحملة أيضا بسبب نقص المؤن ولأن الكوشيين انسحبوا نحو الجنوب فلاقى الجيش الفارسى (أهوالا كثيرة) ولم يتمكن من الوصول إلى مروى وفقد الكثير من رجالها بسبب صعوبة الطريق وقلة الزاد والظمأ مما اضطر قمبيز إلى العدول عن مشروعه هذا . وربما أصيب بهزيمة كبيرة على أيدى ملوك نباتا أو عناصر موالية لهم .

وبعد هذه الحملات الثلاث الفاشلة ، غير قمبيز من سياسته تجاه مصر والمصريين ، وبدأ يفقد صوابه ، كما بدأت فى مصر بوادر العصيان لأوامره والاستخفاف بحكمه فعدل عن سياسة التساهل والتسامح وأخذ يصب جام غضبه على المصريين . وتقص علينا الروايات التى انتشرت فيما بعد فى العصور التالية ، مدى القسوة التى عامل بها المصريون ، وينسب هيرودوت هذه القسوة إلى قمبيز نفسه ويبد أن ذلك قد بنى على حقيقة مؤكدة ، ومن المحتمل أيضا أن الملك الفارسى كان مسئولا عن بعض هذه الأعمال ، على الرغم من أن الأمر لم يكن كذلك فى بداية حكمه . ويقال أنه أصيب بلوثة عقلية[2] . وذلك ما يبرر إلى حد ما مثل هذه التصرفات القاسية . فقد كره المصريين واحتقر معبوداتهم الدينية وهدم الكثير من المعابد بل ووصل به الأمر كما ذكر المؤرخون اليونان إلى أنه طعن بخنجره العجل أبيس المقدس أثناء أحد الاحتفالات الدينية فى منف لكى يبين إلى أى مدى كان يكره

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٣ .

عبادة الحيوانات ، على أنه بهذا التصرف ظهر بمظهر المتعصب أكثر من أن يكـون مختل العقل .

وكان يقيم في الفنتين في ذلك الحين عدد كبير من المرتزقة اليهود[١] ويقص علينا – وجاحررسنت – كيف كانت سياسة قمبيز معتدلة في بداية حكمه – وعمل قائد الأسطول " وجاحررسنت " على إظهار عظمة مدينة سايس للملك الفارسي .[٢] وقـد شكا لجلالته عن إقامة الأجانب في معبد المعبودة نيت معبودة سايس، فأصدر جلالتـه الأوامر" بإخلاء المعبد منهم ، كما أمر جلالته بهدم منازل المرتزقة من جيوش الفرس والتي أقاموها بجوار المعبد . وأعيد إلى المعبد مظهره وأعاد كل موظفيـه وكهنتـه وخدمه ، وجدد أعياده واحتفالاته . وزار قمبيز بنفسه مدينة سايس ودخل المعبد وأدى الطقوس إلى المعبودة نيت . وقدم القرابين كما كان يقدمها إلى الملوك السابقين .

ووصلت إلينا بعض البرديات الديمقراطية – من إقليم أسيوط منها ما يشـير إلى أنه في السنة الثامنة من حكم قمبيز ، كانت هناك قوائـم بكميـات مـن النبيـذ والزيوت مخصصة لكل من رئيس كهنة الإقليم وحاكمه وتصرف شهريا .[٣]

وانتهى الأمر ، بأن كره المصريون قمبيز في آخر أيامه ، وشعروا بارتيـاح كبير عندما غادر البلاد وعهد بحكم مصر إلى " ارياندس " وهو أحد أقربائـه الـذي استقر في منف .[٤] وفي بداية حكمه اضطر ارياندس إلى القضاء علـى ثـورة فـي قورنيه .

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٢٧ .

(٢) Posener, op. cit . ,p. 164 – 171.

(٣) Sottas, ASAE 23 (1923), p. 34 – 46.

(٤) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 111.

ستوت رع – دارا الأول (تاروشا) (داريوش) :

خلف قمبيز ولده – دارا الأول – الذى حكم مصر بدون صعوبة ، وتوج دارا ملكا عن طريق التفويض . وجاء إلى مصر عام ٥١٧ ق. م .

وعند مجيئه إليها استقبل بحفاوة كبيرة ، فوصل إلى منف ، واستطاع أن يستميل الشعب المصرى إليه . ودعا إلى ضرورة إعادة تنظيم البلاد من الناحيتين الإدارية والقانونية . وقد حاول أيضا أن يظهر احترامه للديانة المحلية فأمر بدفن – العجل أبيس – على الطريقة التى كان يتبعها ملوك مصر ، واتخذ لقب " فرعون " أمام اسمه .(١)

وأراد دارا أن يتبع السياسة التقليدية للملوك المصريين الوطنيين ، فأعطى الأوامر بترميم المعابد المهدمة ، وأعاد للكهنة كافة حقوقهم التى كانت قد ألغيت وأن تحدد أنواع القرابين المقدسة التى توقف إمداد المعابد بها فى ذلك الوقت .

وكان أول أهدافه فى مجال السياسة الداخلية هو العمل على – إعادة حفر قناة تربط بين البحر الأحمر والنيل – وكان من دوافع هذا المشروع تيسير وصول سفن الجزية إلى بلاد فارس . ومساهمة تلك القناة فى تنشيط التجارة البحرية مع بقية بلاد الشرق القديم . ذلك المشروع الذى بدأه الملك نكاو فى الأسرة السادسة والعشرين لتنظيم موارد البلاد الاقتصادية ودخلها . وحاول إبراز أهمية النيل التجارية . وفى الواقع أن دارا كان أكثر الملوك حاجة إلى هذا الممر المائى الذى يسمح له بالاتصال بالعاصمة التى تقع على الخليج الفارسى ، ولتسهيل التجارة مباشرة بين مصر وبلاد الهند .

وهكذا قام دارا بإعداد الممر المائى فى حوالى عام ٥١٨ ق. م. كما يدل على ذلك الخمس لوحات الكبرى التى أقامها بطول القناة تخليدا لذكرى هذا العمل.(٢)

---

(١) Gauthier, LR 1V, p. 441.

(٢) قام بوزنر بترجمة ثلاث لوحات من هذه اللوحات ، راجع :

وتحدثنا نقوش هذه اللوحات عن كيفية شق القناة وكيف تم تنفيذها . ويقول نص إحدى هذه اللوحات : " أنا ، الفارسى من بلاد فارس – لقد استوليت على مصر – وأعطيت الأمر بحفر هذه القناة من عند النهر المسمى بالنيل ، والذى يجرى فى مصر حتى البحر الذى يخرج من فارس " . " وعندما انتهى من هذا العمل كان هناك أسطول من ثمانين (أو اثنين وثلاثين) سفينة محملة بالجزية سارت فى النيل ، وعبرت هذه القناة واتجهت نحو البحر الأحمر لكى تصل إلى فارس " .

وقد طهرت هذه القناة عدة مرات ولكنها ردمت مرة أخرى ولم يتم تطهيرها ثانية إلا فى عصر البطالمة .

وأثناء حكم دارا لمصر كان الرخاء والازدهار يعم البلاد عندما زارها هيرودوت . وقام دارا بعدة مشروعات ، فقد حاول اتباع سياسة أكثر مرونة فى مصر ويبدو أنه أراد أن يستأنس برأى قائد الأسطول السابق وجاحررسنت فاستدعاه إلى فارس . فأشار عليه بعدة أمور أمر بتنفيذها ، ومنها إعادة النظر فى القوانين الصارمة وإلغاء ما أصدره قمبيز من قوانين تقضى بمصادرة أملاك أكثر معابد مصر وأظهر احتراما كبيرا للمعبودات المصري ، وأمر بتقديم القرابين للمعبودات المصرية وخاصة العجل أبيس الذى كان لعبادته أهمية كبرى فى منف فى ذلك العصر .[1] كما أعطى الأوامر بترميم المعابد وإصلاح ما تهدم منها ومن مقاصيرها. وسار على سنة ملوك مصر السابقين فى إقامة المعابد الجديدة . كما قام بإرسال البعثات لقطع الأحجار من وادى الحمامات ويذكر رئيس الأعمال " خنوم ايب رع "

Posener, op. cit., p. 48 – 87, 180 – 181; Kent, Old Persian = Texts, JNES I (1942), p. 413 – 423; Cameron, JNES 2 (1943), p. 307 – 313 .

وأيضا د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٢٢ – ٩٢٣ ، ٩٤٤ – ٩٤٥ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٢٥ – ٤٢٦ ، ٤٣٥ .

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٥ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٤٣ ، ٩٤٩ .

الذى خدم تحت حكم الملك أمازيس حتى دارا ، أن تلك الأحجار كـــانت مخصصـــة لمعابد المعبود مين وحورس وإيزيس بمنطقة قفط وآمـــون ومـــوت وخونســو فـــى طيبة .[١]

وقام دارا بإصدار أوامره لترميم دار الحياة المتهدمة فى معبد المعبودة نيـت فى سايس – الذى كان اشبه بمركز طبى ومدرسة للطب – وقد أصدر هذا الأمر إلـى وجاحررسنت قائد الأسطول السابق وكان فى ذلك الوقت فى بلاد فارس فـأمره دارا بالعودة إلى مصر للإشراف على إنجاز كل الأعمال . وجاء على تمثال وجاحررسنت ما يأتى :

" بينما كان جلالته دارا فى عيلام ، كان ملكا عظيما علـى كـل الأقطـار الأجنبية وحاكما عظيما على مصر – أصدر أوامره لى بالعودة إلـى مصـر وذلـك لترميم دور الحياة المهدمة والتى ترعى الطب " ، " لقد جاء بى الأجانب من بلد إلـى أخرى حتى وصلت إلى مصر ، كما أمر سيد الأرضين ، وقد نفذت كل ما أمر بـه الملك ، لقد زودتها بكل الموظفين ، من أبناء الرجال البارزين ، ولم يوجد بينهم ابـن رجل فقير " ، " لقد جعلتهم يشرفون على كل رجل متعلم حتى يتعلموا كل المـهن . وأمر جلالته بأن يعطى له (دور الحياة) كل شئ حسن . وتدربوا على كل مهنـهم ، وقدمت لهم كل شئ مفيد . وكل الأدوات التى أشير إليها فى المخطوطات ، كما كـان يجرى من قبل ، وقد فعل جلالته ذلك لأنه يعرف فضل هذا العلم (الطـب) لإنقـاذ الناس المرضى " .[٢]

---

(١) Posener, op. cit., p. 99 – 100.

(٢) Posener, op. cit., p. 170; Gardiner, JEA 24 (1938), p. 157 – 158; Jonkheere, les Medecins de l'Egypte Pharaonique, p. 32 – 33.

وكان دارا يحمل لقب " ابن المعبودة نيت " معبودة سايس ، وذلك مما يدل على أن ملوك الفرس قد تلقبوا بألقاب ملوك الأسرة السادسة والعشرين . وجاء هذا اللقب على لوحة عثر عليها فى تل المسخوطة وهى الآن بالمتحف المصرى . وهى تسجل اجتماع الملك دارا ببعض النبلاء وتشير إلى شق القناة بين النيل والبحر الأحمر . وقد أتم دارا معبد المعبود آمون فى الواحات من الحجر الرملى على غرار المعابد المصرية ذلك المعبد الذى بدأ فى تشييده أمازيس .[١] وعثر على آثار أخرى لدارا فى أبى صير بالدلتا ، كما عثر على اسمه على بعض الكتل المعمارية فى الكاب[٢]، وعثر له فى عام ١٩٧٢ على تمثال له فى سوس بواسطة بعثة الحفائر الفرنسية التى تعمل هناك منذ عام ١٩٠٠ ، وهو تمثال مغطى بنقوش كتبت بالخط الهيروغليفى يحدثنا فيها دارا عن حكمه وعن شعوب الإمبراطورية الفارسية التى أخضعها وكان أول من ذكرها مصر (وقد تحدثنا عن ذلك التمثال فيما سبق ، ص ٩١) .

وكان دارا قد أصدر أوامره بإصلاح القوانين وكتبت نسخة من هذه الإصلاحات بالديموطيقية ونسخة أخرى على البردى بالخط المسمارى[٣]، ويقول الملك فى هذا التشريع : " تحت رعاية اهورامازدا ... اننى أحب الحق وأكره ما ليس بحق . فلن يحدث أن يسئ عبد لأى مواطن أو يسئ أحد لعبد . أنننى أحب الحق وأكره كل من يقر الكذب اننى لا أغضب ولا اكظم غضبى ، واننى لا أثق فى كل من يتحدث ضد العدالة". وأمر كذلك بأن يستدعوا له حكماء البلاد من بين المحاربين والكهنة والكتبة ، الذين اجتمعوا فى دور العبادة ، وطلب منهم أن يكتبوا التشريعات القانونية الصالحة لمصر . وكان لدى الجالية اليهودية بردية تحمل تاريخ حياة دارا بالآرامية .

---

(١) Davies, Hibis, p. 17 pl. 13; PM V11, p. 282 (71).

د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .

(٢) Clarke, JAE 8 (1922), p. 27 – 28.

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٤٣ ، ٩٤٥ .

ومن الوثائق الهامة فى ذلك العصر بردية كتبت بالديموطيقية عثر عليها فى قرية الحيبة مركز الفشن بمحافظة بنى سويف ، تتضمن شكوى كتبت فى السنة التاسعة من حكم دارا بواسطة أحد كتبة بيت الحياة وهو " بتزيس " الذى كان يشكو من ظلم وقع عليه وعلى عائلته من كهنة آمون بالحيبة ، وعرض فيها سلالته خلال أربعة أجيال مليئة بالاغتيالات والسجن والتعذيب فهو يرجع الأحداث إلى أيام الملك بسماتيك الأول فى بداية الأسرة السادسة والعشرين . وكان يشكو من أن أعداءه وكانوا من مختلف الشخصيات وكانوا على صلة ببعض ذوى السلطة والنفوذ فى الدولة وكان هؤلاء يحاولون تجريد عائلة بتزيس من كل حقوقها .

ورحل دارا عن مصر وترك ارياندس حاكما عليها الذى قام بصهر عملات ذهبية باسم دارا وباع سبائكها فاضطر دارا إلى عزله وعين مكانه " فراندتس ".[١]

ويذكر ديودور الصقلى أنه على الرغم من المعاملة الحسنة من حكام فارس الجدد للمصريين إلا أن المصريين قد تحملوا بنوع من الصبر ملوك فارس ، فقد لاحظوا أن ثروات البلاد تنقل إلى بلاد فارس ، ففى نصوص محاجر وادى الحمامات ذكر أن الأحجار التى كانت تقطع هناك تستخدم لصالح ملوك الاحتلال الفارسى .

وقام المصريون بثورة فى الدلتا فى حوالى عام ٤٨٦ ق. م . وكان سبب الثورة هو فداحة الضرائب . وهناك إشارة فى بعض الخطابات إلى استيلاء الثوار على شحنة سفينة محملة بالغلال لصالح المحتل الفارسى.[٢] ولكن دارا توفى قبل أن يستطيع القضاء على هذه الثورة . وكان دارا قد ترك حامية فى منف وفى مكانين آخرين للمحافظة على الأمن .

---

(١) Milne, JAE 24 (1938), p. 245 – 246.

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٤٨ .

أكسركسيس الأول (خشايارشا)[١] **(أو أخشويرش) :**

ابن دارا ، الذى جاء إلى مصر كخليفة له فى عام ٤٨٤ ق. م . وكــان أول عمل قام به فى مصر هو إخماد الثورة التى كانت قد اندلعت فى الدلتا . ومن ناحيــة أخرى لم يستسلم المصريون لليأس . ولم يول مصــر الرعايــة المطلوبــة ، نظــرا لانشغاله بحملاته ضد اليونانيين على الرغم من أنه كان يستخدم فى حروبــه الســفن والفضة والرجال من مصر . ويحكى أن مصر قد تعرضــت طــوال فــترة حكمــه لاضطهاد كبير . وفى عصره أعيد استغلال محاجر وادى الحمامات بواسطة " ايتــى واهى ".[٢] وفى هذه الفترة أيضا قتل الحاكم فراندتــس وعيــن أكسركســيس أخــاه أخمينس بدلا منه ، وقام أكسركسيس بفرض الضرائب الباهظة على مختلف الولايـات التى كانت خاضعة للإمبراطورية الفارسية ومن بينها مصر . ولم يعثر له على نقوش رسمية فى مصر ولكن ذكر اسمه فقط على بعض الأوانى من المرمر وصف فيــها بأنه " الفرعون العظيم " .

أرتاكسركسيس الأول (أرتاخشاشا) :

عندما تولى الحكم فى مصر عام ٤٦٤ ق. م . لم يترك إلا آثار قليلة تخلــد سيطرته على وادى النيل ، ولا نعرف الحالة العامة التى وصلت إليــها البــلاد فــى عهده . وعثر على اسمه منقوشا على أربع أوان وصف عليـــها بلقــب " الفرعــون العظيم ".[٣]

وفى هذه الفترة زار العديد من الرحالة والمؤرخين الإغريق مصر . وأقــام أناروس وهو من سلالة ملوك سايس فى غرب الدلتا مملكة على الليبيين من ماريــا . وقام المصريون بثورة جديدة بزعامة أناروس وطبقـــا لنــص مــن محــاجر وادى

---

(١) Gauthier, LR 1V, p. 150 – 152.

(٢) Posener, op. cit ., p. 120.

(٣) Couyat – Montet, Ouadi – Hammamat, p. 61, no. 89.

الحمامات نجد أن الذى ساعده فى إشعال هذه الثورة هو " أميرتى " وهو أمـير مـن سايس أيضا.[١] وكان أميرتى حليفا لليونانيين ، وقام أناروس بإمداد الثوار بأسـطول كبير كان متجها إلى قبرص ، ثم عدل مسيره إلى مصـر ، وقتـل الثـوار الحـاكم الفارسى على مصر أخمينس وأرسلت جثته إلى أرتاكسركسـيس الأول . واسـتولى الثوار على منف ، وهزم الفرس الذين تحصنوا فيها .[٢] وقام أناروس كذلك بطـرد بعض اليونانيين الموالين للفرس من منف إلى الإقليم الرابع من أقاليم الوجه البحرى . وحدد إقامتهم فى هذا المكان لمدة عام ونصف . وفر القليل منهم إلى برقة واستسـلم الباقون وخضعوا لأناروس . وكان أميرتى يدير الثورة مـن جزيـرة صغـيرة فـى مستنقعات الدلتا هى " اليو " .

وهكذا نجح المصريون فى هزيمة الجيش الفارسى بفضل مساعدة اليونـانيين والأسطول اليونانى لكن هذا النصر لم يستمر طويلا ، فبعد ثمانية عشر شهرا من هذا الانتصار المحلى ، جاء حاكم جديد هو أرسامس ومعه قوات كبيرة من سفن فينيقيـة وقوات واستأنف الفرس القتال ، ونجحوا فى هزيمة المصريين . وأخذ أناروس إلـى سوس وكذلك بعض القادة اليونانيين وحكم على أناروس بالإعدام . وهـزم أسـطول الإمدادات اليونانى بواسطة البحارة الفينيقيين . واضطرت العناصر الإغريقيـة إلـى الانسحاب ، فى حين نجح أميرتى فى الاستمرار فى ثورته والبقاء فى الدلتا .

وسقطت بقية مصر من جديد تحت قبضة الفـرس ولكـن ظلـت بعـض الاضطرابات موجودة فى البلاد . فقد عين هيدارنس محافظـا للألفنتيـن ووجـد أن الفرصة سانحة للثورة ، وعاونه بعض الجنود المصريين والكهنة وقاموا بهدم معبـد اليهود الذين استغاثوا بحاكم يهوذا باغوسس لكنه لم يهتم بعمـل أى شـئ لإصـلاح معبدهم ، ولم يهتم أرسامس بفعل شئ ما أيضا . وجاء بعض زعماء الجالية اليهوديـة

---

(١) Id., op. cit., p. 61 no. 89.

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٦ .

ليقدموا التماسا إلى الحاكم المحلى فى طيبة فقبض عليهم وألقوا فى السجن .[١] وجاء بعد ذلك خمسة ملوك وهم : سغنديانس (لا نعرف عن حكمه أى شئ) دارا الثانى (أنتروشا) أرتاكسركسيس الثانى ، أرتاكسركسيس الثالث ، دارا الثالث - قودمان .

دارا الثانى (انتروشا) - مرى آمون رع :

تولى الحكم فى مصر عام ٤٢٤ ق. م. ولم ينجح فى إعادة الهدوء إلى البلاد إلا عندما بدأ يطبث سياسة أكثر مرونة تجاه المصريين . وفى عام ٤١٤ ق. م. حدثت ثورة وطنية جديدة وكان يرأسها شخص يدعى أميرتى (ربما كان حفيد أميرتى السابق) لكن قوة الجيش الفارسى بدأت فى الضعف فى تلك الفترة ودخلت مرحلة أخرى من التدهور وتوفى دارا الثانى ، وتنسمت مصر الحرية وتمتعت بالاستقلال لفترة من الزمان ، فبعد عشر سنوات من اندلاع الثورة أى عام ٤٠٤ ق. م. نالت مصر استقلالها .

وتوفى دارا الثانى بعد أن حكم أكثر من سبعة عشر عاما .[٢] ويعد دارا الثانى آخر ملوك الأسرة السابعة والعشرين ، وكان عددهم طبقا للقائمة أوسب وافريكانوس يبلغ ثمانية ملوك[٣] ، ولم تذكر منهم سوى خمسة لأننا لا نعلم شيئا عن رابع ملوك الأسرة (ارتامانوس) . وجاء ذكر اسم الملك دارا الثانى على بعض البرديات الآرامية التى عثر عليها فى خرائب الفنتين[٤] ، وتذكر أن حرق المعبد اليهودى فى الفنتين حدث فى العام الرابع عشر من حكم هذا الملك .[٥]

---

(١) Cowley, Aramic Papyri no. 30-31

وأيضا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩١ .

(٢) Parker, Persian and Egyptian Chronology, p. 290.

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٤٢ .

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٦٢٠ - ٦٢١ .

(٥) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٤٤ .

الوضع فى مصر قبل مجئ قوات ارتاكسركسيس الثانى لغزوها :

قامت الأسرة الثامنة والعشرين فى مصر وحكم فيها ملك واحد هو أميرتى (الثالث) الذى كان أميرا على سايس ، وقد يكون من سلالة ملوك الأسرة السادسة والعشرين . وعن طريقهم أصبح له الحقوق الشرعية للحصول على السلطة . وعلى الرغم من آخر حكام دارا الثانى ، قد اتبع سياسة أكثر مرونة وأقل رعونة فى مصر ، إلا أن المصريين لم يجدوا غير سبيل استمرار الكفاح بديلا ، ونرى أميرتى يقوم بثورة ضد الفرس ، انفجرت فى عام ٤١٠ ق. م . ولا نعرف تفاصيل هذا الصراع ، وقامت ثورة فى الدلتا وامتدت لهيب هذه الثورة إلى الصعيد غير أنه فى عام ٤٠٤ ق. م . وبعد صدام دام ست سنوات نالت مصر حريتها ، واستقلالها من جديد وتوج أميرتى ملكا على مصر كلها . وجاء ذكر أميرتى على بعض البرديات الديموطيقية.(١)

وبعد ذلك قامت الأسرة التاسعة والعشرين وكان ثانى ملوكها هكر ، الذى تولى العرش عام ٣٩٢ ق. م . وعمل على اتباع سياسة أكثر نشاطا فى الخارج فى آسيا ، وأدخل ضمن قواته حوالى عشرين ألفا من المرتزقة اليونانيين لكى يدافعوا عن مصر فى حالة تجدد الهجوم من جانب الفرس . وبفضل هؤلاء المرتزقة نجح فى تفادى غزو جديد لمصر . فقد تعرضت مصر فى عهد هكر " أخوريس " للهجوم الفارسى واستنجد إقليم سويد فى شرق الدلتا بالملك هكر ، واستمرت الحرب نحو ثلاث سنوات من عام ٣٨٠ إلى ٣٨٣ ق. م . وانتهت بانسحاب الغزاة .

أرتاكسركسيس الثانى (اردشير الثانى منمون) :

بدأ يوجه أنظاره إلى مصر لاستعادة سيطرة الفرس عليها . وفى الوقت الذى غزا فيه الفرس قبرص كان الملك نختنبو الأول قد اعتلى عرش مصر وأسس الأسرة الثلاثين وهى آخر الأسرات المصرية الوطنية المستقلة . وكان هناك أحد

---

(١) Gauthier, LR 1V, p. 159.

القواد الآثنيين ويدعى شابرياس يقوم بتدريب البحارة المصريين وقام بعمل عدة استحكامات بين الفرع البلوزى للنيل ومستنقعات سيربونيا . وظلت هذه التحصينات معروفة حتى العصر الرومانى باسم " استحكامات شابرياس "[١] وبعد فترة استدعت أثينا قائدها شابرياس فاستغل ارتاكسركسيس الثانى الفرصة لمهاجمة مصر وسوريا فأعد جيش قوامه مائتا ألف رجل ، يضاف إليهم عشرون ألفا من المرتزقة اليونانيين تساعدهم خمسمائة قطعة من الأسطول البحرى .

ويبدو أن نختنبو قد اتبع سياسة جديدة فى بداية حكمه وهى التخلى عن مخالفة الإغريق . واضطر إلى الاستعانة بهم لمواجهة العدو الذى بدأت قواته فى مهاجمة الدلتا . فقام بختنبو بسد مصاب النيل السبعة وشيد أمام كل مصب حصنا منيعا . وقام بتحصين بلوزيوم وحفر الخنادق حول المدينة ، ووضع الحاميات القوية التى كانت تتخذ أماكنها فى حصون الحدود .

وكان الجنود الفرس تحت قيادة مشتركة من قائد فارسى يسمى فارنابازوس قائد يونانى يدعى أيفكراتس . وكان فارنابازوس حاكما على سوريا وتولى قيادة القوات الفارسية . وقد رأى أنه من الصعب الاستيلاء على بلزيوم نظرا لتحصيناتها القوية ولذلك اتجه إلى مصب مندس . وهناك اخترق صفوف الجيش المصرى وأنزل ثلاثة آلاف لمهاجمة الحصون ، ودافع المصريون بشجاعة ولكن فارنابازوس استطاع الانتصار عليهم وهدم المدينة وأسر العديد من الجنود . وعندما رأى القائد اليونانى ايفكراتس تطور الأمور أمر سفن الأسطول بالتقدم فى النيل للاستيلاء على منف[٢] ، ولكن فارنابازوس الفارسى رفض التقدم واستاء المصريون من هذا التأخير ، وقاموا بتحصين منف .

---

(١) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 112.

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٥٩ .

وعندما تقدم الجيش الفارسى لمحاصرتها لم يستطع الاستيلاء عليها وعـــاد فارنابازوس إلى آسيا وايفكراتس إلى أثينا .[١]

وهكذا نجت مصر للمرة الثانية من سيطرة الفرس ، كما حدث فـــى المــرة الأولى أيام حكم هكر " آخوريس " والهجوم على إقليم سوبد وشيد مقصـــورة هنـــاك ونقش عليها أخبار هذا الانتصار .

سعى تيوس ابن نختنبو الأول إلى عقد معاهدات مع أثينا وأسبرطة وبفضـــل المرتزقة من أثينا وأسبرطة الذين اعتمد على مساعدتهم أصبح على رأس جيش قـوى قوامه ثمانون ألف جندى مصرى وعشرة آلاف من المرتزقة اليونانيين ، وقوة مكونة من ألف جندى من أسبرطة وأسطول تبلغ قوته أكثر من مائتى سفينة .[٢]

ويذكر ديودور الصقلى – أن اجيسيلاوس ، ملك اسبرطة ، جاء إلى مصـــر على رأس ألف من المحاربين لمعاونة تيوس ، وجاء معه شابرياس القـــائد اليونـــانى الذى كان موجودا فى مصر من قبل . وشكل تيوس جبهة وطنية وأســطولا منظمـــا وعزم على التقدم نحو سوريا لمقابلة جيوش أرتا كسركسيس الثـــانى فـــى فينيقيـــا . ووضع على رأس المرتزقة اليونانيين أجيسيلاوس ، وقام شابرياس بقيادة الأســـطول المصرى ووضع تيوس ابن أخيه نخت حرحبيت على رأس الجنود الوطنيين ، وتقـدم تيوس عبر برزخ السويس وتقدم أرتاكسركسيس الثانى لمقابلة الجيش المصرى فـــــى فينيقيا . وفى الواقع أن مصر كانت غير قادرة على مثل هـــذا الاســـتنزاف الحربـــى ولمثل هذه التضحية لتأمين حدودها ، وقد انتهز شقيق الملك الذى كـــان يتولـــى إدارة البلاد فرصة غضب المصريين على تيوس نتيجة لفرض الضرائب الباهظـــــة علـــى الشعب . وأعلن الثورة وتولية ابنه نخت حر حبيت ملكا على العرش الذى كان علـــى رأس الجنود الوطنيين فى سوريا وأعلن عصيانه هناك . وفر القائد اليونانى شابرياس إلى أثينا ، وعندما شعر تيوس أن البلاد فى أيدى الثوار فقد صوابه ، ولجأ إلى ملـــك

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٤١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤٢ ؛ Daumas, op.cit., p. 112

الفرس بعد أن مكث فترة فى صيدا ، وطلب العفو من ارتاكسركسيس الثانى الذى عفا عنه فى عام ٣٥٩ ق. م.[١] وعينه قائدا للجيش ، وأراد أرتاكسركسيس الثانى أن يرسله إلى مصر كوالى له ولكنه توفى فى الطريق ، أو فى بلاد فارس نفسها .

وهكذا تعرض تيوس للخيانة من جانب أخيه الذى كان قد تركه فى مصر وعاد أجيسيلاوس إلى أسبرطة فكان هرما وحاد الطباع . وقد اختلف مع الملك المصرى وأيد الثورة التى اندلعت فى مصر ضد تيوس ، وأحدثت تلك الثورة انشقاقا كبيرا فى صفوف الجيش المصرى .

وكان على نخت حرحبيت أن يترك الحملة فى سوريا ويعود إلى مصر وقد توج بالفعل ملكا على البلاد فى عام ٣٥٩ ق. م . وهو الذى عرف باسم نختنبو الثانى . وهو يعد آخر الملوك الوطنيين وحكم لمدة ثمانية عشر عاما .

وأدت المشاكل التى اندلعت فى القصر الملكى فى بلاد فارس فى نهاية حكم ارتاكسركسيس الثانى إلى تمتع نختنبو الثانى بنوع من الاستقرار .

تكوين أسرة فارسية للمرة الثانية فى مصر (٣٤١ - ٣٣٢ ق. م) :

الأسرة الحادية والثلاثون :

بدأ الفرس يفكرون فى غزو مصر مرة أخرى عندما تولى حكم فارس :

أرتاكسركسيس الثالث (أردشير الثالث) :

حاول استعادة مصر . وجاء لغزوها عام ٣٥١ ق. م .[٢] واستعان نختنبو الثانى بالمرتزقة اليونانيين ولم يستطع ارتاكسركسيس الثالث - أخوس أن يقضى على قوات نختنبو الثانى وذلك بفضل حسن تصرف القائدين " ديوفانتوس " من أثينا وليمياس من أسبرطة . واستطاع نختنبو الثانى أن يصد هذا الهجوم . ولكن بعدها

---

(١) Daumas, op. cit ., p. 112.

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٤٣ .

بعشر سنوات وفى عام ٣٤١ ق. م . بدأ يعد العدة لغزو مصر من جديد ، وأخذ يهاجمها عن طريق البر والبحر بمعدات هائلة بالنسبة للعصر .

وكان نختنبو الثانى لا يمتلك فى ذلك الوقت سوى مائة ألف رجل واستعان بالمرتزقة من أسبرطة وأثينا . ولم تكف شجاعة المرتزقة الإغريق فى الحد من تقدم الجيش الفارسى ، وكان أرتاكسركسيس الثالث قد جمع كل هذه الأعداد من المرتزقة من بلاد اليونان ووصلوا إلى الدلتا عند بلوزيوم (الفرما) وكان يقوم بالدفاع عنها القائد فيلوفون ومعه خمسة عشر ألف جندى من اليونان ، ولم يستطع أرتاكسركسيس الثالث أن يخترق استحكامات بلوزيوم .[1]

حشد نختنبو الثانى حوالى عشرين ألفا ومثل هذا العدد من الليبيين وستين ألفا من المصريين لوقف تقدم الفرس فى محاولتهم غزو الدلتا . لكن الأسطول الفارسى استطاع أن يدخل مصاب النيل واستسلمت المدن المصرية الواحدة بعد الأخرى وعندما رأى المرتزقة اليونانيون ذلك الموقف ، غيروا المعسكر وساعدوا أرتاكسركسيس الثالث للاستيلاء على بلوزيوم ، تلك المدينة التى كانت تحمى شرق الدلتا وبوباست وبعد ذلك استسلمت له خشية أن تتعرض لمصير صيدا وتراجع نختنبو الثانى إلى مصر العليا ، ونجح فى أن يقاوم هناك لمدة عامين أيضا . وفى السنة الثامنة عشرة من حكمه أى من عام ٣٩١ توج كملك فى أدفو ، بعد أن بايعه الكهنة والأهالى ولكن الفرس بقواتهم الهائلة استطاعوا إخضاع مصر كلها ، ولا نعلم شيئا ما عن نهاية نختنبو الثانى ، فقد اختفى أثره ، وأصبح بطل أسطورة يرددها الشعب .

اختلف المصريون مع اليونانيين على شروط التسليم للفرس ، وكان الغزو الفارسى الثانى أصعب بكثير من الغزو الأول ، فقد تعرضت البلاد فى هذه المرة للسلب والنهب . وهدمت دور العبادة ، وانتهكت حرمتها ، ونهبت تماثيل معبوداتها ونقلت إلى فارس ، وطعن ارتاكسركسيس الثالث العجل أبيس المقدس وللسخرية من

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٥ .

المصريين وضع مكانه حمارا[١]، وقام بذبح كبش منديس المقدس ، النموذج الحي للمعبود . ونفى بعض الأمراء المصريين إلى بلاد فارس . وعاد أرتاكسركسيس الثالث إلى بلاده بعد أن أسس أسرة فارسية للمرة الثانية لحكم مصر هو وخلفاؤه إرسس ودارا الثالث كودمان الذى يعد آخر الملوك الفرس ويرى بعض العلماء أن هؤلاء الملوك يكونون الأسرة الحادية والثلاثين فى مصر .

ولا نعرف عن حكم أرسس لمصر أى شئ . وكل ما نعرفه أن حكم ارسس ودارا الثالث – كودمان على مصر كان قصيرا جدا إذ لم يستمر إلا تسع سنوات أو أكثر بقليل . ويبدو أن أهل البلاد قد عانوا كثيرا من الظلم تحت نير الاحتلال الفارسى من أرتاكسركسيس الثالث وخلفائه ، ولم يترك هؤلاء الملوك الفرس أثرا ماديا لنشاطهم فى مصر ، وكل ما نعرفه أنهم عاملوا المصريين بنوع من القسوة ولم يتوجوا كملوك على الإطلاق ، ولم يعلن أنهم من نسل المعبودات المصرية . فهم فى واقع الأمر ليسوا غير ولاة أجانب ، ومصر لم تكن إلا مقاطعة بدون حاكم فى إمبراطوريتهم . ولهذا لم يكن غريبا ألا يتقبل المصريون هذا الوضع .

المقاومة ضد الفرس :

بدأت الثورات تنفجر فى كل مكان ، وكانت أقواها وأهمها تلك التى تزعمها أمير وطنى من الدلتا ، الذى ظهر فى حوالى عام ٣٣٦ ق.م . وأعلن نفسه ملكا وتلقب بالألقاب الملكية : " سنن تانن – ستب إن بتاح – خبا باشا (أو خباش) " واتخذ لقب " فرعون " أمام اسمه .[٢]

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٦٧ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ ؛ Gauthier, LR IV, p. 195.

ولم ينجح فى أن يحكم البلاد حكما حقيقيا ، ولكنه نجح فــى فــى مقاومــة الفرس لبضعة أعوام واضطر إلى الاحتماء فى أحراش الدلتا .[1] وعثر على اســمه بالديموطيقية فى بقايا قصر ابريس فى منف[2] وعلى بردية ليبى وعلى تــابوت أحــد العجول المقدسة فى السرابيوم المؤرخ بالعام الثانى من حكمه وعلى جعران[3] وأخيرا على لوحة من عصر بطلميوس الأول (معروفة باسم لوحة الإسكندر الثانى أو الرابع أو الستراب)[4] . ونقش هذه اللوحة عبارة عن مرسوم أصدره بطلميــوس الأول - حاكم مصر فى عهد الإسكندر الثانى - ولم تطأ قد هذا الأخير أرض الكنانــة وهــى تسجيل أحقية - كهنة معبد مدينة بوتو - فى إعادة ضيعة كانت ملكا لمعبودات بوتــو بعد أن اغتصبها الفرس منهم .

وتقص نقوش اللوحة أن خبا باشا قام بزيارة لموقع الدلتا ووصل إلى بوتــو وشكا له كهنة بوتو من أن اكسركسيس قد اغتصب ضيعة تخص معبــودات بوتــو ، ووصف أكسركسيس على هذه اللوحة بأنه عدو شرير واستجاب خبا باشــا لمطــالب الكهنة ، وفى عهد الملك بطلميوس الأول طلب كهنة - المعبودة واجيت - عودة ملكية هذه الأراضى إليهم مرة ثانية ، فأعادها بطلميوس إليهم وسجل ذلك على تلك اللوحــة التى تعد بمثابة مرسوم دورى لما فعله من مآثر لمعبودات مصــر وشــعبها ، وأنــه عامل المصريين معاملة أفضل من معاملة الفرس ، وذكر أنه أعاد تماثيل المعبــودات التى كانت قد نزعت من أماكنها ، وحملت إلى آسيا فى عهد الفرس هذا بالإضافة إلى قيامه بتكملة المعابد المصرية وتزويدها بما يلزم لطقوس العبادة وتقديم القرابين .

---

(١) Daumas, op.cit . , p. 119.

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٦٨ .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٤٣ .

(٤) عثر على هذه اللوحة فى القاهرة عام ١٨٧٠ فى جامع شيخون ، ويبــدو أنــها كانت مقامة أساسا فى معبد مدينة سايس ، وهى محفوظة بالمتحف المصــرى ، راجع : Gauthier, LR IV, p. 208 (111); PM IV, p. 44, 73

ولم ينجح خبا باشا فى تحرير مصر من قبضة المستعمر ، ويبـدو أن دارا الثالث – قودمان حاول إعادة غزو مصر ، وعمل خبا باشا على حماية الدلتا ، ولكنـه لم يتمكن من قهر أسطولهم وتوج دارا الثالث – قودمان ملكا على مصر عـام ٣٣٤ ق. م.[١] ومما لا شك فيه أن هناك إشارات لمظاهر المقاومة المصرية ضد الفـرس فى البرديات الديموطيقية أو وثائق أخرى غير المنشورة والموجودة بمخازن المتحـف المصرى أو فى وثائق أخرى لم يكشف عنها حتى الآن .

• ومن أبرز العائلات التـى عـاصرت هـذه الفـترة المضطربـة عائلـة " بيتوزيريس " التى أقامت فى هرموبوليس عام ٣٣٦ ق . م . ويذكـر بيتوزيريس على جدران مقبرته فى منطقة تونا الجبل أنه أمضى سبع سنوات مشرفا على أعمـال المعبود تحوتى . وكان هناك ملك أجنبى يحكم مصر ويشير إلى حدوث معارك فـى مصر الوسطى وفى الجنوب وثورات فى الشمال وكيف عانى الناس من حالـة مـن القلق والاضطراب العام ، وأنه قام بكل الأعمال الجليلة فى معبـد تحوتـى ، وكـان المعبد قد أهمل منذ مجئ الأجانب وغزوهم لمصر .[٢]

ونعرف من مصدر آخر وهو ما ذكره ديودور الصقلى بأن المصريين كانوا دائمى الثورة أثناء الاحتلال الفارسى الثانى لمصر[٣]، ومنذ عام ٣٣٨ ق. م . ظهرت مقدونيا ، كقوة تسيطر على العالم القديم فاندفع – فيليب الثـانى ليكـون حليفـا مـع اليونان ، وجاء من بعده ولده الإسكندر الأكبر – الذى ظهر فى ذلك الوقت كمحـرر لمصر ، فقد نشأ منذ حداثة سنه كابن روحى لزيوس – آمون لأن أمه " اوليمبيـاس " كانت من عبدة هذا المعبود وقام بغزو بلاد الشرق ، وسار فى حملاته الموفقة علـى آسيا وكان من بين قواته طبيب ومقاتل مصرى من مدينة أهناسيا يدعى " سـماتاوى

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٦٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٦٧ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجـع السـابق ، ص ٢٩٦ ؛ Lefebvre, le Tombeau de Petosiris, p. 3 – 15

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .

تف نخت " الذى استعان به لكى ينقذ مصر .[١] وكان دارا الثالث قد تولى الحكم فـى بلاد فارس عام ٣٣٦ ق. م . وهزم الإسكندر دارا الثالث – قودمـان فـى معركـة إسوس شمال الإسكندرونة فى عام ٣٣٣ ق. م . وفر دارا الثالث . وتم بذلك القضـاء على أسرة الفرس الأخمينيين وبعد ذلك توجه الإسكندر إلى الجنوب للاستيلاء علـى سوريا . ولكن مدينتى صور وغزة دخلتا فى حرب معه وتمكنتا مـن إيقـاف تقـدم الجيش المقدونى سبعة اشهر وأخيرا تحقق الانتصار للإسكندر ودخل الإسكندر صـور بعد قتال عنيف . ووجد نفس المقاومة من أهل غزة وذلك مما أدى إلى تأخر تقدمـه نحو مصر نحو شهرين وبعد ذلك دخل الإسكندر مصـر واسـتقبله أهلـها بـأذرع مفتوحة . فعمت البهجة البلاد وبعد هذا الانتصار أصبحت أبواب مصر مفتوحة أمامه باعتباره منقذها المرتقب من جبروت الفرس ، واتجهت النية إلى أن يعترف به كـأبن لآمون ، ويتوج كملك شرعى لكى يقوم بطرد الجنود والموظفين الفرس الذين قـاموا بأعمال غير شرعية ضد المصريين ومقدساتهم .

وفى خريف عام ٣٣٢ ق. م . سار نحو مصر التى سارع آخـر موظفـى الفرس بالرحيل عنها ، واستقبلته البلاد كمحـرر لـها واستسـلم الحـاكم الفارسـى " ساباسس " .[٢]

وكان اليونانيون منذ زمن بعيد حلفاء للمصريين ، ولكن هذه المـرة أغفـل المصريون أن هؤلاء الإغريق قد جاءوا مستعمرين وليسوا مأجورين وكسادة وليسـوا مرتزقة .

وفى منف استقبل الإسكندر بحماس منقطع النظير من جموع المصريـين ، وقد بدأ بالذهاب لتقديم القرابين للعجل أبيس المقدس ونحر الأضحيات إلى معبـودات

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٤٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٧ .

منف ، مما أدى إلى حب المصريين واليونانيين له . وهذا ما يضيف إلى مجده الشئ الكثير فى نظر " أكثر الشعوب ديانة " على حد قول هيرودوت ، ثم توج بعد ذلك ملكا فى معبد المعبود بتاح تحت اسم :

" ستب إن رع - مرى آمون - ارسكندرس (الإسكندر) " .[١]

---

(١) عن كل هذه الأحداث راجع : د. رمضان السيد : تاريخ مصر القديمة ، ص ٢٨٧ - ٣١١ .

بعض المظاهر الحضارية فى إيران القديم

أولا : نظم الحكم والإدارة :

(١) الملك ومعاونوه :

كانت الملكية هى السائدة ، وكان الملك رأس الدولة ، يلقب " خشـاترا " أى المحارب مما يبين الصفة العسكرية للملكية الفارسية .[١] والملكية تستمد سلطانها مـن المعبودات ، وكان الملوك يتفاخرون بأنهم ورثوا هذه الملكية عن المعبـودات منـذ صغرهم . وكان هذا الطابع المقدس للملكية هو السائد فى إيران . وأن الملك يسـتمد أحكامه من معبود الخير أهورا مازدا ومن يخالف أوامر الملك كان يعد آثما فى حـق المعبود نفسه . وكان يحيط بالملك مجموعة من النبلاء الذين أطلقوا عليهم " اصدقـاء الملك " أشبه بمجلس شورى يصدر أوامره بعد الرجوع إليهم والتشاور معـهم لأخـذ القرارات . وكان هؤلاء الأعضاء هو الوسطاء بينه وبين الشعب . وكان هناك أيضـا وزير أول لمساعدة الملك فى ممارسة سلطاته .[٢]

وكان الملك يحكم فى قصر شيد فوق تل صناعى بينما تكون بقيـة مسـاكن المدينة عند أسفل هذا التل ويحيط بالجميع سور ضخم يدعم بأبراج قوية .[٣]

وكان الأعيان والنبلاء اصحاب سلطة تكاد تكون مطلقـة فـى عواصمـهم يسنون القوانين وينفذون الأحكام القضائية ويجبون الضرائب ولـهم قـوات مسـلحة خاصة بهم ، وفى مقابل هذا كان عليهم أن يمدوا القصر الملكى بالمال والعتاد وقـت

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٦٩ .

(٢) Contenau, op. cit., p. 77.

(٣) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٧٢٠ شكل ٥٥ .

القتال وكان الملك الذى يعين هؤلاء النبلاء كولاه لكل ولاية[١] ، وكان كل والى يحكم باسم الملك ولهذا كان لكل ولاية كيانها السياسى المستقل ، ولهذا كان الملك الفارسى يلقب بلقب " ملك الملوك " .[٢] وكانت الإمبراطورية الفارسية إبان حكم الملك دارا مقسمة إلى ولايات على رأس كل منها والى (كان دائما فارسيا ومفوضا من قبل الملك الكبير) وإلى جانب الوالى كان هناك قائدا لجيش الولاية الذى يعين أيضا بواسطة الملك . ويتبع الملك مباشرة ، وكما كان الملك يقوم بتعيين سكرتيرا للولاية ورئيسا لموظفيها الإداريين والماليين ويرسل إلى كل ولاية عددا من المفتشين الذين يحملون ألقابا مختلفة مثل " عين الملك " ، " رسول الملك " ، " أذن الملك " .[٣] وكانوا أيضا من طبقة النبلاء [٤] (كانت هذه الألقاب موجودة فى النظم الإدارية فى مصر القديمة) .

وتمتاز الإدارة الفارسية بالاتجاهات الاستقلالية التى كانت تسود الشعوب المختلفة ، والتى تتكون منها الإمبراطورية الفارسية . وكان الموظفون الفرس يحكمون كأسياد وكانت تخصص لهم الأراضى التى حصلوا عليها عقب كل غزو أو فتح وكانت هذه الأراضى معفاة من الضرائب .[٥]

وقد تمتعت الولايات التابعة للإمبراطورية بشئ من الحرية إذ سمح لها باستعمال لغتها الخاصة بها ، واعتناق عاداتها وتقاليدها المحلية وديانتها وعملتها الرسمية .[٦]

وقد تميز عصر الملك قورش بالسيطرة الإقطاعية ، ولكن حل محلها الإدارة

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

(٥) Chr. Et J. Palou, la Perse Antique, p. 44.

(٦) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

المحلية القائمة على تحصيل الضرائب .[١]

وقد ساعد على نجاح الإدارة فى أرجاء الإمبراطورية أن الأباطرة الفرس أنشأوا بها كثير من الطرق ومن أهم الطرق طريقان أنشأهما دارا :

(١) أحدهما يصل بين ليديا والعواصم الفارسية .

(٢) الثانى يبدأ من مصر إلى فارس ويمتد شرقا حتى حدود الصين .[٢]

واشتهر الفرس أيضا بإقامة القناطر على الأنهار للعبور من عليها وكانت الحاميات توضع على مختلف الطرق فى الإمبراطورية .

(٣) القوانين والقضاء :

وقد لوحظ أن هناك تشابها كبيرا بين كتابات دارا الأول وقانون حمورابى ، مما يدل على أن الأول قد استخدم كتابات الثانى كنموذج له . وقد عاشت هذه القوانين فى إيران فترة طويلة حتى بعد وفاة الملك دارا .

وكان القضاة الملكيون يختارون من بين الفرس ، وكانوا يناقشون القضايا المختلفة ، ويقومون أيضا بتفسير القوانين المدنية القائمة طبقا لما أورده هيرودوت . وكان القاضى يعين فى منصبه مدى الحياة . وكان الملك مصدر القوانين والشرائع وأحكامه مستوحاه من المعبود نفسه . وكان هناك محكمة مكونة من سبعة قضاه ويلى هذه المحكمة محاكم أخرى تنتشر فى أنحاء المملكة . وقد نشأت جماعة خاصة متضلعة فى الشئون القانونية اشبه بالمحلفين . والعقوبات كانت تشتمل الجلد والتشويه وبتر الأعضاء والإعدام أحيانا .[٣]

والحقيقة والعدالة كانا شيئا واحدا عند دارا مع الشعور بالانتماء القومى ،

---

(١) Chr. Et J. Palou, op. cit., p. 45.

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٧٢ – ٢٧٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٣ .

ويحدثنا هيرودوت قائلا : " إن الفارسى لا يصلى نفسه ، ولكن لكل الأمة الفارسية وللملك وما الإنسان إلا جزء من تحقيق هذه الأمنية العامة " .[١]

أما مصادر الدخل القومى فقد كانت تأتى من المعابد والضرائب والغنائم وكانت الضرائب تفرض بواسطة حكام الأقاليم على كل مدن إيران فيما عدا فارس وميديا ، وإذا كانت هناك بعض المدن المستثناه .

(٣) الجيش والأسطول :

كان الجيش يتكون من حرس الملك الذين كانوا يسمون عند الفرس " العشرة آلاف " وكان الجند والمحاربين ينقسمون إلى مشاه وفرسان يمتطون الخيول والعربات التى يجرها زوج من الخيل ، ويتميز الخيالة بما يلبسونه من أحذية وكانت الخدمة العسكرية شبه إجبارية بين سن الخامسة عشر والخمسين . وقوات الجيش تخضع لإشراف حرس الملك الذى كان يضم عددا من النبلاء والأشراف ومهمته هى حراسة الملك والمحافظة على حياته وممتلكاته .[٢] وكان الحرس يتألف من الفرسان والمشاه . أما الجيش نفسه فكان يتألف من وحدات أساسية نظامية ووحدات أخرى عامة . وكانت الوحدات الأساسية تضم الفرس فقط أما الوحدات العامة فتضم فرقا من شعوب مختلفة وعلى الرغم من أعدادهم الضخمة إلا أن الجيش الفارسى كان يفتقر إلى وجود الانتماء والوحدة الوطنية والتناسق القومى بين مجموعاته .[٣]

أما الأسطول فكان لدى إيران القديم أسطول قوى كان يضم سفنا فينيقية ويونانية ، واستخدموا فيه البحارة المصريين والقبارصة والسوريين وغيرهم إلى جانب الفينيقيين واليونانيين من آسيا الصغرى . وكان هذا الأسطول ينقسم إلى سفن

---

(١) Chr. Et J. Palou, op. cit., p. 45.

(٢) Id., op. cit., p. 122.

(٣) Id., op. cit., p. 122.

للهجوم وأخرى تستخدم كناقلات جنود ، وثالثة كناقلات أمتعة ومعدات وذخائر .[١]

ثانيا : النظم الاجتماعية :

كان المجتمع الفارسى القديم ينقسم إلى طبقات : الأمير والنبلاء ويليهم الرجال الأحرار الذين يملكون ضياعا ثم الأحرار المعدمين وأخيرا العبيد .[٢]

وكانت بيوت الأمراء والسادة تضم عددا من الخدم والرقيق من الرجال والنساء كما تضم عددا من ذوى المهن والحرف .

وكان هناك نظام الملكيات الصغيرة[٣] وكان الميديون يعيشون حياة زراعية فى القرى إلا أن الحكومات المركزية لم تكن موجودة فى أول الأمر ، وكان كل أمير يعتمد إلى جانب مزارعه ومراعيه على مناجمه وغنائمه فى الحروب وما يتقاضاه نظير حمايته للتجار الذين كانوا فى بداية الأمر من غير الإيرانيين .

ثالثا : الحياة الاقتصادية :

ترتبط الحياة الاقتصادية ارتباطا وثيقا بالحياة الاجتماعية وما الحياة الاقتصادية إلا تعبير عن نشاط أفراد المجتمع .

(أ) الزراعة :

اهتم معظم الملوك بتحسين الإنتاج الزراعى وحفر القنوات ونقل بعض النباتات والأشجار والحيوانات والطيور من بيئة لأخرى بقصد تعميمها وزراعتها فى غير موطنها الذى جلبت منه . وكان الفلاحون مرتبطين بالأرض فى الملكيات الكبيرة ، إلا أن بعضهم كانت لهم ملكياتهم الصغيرة ويعتمدون عليها كمصدر رزق[٤] وكان كل أمير أو نبيل يعتمد على مزارعه ومراعيه .

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ – ٢٧٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .

(٣) الصناعات والحرف :

صناعة الفخار : حظيت صناعة الفخار بأهمية خاصة في بلاد إيران القديمة وذلك منذ العصر الحجرى الحديث ، ولا سيما الفخار الملون ، الذى عثر عليه فى سوس وبرسى بوليس . ونلاحظ أن هذا النوع من الفخار كان كثير الانتشار فى إيران . وعلى الرغم من ان الحفائر لم تبدأ فى الهضبة الإيرانية – إلا منذ فترة قصيرة فقد أكدت لنا أنها غنية بهذا الفخار الملون وقد أمدتنا الحفائر فى مناطق أخرى مثل تبة جيان بالقرب من نهافند ، وتبة حيسار فى جنوب كايسين، وتبة سيالك فى مداخل كاشان ، بعينات من نفس الفخار ، حيث نجد فى الأشكال والزينة ، تمثيلا للحيوانات المتنوعة الأشكال والتى كانت تحظى بمكانة معينة عندهم .

فن التطعيم : كان معروفا وخاصة الذهب المطعم بالأحجار الكريمة . ونجد هذه الطريقة فى كثير من منتجات الحلى الفارسية .

إعداد المعادن : فن تصنيع المعادن كان معروفا أيضا لإعداد الأسلحة والسكاكين المصنوعة من النحاس ، ثم من البرونز التى كانت ذات مقابض لها مسامير فى الأطراف ، وذلك قبل معرفة السكاكين ذات المقابض من الخشب وغيره من المواد . ثم أيضا صناعة رؤوس الحراب والسهام والفؤوس ذات الأيدى ، منذ بداية القرن العاشر ق. م. وأصبحت الأسلحة من الحديد ولكن البرونز ظل مستعملا بصفة دائمة ، وأثناء الصراع بين الفرس واليونانيين ، كانت القوات الفارسية تستخدم سهاما من البرونز والحديد وأيضا شظايا وكرات صغيرة من المعادن .[١]

ومن حوالى الألف الأولى ق. م. كشف فى منطقة لوريستان فى إيران على جبانات لشعوب كانت تستخدم الخيول . وكانت العادة السائدة هى دفن سروج الخيول معهم وقد عثر على هذه السروج على الكثير من الآلات مثل الأجراس الصغيرة والأحزمة والأسلحة والفؤوس والخناجر وأوانى للطقوس من المعادن .

---

(١) Contenau, op. cit., p. 72.

وعرف العيلاميون صهر المعادن وصناعة التماثيل من المعادن مثل رأس الملك التى عثر عليها فى نينوى والتمثال المهشم للملكة نابير – إسو الذى عثر عليه فى سوس . وقد صهر هذا التمثال أصغر من الحجم الطبيعى وينقصه الرأس وأحد الأذرع وعلى الرغم من ذلك فهو يزن حوالى ١٧٥٠ كيلو جرام .

ومن بين الأشياء والقطع الأخرى الأكثر أهمية من المعدن ، يجب أن نذكر ما عثر عليه فى مدينة سوس مثل المنظر الذى يمثل موكب المحاربين ومائدة القربان التى يحيط بها الثعابين فى نحت بارز فى المعدن ، مما يدل على تقدم الإيرانيين فى مثل هذه الفنون .[١]

(٣) التجارة :

أما بالنسبة للتجارة . فكان الإيرانيون يستوردون المواد الخام كالأخشاب من الساحل الفينيقى والفضة والنحاس من قبرص . وكانت الفضة تأتى أحيانا من آسيا الصغرى ومن إقليم.كرمان كما كان يأتى الذهب والفضة من نفس المنطقة وتجلب الأحجار الكريمة من مناطق أخرى ، ولسهولة التعامل استخدمت النقود المصكوكة ابتداء من عهد دارا الأول[٢] وربما اقتبسوا استخدامها من الليديين . ولو أن أوزانها وأقسامها مأخوذة من النظام البابلى فى تقسيم الوحدات القياسية .

وكان هناك ما يسمى بمصارف المعابد والمصارف الخاصة التى تقوم بإقراض المحتاجين كما كان هناك أوراق الائتمان وأوراق المستندات التى كانت معروفة .[٣]

---

(١) Contenau, op. cit., p. 72.

(٢) د. أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص ٢٧٤ – ٢٧٥ شكل ٥٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .

رابعا : الديانة والمعتقدات :

(١) العبادات :

كان الآريون يعبدون فى بداية الأمر زوجا من المعبودات : معبود للعواصف والمطر ومعبودة للشمس أحيانا والأرض أحيانا أخرى ، إلى جانب ما عبدوا من حيوانات وتماثيل للأجداد . وكانوا يعبدون قوى الطبيعة كالشمس كمعبود باسم " مثرا " والأرض باسم " زام " والريح باسم " وهيو " كما عبدوا الماء والنار أيضا والظواهر الأخرى وتنقسم إلى قسمين : ظواهر خيرة وأخرى شريرة – مثل الليل والقحط والقبح والخداع ، وقوى الخير فى صراع دائم مع قوى الشر .[١]

ولهذا لجأوا إلى المعبودات التى كانت تطلب تضحيات دموية . وهذه الطقوس كان يقوم بها أحد رجال الدين يطلق عليه اسم " ماجى " أى المجوسى وكانت طبقة الكهنة من المجوس هم حلقة الوصل بين الحاكم والشعب .

وإذا رجعنا إلى الوراء قليلا ، نجد أن مجتمع الفرس الأخمينيين ، مثل مجتمع أجدادهم السابقين البعيدين من الهندوأوربيين ، قد قام على أسس ومبادئ دينية ثلاثة أو أربعة وهى :

- سيادة الروح المقدسة .
- القوة المادية والمتمثلة فى قوة المحاربين .
- الإخصاب (المتمثل فى الزراعة) .
- العمل (الذى يتمثل فى نشاط الإنسان فى مهنته وحرفته) .[٢]

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

(٢) Chr. Et J. Palou, op. cit., p. 47.

(٢) المازدية :

وقد منحت قوة الروح المقدسة إلى الملك بواسطة أهورا مازدا ، الذى يحكم السماء ويشمل الأرض ويحميها بجناحيه . والديانة المازدية هى صورة من الديانات القديمة التى كانت شائعة عند الهندوأوربيين .

وقد نشأت هذه الديانة على يد حكيم يعرف باسم زرادشت ولا نستطيع فى الواقع تحديد وظهور زرادشت فى التاريخ بالضبط ، (ربما فى حوالى عام ١٦٠٠ أو ١٠٠٠ ق. م) . وكان زرادشت يعيش فى ميديا ولكنه غادرها لكى يبشر بدينه الجديد فى شرق بلاد فارس . وكان كاهنا وعالما ومصلحا وتذهب بعض الروايات إلى القول بأن مولد زرادشت اقترن بالمعجزات وأن المعبود أهورا مازدا قد ظهر له ووضع بين يديه كتاب " الأفستا " .[١] الذى هو عبارة عن مجموعة من النصوص المقدسة الخاصة بفارس القديمة فى العصور المختلفة .

ونجد فيه أيضا فكرة مبسطة عن الطقوس البدائية المتمثلة فى عبادة الحيوانات المقدسة مثل الحصان والثور والكلب والثعبان والتضحيات فى الهواء الطلق .

وفى بداية الألف الأولى قبل الميلاد (التاريخ غير مؤكد إلى حد كبير) أوضح لنا زرادشت مؤلف الأفستا معالم الديانة المازدية . وكانت فكرتها تتلخص فى أن العالم يحكمه عاملان :

معبود للخير يسمى أهورا مازدا الذى خلق كل ما هو خير وما هو نافع ، وهو يعد فى نفس الوقت من أكبر المعبودات طبقا للديانة المازدية .[٢]

---

(١) توجد هذه المخطوطات الآن بين يدى باريسيس من بومباى وجيبرس من بلاد فارس .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٠-٢٣٥؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٥٥ – ٦٦٦ .

- معبود للشر هو اهريمان الذى تتجمع فى داخلـه كـل العنـاصر الشـريرة والضارة . فنجد من ناحية عنصر الحماية والأمان اللذيـن يحققـها أهـورا امازدا ومن ناحية أخرى عنصر التهديد والخوف اللذين يثيرهما اهريمـان ، فكلاهما يسيطر على مصير العالم فى كل لحظة .

فالضوء هو انتصار لأهورا مازدا والليل هو انتقام لأهريمان [1] ونرى بعـد ذلك طابع التفاؤل يسود الديانة ، ففى نهاية القرون نجد أن أهـورا مـازدا ينتصـر ويفرق بين الخير والشر ، ويطهر العالم بواسطة النار ويجمع البشـرية كلـها فـى عبادته . وفى الواقع أن حياة البشر يتحكم فيها عاملان : الصراع بين الخير والشـر ، والمستقبل الذى يوعد به هؤلاء البشر ، ما هو إلا انتصار للخير فى النهاية . وعلـى الإنسان أن يختار بين النور والظلمة والحق والباطل .

ولقد عمل زرادشت على تحقيق خطوة هامة فى التفكير الإنسانى . وكـان برنامجه هو تعاون المزارع والمحارب تحت سلطة الكاهن والأمـير طبقـا لخطـة وضعت بوحى من المعبود . وعمل على نشر تعاليم كتابه " الأفسـتا " بيـن النـاس جميعا . وعندما تولى دارا الأول العرش رأى بأن يدعو إليه زرادشت لكـى يوحـى بعناصر الخير فى نفوس الناس فجعل المازدية هى الديانة الرسمية للدولـة وأصبـح الدين الزرادشتى المصدر الروحى للفرس . ونحن لا نعرف ما هـى ديانـة قـورش وقمبيز ولكن دارا أصبح مازديا وبذلك تحول الفرس من عبادة معبودات متعددة إلـى عبادة معبود واحد .[2]

غير أنهم كانوا يعتقدون أيضا بوجود مجموعـة مـن الملائكـة المؤثـرة والكائنات التى تعين معبود الخير على تحقيق أهدافه وإلى جانبها توجـد سـبع مـن الأرواح الشريرة ، وهى تسبح دائما فى الهواء وتسعى لإغراء البشر لارتكاب الآثـام وفعل الشر . ورئيس هذه المجموعة هو أهريمان أمير الظلمة وحاكم العالم السـفلى

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٧٩ – ٢٨٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨١ .

وخلق المعاصى والآثام والحيوانات والحشرات الضارة والذى يعمل بكل طاقته ليحطم الجنة التى أسكنها أهورا مازدا للسلف .[١] أهورا مازدا هو معبود العدالة وتتمثل فيه كل القيم والمبادئ التى تدعو إليها المازدية هى " الفكر النقى ، الكلمات النقية ، التصرف النقى " وقد قضى بذلك على التضحيات الدموية والشراب المسكر الذى يسمى هاوما . والمظهر الوحيد للتضحية هو النار ، وكانت الطقوس تؤدى عن طريق النار . وكان الفرس الأخمينيون يسمحون للشعوب المنهزمة بمزاولة معتقدات ديانتهم بنوع من الحرية . وهكذا نرى عبادة مثرا معبود الشمس وأناهيتا معبود الماء يدخلان ضمن مجموعة المعبودات الرسمية فى عصر أرتاكسركسيس الثانى (أردشير الثانى) مع المعبودات الأخرى .[٢]

(٣) الطقوس :

كانت النار بنقائها ، تمثل الرمز الحى لأهورامازدا ، لذلك نجد الفرس يشيدون موائد صغيرة فى الهواء الطلق ، وتوقد عليها النيران بواسطة الكهنة . والتقوى والورع ليست بالتعبد " إقامة الشعائر لعبادة النار " فحسب ولكن أيضا التفانى فى أداء أعمال الخير بجد وإخلاص وذلك لمساعدة أهورامازدا لكى ينتصر الخير على الشر – وأيضا القيام بالأعمال اليومية : " حرث الحقل وحفر الترع ، إقامة السدود ، القضاء على الحيوانات والحشرات الضارة مثل النمل والضفادع " ، أى العمل من أجل تحقيق أهداف معبود الخير[٣] ولكى يكفر الفارسى عن أعماله السيئة فكان عليه أن يقوم على سبيل المثال " بقتل ألف ثعبان ، الف ضفدع برى ، الف ضفدع مائى ، وقتل ألف نملة التى تسرق الحبوب .[٤] وأقاموا المعابد على سفوح

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٨١ .

(٢) Dupont – Sommer, les Civilisations de l'Iran, p. 71.

(٣) Philipe et Rouche, Histoire, p. 64.

(٤) Id., op. cit., p. 64.

التلال وفى ساحات القصور وأواسط المدن وأشعلوا فيها النيران المقدسة قربانا للمعبود أهورامازدا ، ثم بالغوا فى تقديس هذه النيران ، حتى وصلت إلى درجة العبادة ، كما قدسوا الشمس باعتبارها نار السماء الخالدة .(١)

وقد عثر على ثلاثة معابد من عصر الفرس الأخمينيين وكل منها فى هيئة برج مربع يشمل صخرة واحدة يمكن الوصول إليها بدرج وفيها كان المجوس يرعون النار المقدسة ويبدو أن الاحتفالات الدينية كانت تقام فى الهواء الطلق حيث عثر على المذابح فى العراء بعيدة عن المعابد – وإليها كانت تساق حيوانات التضحية فى موكب حافل بالعربات التى تجرها الخيول المقدسة .(٢)

وقد أثرت المعتقدات الدينية الإيرانية فى الديانة اليهودية إلى حد كبير ، ففى القرن السادس قبل الميلاد ، نجد أن الصيغ التى تحتويها العقيدة المازدية من صراع بين الخير والشر أصبحت هى نفس المبادئ الموجودة فى الديانة اليهودية بعد فترة نفى العبرانيين إلى نينوى . وفكرة بعث الموتى والمحاكمة الأخيرة بواسطة النار ، كانت من الأفكار الزرادشتية الأساسية والرئيسية ، كما أصبحت فيما بعد من الأفكار الموجودة فى بعض الديانات الأخرى .

وقد اعتقد الفرس فى خلود الروح ، وبعد عملية وزن الروح ، نجد أن الأرواح ذات الشفافية لهؤلاء الذين أصبحوا أنقياء ، تجتاز ما يشبه المعبر أو الحاجز الذى يؤدى إلى عالم الجنة . أما الأرواح الشريرة فمصيرها جهنم وعالم النار .

وعرف الفرس أيضا طريقة الدفن – ويقص علينا هيرودوت (فى القرن الخامس ق. م) أنه كان يغطون الأجساد بطبقة من الشمع .(٣) ولكن انتشرت فيما بعد عادة عرض الأجساد للطيور المفترسة على ما يسمى " أبراج السكون " التى تنهشها ويتبقى لهم فى النهاية الهيكل العظمى الذى يقومون بجمعه .

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٩ شكل ٥٧ ، وص ٢٨٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

ولم تمنع ديانة زرادشت من ظهور عبادات أخرى . ففى عهد أرتاكسركسيس الثانى عاد للظهور معبود الشمس مثرا وهو من المعبودات الإيرانية القديمة ، وعبادة المعبود إناهيتا (أرتميس) وهى معبودة الماء والخصب والنماء ، وتشبه فى صفاتها عشتر البابلية .

ويذكر لنا هيرودوت أنه لم يكن للفرس معابد أو هياكل أو تماثيل للمعبودات . والمعبد كان عبارة عن برج مربع فيه غرفة واحدة يصل إليها الكاهن بسلم ليتولى شأن رعاية النار المقدسة ، وعلى مسافة قليلة من المعبد ، كانت تقام مذابح فى العراء وذلك من أجل الاحتفالات الدينية .

خامسا : الحياة الثقافية :

إن كلمة ثقافة معروفة للجميع ولكن عندما حاول الباحثون والمفكرون تحديدها وتعريفها اختلفوا اختلافا شديدا بالنسبة لتحديد مدلولها فى العصر الحديث . ولم يتفق المفكرون على مدلول واحد محدد يمكن الأخذ به . فيرى البعض أن الثقافة هى المعرفة التى يتوصل إليها الإنسان من نفسه أو تؤخذ عن طريق الأخبار والتلقى والاستنباط مثل الكتابة واللغة والدين والأحاديث والأدب وسائر المعارف النظرية . ويرى البعض الآخر أن الثقافة هى نوع من المعرفة الخاصة أو المحلية التى تنسب إلى الأمة التى نتجت عنها وتكون من خصوصياتها ومميزاتها مثل اللغة والأدب وسير الأبطال والتراجم الشخصية والتاريخ . ويرى فريق ثالث أن الثقافة تعنى : الارتقاء بخصائص وصفات ومزايا الإنسان وحسن تأهيله وتربيته واكتسابه مجموعة من المعارف تساهم فى تشكيل شخصيته . ويرى فريق رابع أن الثقافة هى : " رقى الفكر وسمو الوجدان " ، ويتحقق رقى الفكر بالعلم والمعرفة والخبرة وسمو الوجدان يتمثل فى التمسك بالدين والأخلاق والفنون الرفيعة المختلفة .[1] ويرى فريق خامس أن الثقافة هى العادات والتقاليد السائدة فى المجتمع . ويرى فريق سادس أن الثقافة هى التراث بصفة عامة . ويرى فريق سابع أن الثقافة تتضمن ألوان المعرفة

---

(١) هذا هو تعريف أ. د. أحمد هيكل فى إحدى ندواته .

والمعتقدات والأخلاق والعادات والقوانين والفنون وغيرها من الأمور التى يكتسبها الإنسان أو يتأثر بها فى مجتمعه الذى يعيش فيه .[١] ويرى فريق ثامن أن الثقافة هى الإلمام بمعارف العصر والتراث وأن يعيش الإنسان عصره مؤثرا فيه ومتأثرا به .

أما بالنسبة لأهل الحضارات القديمة فإن الثقافة تعنى اتقان الكتابة وفهم اللغة وحسن التعبير فى الأدب والإبداع فى الفنون المختلفة . على اعتبار أن اتقان الكتابة هو الأساس فى التعلم والاستيعاب ، وفهم اللغة هو الأساس فى إجادة التعبير وهى الوسيلة الضرورية لتسجيل ونشر المعرفة والعلوم والآداب . وأن الأدب هو نوع أو لون من ثقافة الإنسان وأن الفنون هى التى تعكس قدراته وإمكانياته ومواهبه .

(١) الكتابة واللغة :

لم يعرف الإنسان فى البداية الكتابة ولكن كان يعبر عن أفكاره أو ما يدور فيها برسم أشياء مادية أو كائنات حية مرئية فى البيئة المحلية باعتبار أن هذا الشئ المادى هو رمز يعبر عن الأفكار . مثال ذلك ما ذكره د. شعبان فى مقدمة كتابه عن الكتابة العربية "[٢] ان الملك الفارسي دارا الأول تلقى رسالة تهديد من قبائل السكيث عندما غزاهم عبارة عن : طائر وفأر وضفدع وخمسة سهام . وقد فسرت هذه الرسالة لدارا على أن الفرس ان لم ينجوا بأرواحهم بسرعة الطير أو الفئران التى تختفى فى الجحور أو كالضفادع التى تدفن نفسها فى الطين هربا من خطر يهددها فإن مصيرهم سيكون " الموت " بتلك السهام الخمسة على الأرض ومن كافة الجهات .

---

(١) عن مفهوم الثقافة ونظرياتها ، راجع : د. منير مرسى : اصول التربية ، علم الكتب القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٥٩ – ٢١٦ .

(٢) د. شعبان خليفة : الكتابة العربية فى رحلة النشوء والارتقاء ، العربى للنشر والتوزيع ، ١٩٨٩ ، ص ٦ .

وبعد هذه المرحلة من استخدام الأشياء المادية نفسها للتعبير عن رسائله الفكرية انتقل الإنسان إلى المرحلة الثانية أى الكتابة الفعلية وهى " الكتابة التصويرية " وقد عمد الإنسان فى بداية هذه المرحلة إلى رسم صورة الشئ كاملة أو الاكتفاء بجزء مختصر من هذه الصورة ، فرسم رأس الحيوان بدلا من الحيوان الكامل . بل وأكثر من هذا تطور أمر التصوير للتعبير عن المعانى المجردة والأحاسيس بشئ مادى مثل التعبير عن الحزن بعين تدمع[١] وهذا واضح فى الكتابة المصرية القديمة .

ونشأت الكتابة المسمارية من نفس نقطة البداية فى الكتابة المصرية أى رسم الشكل الذى يمثل الشئ أو الكائن الحى أو الفكرة ولكن استخدام الخزف كمادة للكتابة فى بلاد النهرين كان سببا فى تحويل الرسوم التصويرية إلى جمع من الإشارات ضمت بعضه إلى بعض . وتشبه كل علامة مسمارا أو اسفينا . وكان الكاتب يرسم هذه العلامة بواسطة قصبة حدد رأسها بشكل منحنى أو مثلث الزوايا يغرزها الكاتب فى الخزف بداية غرزا قويا ثم يسحبها مخففا بشكل تدريجى بالضغط على إحدى الزوايا .

وأصبحت أشكال المسامير هذه هى العلامات المميزة للكتابة المسمارية . وقد تكون أفقية أو عمودية أو منحنية .

وبعد الخزف جربت الكتابة المسمارية على المعادن والأحجار . ثم تم إعداد الألواح الطينية وأصبحت هى المادة الرئيسية للكتابة المسمارية .[٢] وكانت الكتابة المسمارية تكتب على الألواح الطينية أو الخزف وهى طرية ثم تجفف بعد ذلك فى الشمس أو تجفف فى الأفران . ولذلك كانت هذه المواد أبقى من أية مادة أخرى كالبردى أو الرق واحفظ من التآكل لعدم استخدام الحبر . واتخذت الألواح الطينية أشكالا مستديرة أو مسطحة أو قائمة الزوايا .[٣]

---

(١) د. شعبان خليفة : المرجع السابق ، ص ٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٢ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٣ .

ويرجع الفضل فى اختراع الكتابة المسمارية إلى الشعوب السومرية ، لأنهم كانوا أقدم الشعوب التى سكنت جنوب بلاد النهرين منذ بداية الألف الثالثة (٣٠٠٠ ق.م) وجاء بعدهم الأكديون منذ منتصف الألف الثالثة (حوالى ٢٣٤٠ ق.م . تقريبا) واستقروا فى وسط بلاد النهرين . وانتشر الخط المسمارى على يد الأكديين وانتقل بعدها إلى إيران وإلى سوريا فكتب به الحوريون، وإلى آسيا الصغرى وكتب به الحيثيون إلى جانب الخطوط الأخرى .[١]

* ويرى بعض العلماء أن أول ظهور للنقوش الحجرية المسمارية يرجع إلى عام ٣٦٠٠ ق.م. (؟) بينما بدأت الألواح الطينية المسمارية فى الظهور حوالى عام ٣٢٠٠ ق.م .[٢] وهى نفس الفترة تقريبا التى ظهرت فيها الكتابة المصرية على الآثار وآخر كتابة بهذا الخط ترجع إلى القرن الأول الميلادى[٣] (ولكن الهيروغليفية فى مصر عاشت أكثر من ذلك لأن آخر مثال لوجودها هو نقش عثر عليه فى فيله ويرجع إلى ٣٩٤ ميلادية)[٤] والكتابة السومرية المسمارية تقرأ من اليمين إلى اليسار وكان البابليون أول من كتب من اليسار إلى اليمين .[٥]

ولقد مر الخط المسمارى بنفس المراحل التى مر بها الخط المصرى القديم من صور معبرة عن كلمات ومعانى إلى علامات مبسطة تعبر عن نفس الكلمات والمعانى إلى علامات تعبر عن مقاطع صوتية . وتوقف تطور الخط عند هذه المرحلة حتى اختفى الخط المسمارى فى القرن الأول الميلادى .

---

(١) د. شعبان خليفة : المرجع السابق ، ص ١٣ – ١٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٢ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٤ .
(٤) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، دار نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٦٠ حاشية (٣) .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٤ .

ولقد حيرت الكتابة المسمارية العلماء مئات السنين عاجزين عن حل رموزها . وتأتى صعوبة هذه الكتابة من كثرة عدد العلامات وتنوع المعانى الممكنة لكل جمع أو عدد من العلامات . فقد يعنى الجمع فكرة أو مقطعا صوتيا أو صفة . وقد يختلف معناه ان وضع قبل جمع آخر أو بعده .(١)

ولقد جاء حل رموز الكتابة المسمارية عن طريق الكتابة البابلية القديمة ومن المعروف أن اللغة البابلية هى لغة سامية نشأت من تطور لغتى سومر واكد . وكانت تكتب بخط سومرى في الأصل . ولكن مفرداتها اختلفت عنها على مر الأيام حتى استلزم هذا الاختلاف بين اللغتين السومرية والبابلية وضع معاجم وقواعد فى النحو والصرف يستعين بها الخبراء والكهنة من الشبان على تفهم اللغة السومرية الفصحى . ومن أجل هذه المهمة نجد أن ربع الألواح التى عثر عليها فى أرشيف المكتبة الملكية لقصر آشور بانيبال فى نينوى كانت عبارة عن معاجم فى اللغات السومرية والبابلية والآشورية .(٢)

والعلامات فى الكتابة البابلية السامية كالعلامات فى الكتابة السومرية لا تدل على حروف وإنما تدل على مقاطع . والبابليون مثل السوريين والآشوريين لم يطورا كتابتهم إلى حروف مستقلة بل ظلوا طوال عهدهم يستخدمون طائفة من المقاطع الصوتية يرمزون لها بنحو ثلاثمائة علامة معبرة . وكان البابليون كالسومريين والفينيقيين ينظرون إلى الكتابة على إنها مجرد وسيلة للتعامل التجارى . ولذلك لم يستعملوا الكثير من ألواحهم الطينية فى مجال الأدب .(٣)

وجذبت النصوص المسمارية الغريبة أنظار الرحالة واللغويين من علماء العالم وحاول كل منهم قدر جهده معرفة جانب من جوانب هذه اللغة لحل غموض رموزها ولهذا عمل عدد منهم على تصويرها ونسخ نصوص منها . وبدأت

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤ .

المحاولات الأولى لحل غموض الكتابة البابلية ومن ثم السومرية والآشورية على يد جورج جروتفند أستاذ اللغة اليونانية فى جامعة جوتنجن الذى أبلغ المجمع العلمى فى تلك المدينة عام ١٨٠٢ انه ظل عدة سنوات يواصل البحث والدراسة لبعض المخطوطات المسمارية التى وصلت إليه من بلاد فارس . وانه استطاع أن يتعرف على ثمانية من اثنين وأربعين علامة مستخدمة فى هذه المخطوطات وأنه ميز ثلاثة من أسماء الملوك المعروفة فيها .(١) وجاءت المحاولة الثانية فى عام ١٨٣٥ حين استطاع هنرى رولنسون أحد موظفى السلك الدبلوماسى البريطانى فى إيران (كان على غير علم بما توصل إليه جروتفند) أن يقرأ ثلاثة اسماء هى : هيستابوس (والد دارا) ، دارا ، اكسركسيس (خشيا رشاى) فى نقش وصل إليه مكتوب بالخط الفارسى القديم ، وهو خط مسمارى مشتق من الكتابة البابلية . وأمكنه بفضل هذه الأسماء أن يقرأ النص كله فى آخر الأمر . ولكن هذه الكتابة وإن كانت مشتقة من الكتابة البابلية لم تكن هى البابلية نفسها .

وكان رولنسون يأمل فى العثور على حجر رشيد مسمارى (كما حدث بالنسبة لشامبوليون مع حجر رشيد) أى يعثر على نص واحد كتب باللغتين الفارسية القديمة والبابلية مثلا . ولم ينتظر رولنسون طويلا حيث عثر فى مكان يعلو سطح الأرض بنحو ١٣٠ أو ١٤٠ مترا .(٢) وكان هذا النقش محفورا على صخرة يتعذر الوصول إليها عند بيستون ، وهى صخرة تطل على الطريق التجارى القديم المؤدى من كرمنشاه حتى همدان على مسافة مائة كم جنوب اكباتان وبالقرب منها دارت معركة كوندور والتى قضى فيها دارا الأول (٥٢١ – ٤٨٥ ق. م) على آخر خصومه .

وسجل هذا النقش بثلاث لغات هى : الفارسية القديمة ، والعيلامية العتيقة ، والبابلية (ويسميها البعض الآشورية) وكتب النص الفارسى القديم فى خمسة أعمدة

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٤ – ١٥ .

تضم ٤١٤ سطرا . والنص العيلامى كتب فى ثلاثة أعمدة تضم ٢١٣ سطرا . والنص البابلى يتكون من ٢١٢ سطرا . ويقع النص الثالث إلى اليسار مباشرة من النصين السابقين اللذين يوجدان فى الوسط . وفوق هذا النقش نقش بالحفر البارز منظرا يصور المعبود اهورا مازدا ودارا واقفا وقدمه اليمنى فوق جاوماتا مدعى العرش . ويذكر دارا فى هذا النقش نسبه وأصله ثم يتحدث عن الاضطرابات التى نشبت فى بداية حكمه والحملات التى خاضها ويتحدث عن الولايات العشرين التى أخضعها لحكمه . وعكف رولنسون على نسخ كل حرف من حروف هذا النقش بعناية كبيرة . وكان أحيانا يطبع النقش كله على عجينة لينة بعد صعوده إلى هذه الصخرة معرضا حياته لأخطار شديدة نظرا لارتفاعها الشديد حرصا على نقله نقلا سليما .(١)

ومما لا شك فيه أن كتابة نصوص صخرة بيستون بكتابات ثلاث سهل عمل مقارنات بين ألفاظ ومفردات الكتابات الثلاث والاستعانة بالواحدة منها فى فهم مترادفات الأخرى ، مع مقارنة الكتابة الفارسية القديمة بنصوص أخرى عثر عليها فى اصطخرا (برسى بوليس) .(٢) قام بنسخها نيبور عام ١٧٦٥ .

وبعد جهد دام اثنتى عشرة سنة كاملة نجح رولنسون فى ترجمة النصين العيلامى والبابلى عام ١٨٤٧ وقدم رولنسون بحثا للجمعية الملكية للدراسات الآسيوية فى لندن أوضح فيه أنه توصل إلى معرفة قراءة حوالى ١٨٠ اسما وأيضا تعرفه على معنى القيمة الصوتية لنحو ١٥٠ رمزا وتعرف على نحو ٥٠٠ كلمة من الكتابة البابلية (يسميها البعض الآشورية).(٣) وأرادت هيئة الجمعية الملكية للدراسات الأسيوية أن تتأكد مما توصل إليه رولنسون وغيره من العلماء الذين سبقوه من قراءات لهذا النص وغيره من الوثائق . فأرسلت أربع نسخ من وثيقة مسمارية غير منشورة وغير معروفة ، نسخة إلى رولنسون نفسه وثلاث نسخ أخرى إلى ثلاثة من علماء الآثار الآشورية وهم اليونز المستشرق فى جامعة السربون

---

(١) راجع فيما سبق ، ص ٥٣ – ٥٤ ، ٨٤ .
(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٣٧١ .
(٣) د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ١٩٤ ، ٣٤١ – ٣٤٤؛ د. فاضل عبد الواحد : سومر : أسطورة وملحمة ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ٢٠٠٠ ، ص ١٦ ، ٢٠.

والإيرلندى هينكس والمستشرق الإنجليزى تالبوت . وطلبت من الأربعة كل منهم على انفراد أن يقوم بإعداد قراءة وترجمة مستقلة عن الثلاثة الآخرين لهذه الوثيقة غير المنشورة دون أن يتصل بهم أو يراسلهم أحد . فلما جاءت الردود الأربعة وجدت كلها متفقة مع بعضها اتفاقا يكاد يكون تاما فى القراءة والترجمة وذلك بعد ان شكلت هيئة الجمعية الملكية للدراسات الآسيوية لجنة خماسية لدراستها وتبين بعد المقارنة ان التراجم الأربع متقاربة للنص الذى كان يخص الملك تيجلات بلاصر الأول . وذلك مما عجل بنشر النص الكامل لنقش بيستون بالكتابة البابلية السامية عام ١٨٥١م . ومن هنا لقب رولنسون " بأبى الدراسات المسمارية " .[١] وفى العام نفسه تقريبا أعلن هينكس الإيرلندى أن الكتابة البابلية ليست هجائية بل تتألف من رموز ويمثل كل منها مقطع أو كلمة ذات معنى أو مخصص .هذا وان النص يتكون من مئات من العلامات ذات الأشكال المختلفة .

وتوالت الجهود بعد ذلك لمعرفة المزيد عن الكتابات المسمارية المختلفة من جانب علماء العالم حتى أضحى من السهل الآن قراءة أى نص مسمارى شأنه فى ذلك شأن اللغة المصرية القديمة . وأصبح أرشيف مكتبة قصر آشور بانيبال فى نينوى ذات الألواح الطينية البالغ عددها ثلاثون ألف لوح مصدر لدراسة الخط المسمارى بكتاباته المختلفة ، وقد نقلت هذه الألواح إلى المتحف البريطانى .

ويتضح من كتابات نقش بيستون أن أهل بلاد فارس اشتقوا كلغة رسمية لهم الكتابة المسمارية التى اقتبسوها من الخط البابلى والذى كتب به أولا العيلاميون ثم الميديون والفرس .

وكما ذكرنا سابقا أن أهمية حضارة سوس التى ترجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد فى فجر العصور التاريخية لعيلام فى اختراع الإنسان لعلامات الكتابة التى كانت تسجل على ألواح من الطين وهى الكتابة التى عرفت باسم " ما قبل العيلامية " والتى عرفت فى سوس ودخلت أيضا إلى منطقة سيالك .[٢] كما اشتقت من الكتابة المسمارية العراقية ، الكتابة الفارسية اشتقت أيضا الأبجدية الفارسية ، التى كانت تستخدم علامات ليس لها حروف أبجدية إلى حد ما ، فبالإضافة إلى أنها كانت

---

(١) د شعبان خليفة : المرجع السابق ، ص ١٥؛ وفيما سبق ، ص ٨٧ — ٨٨ حاشية (٣) .

(٢) راجع فيما سبق ، ص ٦٠ .

تتضمن الأصوات البسيطة ، فإن طريقة الكتابة تعرف أيضا بعض العلامات ذات المقاطع . ومن الجدير بالملاحظة القول بأن هذه الكتابة التى استخدمت فى عصر الفرس الأخمينيين (فى الألف الأولى ق. م) قد اخترعت فى الوقت الذى كانت فيه الحروف الأبجدية مستعملة بصفة دائمة فى سوريا ، إلا أنها لم تستطع أن تتخلص من تأثير الماضى وظلت وسطا بين الطريقة السومرية الأكدية التى اندثرت والحروف الأبجدية لرأس الشمرا . وقد تمتعت الولايات التابعة للإمبراطورية الفارسية بشىء من الحرية إذ سمح لها باستخدام لغتها الوطنية الخاصة بها . كما يتضح أيضا من كتابات نقش بيستون الثلاث وجود ثلاثة أساليب للكتابة ، هى :

الأسلوب الأول الذى كتبت به الفارسية القديمة كان بسيطا وكان يتضمن عددا قليلا من العلامات فكان يتكون من ٤٣ علامة[١] وأمكن توضيحها بسهولة . ولمعالجة مثل هذه النصوص كان لابد من مقارنتها لغيرها من النصوص عثر عليها فى بلاد فارس لم يكن هناك سبيل إلا الافتراضات والنظريات . فالمفروض أن هذه النصوص تحدثنا عن الملوك الكبار للفرس الأخمينيين ، وكان لابد من العثور على أسمائهم مع الصيغ المعتادة للمراسيم والنسب والسلالة . وقد نجحت هذه المحاولة وأمكن التعرف منها على أن الحروف الساكنة يمكن أن تختلف تبعا للحروف المتحركة التى تتبعها . لذلك أمكن قراءة هذه النصوص . ولترجمتها كان لابد من الاستعانة بالفارسى القديم الذى كان معروفا . وكتب ملوك فارس جميع نصوصهم التاريخية بالخط الفارسى القديم . وقد وردت بعض مفردات من هذه اللغة فيما سبقها من لغات . فاختراع الكتابة المسمارية التى تعبر عن لغة الفرس القديمة ، يرجع إلى عصر الملك تيبس (حوالى عام ٦٧٥ – ٦٤٠ ق. م) وكانت هذه الكتابة الفارسية القديمة ، محفورة على لوحات من الطين وقد عثر على واحدة فقط فى سوس ، وهى تحمل صورة من القوانين لتأسيس قصر الملك دارا .

أما الأسلوب الثانى الذى كتبت به العيلامية كان صعبا وكان فى الأصل عبارة عن كتابة عرفت فيما بعد كلغة بمنطقة سوس وهى تنتمى إلى مجموعة اللغات

---

(١) د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

الأسيوية . وهي لغة أهل سوس وكـان يتكلم بها أهل عيلام وكتبت بهذه اللغـة بعض النصوص التاريخية والإهداء على الآثار والعقود والصيغ القانونية . وفى ذلـك أبلغ دلالة على وجود لغة تفيض بالحيوية والمرونة .

أما الأسلوب الثالث الذى كتبت به البابلية (أو الآشـــورية) فكـان أكـثر تعقيدا[1] وكان يتكون من فئات من العلامات ذات أشكال مختلفة وربما كانت متـأثرة بالأكدية التى كانت من عائلة اللغات السامية ؟ فيلاحظ أن عدد الحروف فيها أكثر من الأسلوب الأول (أى الفارسى القديم) ، والمحاولات التى أجريت لقـــراءة الأسـماء الملكية التى أعطتنا إياها النصوص الفارسية القديمة ، لم تأت بثمارها المطلوبـــة إلا عندما أمكن فهم أن الكلمة فى هذه الكتابة يمكن أن تكتب بعدد من الحروف المتحركـة أو بعلامة واحدة لها نفس القيمة (المخصص) . كما اكتشف أيضا أن علامة واحـدة يمكن أن تقرأ بعدة طرق مختلفة . وكانت الأكديـــة المســمارية منافسـا للعيلاميـة المسمارية .

ان عدم وصول الكتابة فى بلاد النهرين إلى المرحلة الهجائية أدى بطبيعـــة الحال إلى استخدام أعداد كبيرة من العلامات المسمارية التى بلغـــت فـى العصـور الأولى من تاريخ الكتابة ما يزيد على ٢٠ علامة واختزلت بمـــرور الزمـن حتـى أصبحت ٨٠٠ علامة عام ٢٦٠٠ ق. م .[2]

بالإضافة إلى هذه الكتابات الثلاث أو الأساليب الثلاثة استخدم أهـــل بـلاد فارس اللغة الآرامية التى كانت تستخدم منذ الألف الأولى ق. م . كلغة فـى التبـادل التجارى وأيضا كلغة للتحدث بها . واستخدمت هذه اللغة أيضا فى عصـــر الفـرس الأخمينيين فى إدارة شئون الدولة . وقد احتفظت الكتابة المسمارية الفارسية للفارسـى القديم ببعض العلامات الآرامية وقد أدى كتابة الفارسى بعلامات آرامية إلى نشأة مـا يسمى بالكتابة البالية . ومن بين الثلاثين ألف لوحة التى عثر عليها فى أرشيف مكتبـة القصر الملكى لآشور بانيبال فى نينوى لا يوجد واحدة مكتوبة بالفارسـية . فأغلبـها كتب بالكتابة العيلامية وكتب القليل جدا بالآرامية[3] ، وإلى جـانب اسـتخدام الخـط الفارسى المسمارى فى الكتابة استخدم الفرس فى معاملاتهم التجارية الآراميــة ممـا ساعد على نشاط التعامل التجارى إذ أن الخط الآرامى كان واسع الانتشار فى معظـم بلدان الشرق القديم .[4]

---

(١) د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٦ ، ٢٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦
(٣) Chr. Et J. Palou, op. cit., p. 47.
(٤) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٧٤ – ٢٧٥ .

(٢) الأدب وفروعه :

ترتب على اختراع الكتابة فى إيران ، تقدم الأدب . ومنذ عصر ما قبل التأريخ عثر فى سوس على أول معاهدات للتحالف أو الولاء أو الخضوع ، كتبت بالعيلامية ونجد أنها حررت بنوع من الوعى السياسى مثلا نقرأ : " عدو نرام – سين هو عدوى ، وصديق نرام سين هو صديقى " .

وحررت الحوليات الملكية أثناء حكم الفرس الأخمينيين بنفس الطريقة ، أما عن الأدب الدينى ، فقد تمثل لنا فى الكتب المقدسة التى احتوتها الأفستا وأقدم أجزائها عبارة عن أناشيد ذات طابع حربى وترجع إلى عصور قديمة .

وقد ترك لنا زرادشت شعائر فى عقائده التى نشأت فى مكان ما على حدود الإمبراطورية الإيرانية . وإبان حكم الملك أرتاكسركسيس الأول (أردشير الأول) أمر بجمع النصوص المتفرقة فى الأفستا ونجد أنه أضاف إليها مؤلفات فى الطب والفلك[١] ، وعن الشعر ، فيجب أن نذكر بأن أهم القطع الأدبية عند الفرس ، ترجع إلى عصر الملك أرساسيدس فى القرن الثالث ق. م . فقد عثر على نص شعرى ، من هذه الفترة فى " ذكرى زارير " كتب بالشعر وليس بالنثر كما اعتقد بعض العلماء ، ويبدو أنه كان لهذا النص أصل ونسخة ترجع إلى عصر سابق .[٢]

(٣) العلوم المختلفة :

لمعرفة كافة النواحى العلمية التى توصلت إليها الحضارات القديمة فى الشرق القديم . لا يجب أن ننظر إليها بمقياسنا الحديث ، فالعلوم بالنسبة لنا هى عبارة عن بحث لقوانين المادة والطبيعة . ولم يكن هذا الأمر معروفا فى حضارات الشرق القديم . فالعلوم هى نتائج رؤية من طرف المعبودات مباشرة أو غير مباشرة ، ولكن

(١) Chr. Et J. Palou, op. cit., p. 122.

(٢) Id., op. cit., p. 125.

على الرغم من أن الشرق القديم لم يكن يمتلك تلك الوسائل المادية التى نملكها اليوم ، فإنه استطاع بوسائله البسيطة البدائية أن يتوصل إلى نتائج لا بأس بها .[١]

فهناك مثلا بعض الحقائق التى نعرفها عن الطب وذلك طبقا لما ورد فى أجزاء فى الأفستا . ونعرف أن الطب كان وقفا على الكهنة . وتقسم الأفستا الأطباء إلى ثلاث طبقات :

- هؤلاء الذين يعالجون عن طريق المشرط – أى الجراحين .
- هؤلاء الذين يعالجون عن طريق النباتات والأعشاب أى الأطباء .
- وأخيرا هؤلاء الذين يمارسون الطب عن طريق الكلمة المقدسة ويستطيعون طبقا لذلك مقاومة المرض ، وكانت هذه الطبقة الأخيرة أكثر الطبقات احتراما .[٢]

وكان هناك العديد من الصيغ السحرية ضد الأمراض والأرواح الشريرة . وعرفنا بفضل هذه النصوص أن إيران كانت مركزا لتبادل النتائج العلمية فى الشرق القديم بين مصر وبابل والهند .[٣]

وعاصرت العلوم البابلية حكم الفرس الأخمينيين ، واستمرت حتى بعد دخول الإسكندر ، وكان المراد بكلمة علوم عند الفرس هو الطب والسحر والفلك والتنجيم ، وللأسف تعطينا الأفستا التى تعد أهم مصدر لكل العلوم ، معلومات ضئيلة عن بقية العلوم الأخرى ولذلك من الصعب تكوين فكرة عامة عن كل هذه العلوم والمعارف .[٤]

---

(١) Contenau, op. cit., p. 50 – 51.

(٢) Filliozet, Les Sciences grecques dans L'Empire Achemenid, la Civilisation Iranienne, p. 68 – 70 : Chr. Et J. Palou, op. cit., p. 45.

(٣) Chr. et J. Palou, op. cit., p. 46 et 125.

(٤) Chr. et J. Palou, op. cit., p. 125.

وعلى الرغم من ذلك نقول إن السحر كان معروفا قبل الديانة ، وكـان لـه السيطرة على الأشكال المادية وأمثالها على الأرض . وكان الغرض من السحر ، هو عمل مجموعة من الصيغ ، التى تؤدى أحيانا عن طريق الطقوس ، لحماية المجتمـع والبشر من الأرواح الشريرة .(١)

أما الفلك وتفسير الأحلام فكانا يستخدمان كطريقة عادية للتنبوء ، الذى كـان يمارس بطريقة رسمية . وكان هناك رجال الفلك الذين يستخدمون لوحات المسـافات للقياس فى مجال الفلك .

أما الحساب فكان معروفا منذ القدم فى إيران . ويقوم على التخمين أكثر مما يقوم على قواعد وتطبيقات معروفة .

سادسا : الحياة الفنية :

ينسب إلى الميديين فى فن النحت عدة آثار من إنتاجهم :

- تمثال أسد نحت من الحجر على مقربة من همدان .
- على مقربة من سربل بين قصر شيرين وكرمانشاه نحتت قطعة حجرية كبـيرة وتعرف باسم دكان داود .
- بعض النقوش بالقرب من كرمانشاه حفرت فيها صورة لأهورا مـازدا ونقـش بارز لشخص يتعبد .(٢)

العمارة :

على الرغم من قلة ما عثر عليه من الآثار حتى الآن إلا أنه يدل بوضـوح على مهارتهم فى فن العمارة والبناء . فقد عمل أهل فارس منذ البداية على اسـتخدام

(١) Chr. et J. Palou, op. cit., p.126.

(٢) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

الأحجار الصغيرة فى النقش الغائر الذى يزين القصور والجدران الخارجية من أسفل . وعملوا أيضا على وضع أبنيتهم فوق مسطح مرتفع ولم يكن هذا المسطح مبنيا من الطوب اللبن كما فى سومر ، ولكنه كان منحوتا فى الصخر المعد . وقد طبق هذا الاتجاه فى برسى بوليس . وقد عثر على بقايا قرى ومدن على هيئة أكوام صناعية والتى عرفت فى إيران باسم " تبة " .

وكشفت لنا حفائر سوس عن بقايا قصر الملك أكسركسيس الأول[١] إذ تعد مجموعة الدرجات الحجرية والساحة الفسيحة وما بها من عمد شامخة فى هذا القصر من آيات الفن الفارسى القديم . ويبلغ ارتفاع الساحة ما بين عشرين وخمسين قدما وطولها نحو ١٥٠٠ قدم وعرضها ألف قدم . وفى أعلى الدرجات يوجد المدخل وهو واسع تحف به تماثيل هائلة لثيران مجنحة برؤوس بشرية وقد أقيم هذا القصر على ٧٢ عمودا لم يبق منها إلا ١٣ فقط ، مازالت موجودة بين حطام القصر .[٢]

وكانت مقابر الملوك والأمراء الفرس محفورة على ارتفاع عال فى جدران الصخور[٣] ، ومن هذه المقابر مقبرة الملك قورش فى " بازارجادة " التى مازالت على الرغم من تهدمها تعد آية فى الجمال[٤] ، وأيضا مقبرة دارا الأول فى نقش رستم ، القريبة من برسى بوليس .[٥]

---

(١) شيدت هذه المدينة فى عام ٥٢٠ ق. م ، ولكن فى عام ٣٣٠ ق. م . قام الإسكندر الأكبر بهدم كل مبانيها وتحطيم قصر الملك دارا الأول فيها .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ – ٢٨٦ شكل ٦٠ .

(٣) Contenau, op. cit., p. 67.

(٤) عن بازارجادة ، راجع :
Ghirshman, Perse, Proto – Iraniens, p. 131- 145, 224 – 237, 295 – 296, 347 – 348. وعن أهم آثارها المعمارية ، راجع :
Id., op. cit., Fig. 174 – 175, 178-179, 181 – 184.

(٥) عن نقش رستم ، راجع : Id., op. cit., p. 134- 201, 226 – 227, 229 – 230, 269, 296, 348. وعن أهم آثارها المعمارية ، راجع :
Id., op. cit., Fig. 275 – 277, 279.

وكشفت الحفائر بالقرب من سوس فى تشوجا – زامبيل على موقع هام عثر فيه على بقايا زاقورة ضخمة ، وعثر حولها على كثير من المعابد المشيدة من الطوب اللبن ، التى تحمل اسم الملك العيلامى " اونتاش – هوبان " الذى عاش فى القرن الثالث والثانى عشر ق. م. وهذه الزاقورة تعد من أشهر الزاقورات فى إيران وجارى الكشف عن بقاياها حتى الآن .(١)

وكشفت لنا حفائر سوس عن نموذج من البرونز مؤرخا من نهاية الألف الثانية ق. م ، يمثل هذا النموذج معبد مقدس مع زاقورته ، التى كانت مشيدة على هيئة مسطحات من خزانات للمياه المستخدمة فى الطقوس ، والحديقة المقدسة ، التى كانت ملحقة بالمعبد . وقد اقتبس الفن اليونانى الكثير فى مجال العمارة من العناصر الفارسية .(٢)

وبالنسبة للفنون الأخرى مثل الرسم والنحت والنقش فيمكن القول بأن فن النحت الفارسى القديم يرجع إلى العصر الحجرى الحديث عندما بدأ الإنسان فى نحت العظام ، وقد ترك لنا فنانو عصور ما قبل التأريخ رسوما غاية فى الدقة على جدار الفخار الملون ، التي تمثل حيوان الماعز أو الجدى . وقد عثر فى سيالك على رسم لمحارب يضع غطاء رأس ومغطى بمعطف طويل .(٣) وظهر اتجاه فنى جديد بالنسبة لتمثيل الحصان والشمس وتمثيل الأشخاص على الفخار منذ القرن الثامن ق. م.

وفى حوالى عام ٢٥٠٠ ق. م . ظهرت النقوش البارزة ، التى تمثل الملك نرام – سين ملك أكد ، وهو ينتصر على الشعوب اللولوبية وهى منطقة بين كرمانشاه

---

(١) هناك منظر عام لزاقورة تشوجا زامبيل ، راجع :
Parrot, op. cit., p. 26 Fig. 42.

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

(٣) Chr. et J. Palou, op. cit., p. 116.

الحالية وبغداد . وهو أول نقش بارز معروف فى غيران قام بتقليده بعد ذلك الفرس الأخمينيين .

وبلغ فن صهر المعادن مرحلة كبيرة من الدقة فى التمثال المعروف باسم إمرأة اونتاش هوبان من القرن الثانى عشر ق. م .

وكان هناك فنون محلية فى مناطق مختلفة منها فن الشعوب السكيثية . وهو فن يغلب عليه تمثيل الحيوان والزخارف ، وفن لوريستان الذى يعطى أقدم مثل لتمثيل الأشخاص من الأمام ، ثم الفن الميدى ولم يصلنا منه إلا بقايا نادرة منها المقابر المنحوتة فى الصخر فى سارى بول وتمثال أسد همدان . ولأنهم كانوا شعبا محاربا ، فإنهم كانوا يمثلون السلحة وسروج الخيول . أما الفن الأخمينى الذى جاء عام ٥٥٠ ق. م . فهو فن البلاط الملكى ونجد فيه الزينة والضخامة والجمود دون الحرية فى التعبير .

وكان الفن الأخمينى يحاكى الفن البابلى . وكانت العمارة بسيطا فيها من نحت ، مملوءة بالتفاصيل الدقيقة منها حائط الخالدين فى متحف اللوفر . وكانت الألوان المستخدمة تمتاز بالحيوية . وكان الأخمينيون يزينون قصورهم بتماثيل يونانية . ويبدو أن التماثيل كانت قاصرة فقط على الملوك وكبار الشخصيات[١] وقد عثر حديثا فى برسى بوليس على رأس جميلة لأميرة صغيرة وأيضا على تمثال من البازلت الأسود عثر عليه عام ١٩٧٢ للملك دارا نفسه نقش عليه أسماء البلاد التى غزاها فى مناطق الشرق القديم – وكتب النص بالهيروغليفية .[٢]

وقد بلغ فن النحت ذروته فى عصر الملك دارا وسوف يندثر مع اختفاء الأسرة .

---

(١) Chr. et Palou, op. cit., p. 117.

(٢) راجع فيما سبق ، ص ٩١ ، ١١٠ .

وكان الفرس يميلون إلى الزينة فـأكثروا مـن اسـتخدام أدوات التجميـل والمساحيق والزيوت العطرية والأصباغ وكان لديهم أنـواع مختلفـة مـن الحلـى والأقراط والخلاخل والعمائم والأساور وغيرها .

واستعملوا الحلى وخاصة الفضة والبرونز إذ عثر علـى دبـابيس تنتـهى بأشكال تمثل رؤوس الحيوانات[١] وكانوا يستخدمون التيجان والأحذية .[٢]

بقايا العواصم القديمة فى إيران :

سوس : تعرف حاليا باسم شوش وهى تقع على شط العرب وقد تعـرف العلماء على هذا الموقع الهام فى منتصف القرن التاسع عشر بفضل الحفائر السطحية التى قام بها العالم الإنجليزى " لوفتوس " ، وبعد حوالى ثلاثين عاماً تقريبا ، فى عـام ١٨٨٤ ، قام الفرنسى " ديلافو " بعملية حفائر وكشف عن " لوحة الرماة " التى شيدها الملك قورش الكبير والملك دارا الأول ، وهى الآن بمتحف اللوفر بباريس . وكشـف فيها أيضا العالم الفرنسى " دى مورجان " عن تمثال من البرونز للملكة نابير – إسـو التى عاشت فى القرن الثالث عشر ق. م . ولكن التمثال ينقصه الرأس (وهو موجود أيضا بمتحف اللوفر بباريس) .

كما كشف فيها عام ١٩٥١ عن لوحة حمورابى التى تعد من أهـم الآثـار الشرقية المعروفة وهى محفوظة الآن بمتحف اللوفر بباريس .

وبالقرب من سوس ، عثر فى تشوجا – زامبيل على موقع هام ، عثر فيـه على زاقورة ضخمة ، وعثر حولها على كثير من المعابد المشيدة من الطوب اللبـن ، والتى تحمل اسم الملك العيلامى " اونتاش – هوبان " ، الذى عاش فى القرن الثـالث

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٨٣ شكل ٥٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧١ .

أو الثانى عشر ق. م ، وهو ينتمى فى الأصل إلى أسرة كاسية ، وكان الكاسيون فى الأصل من أهل الجبال ويفتقرون إلى حضارة تنسب إليهم وهم الذين نهبوا بابل وآثارها ، ومن بينها لوحة حمورابى .[١]

برسى بوليس :

إلى جانب سوس ، كان يوجد مدينة برسى بوليس التى شيدت عام ٥٢٠ ق. م .ويوجد بها حتى الآن بقايا قصر الملك دارا الأول .[٢] ولكن فى عام ٣٣٠ ق. م . قام الإسكندر الأكبر بهدم كل مبانى المدينة وتحطيم القصر الملكى .[٣]

---

(١) Eydoux, A la Recherche des mondes Perdus, Paris (1967), p. 53 – 60.

(٢) عن حفائر هذه العاصمة الهامة وآثارها المعمارية ونماذج النحت فيها ، راجع ما جاء فى فهرس مؤلف جهير شمان حيث استعرض الصفحات التى تشير إلى كل ما عثر فيه فى هذه العاصمة :

Ghirshman, Perse, Proto – Iraniens, p. 397

وراجع أيضا فيما سبق ، ص ٨٢ حاشية (٢) .

(٣) Eydoux, op. cit., p. 60 – 70.

تاريخ العراق القديم وبعض مظاهر حضارته

تاريخ العراق القديم*

أهمية الموقع الجغرافي :

يعد العراق من بين المناطق التى تتمثل أمامنا ، كبلد أكثر غنى وأكثر حظـا من جيرانه ، فقد كان مركزا هاما لعوامل التقدم فهو فـى موقـع جغرافـى ممتـاز وخصائصه الطبيعية هى التى جعلته يتمتع بذلك الثراء منذ البداية ، هذا الـثراء هـو

(*) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : الجزء الأول : مصر والعـراق ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٦ والطبعـة الثالثـة ، ١٩٨٢ .
- د. نبيله عبد الحليم : معالم العصر التاريخى فى العراق القديم، الإسكندرية، دار المعارف ، ١٩٨٣ .
- نخبة من الباحثين العراقيين : حضارة العراق ، بغداد ، دار الحريـة للطباعـة ، الجزء الرابع ، ١٩٨٥ .
- ليواوبنهايم : بلاد ما بين النهرين (ترجمة سعدى فيضى عبد الرزاق) بغـداد ، دار الشئون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام ، الطبعـة الأولـى ١٩٨١ ، والطبعة الثانية ، ١٩٨٦ .
- حياة إبراهيم : نبوخذ نصر الثانى (٦٠٤ - ٥٦٢ ق. م) وزارة الثقافة والإعلام المؤسسة العامة للآثار والتراث ، بغداد ١٩٨٣ .
- راجع حديثا د. أحمد سليم : تاريخ العراق - إيـران - آسـيا الصغـرى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٢١ - ٢٩٦ .
- د. فاضل عبد الواحد : سومر : أسطورة وملحمة ، وزارة الثقافة والإعـلام ، دار الشئون الثقافية ، بغداد ٢٠٠٠ .

بعض المراجع الأجنبية :
- Amiet, les Civilisation Antiques du Proche – Orient, Paris 1971 .
- Parrot, Summer . Paris 1960 .
- Parrot, Assur, Paris 1961 .
- Contenau, les Civilisation Anciennes du Proche Orient, Paris 1963 .

الذى جعله يعرف التطور الحضارى فيما بعد . كان لموقع العراق الجغرافى أثر هـام فى سير تاريخه سواء كان ذلك من حيث الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بوجه عام أم من حيث أهميته العسكرية أم من ناحية تركيبة سكانه واتصالاته بالأقطار الأخرى والأقوام المجاورة إلى غير ذلك مما للموقع الطبيعى من نتائج مؤثرة فى سير أحداث التاريخ وتطور مظاهر الحضارة . فهو مشرف على الجزء الشرقى من الشرق الأدنى القديم ، وهذا الجزء من الشرق هام فى موقعه لأنه يقع على الجسر الأرضى الذى تلتقى فيه القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا .

وكان هذا البلد خلال العصور التاريخية القديمة طريقا مهما يصل الأمم الغربية بالأمم الشرقية حيث كان ملتقى طرق القوافل التجارية للاتصال بين البحر المتوسط والمحيط الهندى وأقطار الشرق الأقصى ، بالطرق البرية ثم بواسطة الخليج العربى والمحيط الهندى .(١)

ففى العصور الحجرية القديمة كانت أحوال المناخ وطبيعة الأرض والنبات الطبيعى تختلف اختلافا أساسيا عما هى عليه الآن إذ أن تلك العصور الحجرية تقع فى العصر الجيولوجى المعروف بعصر الجليد (البلايستوسين) . وكان العراق أثناء العصور الجليدية أكثر رطوبة مما هو عليه الآن لأن الأمطار كانت أكثر غزارة وتسقط فى فصل الصيف وفصل الشتاء .

وتوجد فى العراق الأقسام الطبيعية الثلاثة التى يتكون منها سطح الأرض :
المنطقة الجبلية : وتشمل هذه المنطقة الجبال العالية والمرتفعات شبه الجبلية وتمتد من جهات البلاد الشمالية والشمالية الشرقية إلى حدودها المشتركة مع إيران وتركيا وسوريا ، وتتلاشى عند حدود السهل الرسوبى والهضبة الصحراوية فى الجنوب والغرب وتتألف الحدود الجنوبية من سلاسل جبلية واطئة مثل جبال حمرين ومكحول والعطشان وتلعفر وسنجار ، وإذا اقتربنا من الحدود التركية والحدود الإيرانية تصبح الجبال شاهقة الارتفاع تكسو قممها الثلوج طيلة أيام السنة وتغطيها الغابات

---

(١) نخبة من الباحثين العراقيين : حضارة العراق ، ص ١٦ – ٢٠ .

والحشائش ، وتخترق هذه المنطقة جميع روافد نهر دجلة وهـي الخـابور والـزاب الكبير والزاب الصغير والعظيم وديالى .[١]

الهضبة الصحراوية : تقع الهضبة الصحراوية فى غرب العـراق وتحتـل حوالـى ٦٠ % من مساحته ويتراوح ارتفاعها بين ١٠٠ - ١٠٠٠ مترا . وتعتبر من حيـث التضاريس جزءا من هضبة شبه الجزيرة العربية ولهذا يصبـح سـطحها متموجـا وتنتشر فيه التلال الصغيرة والوديان التى نتجت عن الحركات الأرضية فحدثت فيـها إنكسارات والتواءات بسيطة . وتوجد فى الهضبة منخفضات ووديان عديـدة وتـلال قليلة وصخور وكتل من جص ومدرجات وكثبان رملية ومع ذلك فإن تباين الصخـور والتربة والنباتات الطبيعية والمطر يميز قسمين رئيسيين هما هضبة الجزيرة وهضبـة البادية الغربية ، وتمتد هضبة الجزيرة ما بين جبال مكحول - سنجار شمالا والسـهل الرسوبى جنوبا ومجرى نهر الفرات والحدود السورية غربا وجبل حمريـن شـرقا . ويجاور هضبة البادية الغربية مجرى نهر الفرات من الشرق وتشترك مع بادية الشـام وتمتد إلى داخل شبه الجزيرة العربية ويتخللها عدد من الأودية تجـرى فيـها ميـاه الأمطار وأرضها رملية منبسطة فى بعض المنـاطق المتموجـة وتقطعـها أوديـة ومنخفضات فى مناطق أخرى .

لم تكن البادية من الناحية الحضارية قديما جزءا مهما من العـراق ولكنـها كانت منفذا لاستقبال هجرات الأقوام إلى العراق منذ أقدم العصور .

السهل الرسوبى : يبلغ طول هذا السهل ٦٥٠ كم وعرضه ٢٥ كم ويمتد على شـكل مستطيل باتجاه شمالى غربى وجنوبى شرقى بين مدينة تكريت على نهر دجلة ومدينة هيت على الفرات من جهة الشمال وجبال زاجروس مـن جهـة الشـرق والهضبـة الصحراوية من جهة الغرب والبادية الجنوبية والخليج العربى من جهـة الجنـوب ، ويشغل السهل الرسوبى حوالى ٢٠ % من مساحة العراق .

---

(١) نخبة من الباحثين العراقيين : المرجع السابق ، ص ٣٠ .

وقد أدرك العراقيون القدماء ظاهرة ارتفاع وادى نهر الفرات بالنسبة إلى وادى نهر دجلة فشقوا من الفرات أنهارا كثيرة للرى باتجاه نهر دجلة وجعلوا من السهل الرسوبى ابتداء من شمال بغداد – الفلوجة شبكة واسعة من مشاريع الرى الكبيرة والصغيرة . وتكون منخفض هذا السهل فى أوائل الزمن الجيولوجى الأخير نتيجة حدوث حركات أرضية هبطت بعدها الأقسام الجنوبية من العراق . وتكون السهل الرسوبى من الرواسب التى تنقلها مياه نهر دجلة والفرات من الشمال والرواسب التى تأتى بها السيول المنحدرة من وديان الهضبة الصحراوية فى الغرب مثل وادى حوران والأبيض والبطن والتى تأتى بها الأنهار والجداول المنحدرة من المرتفعات الشرقية .(١)

ويفترض العلماء بأن الخليج العربى تقدم إلى شمال مدينة أور فى الفترة ما بين سنة ٥٠٠٠ وسنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد .(٢) ويبدو أن انفتاح العراق على الخليج العربى يسر سبل الاتصال البحرى بأقطار الخليج وبالأجزاء الجنوبية من شبه الجزيرة والهند .

ارتبط نشوء الحضارة فى بلاد النهرين منذ البداية بوجود النهرين الكبيرين دجلة والفرات وروافدهما فعلى ضفاف الأنهار تأسست القرى الزراعية الأولى فى العراق وكانت الزراعة وما تزال أهم الحرف الاقتصادية لسكان هذا البلد . وقد مهدت الحياة الزراعية فى مراحلها المبكرة السبيل إلى قيام أقدم الحضارات البشرية فى العالم . فهناك نهران كبيران أثرا فى طبيعة وتوجيه حضارات العراق القديم . لذلك يطلق على العراق فى بعض الأحيان اسم " بلاد النهرين " وهما يستمدان مصدريهما على بعد قليل أحدهما من الآخر فى سلسلة جبال أرمينيا التى تقع جنوب القوقاز وهما يبتعدان عن بعضهما فى البداية ممهدان طريقا فى الجبال ، ثم يقتربان

---

(١) نخبة من الباحثين العراقيين : المرجع السابق ، ص ٣٥ – ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠ .

من بعضهما إلى حد ما حتى أنهما لا يفترقان إلا لمسافة قدرها ٣٠ كم على مرتفعات بغداد ، ثم يفترقان من جديد لكى يلتقيا فى – قورناه – فى فرع واحد ، هو شط العرب الذى ينتهى بدلتا يتفرع منها عدة روافد تصب فى الخليج العربى على بعد ١١٤ كم إلى الجنوب .

وكان مجرى النهرين الذى يشبه إلى حد كبير الرقم ثمانية باللغة الأوربية مختلفا جدا فى جزئه الأسفل فى العصور القديمة . وتكونت فى الأجزاء السفلى من مجريهما على مر العصور فيما بعد أرض رملية بدون انحدار . وقد تعرض هذان المجريان لعدة تغيرات ، فبينما وجدنا فى المناطق العليا من البلاد أن مياه مجرى النهرين تناسب بشدة وتزداد مع كل ربيع بسبب ذوبان الثلوج ، إذ وجدناها تغمر الأقاليم التى تمر بها فى الأجزاء السفلى ، ويبدأ هذا الفيضان فى شهر مارس ويبلغ ذروته فى شهر مايو ويبدأ انخفاض المياه عادة فى شهر يونيو حتى سبتمبر ، ولا يحدث هذا الفيضان بكميات محدودة . كما بالنسبة لنهر النيل ، ولكنها على العكس تندفع فى عنف وضراوة إلى جانب عدم انتظام مواسمها مما يؤدى إلى تأثيرات ونتائج لا يمكن تجنبها ، ولهذا لابد من التحكم فى حصر مياه الفيضان وتنظيمها عن طريق حفر قنوات وبناء جسور ، وهذا ما كان يشغل كل حاكم وكل ملك .(١)

وكان لهذه الخاصية بالنسبة للنهرين نتيجة أخرى وهى أنه تحت تأثير مياهما المختلطة بالرمال وقطع الصخور التى تجلبها فإن مصبيهما امتلأ شيئا فشيئا بالرمال ، وأصبح الشاطئ نتيجة لهذا العامل على بعد كبير من الخليج العربى ، وقد بلغت مساحة الأرض المكتسبة من البحر حوالى ٢٠٠ كم منذ عام ٣٠٠٠ ق. م .

ومن المحتمل جدا أن عملية سد المصاب عن طريق الرمال قد تم بصورة أسرع فى العصور القديمة أكثر مما عليه الآن . وعلى أية حال ، ففى فجر التاريخ – فى حوالى عام ٣٠٠٠ ق. م . كان نهر دجلة والفرات يصبان فى ذلك الوقت فى الخليج عن طريق مصبين مختلفين ولم يكن هناك شط العرب – وقد أقيمت فى تلك

---

(١) Contenau, op. cit., p. 12.

الفترة أولى المنشآت السومرية ، إن لم يكن على الخليج نفسه فعلى الأقل على المناطق الضحلة التى كونتها دلتا النهرين ، وقد وجدت مدن تلك المنشآت مهدمة على هيئة نصف دائرة فى وسط الصحراء .

ويرى بعض العلماء أن مجرى النهرين كان قد انخفض مما أدى إلى وجود المناطق الضحلة ولكن لا ينبغى الأخذ بهذا الرأى فى الحسبان ، لأن عملية سد المصاب بالرمال ظلت مستمرة من العصور القديمة حتى يومنا هذا .

وقد تأثرت منتجات العراق بهذا التكوين الطبيعى لجزء من أرضها فنجد أن كل الجزء الأسفل – ابتداء من مدينة حيت الحديثة – الذى تكون من عملية سد الخليج ، لا يحتوى على أية ثروات طبيعية تحت سطح الأرض من محاجر حجرية أو معدنية . والطقس الذى تبلغ درجة حرارته ٥٠ فى فصل الصيف حتى منطقة بغداد ، لا يسمح بزراعة النباتات إلا إذا غمرت الأرض بالمياه وبكثرة عن طريق مشروعات الرى . ولهذا السبب كانت تستخدم شبكة من القنوات التى كانت عرضه للتطهير والتحسين باستمرار من جانب الملوك القدماء لبلاد النهرين . وكانت زراعة محاصيل الحبوب تبلغ درجة كبيرة من النمو ، فطبقا لما ذكره هيرودوت : [١]

" أن زراعة حبة واحدة تعطى مائتين أو ثلثمائة حبة مثلها " ولكن فى هذا الأمر شئ من المبالغة إذ أن الحبة الواحدة من الغلة تعطى ثلاثين أو أربعين حبة مثلها كل عام . ونجد أن أهم الأشجار فى الجنوب حتى بغداد ، هو النخيل ، الذى تستخدم ثماره فى تغذية السكان على حين تستخدم أخشابه فى استعمالات محلية عديدة ، إذ تمتاز بالخفة وعدم الصلابة ولكنها خامة غير جيدة إذا قارناها بأخشاب الأرز من لبنان .

وإذا توغلنا شمالا حتى نصل إلى المنطقة الجبلية ، نجد أن الأرض أكثر ثراء ، فمنطقتا الموصل وكركوك تشتهران بمصادرهما البترولية . وقد اختفى النخيل

---

(١) Contenau, op. cit., p. 11.

فى تلك المناطق وحل محله أنواع مختلفة من أشجار الغابات التى تتناسب مع الطقس المعتدل ، وعلى الرغم من وجود تفاوت كبير فى درجة الحرارة فإننا نـرى أيضا وجود زراعة نباتات تشبه نباتات المناطق الجافة ، وخاصة أشجار الكروم التى بدأت تنمو فى هذا المناخ .(١)

أما عن الحيوانات الأليفة فى العراق القديم ، فقد كانت عبارة عن العجول الصغيرة من نوع Bos Primigenius ، العجل الآسيوى ، والجاموس الذى كان يستورد من الأناضول ، والعجل ذى الظهر الملتوى من منطقة الهند ، والأغنام والخراف بأنواعها العديدة ، منها مثلا الخراف ذات الأذن الطويلة ، وذات القرون المتفرعة ، وذات الصدر الكثيف الوبر . وقد صور العراقيون القدماء كل هذه الأنواع على الآثار وأيضا العديد من الحيوانات المتوحشة والمستأنسة مثل الغزال ، والماعز . وقد عرف العراقيون القدماء أيضا الخنزير وصيد الخنزير الوحشى وكان عليهم أن يحموا أنفسهم من شر الأسود ذات الأشكال الآسيوية المتعددة والتى كانت تقل فى الحجم عن تلك التى تعيش فى أفريقيا ، وكان عليهم أيضا أن يدافعوا عن أنفسهم من الفهود والثعابين والحشرات الضارة والعقارب . وعرفوا أنواعا عديدة من الكلاب الضخمة ، ومنها نوع متميز مثل الكلب السلوقى Levrier الذى كان يستخدم فى ذلك الوقت لحماية القطيع ، ولم يعرف الحصان فى العراق القديم ، ولكن فى البلاد المطلة على الحدود ، كان معروفا ومستخدما فى تلك المناطق ولم يستورد إلا ابتداء من الألف الثانية ق. م . وحتى ذلك الوقت كان الحمار هو المستخدم ، وخاصة الحمار الوحشى الذى يطلق عليه Onagre من فصيلة Hemione الذى كان يؤدى نفس الخدمات التى تؤديها الخيول .(٢)

وظهرت فى الجزء الجنوبى من العراق فى بداية الأمر – حضارة سومر – التى بسطت نفوذها على بقية العراق بطريقة فعالة بفضل تقدمها الحضارى أكثر من

---

(١) Contenau, op. cit., p. 10.

(٢) Id., op. cit., p. 13.

فاعلية جيوشها وأسلحتها ، وأهم مدنها كانت تقع على ساحل الخليج وعلى امتداد شواطئ النهرين أو على حواف القنوات التى تربطهما معا ، ونعرف من هذه المدن :

أريدو (اليوم أبو شاهرين) اور ، نيبور ، لجش (تلو) اوما (دوحا) ، أداب (بسمية) لأرسا (سنقره) .

أما فى الشمال فقد كانت تمتد بلاد أكد وكانت أهم مدنها : كيش (حاليا أوهمير) ، بابل (التى كانت تقع بالقرب من كيش ولم يظهر اسمها إلا فى خلال الألف الثالثة ق. م) ، سيبار (حاليا أبو حبة) اشنونا (تل اسمر) . ومن بداية الألف الثانية ، أصبحت بلاد أكد هى بلاد بابل .[1]

وفى المنطقة التى تنحصر وسط حوض النهرين ، توالت بلاد سوبار أو سوبارتو – التى دخلت التاريخ فى عصر متأخر بين الحضارتين السابقتين . وكانت تعادل فى جزئها الأكبر فى هذه الفترة بلاد آشور (اليوم قلعة شرجات) ، قلعة ، نمرود ، ونينوى .

وهكذا فى أعقاب ممالك بلاد سومر وأكد توالت إلى حد ما على نفس الأرض حضارة بابل وآشور .

وفى شرق العراق ترتفع – جبال زاجروس – فيما يشبه نصف دائرة ومن ورائها تمتد هضبة إيران . وكانت جبال زاجروس موطنا لسكان يغلب عليهم الطابع القبلى ويمتازون بالسلب والنهب ، وكان رخاء السهول يدفعهم باستمرار إلى الإغارة على المناطق الأكثر ثراءا ، وهم من الشمال إلى الجنوب الشعوب اللولوبية والكاسية .

وقد ورد اسم دجلة فى النصوص المسمارية والسومرية ويكتب أدكنا وفى النصوص الأكدية كتب إدكلات بمعنى الجارى أو الراوى . وجاء من هذا الاسم الأخير الاسم العربى للنهر " دجلة " ، أما الفرات فقد ورد اسمه فى النصوص

---

(١) Contenau, op. cit., p. 12 – 13.

المسمارية بمجموعة من العلامات تنطق بوراتى ويرادف ذلك فى الأكدية لفظ بوراتى ومنها الاسم بالعربية : فرات أى الرافد أو الماء العذب .(١)

اختلف العلماء حول التسمية " عراق " وهناك ثلاثة آراء يقدم أصحابها معانى مختلفة . فيرى الفريق الأول أن كلمة " عراق " عربية الأصل ومعناها الشاطئ فالبلاد القريبة من الخليج هى عراق وهى كذلك لأنها تقع على شاطئ دجلة والفرات ، ومعناها أيضا الجبل سفوح الجبل . ويرى فريق آخر أن كلمة عراق ترجع فى أصلها إلى لغة قديمة ربما تكون السومرية وهى مشتقة من كلمة أوروك أو أنوك التى تعنى المستوطن وهذه الكلمة سميت بها المدينة السومرية المشهورة الوركاء . أما الفريق الثالث فيقول إن أصل هذه الكلمة أجنبى وتعنى ايراء بمعنى الساحل وقد عربت إلى ايراق ثم عراق .

ويرى الباحث الآثارى هرتسفلد أن عراق معرب من ايراك التى تعنى البلاد السفلى أو السهل السفلى ويقال أن أول استخدام لكلمة عراق ورد فى العصر الكاسى فى وثيقة يرجع تاريخها إلى القرن الثانى عشر قبل الميلاد .(٢)

استخدم عدد من الكتاب اليونان والرومان وأولهم هيرودوت مصطلح بلاد بابل وآشور لإطلاقه على البلاد كلها أو على الأجزاء الوسطى والجنوبية منه . كما استعملوا تسمية " كلدية " نسبة إلى الكلدانيين الذين أسسوا الدولةالكلدانية ما بين القرن السابع والسادس قبل الميلاد .

وفى الفترة ما بين القرن الرابع والثانى قبل الميلاد استخدم الكتاب اليونان والرومان مصطلحا آخر هو ميزوبوتاميا (بلاد ما بين النهرين) وشاع استعمال هذا المصطلح عند الكتاب الأوروبيين وكان يطلق على هذه البلاد كلها ، وأقدم استعمال

---

(١) نخبة من الباحثين العراقيين : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣ – ١٤ ؛ وأيضا د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ١ . وراجع فيما بعد ، ص ٢٤١ .

لمصطلح ميزوبوتاميا ورد فى كتاب المؤرخ بوليبوس فى القرن الثانى قبل الميلاد والمؤرخ الشهير سترابون فى القرن الأول قبل الميلاد لإطلاقه على الجزء المحصور ما بين دجلة والفرات ، وشاع استعمال هذا المصطلح الأخير فى اللغات الأوروبية بعد ترجمة التوراة إلى اليونانية واللغات الأوروبية إذ جاء فى التوراة (التكوين ، إصحاح ٢٤ : ١٠) ذكر إقليم ارام نهرايم الذى يعنى أرام النهرين أى بلاد ما بين النهرين للدلالة على الإقليم المحصور بين نهرى الفرات والخابور .

• ولما شاعت كلمة عراق ما بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين تطورت في الاستعمال واتسع مدلولها عند الجغرافيين العرب فقد كثر ذكر اسم العراق فى الشعر الجاهلى واقترن بالرخاء . وأطلق العرب أيضا على بلاد النهرين الشمالية اسم الجزيرة وأطلقوا اسم العراق على الأقسام الوسطى والجنوبية كما سموه بلاد بابل أو أرض بابل . وهذا المصطلح ظل متوارثا منذ العهد البابلى القديم فى الألف الثانية قبل الميلاد ، وصار مدلول العراق شائعا فى الاستخدام عند المؤرخين العرب حتى صار يشمل العراق الحالى تقريبا . وتبلورت حدود العراق الحالية بوجه خاص فى العصر العثمانى فى القرن التاسع عشر .[١]

وعند الحديث عن حضارة العراق القديمة فإن أغلب الكتب العربية تستخدم اصطلاحات ومسميات منها " حضارة ما بين النهرين " . وكما يذكر د. صالح أن مواطن الحضارة العراقية القديمة لم تكن قاصرة على مناطق ما بين النهرين [٢] ، وإنما امتدت إلى ما حول النهرين أيضا ، أو أحيانا يستخدمون التسمية " حضارة بلاد الرافدين " . ونقول أيضا أن حضارة العراق القديمة لم تقتصر على روافد النهر بل قامت حضارات فى غرب الفرات وشرق دجلة وفيما ورائها فى المناطق المختلفة من الأراضى التى كان يشملها العراق القديم ، ولهذا فمن الأفضل القول " حضارة بلاد

---

(١) نخبة من الباحثين العراقيين : المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، الطبعة الثالثة ١٩٨٢ ، ص ٣٧٤ .

النهرين القديمة " أو " تاريخ بلاد النهرين القديم " فهذه التسمية تعطى معنى أكثر شمولا .

مصادر دراسة تاريخ العراق القديم وحضارته :

- المادة الأثرية بأنواعها :

تعد الآثار بأنواعها المصدر الأول والرئيسى لدراسة تاريخ بلاد النهرين القديم ومظاهر حضارتها القديمة . وتشمل هذه المادة الأثرية جميع أنواع البقايا الأثرية القائمة والمكتشفة والتى يتم العثور عليها أثناء عمليات الحفائر والاكتشافات الأثرية المستمرة .

ولعل أهم ما يميز هذه المادة الأثرية (كما ذكرنا سابقا بالنسبة لتاريخ إيران القديم) عن غيرها من المصادر : أنها جزء من تراث هذا البلد ، أنها المصدر الأكثر صدقا والأقرب إلى الصحة ، أنها المصدر الوحيد الذى عاصر كل الأحداث التى مر بها تاريخ بلاد النهرين القديم ، أنها من تفكير وصنع وإنتاج وتنفيذ الشعوب القديمة التى سكنت بلاد النهرين وتعبر عن أحداث تاريخهم القديم ومظاهر حضارتهم القديمة .

وتنقسم هذه المادة الأثرية إلى نوعين منها ما هو منقوش أو مكتوب ومنها ما هو غير منقوش أو مكتوب .

هذا إلى جانب ما تركه الآشوريون والأكديون والبابليون من نقوش تاريخية فى شكل قوائم أو حوليات وهى تعد أيضا جزءا هاما من هذه المادة الأثرية .

٢- ما تركه الآشوريون من نقوش تاريخية :

كان الآشوريون أول من قسم التاريخ فى الشرق القديم إلى عصرين :

التاريخ القديم : ويبدأ منذ أن بدأ العالم إلى ما قبل عصر حدوث الطوفان .

والتاريخ الحديث : وكان يبدأ بالنسبة لهم بعد عصر حدوث الطوفان وما يليه .

وقد اتبع الآشوريون أكثر من طريقة بالنسبة لتدوين التاريخ :

أولها : إما بأن سموا السنين بأسماء كبار رجال الدولة .

ثانيها : أو قيام الكتبة بتدوين حوادث الملوك فى قوائم منذ توليهم العرش . وذكروا بعض الأحداث الهامة التى وقعت فى عهدهم مثل حادث كسوف الشمس الذى تبين لهم أنه حدث فى ١٥ يونيو عام ٧٦٢ ق. م . وقد اتخذ هذا الحادث أساسا فى معرفة بداية التاريخ الآشورى وعلاقته بالسنة الميلادية . وقد وصل إلينا العديد من هذه القوائم كانت بأسماء الأسرات التى حكمت فى بلاد النهرين ابتداء من عصر ما قبل الطوفان . وقد لوحظ أن الكتبة حينما انتهوا من كتابة قائمة بأسماء أسرة من هذه الأسرات يضيفون حاشية قائلين مثلا :

" قضى على مملكة الوركاء بالسيف ، فانتقلت الملكية منها إلى أكد فأصبح (سرجون) ملكا فيها وحكم ٥٦ سنة " أى يعطونا مجموع السنوات التى حكمها الملك .

كما اتبع الآشوريون طريقة ثالثة فقد كتبوا قائمة بأسماء ملوكهم وكانت القائمة تقسم إلى مجموعتين ، ويظهر فى المجموعة الأولى ملوك بابل وفى الثانية ملوك آشور المعاصرين لهم . فمثلا سجلوا فى القائمة الثانية أن نابوخذ نصر الأول قد عاصر ثلاثة من ملوك آشور ذكروهم بأسمائهم .

وكان الملوك يصطحبون معهم فى الحملات الحربية كتابا عسكريين للقيام بتسجيل الحوادث على حساب السنين ، كما فعل ملوك مصر القديمة فى حملاتهم الحربية . ومن أشهر حوليات الآشوريين التى جمعت معلومات جغرافية[1] هى حوليات الملك توكلتى نينورتا الثانى (٨٩٠ – ٨٤٤ ق. م) والملك اداد نيرارى

---

(١) د. أحمد سليم : العراق – إيران – آسيا الصغرى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٤٦ .

الثانى (٩١١ - ٨٩٠ ق. م) وكذلك حوليات شـــالمانصر الثـــالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق. م) التى سجلت جميع حملاته الحربية . كما قام الكتبة الآشوريون بتسجيل أعمـــال الملوك الحربية على صفحات جدران قصورهم .

٣- ما تركه الأكديون والبابليون :

لم يكن لأهل بابل أو آشور عصر ثابت قاموا بتأريخ حوادثهم به . ولكنـــهم كانوا يؤرخون السنة بحادث معروف وقع فى العام السالف . وقد بقيت هذه الطريقـــة حتى أيام الملك حمورابى . ثم تركوا هذه الطريقة إلى أخرى ألا وهى تأريخ الحوادث بالنسبة إلى سنوات حكم الملوك . وكانت تلك الطريقة الأخيرة أشبه بما قام به الكتبـــة المصريون فى تسجيل أحداث كل سنة على حده بالنسبة لكل ملك . وقد استمر كتبـــة بلاد النهرين على هذه الطريقة حتى نهاية عصر بابل وحتى بعد سقوطها .

ترك الأكديون والبابليون نقوشا وكتابات تاريخية تقص علينا أعمال الملـــوك فى السياسة الداخلية والخارجية . كل ذلك جاء مدونا على لوحات صخريـــة وطينيـــة وتماثيل .

كما سلك البابليون فى نهاية العصر البابلى الكلدانى طريقة أخرى غير التـــى سلكها الآشوريون ، إذ أنهم دونوا حوادثهم المعاصرة والتى ســـبق أن حدثـــت فـــى بلادهم وقد وصلت إلينا من العصر البابلى الأخير (٦٢٦ - ٥٣٩ ق. م) أخبار عن الأكديين وحكمهم وما كان بين بابل وآشور وعيلام من علاقات من أيام آشور بانيبـــال إلى أيام الملك البابلى نابو بولاصر .

وقد وصل إلينا من هذا العصر ثبت للملوك عثر عليه فـــى الوركـــاء إلا أن الأرقام التى يقدمها هذا الثبت لسنى حكمهم يتعارض مع ما نعرفـــه فـــى المصـــادر الأخرى ، كما أنه يهمل ذكر سنوات حكم نـــابوخذ نصـــر الثـــانى[1] ومـــن أبـــرز

---

(١) حياة إبراهيم : نبوخذ نصر الثانى ، وزارة الثقافة والإعلام ، المؤسسة العامـــة للآثار والتراث ، بغداد ١٩٨٢ ، ص ٢١ .

الكتابات التاريخية هى : المجموعة المحفوظة فى المتحف البريطانى ومنها أربعة نصوص أطلق عليها أخبار الملوك الكلدانيين (٦٢٦ – ٥٥٦ ق.م) يستعرض أحد هذه النصوص الصراع البابلى الآشورى قبل اعتلاء نابو بولاصر الحكم فى بابل وحتى السنة الثالثة من حكمه (٦٢٦ – ٦٢٣ ق.م) أما النص الثانى فيسرد أحداث سبع سنوات أخرى من حكم نابو بولاصر ، ويشمل الأحداث الخاصة بسقوط نينوى (٦١٦ – ٦٠٩ ق.م) ويقدم لنا النص الثالث أحداث السنوات الأخيرة لنابو بولاصر ، وبدء مهمة نابوخذ نصر الثانى العسكرية فى منطقة جبلية وهو لا يزال وليا للعهد (٦٠٩ – ٦٠٥ ق.م) .[1]

٤– ما كتبه بروسوس (اوبارحوشا) :

وهو كاهن بابلى عاش فى النصف الأول من القرن الثالث ق.م . وكتب تاريخ البابليين (الكلدانيين) باللغة اليونانية ، ولم يصلنا مما كتبه سوى شذرات جمعها المؤرخ يوسيبيوس القيصرى ، وضمن يوسيفوس كتابه مقتطفات منه ، ونقل منه اسكندر بوليهستور ، ومؤرخون وكتاب آخرون .

والمعروف أن بارحوشا اعتمد على النصوص المحفوظة فى المعابد البابلية أيامه حيث يرجح أنه خدم فى معبد ماردوك أيام انطيوخوس (٢٨١ – ٢٦١ ق.م)[2] وما وصلنا من تاريخ بارحوشا عن السلالة الكلدانية هو عبارة عن ثبت ملوكها ، وسنى حكمهم التى تطابق المصادر المسمارية .[3] ويقدم لنا كذلك معلومات عن نابوخذ نصر نقلها يوسيفوس لا نجدها فى مصادر أخرى . وكان عالما بالفلك ودرس فى أثينا ، كما يقال أنه كانت له نظريات فى البصريات لعكس أشعة الشمس

---

(١) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٩ – ٢٠ .
(٢) د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٥١ .
(٣) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٨ (ب) ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٩٢ – ١٩٤ ، ٢١٠ – ٢١١ .

والقمر . وقد انتشرت أعماله الفكرية فى بلاد اليونان وبلاد الرومان .

وإلى جانب تاريخ بابل الكلدانى قام بارحوشا بكتابة العديد من الكتب باليونانية من بينها عمل مستفيض عن تاريخ بلاد النهرين فى ثلاثة مجلدات :

- الأول منذ بدء الخلق حتى الطوفان .
- والثانى من الطوفان حتى نابوخذ نصر .
- والثالث من نابوخذ حتى الاسكندر الأكبر وانطيوخوس الأول .

لقد رسم الرجل فى كتابه صورة للحياة البدائية استقاها من الكتابات التى وجدها على معبد ماردوك فى بابل جاء فيها دراسة طيبة عن حيوانات عصور ما قبل التاريخ . كما درس الألواح الطينية وما عليها من كتابات مسمارية حول الملوك الذين حكموا .

ولكن للأسف الشديد لم يصلنا هذا العمل العظيم وكل ما وصلنا كما هو الحال فى أعمال مانيتون المصرى مجرد مقتطفات فى أعمال تلاميذه والكتاب الذين تعاقبوا بعده . ومن بين من نقلوا عنه تلميذه ابيدينوس الذى وضع كتابا عن تاريخ آشور ، وكذلك ابوللودورس والسكندر الملقب بأبي التاريخ _ بوليهستور) وبعض مقتطفات من كتاباته نجدها عند نيقولاس الدمشقي صديق هيرود ، ونجدها أيضا عند يوسيفوس المؤرخ اليهودى واثينايوس وجوليوس افريكانوس ويوسيبيوس وجورج سينسيلوس .[١]

ويذكر د. شعبان معلومة هامة أن مكتبة الإسكندرية القديمة حرصت على اقتناء الكتب البابلية والآشورية والفارسية ، فالكتب التى كتبت فى كلديا ، بابل ، ميديا وبلاد فارس وجدت طريقها إلى المكتبة ، كما وجدت كتابات بارحوشا طريقها إلى مكتبة الإسكندرية .[٢]

---

(١) د. شعبان خليفة : مكتبة الإسكندرية ، الحريق والأحياء ، كتاب الجمهورية ٢٠٠٠ ، ص ٧٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٩ – ٧٠ .

٥- كتابات العهد القديم :

وهى معلومات احتواها سفر الملوك الثانى وأسفار أخبار الأيام وارميا ودانيال وحزقيال ومعلومات أخرى متناثرة فى سفر أشعيا وعزرا . وهى تتناول علاقة نابوخذ نصر الثانى المباشرة مع اليهود ، سواء فى فلسطين أو بابل ، بإسهاب وفى مجالات متعددة .

• فسفر الملوك الثانى دون فى العصر البابلى الكلدانى . أما الأحداث التى رواها سفر أخبار الأيام الثانى (الذى يرجع تدوينه إلى حوالى القرن الثالث ق.م) فتشير إلى تكبيل نابوخذ نصر ليهوياكيم بالسلاسل كى يحمله إلى بابل .

أما كتابات ارميا ودانيال وحزقيال (التى لم تدون فى وقت واحد) ، فسفر ارميا يتضمن تحذيرات لبنى إسرائيل وحكامهم وما سيكون مصيرهم على يد ملك بابل نابوخذ نصر لسوء سياستهم وتصرفاتهم . أما سفر دانيال فكان أحد يهود السبى الذين حملهم نابوخذ نصر إلى بابل . أما حزقيال فيشير فى سفره بأنه كان واحدا أيضا من يهود السبى الذين حملهم نابوخذ نصر إلى بابل .(١)

كما حوت كتابات اليهود الربانية معلومات كثيرة عن نابوخذ نصر ، وقد اعتمدت هذه الكتابات على العهد القديم بشكل خاص . وتتحدث عن معاملته لليهود وتتحدث عن نهايته . ولكن كل هذه المعلومات بعيدة عن الحقيقة التاريخية .(٢)

٦- ما كتبه الرحالة اليونان والرومان :

من بين الذين زاروا بلاد النهرين وكتبوا عنها فى مؤلفاتهم ، نذكر :

---

(١) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٣ – ٢٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥ – ٢٧ .

هيكاتيه الملتى : مؤرخ وجغرافى يونانى عاش فى القرن السادس ق. م . زار العديد من الأقطار التى كانت خاضعة لحكم الفرس . ومن أهم ما تضمنه كتابه أنه قدم قائمة لتتابع ملوك آشور على العرش .(١)

هيرودوت : ولد عام ٤٨٩ ق. م ، زار العديد من البلاد ومنها مصر وفينيقيا وبابل . وزار بابل فى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد وتحدث عن آثارها التى كانت قائمة فى ذلك الوقت (وذلك فى الفصول من ١٧٧ – ٢٠٠) .(٢)

زينوفون : قائد ومؤرخ يونانى وعاش من ٤٣٠ – ٣٥٢ ق. م ، قام بإعادة العشرة آلاف جندى من المرتزقة الإغريق من بلاد فارس بعد معركة كوناكسا بين ارتاكسركسيس الثانى وأخيه قورش الصغير . وسار بمحاذاة نهر الفرات باتجاه الجنوب وتحدث عن طريقة الزراعة فى هذه المناطق وكيفية سحب مياه نهر دجلة فى قنوات .(٣)

ميكاسثينس : عاش فى بداية فترة الاحتلال السلوقى للعراق (القرن الثالث ق. م) فقد معظم كتاباته ماعدا جزء صغير منها ، حفظه لنا ابيدينوس والذى اقتطف منه يوسيبيوس ، وأشار إلى السلالة الكلدانية بشكل عام ونابوخذ نصر بشكل خاص . وترك لنا هذا الكاتب ثبتا بتسلسل الملوك الكلدانيين فيما عدا نابو نهيد الذى لم ينسبه إلى الأسرة الكلدانية . كما أهمل سنوات حكم كل ملك من ملوك هذه السلالة .(٤)

ديودور الصقلى : عاش فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد وكتب مؤلفا عن تاريخ العالم تحت اسم " المكتبة التاريخية " خصص ثلاثة كتب منها لتاريخ مصر وبلاد النهر والهند وسكيثيا وبلاد العرب وأثيوبيا .(٥)

---

(١) د. أحمد سليم : تاريخ العراق – إيران – آسيا الصغرى ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٥٢ – ٥٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٤ .
(٤) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٧ – ٢٨ .
(٥) د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٥٤ – ٥٥ .

<u>السكندر بوليهستور الملقب بأبى التاريخ</u> : عاش فى القرن الأول ق. م . حفظ لنا كتاباته يوسيبيوس ويوسيفوس وكتب عن زواج نابوخذ نصر وأعطانا جدولا بحكام الأسرة الكلدانية باستثناء لباشى مردوخ . أما تحديد سنوات حكم الملوك فقد جاءت صحيحة بالنسبة لنابو بولاصر ونابوخذ نصر ونابو نهيد .[١] ونقل مقتطفات من أعمال بارحوشا الذى قام بكتابة تاريخ بابل فى العصر الكلدانى .[٢]

<u>سترابون</u> : (٥٨ ق. م – ٢١ أو ٢٥ ميلادية) كتب كتابا عن جغرافية العالم القديم وتحدث عن جغرافية بلاد النهرين ، حيث وصف هو أيضا كيفية سحب المياه فى قنوات إلى الأراضى الزراعية . كما تحدث عن بابل ووصفها كمدينة مخربة ومهدمة .[٣]

<u>بلينى الكبير</u> : (٢٣ – ٧٩ ميلادية) تعرض فى كتاباته للحديث عن الأجناس والسلالات البشرية فى بلاد النهرين .[٤]

<u>يوسيفوس</u> : مؤرخ يهودى من القرن الأول الميلادى (عاش بين أعوام ٣٧ – ٩٥ ميلادية) دون كتاباته باليونانية وكتب عن ملوك الأسرة الكلدانية بشكل عام وعن نابوخذ نصر وآميل ماردوك بشكل خاص . وأعطانا جدولا بالأسرة الكلدانية وسنوات حكم ملوكها وصلة القرابة بينهم .[٥]

---

(١) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٢) د. شعبان خليفة : مكتبة الإسكندرية ، الحريق والأحياء ، كتاب الجمهورية ٢٠٠٠ ، ص ٧٠ .

(٣) د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٥) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

بداية الاهتمام بآثار بلاد النهرين القديمة :

لم يهتم علماء الغرب بتاريخ وحضارة العراق القديمة إلا فى القرن السابع عشر على أثر عودة النبيل الإيطالى بيترود يلافال عام ١٦٢٥ م من رحلة قام بها فى العراق ، وأحضر معه أحجارا منقوشة برموز غير معروفة .[1]

وابتداء من منتصف القرن الثامن عشر جاء الكثيرون من الهواة والمتخصصين إلى أرض العراق منهم من يحاول البحث والتنقيب فى أطلاله وجمع ما يمكن الحصول عليه من عاديات وينسخ ما يمكنه نسخه من النقوش . ومن أشهر هؤلاء القس الفرنسى جوزيف دى بوشام الذى جاء عام ١٧٨٦ . كما اهتم بالآثار والتجارة فيها القناصل الأجانب ، منهم القنصل البريطانى فى بغداد جيمس ريتش عام ١٨٠٧ . وفى عام ١٨٢٧ قام أحد الإنجليز بأول حفائر غير منظمة فى أنحاء متفرقة من العراق وعثر فيها على بعض اللوحات الفخارية والأختام الأسطوانية والعملات ومع الكشوف الأثرية وظهور الآثار التى تحمل نقوشا مسمارية بدأت هذه الكتابة الغريبة تجذب أنظار الرحالة واللغويين الأجانب كما ذكرنا من قبل .[2] وبدأت المحاولات الأولى لحل غموض الكتابة البابلية ومن ثم السومرية والآشورية على يد جورج جروتفند أستاذ اللغة اليونانية فى جامعة جوتنجن الذى أبلغ المجمع العلمى فى تلك المدينة عام ١٨٠٢ أنه ظل عدة سنوات يواصل البحث والدراسة لبعض المخطوطات المسمارية التى وصلت إليه من بلاد فارس وأنه استطاع أن يتعرف على ثمانية من اثنين وأربعين علامة مستخدمة فى هذه المخطوطات وأنه ميز ثلاثة من أسماء الملوك المدونة فيها .

وجاءت المحاولة الثانية فى عام ١٨٣٥ حين استطاع هنرى رولنسون أحد موظفى السلك الدبلوماسى البريطانى فى إيران (كان على غير علم بما توصل إليه

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ١٩٤ ، ٣٤١ - ٣٤٤ .

(٢) راجع فيما سبق ،ص ٤٩ - ٥٠ ، ص ١٤١ - ١٤٦ .

جروتفند) أن يقرأ ثلاثة أسماء هـي : هيستابوس ، دارا ، اكسركسيس (خشيا رشاى) فى نقش وصل إليه مكتوب بالخط الفارسى القديم ، وهو خط مسمارى مشتق من الكتابة البابلية وأمكنه بفضل هذه الأسماء أن يقرأ النص كله .

ولم ينتظر رولنسون طويلا حيث عثر بعد ذلك على نقش بيستون المحفور بثلاث كتابات على صخرة تطل على الطريق التجارى القديم المؤدى من كرمنشاه حتى همدان . وبعد جهد دام اثنتى عشرة سنة كاملة نجح رولنسون فى ترجمة النصين العيلامى والبابلى عام ١٨٤٧ . وفى سنة ١٨٥١ قدم رولنسون بحثا لجمعية الدراسات الأسيوية الملكية بلندن أوضح فيه توصله لمعرفة قراءة ١٨٠ اسما وتعرفه على القيمة الصوتية لنحو ١٥٠ رمزا ومعرفة ٥٠٠ كلمة من الكتابة المسمارية البابلية .

وتحدثنا فيما سبق عما حدث من تطورات بعد هذا الكشف العلمى .(١) وفى العام نفسه تقريبا أعلن هينكس الإيرلندى أن البابلية ليست هجائية بل تتألف من رموز ويمثل كل منها مقطع أو كلمة ذات معنى أو مخصص . وكانت الحفائر قد بدأت فى آشور عام ١٨٤٢ بواسطة القنصل الفرنسى فى الموصل ، أميل بوتا . وفى عام ١٨٧٢ زار العراق عالم النباتات ميشو وحمل معه أثرا بابليا منقوشا عثر عليه فى جنوب بغداد ، حاول بعض الباحثين قراءته ولكن دون جدوى ، وعمت الحفائر بعد ذلك كل بلاد آشور وامتدت إلى جنوب العراق (بلاد سومر) بفضل أعمال العالم الفرنسى " دى سارزك " عام ١٨٧٧ ، ثم أخذت البعثات الأجنبية من مختلف الجنسيات فى المجئ لكى تنقب فى أنحاء مختلفة من العراق . وعكف العلماء على دراسة رموز الكتابة المسمارية ومقارنتها بالنصوص الفارسية القديمة .

وفى نهاية القرن التاسع عشر بدأت أعمال الحفائر المنظمة تأخذ مجراها الطبيعى وصاحب ذلك نشاط للرحالة الأوربيين فى وصف الآثار القائمة وتصويرها كما قامت المتاحف العالمية والجمعيات الأثرية المختلفة بإجراء عمليات الكشف عن

---

(١) راجع فيما سبق ، ص ٤٩ – ٥٠ ، ١٤١ – ١٤٦ .

الآثار فى العراق والقيام بدراستها .

وقد تركز الاهتمام فى بداية الأمر على شمال العراق على أمل الكشف عن آثار مدن نينوى وآشور ونمرود ذوات الشهرة التاريخية الواسعة .[١]

وشهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر بداية الاهتمام بالكشف الأثرى فى النصف الجنوبى من بلاد النهرين . وكان ذلك إيذانا بالكشف عن آثار حضارات السومريين والأكديين ، فى مدن كيش وأور والوركاء ولجش ونيبور . وقد بدأتها بعثة إنجليزية فى نيفر (نيبور) عام ١٨٥١ [٢] ، وبعثة ألمانية فى بابل عام ١٨٩٩.

ثم اتسعت البحوث الأثرية وشملت جنوب بلاد النهرين وشمالها معا فى القرن العشرين واتسم بعض هذه البحوث بالطابع العلمى الدقيق فى الكشف عن الآثار وقراءة النصوص وترجمتها وتحليل المعلومة التى تحملها مع تصنيفها . وامتد نشاط العلماء إلى البحث عن عصور ما قبل التأريخ أو فجر التاريخ فى جنوب بلاد النهرين ، وكشفوا فى الجنوب عن حضارات العبيد وجمدة نصر ، وفى الشمال عن حضارات تل حلف وتل حسونة وغيرها .[٣] إلا أن أبرز نشاطات سنوات الحرب العالمية الثانية فى حقل الآثار والتنقيب قامت بها دائرة الآثار العراقية . وما قام به

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٣٧١ .

(٢) ثم جاءت بعد ذلك بعثة من علماء جامعة بنسلفانيا عام ١٨٨٩ ، وعثرت فى موسمين على آثار ذات قيمة منها ألواح طينية كتب بالسومرية والبابلية والآشورية ، وواصلت البعثة أعمالها فى أعوام ١٨٩٣ – ١٩٠٠ وعثرت على آثار هامة من أواخر العصر الأكدى حتى عصر نابوخذ نصر الثانى ، راجع : د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٢٠٥ – ٢٠٩ .

(٣) عن أعمال الحفائر الأثرية التى تمت فى أرض العراق فى الفترة من عام ١٨٤٢ إلى ١٩٣٩ ، راجع ، نخبة من الباحثين العراقيين : المرجع السابق ، ص ٦١ – ٧١ .

الأستاذان طه باقر وفؤاد سفر اللذان قادا بنجاح بعد عودتهما من الدراسة خلال سنى الحرب العالمية الثانية وما بعدها التنقيب فى أواسط وعقر قـوف والديـر وحرمـل والعقير وتل حسونة واريدو والحضر .

كما عملا على نشر نتائج أعمالهما هذه فى الداخل والخارج كما بذلا جـهدا لتأسيس أول معهد لدراسة الآثار العراقية عام ١٩٥١ .[١]

وبفضل هذه المادة الأثرية وما يحمله بعضها من نقوش ونصوص اسـتطاع العلماء ترجمتها وتحليلها وفهم الغرض منها وبفضل ما تركه الآشوريون من نقـوش تاريخية وما تركه الأكديون والبابليون وما كتبه بروسوس (او بارحوشا) وما كتبـه المؤرخون والرحالة اليونان والرومان وما أظهرتـه الحفـائر ودراسـة النصـوص المتنوعة حاول العلماء أن يضعوا إطارا تاريخيا لأحداث العصور التاريخية فى بـلاد النهرين ولكن هذا الأمر لم يكن سهلا لأنهم وجدوا أنفسهم فى موقف صعب ، وذلـك لأن الوثائق التى تركها لنا أهل العراق القديم بعيدة جدا عن أن تكمل بعضها بعضـا ، ولا تتفق مع بعضها بعضا من ناحية التاريخ وأحداثه . ومن هنا نشأت الاختلافـات الكبيرة فى مجموعة التواريخ المعترف بها ولإيجاد الحل المناسب لجأ بعض العلمـاء إلى علم الفلك وتسجيل الكسوف وظهور بعض الكواكب التى يمكن ملاحظتـها فـى فترة معينة من دورتها . وقد استطاع علماء الفلك فى العصر الحديـث أن يحسـبوا التاريخ التى تصبح فيه هذه الظواهر مرئية فى العراق ومقارنتها بما كان يحدث فـى العصور القديمة . ولكن ظاهرة الكسوف والخسوف – هذه كانت تعود مـرة أخـرى ولكن فى تواريخ مختلفة بعض الشئ عن التواريخ القديمة ، لذلك كان لابد من تكويـن فكرة تقريبية عن ذلك العصر – لتحديد أى من هذه التواريخ أقرب إلـى الصـواب . ولا تزال نظرية تصحيح بعض التفاصيل فى قوائم الأسر الملكيـة القديمـة – أمـرا ضروريا وهاما . وذلك لإدماج هذه النتائج فى الإطار المحدد أو التقريبى الذى يعطينا إياه علماء الفلك . وعلى الرغم من كل ذلك فهناك أمر متفق عليه بين العلماء ، وهـو

---

(١) نخبة من الباحثين العراقيين : المرجع السابق ، ص ٧١ – ٧٢ .

قصر مدة التاريخ بالنسبة للفترات القديمة جدا . وسوف نعطي هنا في دراستنا التواريخ التى اقترحها العالم سميث ابتداء من عام ١٩٤٠ والمعترف بها من قبل علماء تاريخ الشرق القديم . ولكن كل هذه المحاولات كانت تقريبية واتفق العلماء فيما بينهم على أن العراق عرف جميع العصور التاريخية بما فيها العصور الحجرية أو فجر العصور التاريخية . وينقسم تاريخ العراق القديم إلى تسع مراحل رئيسية هى :

أولا : عصور ما قبل التاريخ (أو فجر العصور التاريخية) أو العصور الحجرية وظهور المحلات والمراكز السكانية :

قامت فى العراق القديم قبل العصور التاريخية عدة حضارات ومراكز حضارية قديمة كانت على جانب كبير من الأهمية .

العصر الحجرى القديم : وينقسم هذا العصر إلى ثلاثة عصور هى :

العصر الحجرى القديم الأسفل :

فى هذا العصر كان الإنسان يكتفى بما أمدته به الطبيعة وما يلاحظه فى مشاهداته لكل ما حوله وذلك فى صراعه الدائم ضد قسوة البيئة القديمة وفى سعيه المستمر لتحصيل القوت سواء عن طريق الصيد أو قطف ثمار بعض الأشجار . وعثر على بقايا هذا الإنسان فى هضبة كردستان (شرق جمجمال) وفى كهف شانيدر وكهف هزارمرد .[١]

العصر الحجرى القديم الأوسط :

عثر على أدوات هذا العصر فى بردة بلكة شمال جمجمال منها أدوات حجرية أهمها فأس يدوية لها رأس كمثرية الشكل كانت تستخدم فى قتل حيوانات

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٣٢ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٨ – ١٩ .

الصيد وبلغ طولها حوالى عشرة سنتيمترات . وهى من أقدم ما استخدمه الإنسان من أدوات حجرية فى العراق القديم .[١]

العصر الحجرى القديم الأعلى :

عثر على آثاره في كهوف زرزى ، وبالي وجورا وكريم شاهر ، وهى ادوات بسيطة كان يستخدمها الإنسان فى صيده وإعداد طعامه كالسكاكين وأدوات من الصوان حجرية كبيرة كالمطارق والمجارش والمعازق .[٢]

العصر الحجرى الوسيط : تتميز الأدوات الحجرية فى هذا العصر بكثرة ظهور الأسلحة القزمية ، ويرجع هذا العصر إلى الألف العاشرة أو السابعة ق.م . وأخذ الإنسان فى هذه الفترة فى بناء بعض الأكواخ البيضاوية الشكل من أغصان الأشجار ، وتشكيل بعض التماثيل التى تعبر عن الأمومة . ومن المواقع التى ترجع إلى هذا العصر ثلاثة مواقع هى : زاوى شيمى بالقرب من كهف شانيدار ، وقد اعتمد الإنسان فى هذا الموقع على صيد واستئناس الحيوانات مثل الماعز والغزلان والوعول ، ومواقع كريم شاهر فى لواء كركوك وموقع ملفعات فى لواء الموصل .[٣] وعثر فيها على أدوات من الصوان كالمكاشط والسكاكين .

العصر الحجرى الحديث : ابتداء من الألف العاشرة ق.م . تقريبا ، عرف الإنسان الأول استئناس الحيوان وتوصل إلى معرفة الزراعة وذلك فى أضيق نطاق وذلك على التلال التى تتاخم الهضبة الإيرانية وخاصة فى كردستان . وكل ذلك لأن الظروف الطبيعية كانت قد تغيرت شيئا فشيئا . ويمكننا أن نتحدث هنا عن التطور

---

(١) د. عبد الحميد رايد : المرجع السابق ، ص ١٦ – ١٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠ – ٢١ ؛ د. أحمد سليم : تاريخ العراق – إيران – أسيا الصغرى ، ص ٦٣ – ٧١ .
(٣) د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٧٣ – ٧٩ .

في العصر الحجرى الحديث الذى جعل الإنسان الأول راعيا ومزارعا أيضا .[١] وقــد عثر على بقايا هذا العصر فى مناطق عديدة هى :

حضارة جرمو :

تقع فى شرق كركوك وقام بالحفر عنها بعثة برئاسة برايدود Braidwood وعثر على بقايا بعض القرى التى كانت تخص بعض المزارعين وترجع إلى الألـــف السابعة ق. م .[٢] وعثر فى موقع حضارة جرمو على حوالى ١٢ طبقة سكانية ممـــا يدل على أن الإنسان بدأ فى هذه الفترة فى ترك التلال والاستقرار فى السهول وبـــدأ يتعود على حياة الزراعة ومستلزماتها . فقد عثر على مساكن بســيطة مشــيدة مــن الطين . ويعتبر برايدوود أن هذه المساكن تعد أقدم مساكن سكنها الزراع فى العــالم . كما عثر على مناجل فخارية وبقايا حبوب وأدوات وأوانى حجرية . كما عثر علــى

---

(١) تحدث أستاذنا د. عبد العزيز صالح : المرجــع الســابق، طبعــة ١٩٧٦، ص ٣٧٣ – ٣٨٣ عن فجر التاريخ العراقي في العصر الحجرى الحديث عن :

أ – الفترة النيوليثية (الحجرية الحديثة)

ب– الفترة الخالكوليثية (النحاسية الحجرية) : حضارة العبيد .

ج – قبيل العصر الكتابى : حضارة الوركاء .

– وقام د. سيد توفيق بعد ذلك بالحديث فى مؤلفه عن " تاريخ الفن فى الشــرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، ص ٣١٣ – ٣٢٧ " عن الفن فى العــراق فــى كل العصور مبتدءا بالحديث عن تاريخ الفن في عصــر فجــر التــاريخ (مــن ٥٠٠٠ إلى ٢٨٥٠ ق. م) فتحدث عن صناعة الفخار والنحت والنقــوش فــى حضارات : تل حسونة ، سامراء، العبيد، اريدو ، الوركاء ، وجمدة نصر . كمـا تحدث عن لوحة صيد الأسود ونقوش الأختام الأسطوانية وفن نحت التماثيل .

(٢) Parrot, Sumer, p. 25, 39 – 40, 43

وأيضا د. سيد توفيق : تاريخ الفن فى الشرق الأدنى القديم : مصر والعــراق ، دار النهضة العربية ١٩٨٧ ، ص ٢٩٦ .

بقايا عظام وهياكل حيوانات كالأغنام والماعز والبقر والخنازير وأنواع من الخيول الصغيرة (السيسى) مما يدل على أنهم عرفوا استئناس الحيوان . كما عثر على تماثيل صغيرة من الصلصال التى تمثل بعض الحيوانات ونساء جالسات ذوات أرداف ثقيلة . فهل ترمز إلى الأمومة أو ترمز إلى عبادة ما ؟[١]

ويرى بعض العلماء أن حضارة جرمو تتشابه فى مظاهرها مع حضارة الفيوم فى مصر .

حضارةُ تل حسونه :

تقع جنوب الموصل وترجع إلى بداية الألف السادسة ق. م . أو (٥٢٠٠ – ٥٠٠٠ ق. م) واستمرت حتى الألف الرابعة ق. م . وقام بالحفر فى هذا الموقع بعثة من دار الآثار العراقية من عام ١٩٤٣ – ١٩٤٤ .[٢] وادخل الإنسان فى هذه الحضارة نوعا من التطور فى تشييد المساكن التى أصبحت تشبه الأكواخ . وأصبحت تشيد من مواد غير الصلبة . أما أدوات الاستخدام اليومى فكانت من الفخار والأحجار والعظام . وامتاز فخارهم بالنقوش والأصباغ المتعددة . كما عثر فى هذه الحضارة على أوانى من القيشانى الملون التى ترجع إلى الألف الرابعة ق. م.[٣] (وهى موجودة الآن بمتحف بغداد) كما عرفوا استئناس الحيوان مثل الماعز . كما عثر

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٣٢ – ٣٤١ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٣٧٣ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٨١ – ٨٨ ، يعطينا المؤلف اشكال (٧ – ١٢) لموقع تل جرمو وأدوات ومصنوعات حجرية وأوانى فخارية وتماثيل بشرية وحيوانية من جرمو ومنظر يبين أساس منزل فى جرمو .

(٢) Parrot, Sumer, p. 25, 41, 43, 46, 52, 90.

(٣) Parrot, op. cit., p. 42 Fig. 58; Parrot, Assur, p. 298 Fig. 293.

عن الفن بوجه عام فى بلاد النهرين ابتداء من حضارات عصور ما قبل التاريخ حتى العصر الكلدانى ، راجع : د. شمس الدين فارس – د. سليمان عيسى : تاريخ الفن القديم ، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى، دار المعرفة، بغداد ١٩٨٠ ، ص ٣٠ – ٣٥، ٣٦ – ٣٨ ، ٣٩ – ٤٠ ، ٤٢ – ٥٢ ، ٥٣ – ٦٦ ، ٦٧ – ٧٣ ، ٧٥ – ٨١ ، ٨٢ – ٨٦ .

على توابيت من الفخار الكبير أعدت لإيواء جثث الأطفال .(١)

حضارة سامراء :

تقع على الشاطئ الأيسر لنهر دجلة ، شمال بغداد . وترجع إلى أواخر الألف السادسة ق. م . وقد بدأت الحفائر في هذا الموقع عام ١٩١٤ برئاسة هرزفلد .(٢) وعثر في هذا الموقع على حضارة على جانب كبير من التقدم الفني . فقد عثر على أواني فخارية مزينة بنقوش هندسية وأشخاص وحيوانات .(٣) كما عثر أيضا على أواني حجرية وسكاكين صخرية من الحجر البركاني وهو الاوبسيديان . وهذا ربما يشير إلى وجود نوع من التبادل التجارى أو الاتصال مع سكان جبال ارمينيا وبعض مرتفعات بلاد العرب لأن هذا الحجر لا يوجد إلا في هذه المناطق .(٤)

---

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٦ – ٣٣ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٧٣ ؛ د. نبيله عبد الحليم : معالم العصر التاريخى فى العراق القديم ، ص ٢٠ ؛ د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٢٩٧ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٨٩ – ١٠٣ يعطينا المؤلف أشكال (١٣ – ١٤ ، ١٦ ، ١٨ – ٢٤) تمثل نماذج من فخار تل حسونه وبعض الأدوات الحجرية ، ورسم تخطيط لبقايا منازل وتمثالين من المرمر من تل حسونه .

(٢) عن هذه الحضارة ، راجع : Parrot, Sumer, p. 17 – 19, 25, 41, 44, 48, 60 – 63, 90.

(٣) عن هذه الأوانى وأشكالها ، راجع : Parrot, Sumer, p. 44 Fig. 60, p. 46 Fig. 62.

(٤) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٧ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ ؛ د. نبيله عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٢٠ – ٢١ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٩٠ شكل ١٥ يعطينا المؤلف في هذا الشكل نماذج لزخارف فخار سامراء .

حضارة تل حلف :

تقع هذه الحضارة غربا فى العمق السورى وشمالا فى الاريحية قرب الموصل (وترجع إلى عام ٤٥٥٠ - ٤٠٠٠ ق.م) .

وتمتاز هذه الحضارة بأوانيها الفخارية المصقولة ذات الجدران الرقيقة ، وذات الألوان الزاهية[١] وتعد الزخارف التى زينت بها هذه الأوانى من أفضل ما خلفه إنسان العصر الحجرى الحديث بالنسبة لزينة الفخار وما يمتاز به من رسومات . كما عثر على تمثال للمعبودة الأم من الألف الرابعة ق.م .[٢] كما تمتاز هذه الحضارة ببدء استخدام النحاس بواسطة أهلها . كما عثر على بقايا قرى تفصلها شوارع ممهدة بالحجارة . وعثر على آثار هذه الحضارة فى أماكن متفرقة من سوريا مثل رأس الشمرا (اوجاريت القديمة) إلى جانب وجودها فى بعض المناطق الأخرى فى العراق .

حضارة العبيد :

تقع بالقرب من أور وترجع إلى حوالى عام ٤٠٠٠ ق.م .[٣] وتوصل

---

(١) عن هذه الحضارة ، راجع : Parrot, Sumar, p. 17, 19, 22, 25, 29, 41, 48, 51, 90. ؛ وأيضا د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٣٥ – ٣٣٦ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ٢٧ – ٢٨ ؛ د. نبيله عبد الحليم : المرجع السابق، ص ٢٢ – ٢٣؛ د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٢٩٧ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ١٠٤ – ١١٢ ويعطينا المؤلف فى أشكال ٢٥ – ٢٨ نماذج لزينة الأوانى الفخارية ورسم ومخطط لمنزل فى موقع تابع لتل حلف ؛ Parrot, Sumer, p. 50 Fig. 67

(٢) Parrot, Assur, p. 247 Fig. 308; Parrot, Sumer, p. 50 Fig. 67.

(٣) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٣٧ – ٣٣٨ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٨ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، الطبعة الثالثة ١٩٨٢ ، ص ٣٧٦ – ٣٨١ ؛ د. نبيله عبد الحليم : المرجع ==

الإنسان خلالها إلى المعرفة الحقيقية لاستخدام النحاس والأختام الأسطوانية (التى كانت تستخدم للدلالة على الملكية) . كما اتخذ الإنسان طابعا بسيطا فى أسلوب بناء مساكنه التى شيدت من اللبن . وكانوا يوسدون المتوفى على ظهره فى حفرة ويضعون معه جزءا من المتاع الجنائزى من أدوات وعقود من الأحجار المطلية . وكانوا يضعون معه أيضا أوانى تستخدم لوضع القرابين المادية وكانت هذه الأوانى مصنوعة من عجينة صفراء تميل إلى الخضرة . وهذا النوع من الطين الجيد كان يستخدم أيضا فى صناعة الفخار . وكان الفخار ذا حافة رقيقة ويحمل الزينات من لون موحد إما أسود أو فى بعض الأحيان لون يميل إلى الحمرة . وكان يغلب على أشكال الزينة فى الفخار الأشكال الآدمية والهندسية . ويقول د. صالح فى هذا الصدد : " ومنها ما يمثل مجموعات تخطيطية ومن هذه المجموعات ما يمثل مجموعة من ست أناث يتوزعن على محيط دائرة ، وتحيط بهن ست عقارب كبيرة . ومنها ما يصور أربعة طيور طويلة الرقاب والأجنحة توزعت على أركان باطن الإناء واتجهت نحو مركزها والتقط كل طائر منها سمكة بمنقاره ، ومنها ما يصور أربعة مثلثات تلاقت رؤوسها على أطراف شكل المعين واستغلها الفنان لتصوير أربع عنزات " .[١]

== السابق ، ص ٢٤ – ٢٦؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم، ص ٢٠٥ حاشية (١) ؛ د. سليمان سعدون : منطقة الخليج العربى خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد ، ص ٤٩ – ٩٨ قام المؤلف بكتابة دراسة تفصيلية لأقدم مراكز الاستقراء فى جنوب العراق : العبيد ، الوركاء ، جمدة نصر ، راجع أيضا المؤلف نفسه : الخليج العربى خلال الألفين الثانى والأول قبل الميلاد ، ص ٢١ – ٢٦ ؛ د. سيد توفيق " المرجع السابق ، ص ٢٩٧ – ٢٩٨ وعن هذه الحضارة ، راجع أيضا : Parrot, Sumer, p. 19 – 20 , 24, 41, 52- 55, 60, 63-64, 66, 68, 74, 90, 95, 133, 156, 158, 166, 224 Fig. 277.

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٣٧٥ .

وكانت حضارة العبيد محدودة فى الجنوب ولكنها كانت تمتد نحو الشمال حيث كانت تتقارب فى خصائصها الحضارية مع حضارة سامراء على نهر دجلة وتل حلف . وكان اختلاف ظروف البيئة فى الجنوب عنها فى الشمال خلال فترة هذه الحضارة سببا فى وجود بعض الاختلافات فى المظاهر الحضارية . مما دعى بعض المؤلفين إلى التمييز بين حضارة العبيد الشمالية وحضارة العبيد الجنوبية .[١] وقد شغلت هذه الحضارة أكثر من منطقة فقد عثر فى اريدو (العبيد (١)) على فخار ملون ذى أرضية خضراء يشبه فخار بلاد عيلام فى جنوب غرب إيران .[٢] كما عثر على بقايا أرضية معبد ، كان يتكون من مقصورة بسيطة كانت لها مشكاة لتمثال للمعبود أو رمزه ، وكانت هناك مائدة للقرابين شيدت من الطوب اللبن وضعت أمام هذه المشكاة . وتجدد معبد اريدو وزاد اتساعه أكثر من مرة خلال عصر حضارة العبيد . فشاده أصحابه من جديد فوق مسطح يؤدى إليه درج .[٣]

حضارة الوركاء :

تعرف قديما باسم أوروك (أو أونوج) وتقوم على أنقاضها الآن بلدة الوركاء الحالية . وتعد من أهم حضارات فجر العصور التاريخية فى العراق القديم وترجع إلى ٣٥٠٠ – ٣٢٠٠ ق. م . وتتميز هذه الحضارة بوجود أقدم أمثلة للنحت على السطوح المستوية ونحت التماثيل كما عثر على ما يدل على تطور صناعة

---

(١) يقسمها د. أحمد سليم فى مؤلفه : تاريخ العراق – إيران – آسيا الصغرى ، ص ١١٣ – ١٣٧ إلى ثلاثة مراحل : العبيد (١) = حضارة اريدو (أبو شاهرين) ؛ العبيد (٢) = حضارة الحاج محمد ؛ العبيد (٣) = حضارة العبيد الصحيحة . ويعطينا فى أشكال ٢٩ – ٣٧ نماذج لبعض الأوانى الفخارية من حضارة اريدو ورسم تخطيطى لتصميم المعابد فى اريدو .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٧٥ – ٣٧٦ .

الفخار .[١] وظهرت فى الفخار المقابض المقوسة التى كانت شبه نادرة فيما سبق وأصبحت متعددة ومتنوعة وتمتاز بكبر حجمها نسبيا .[٢] وأصبح لها فوهة هشة مما يدل على أنها كانت تقلد الأصل من المعدن . واختفى التلوين وظهرت الأوانى الملساء المغطاة بلون واحد أحمر أو وردى ، أو مزينة بخطوط حفرت بأطراف الأظافر . وعثر فى الوركاء على برج مدرج من اللبن عرف باسم " الزاقورة " على جانبه معبد ويحيط بهذه الزاقورة والمعبد مساحة كبيرة بها حجرات متعددة ويحيط بالجميع سور ضخم .[٣] ةعثر فى هذه المدينة على أطلال معابد لمعبودة السماء إنانا وايانا ومعبد لإله القمر . وفى الجزء الغربى من المدينة عثر أيضا على معبد للمعبود أنو (أو آن) (معبود السماء) وعرف باسم المعبد الأبيض نظرا لوجود طلاء من الجص الأبيض على جدرانه .[٤] وعثر فى هذا الموقع على أختام أسطوانية .

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٧٧ – ٣٨٣ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق، ص ٢٩ – ٣٢ ؛ د. نبيله عبد الحليم : المرجع السابق، ص ٢٦ – ٣٤ ؛ د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ – ٢٩٩ صور ١٧٢ ، ١٧٧ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ١٣٧ – ١٤٢ ويعطينا المؤلف فى شكل ٤٧ نماذج من الأوانى الفخار لهذه الحضارة . وانظر أيضا عن هذه الحضارة ، راجع :

Parrot, Sumer, p. 14 – 16, 19 – 20, 25 – 26 Fig. 41, 63 – 65, 68, 70, 74 – 76, 86, 90 – 93, 96, 98, 102, 133, 166, 169, 194, 198 – 200, 238, 302, 316, 318, 328 .

(٢) وعن هذه الأوانى وما عليها من مناظر ، راجع :

Parrot, Sumer, p. 70 – 73 Fig. 87 – 90.

(٣) Parrot, Sumer, p. 65 Fig. 82.

(٤) عن بقايا هذا المعبد ، راجع : Parrot, op. cit., p. 67 Fig. 84, p. 68 Fig. 86؛ وأيضا: د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٨٢ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ١٤٣ شكل ٤٨ .

فلا نلاحظ إلا المظاهر التى حدثت فى حضارة الوركاء ، وأصبح الفخار الملون هو المفضل . ويلاحظ أن النوع الذى كان سائدا هو الفخار المتعدد الألوان ، ذو العجينة الغليظة ، وكانت حوافه سميكة والأشكال تبدو أكبر حجما . ولا تنتشر هذه الحضارة فى أى مكان آخر .[١] ونلاحظ أيضا أنها لم تستمر فترة طويلة . وقد أعطى لها العلماء كتاريخ ما بين عام ٣٢٠٠ – ٣٠٠٠ ق. م . تقريبا . وقامت بالحفر عن هذه الحضارة بعثة لانجدون ماكاى – واتلين .[٢] ومن أهم موضوعات الكتابة التى عثر عليها فى هذه الحضارة كانت تعبر عن حسابات خاصة بالمعابد . كما عثر على آنية من القيشانى الملون ترجع إلى نهاية الألف الرابعة ق. م .[٣]

وبعد فترات هذه الحضارات نجد أن قوائم الأسر تعطينا أسماء لأسرات استمرت فترات طويلة من الزمن وتكاد تكون غير واقعية ومبالغ فيها أحيانا .

وعلى اية حال فقد عرفت الفترة التى أعقبت فترة حضارة جمدة نصر بالعصر الأسطورى والأسرات العتيقة أو المبكرة ، هناك بعض المؤرخين الذين يتحدثون عقب هذه الفترة مباشرة عن العصر السومرى دون الإشارة إلى العصر الأسطورى . وفى هذه المرحلة نرى ظهور أسماء بعض المدن الهامة .[٤]

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٢ – ٣٣ ؛ د. نبيلة عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٣٤ – ٣٦ ؛ د. سيد توفيق : المرجع السابق، ص ٢٩٩؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ١٤٢ – ١٥١ ويعطينا المؤلف فى أشكال ٥١ – ٥٣ نماذج لفخار جمدة نصر وصورة لإناء نذرى ونماذج لأختام أسطوانية .

(٢) Parrot, Sumer, p. 19 – 20, 90, 93, 166.

(٣) Parrot, Assur, p. 297 Fig. 297.

(٤) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ – ٣٤٠ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٣٧٩ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ١٤٢ – ١٥٠ ؛ د. فاضل عبد الواحد : سومر : أسطورة وملحمة ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد ٢٠٠٠، ص ١٥٠ (١) وأيضا : Contenau, op. cit., p. 88 – 89.

ويقول د. صالح : " وهى أختام إما مخروطية ذات قواعد شبه دائرية وأخرى أسطوانية الشكل كانت تثبت فى أيد خشبية ويختمون بها سدادات الأوانى . وشاع هذا النوع الثانى واستغله الفنان لنقش مناظر دنيوية أو دينية أو أسطورية على سطوحه .[١] وصورت مناظرها الدينية مراحل أعياد المعبودات ، ومنها ما يمثل حاكما يتقدم بسنبلتى شعير إلى ستة رؤوس من ماشية . ورمزت المناظر الدنيوية فى نقوش هذه الأختام إلى ما يمثل ساحة قتال يتصدرها حاكم ذو لحية كثيفة وعمامة كبيرة يقف مستندا إلى رمحه فى اعتزاز وقوة[٢] وقد تجمع أمامه عدد من الأسرى . وصورت نقوش أخرى حيوانات البيئة من أفاعى ضخمة وأسود وصور لمراكب تدل على أهميتها فى حياة أهلها وانتقالاتهم . " كما تم النقش على نصب صغيرة متواضعة عليها منظر لرجل يصيد الأسود بسهامه وآخر يهاجمها برمحه . كما عثر فى هذه الحضارة على نماذج من النحت تمثل حيوانات أليفة وضارية وتماثيل بشرية وتماثيل كائنات أسطورية وخرافية . وتماثيل الإناث التى يمتاز بعضها بالرشاقة " .[٣] ومن هذه التماثيل وجه حجرى لأنثى عثر عليه فى الوركاء .[٤] كما عثر على أدوات للزينة وأدوات مصنوعة من المعادن وعثر فى هذه الحضارة على أقدم نماذج للكتابات تعبر عن محاولات لاختراع حروف الكتابة . وهى كتابة أولية استخدمت على لوحات وتدل الصورة فيها على رمز معين أو حرف معين .[٥]

حضارة جمدة نصر :

كانت هذه الحضارة محل نقاش بين العلماء نظرا للتغييرات التى حدثت فى صناعة الفخار والتى تمثل عامل التطور الرئيسى فى هذه الحضارة . وفيما عدا هذا،

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٧٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧٧ – ٣٨١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٨١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٨١ ، ص ٥٧٨ شكل ٣٨ .

(٥) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

ثانيا : العصر الأسطوري :

قبل قيام السومريين بتأسيس مملكتهم تحدثنا قوائم الأسرات عن ملوك أسطوريين من قبل عصر الطوفان الكبير . وتشير هذه القوائم إلى وجود أبطال عاشوا في العصر الأسطوري لسومر .

فتذكر أن الملكية هبطت من السماء إلى مدينة أريدو حيث حكم فيها ملكان معبودان ، وانتقلت الملكية المقدسة بعدها إلى بادتبيرا (تل المداين قرب تللو) حيث حكم ثلاثة ملوك من المعبودات منهم المعبود تموز (معبود الإنبات) ، ثم انتقلت الملكية إلى لارك (قرب كوت العمارة) حيث حكم ملك واحد ، ثم انتقلت إلى سيبار (أبو حبه) حيث حكم ملك واحد أيضا ، ثم انتقلت أخيرا إلى شوروباك (تل فرا) حيث حكم ملك واحد كذلك .[١] وبعد ذلك جاء عصر الطوفان الكبير .[٢] وبعد انحسار الفيضان هبطت الملكية مرة أخرى من السماء

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

(٢) وردت قصة الطوفان في وادي النهرين في الأساطير السومرية كما وردت في ملحمة جلجامش ، ثم تناقلتها قصص التوراة في أحداث مشابهة (سفر التكوين ٦ : ١ – ٢٢) في تصوير غضب المعبود على البشر وابتلائه لهم ثم عقابه لهم بالطوفان .

كما تحدثنا آيات القرآن الكريم عن تصوير ما أدى إليه الطوفان أيام سيدنا نوح (سورة يونس : الآية ٧٣ ؛ سورة هود : الآيات ٣٧ – ٤٥ ؛ سورة الشعراء : الآيات ١١٨ – ١٢٠ ؛ سورة العنكبوت : الآيات ١٤ – ١٥ ، ٤٠ ؛ سورة الصافات : الآيات ٧٩ – ٨٢ ؛ سورة القمر : الآيات ٩ – ١٥) ، راجع أيضا د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١١ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٤٧٥ .

وقد ورد في ملحمة جلجامش ذكر أماكن في بلاد النهرين مثل مدينة أوروك (الوركاء الحالية) وشوروباك (تل فاره الحالية) وكلاهما تقعان في جنوب بلاد النهرين . كما تحدد مكانا في وادي النهرين للجبل الذي وصلت إليه ===

اســتقرت فى كيش (شــرق بابل) حيث تكونت فيهــا الســــلالة الأولــى مــــن

== أو رست عليه سفينة سيدنا نوح " واستوت على الجودى " (سورة هود : الآيــة ٤٤) ، وهو جبل " نيسير " الذى يحدده الباحثون ورجال الآثــار عــادة بجبــل " بيير عمر كودرون " الذى يقع جنوبى نهر الزاب الصغير (أحد روافــد نــهر دجلة) فى سلسلة جبال زاجروس التى تمتد بطول المنطقــة الشــرقية لــوادى النهرين من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ، راجع :

د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة (مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الإسلام) ، ص ٥٥ ؛ د. بيلة عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٧٦ حاشية ٦٨ ؛ د. فاضل عبد الواحد : الطوفان فى المراجع المسمارية ، مؤلــف طبع على نفقة جامعة بغداد ، عــام ١٩٧٥ ، ص ١٩ – ٤٠ ، ١٨٥ – ١٩١ .

وعن بير عمر كوردرون (جبل بيرة مكرون) ، راجع : المرجع السابق ، ص ٩٣ – ٩٤ ، حاشية ١٨ . وحديثا نشرت جريدة الواشنطن تــايمز التــى نقلــت الخبر عن وكالة المخابرات الأمريكية أن طائرات التجسس الأمريكيــة التقطــت صورا تظهر فيها بقايا خشبية متهالكة لسفينة سيدنا نوح عليه السلام فوق جبــال أرارات بتركيا (؟) . ويرى بعض العلماء أن الطوفان كان محليا فــى ســهول العراق الرسوبية وأنه كان طوفانا كبيرا على وادى دجلة والفرات وتقدر مســلحة الفيضان بحوالى ٤٠٠ ميل طولا ، و١٠٠ ميل عرضا ، وكان ذلــك كافيــا لأن يغمر الوادى كله ، إذ بلغ ٤٠ ألف ميل مربع ، فيما عدا المناطق المرتفعة ، أمــا بالنسبة لوقت استمرار الفيضان فلم يستطع أحد حتى الآن أن يحدده تحديدا تاما ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٨ – ١٢ .

ويعرض د. شعبان رأيا جديدا بالنسبة لمكان حدوث الفيضان ، فــهو يــرى أن الفيضان وقع فى سهل منخفض فى مكان ما يعرف حاليا بالبحر المتوسط وذلــك عندما أنهار الحاجز الجبلى الرابط بين شمال أفريقيا وجنوب أوروبا مــن جهــة المحيط الأطلنطى فيما عرف بعد ذلك باسم مضيق جبل طارق وغمــرت ميــاه المحيط السهل ونشأ من جرائه البحر المتوسط ، راجع : د. شعبان خليفة : ===

٢٢ ملكا .[١]

ومن الصعب التوصل إلى بداية العصر التاريخى بالتحديد نظرا لأن قوائم الأسرات أعطتنا لمدد حكم كل ملك من ملوك سومر أرقاما خيالية من السنين تبلغ عشرات الآلاف . وعلى ذلك فلا نستطيع معرفة متى انتهى العصر الأسطورى ومتى بدأ العصر التاريخى .

ثالثا : السومريون وأسراتهم وسلالتهم أو عصر بداية الأسرات السومرية

(من القرن ٣٠ إلى ٢٥ ق. م) :

تبدأ العصور التاريخية فى العراق بالسومريين وقد اختلف المؤرخون فى أصلهم . ويرى بعض الباحثين أن أجداد السومريين هاجروا إلى العراق من المرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية التى تحف به ، عن طريق أرمينيا وإيران ، ورأى آخر يرى أنهم جاءوا من وراء القوقاز أو مما وراء بحر قزوين . وافترض رأى ثالث أن السومريين هاجروا من منطقة ما تقع فيما بين شمال الهند وبين أفغانستان وبلوخستان[٢] ، واستقروا بعض الوقت فى غربى إيران ، ثم نزحوا إلى بلاد النهرين عن طريق الخليج العربى وجزيرة البحرين .[٣]

= الكتابة العربية فى رحلة النشوء والارتقاء ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .

أما عن الفترة التى استغرقتها هذه الكارثة فهى تختلف فى المصادر السومرية البابلية عنها فى المصادر الخاصة بالتوراة ، فبينما تعطى الأولى مدة أسبوعا واحدا ، تعطينا الثانية مدة ٥٠ يوما ، راجع : James, Mythes et Rites dans le Proche - Orient ancien, Paris (1960), p. 201.

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٩٠ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ١٩٩ حاشية (٢) .

(٣) عن السومريين وعصرهم وحضارتهم ، راجع : د. فاضل عبد الواحد: سومر: أسطورة وملحمة ، ص ١١ – ٣٦ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦ ، ٣٥ – ٦٠ ؛ د. نبيلة عبد الحليم : المرجع السابق ،

وتذكر لنا قوائم الأسرات والوثائق المختلفة تاريخ السومريين منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر ق. م .

== ص ٤٧ – ١٠٣ ؛ د. توفيق سليمان : دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة ، ص ٩٦ – ١١٧ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ١٦٠ – ١٨٥ . وتناول العالم الفرنسى باروه فى مؤلفه عن " سومر -Summer " الموضوعات التالية فى سبعة فصول وهى :

ففي الفصل الأول : تناول تاريخ الاكتشافات الأثرية فى سومر .

وفي الفصل الثاني : تحدث عن جنة عدن ، وأقدم العصور التاريخية ابتداء من عام ٥٠٠٠ حتى ٢٨٠٠ ق. م .

وفي الفصل الثالث : تناول تاريخ المدن – الدول والعصر الذهبى فى سومر : أور ، لجش ، مارى (من عام ٢٨٠٠ إلى ٢٤٧٠ ق. م) .

وفي الفصل الرابع : تحدث عن إمبراطورية سرجون الأول (من عام ٢٤٧٠ إلى عام ٢٢٨٥ ق. م) .

وفي الفصل الخامس : تحدث عن الجوتيين ورد الفعل فى الأحياء السومرى (من عام ٢٢٨٥ إلى ٢٠١٦ ق. م) .

وفي الفصل السادس : عودة الأموريين والسيطرة البابلية (من عام ٢٠١٦ إلى عام ١٥٩٥ ق. م) .

وفي الفصل السابع : تناول تاريخ الكاسيين والعلاميين فى بابل (من عام ١٧٣٠ – ١١٥٥ ق. م) .

راجع : Parrot, Summer, Gallimard (Paris) 1960, p. 7 - 313

كما تحدث د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٣٨٤ – ٤١٢ عن عصر بداية الأسرات السومرى وتحدث فى هذه الصفحات عن أصل السومريين والكتابة المسمارية والعمارة الدينية (والزاقورات) والعقائد والتطور السياسى والفنون والنحت والمساكن والمقابر وما عثر عليه فيها .

(١) أسرة كيش الأولى :

تشير قوائم الأسرات إلى أن الملكية عندما هبطت مرة أخرى بعد الطوفان الكبير هبطت على كيش (الأحمير) وعلى ذلك أصبح ملكها يلقب بلقب " ملك كيش " . وكان أول هؤلاء الملوك هو ملك يدعى " ان – مى – براج – سى " وحكم حوالى عام ٢٧٠٠ ق. م . وتدل الشواهد الأثرية على أنه قام بتشييد معبدا للمعبود انليل فى نيبور مما جعلها عاصمة سومر الدينية فى بداية الأمر .(١)

" وتذكر القوائم أن آخر ملوك كيش " اجا " هزم على يد خامس ملوك أسرة الوركاء " جلجامش " الذى قضى على مملكة كيش وتشير الأساطير إلى جلجامش وأعماله الخارقة .

(٢) أسرة أور الأولى :

ذكر على خاتم أسطوانى عثر عليه فى أور (المقير حاليا) أن الملك " مس – انى – بدا " هو ملك كيش ، مما يدل على أن أسرة أور الأولى هى التى خلفت أسرة كيش فى السيادة . ومن الآثار التى عثر عليها فى جبانة أور نتبين مقدار الثراء الذى كانت عليه هذه المدينة وعظمة أسرتها الحاكمة حيث عثر على مقابر ملوكها(٢) ، وكانت غنية بما حوته من أثاث ثمين وتحف نادرة ، ومن أجمل ما عثر عليه فى جبانة أور (من النصف الأول من الألف الثالثة) تمثال من المعدن يمثل

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ – ٣٥٠ .

(٢) هناك عدة مناظر على أختام من أور منها مناظر ولائم وموسيقيين كما عثر على آلات موسيقية من الجبانة الملكية بأور ، وهى موزعة بين متاحف فيلادليفيا وشيكاغو والمتحف البريطانى وبغداد ، راجع : Parrot, Assur, p. 299, 300, 305 Fig. 372 – 373, 382 ، وهناك منظر عام للجبانة الملكية فى أور ، وترجع إلى النصف الأول من الألف الثالثة ، راجع :

Parrot, op. cit., p. 245 Fig. 305.

عنزة (أو جدى) تتطاول على شجيرة قصيرة ذات فروع وتطل برأسها فيما بينــها . ورصع الفنان خصل شعر العنزة الطويل بقطع من اللازورد والأصداف ثبتها بالقــار على جسمها الخشبى . وهذه القطعة محفوظة بالمتحف البريطانى .[١] ومن أهم هــذه المقابر مقبرة السيدة " بو – إبى " التى عثر فيها على كاسا ذهبية وغطاء للرأس فــى حالة جيدة وقيثارة ذهبية تعد من التحف الفنية الرائعة بمتحف بغداد . وقد دفــن مــع صاحب المقبرة عدد من الأتباع بعد تناولهم سم قاتل . ومن بين الآثــار التــى عــثر عليها فى إحدى مقابر مدينة أور لوحة خشبية مطعمة بالصدف تمثل نقوشها الحاكم أو الملك وهو يستعرض عددا من الجنود والأسرى .[٢]

كانت أسرة أور الأولى معاصرة لسلالة ملوك وحكــام لجــش ، وتعــرض مدينة أور لهجوم القبائل العيلامية التى كانت تغير عليها من وقت لآخر حتى تمكنــت من فرض سيطرتها عليها .

(٣) سلالة لجش وأهم ملوكها :

كانت سلالة لجش من أهم السلالات التى ظهرت فى فجر الأسرات والتــى حكمت فى مدينة لجش (تلو) .[٣] كان أول حكام مدينة لجش هو الملك أورنينــا أو أورنانشى الذى اهتم بأعمال التشييد والبناء ، فمن عصره عثر على لوحة فى مدينــة تلو وهى الآن بمتحف اللوفر ويرجع تاريخها إلى عام ٢٥٢٠ ق. م . صــور عليــها اورنانشى مرتين بحجم كبير بالنسبة لبقية الأشخاص المصورين معه . وخلفه فى كـل مرة صور خادمه . وصور الملك وهو يحمل فوق رأسه سلة بها مواد بناء . ويشــير

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤١٠ – ٤١١ ، ٥٨٠ شكل ٤٢ ؛ د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٣٨ صــورة ١٩٢ – ١٩٣ ؛ Parrot, Assur, p. 160 Fig. 190, p. 163 Fig. 191 .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٤٨ ، ٣٥١ – ٣٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٥٣ – ٣٥٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ص ٤٠٤ – ٤٠٨ .

هذا إلى أن الملك كان مهتما بالتشييد والبناء . وتقف أمامه ابنته .[١] ومن أهم ملوكها أياناتم الذى حكم فى حوالى عام ٢٥٥٠ ق. م . وكان هذا الملك مثل جده أورنانشى محبا للعمارة[٢] وبناء المعابد وشق الترع والقنوات . وفى ذلك الوقت اشتد التنافس بين مدينتى لجش وأوما (تل خوجة) والتى كانت تقع شمالى غربى لجش ، وذلك بسبب موارد الماء وحدود الأراضى الزراعية التى كانت تزرع بالنخيل ، ثم تدخل للفصل بينهما " ميسيلم " أحد حكام كيش الأوائل . وكانت له صلة ما بمدينة لجش ، ولكن هذا النزاع على الحدود بين المدينتين تطور إلى تنافس على الزعامة والسيطرة وذلك فى عهد أياناتم . ويبدو أن أحد حكام أوما ويدعى " أوش " قد تنكر لمعاهدة السلام القديمة وأظهر العدوان لحكام لجش واحتل الأطراف الزراعية الفاصلة بين المدينتين . فتصدى له أياناتم ، وذكرت نصوصه أنه استفتى ربه فى حربه ضد أوما وزار معبده وسجد فيه على وجهه فتمثل له " نين جيرسو " فى رؤياه ووعده بالنصر ، وبالفعل تم له النصر على خصومه ، وخلد فنانه ذكرى هذا الانتصار على لوحة تعرف اصطلاحا باسم لوحة العقبان أو لوحة النصر وهى لوحة من الحجر الجيرى يبلغ ارتفاعه ١٨٨ سم ، وعرضه ١٣٠ سم ، وعثر عليها فى مدينة تلو ومعروضة الآن بمتحف اللوفر . ويرجع تاريخها إلى عام ٢٤٧٠ ق. م . فنرى على أحد وجهيها شخصا بحجم كبير جدا يرتدى نقبة طويلة ذات زخارف . وهو يمثل معبود المدينة نين جيرسو . وعلى الوجه الآخر نرى منظرا يمثل مجموعة من العقبان تحمل رؤوس القتلى من الأعداء ومن هنا استمد اسم هذه اللوحة . ويوجد على اليسار كتيبة من لجش تسير على جثث الأعداء فى طابور منظم ويتقدمهم الملك أياناتم . ويشير هذا المنظر إلى أقدم غزو منظم معروف فالجيش هنا مزود بالسلاح .[٣]

---

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٣٠ صورة ١٨٢ .

(٢) عن بعض آثار لجش ، راجع : Parrot, Assur, p. 219 Fig. 271

(٣) د. سيد توفيق : تاريخ الفن فى الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، ص ٣٣١ – ٣٣٢ صورة ١٨٣ – ١٨٤ .

ولما تم النصر لأياناتم ، أعاد تخطيط حدوده لصالحه وأجبر خصومه على عقد معاهدة جديدة . وأراد اياناتم أن يخفف من وقع الهزيمة على خصومه فسمح لهم باستغلال جزء من الأراضى الحدودية بشرط أداء الضرائب عليها . ثم شجعه نصره على مهاجمة مدن أور وأوروك وكيش وغيرها . ولكنه لم يتمتع بثمرة انتصاراته طويلا فثارت ضده أغلب المدن التى حاول إخضاعها ولقى بعض الفشل مع جنوده على حدود عيلام .

خلفه أخوه اناناتوم وتلاقى جيشه مع خصومه أهل أوما فى سهل (جانا) وانتصر عليهم ، ويبدو أن حرص الملوك على رد انتصاراتهم إلى تأييد أربابهم ، شجع كهنة أولئك الأرباب على أن يتمتعوا بنفوذ كبير فى ظل ملوكهم بحيث شاركوا الحكام أهميتهم .

تولى بعد ذلك أوركاجينا الذى وجه همه إلى الإصلاحات الداخلية فأصدر عدة قرارات . وتعتبر قوانين أوركاجينا ، بداية متواضعة للتشريعات فى العراق القديم ، وهو يعد أول مشرع فى تاريخ البشرية حيث وردت بعض الإشارات التى تشير إلى إصلاحاته الاجتماعية وتنظيمه للإدارة وإزالة الظلم عن فئات من طبقات الشعب . فقد عمل الملك على أن يحد من دخل الكهنة ويمنع الرشوة ويعزل من حامت الشبهات حولهم من الموظفين فأصدر عدة قرارات تحدث فى بدايتها عن المساوئ التى سبقت عهده وكيف كان الكهنة والموظفون يغتصبون فيها أرزاق العباد ويستغلون مزارع المعابد وماشيتها ويبالغون حتى فى تحصيل أجور الدفن . وخفف عن الملاحين عبودية العمل فى مراكبهم لمصلحة نظار الملاحة ، وخفف عن الرعاة عبودية العمل فى الرعى لمصلحة نظار الماشية . وكيف أنه لم يسمح لشخص كبير بأن يشترى دارا تجاور أملاكه إلا إذا أدى فى مقابلها ما يرضى صاحبها من ثمن .[1]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٠٣ .

وفى أثناء ذلك الوقت ظهر فى أوما حاكم طموح هو لوجال زاجيزى الذى استغل فرصة انصراف أهل لجش إلى حياة السلم فهاجم مدينتهم وهزم أوركاجينا وأساء معاملته . وتجرأ لوجال زاجيزى فى تنفيذ مشروع توحيد المدن السومرية تحت زعامته ونقل مركز نشاطه إلى أوروك واعتبر نفسه ملكا على سومر . ولم تقف امال لوجال زاجيزى عند حدود بلاده وإنما أخذ يتطلع إلى ما يمتد من البحر الأسفل (الخليج العربى) إلى البحر الأعلى (البحر المتوسط) .[1] ولكنه لم يستطع تحقيق أطماعه نظرا لظهور قوة الأكديين الساميين .

تحدث د. صالح بالتفصيل عن الفنون فى عصر بداية الأسرات السومرى وشيوع اساليب فنية متعددة ، وذلك نتيجة لتبادل المصنوعات الفنية الصغيرة بين المدن ، كالأختام الأسطوانية المنقوشة ، وتحف المعابد مثل رؤوس المقامع والموائد التى كانت تشكل بأشكال حيوانية وزخرفية . كما تطورت فنون عمارة المعابد والزاقورات . فقد شاع فى تلك الفترة مناظر نقشت على أختام بأسلوب نقش تخطيطى بارز اكتفى فنانه بتصوير الخطوط العامة للأجسام وكان يستغل ما بينها من فراغات لتصوير أشكال نباتية .[2]

---

(١) عرف الخليج عند الأشوريين والبابليين بأسماء ثلاثة : " البحر " ، " البحر الأسفل " ، و " بحر ماجان " ، وكان يوصف بـ " البحر الذى تشرق منه الشمس " وبـ " البحر المر " فى مقابل " البحر الأعلى " وهو البحر المتوسط ، راجع : د. جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثالث ، ص ٣٠٦ ؛ د. سليمان سعدون : منطقة الخليج العربى خلال الألفين الثانى والأول قبل الميلاد ، ص ٤٧ حاشية (٦) ، ص ٥٨ حاشية (٢ - ٣) .
أما الذين سموا الخليج باسم " الخليج الفارسى " أو " بحر فارس " فهم اليونانيون ومن بعدهم الكتبة الرومان ، راجع : د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ ؛ د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ١١٧ ؛ د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ٨٠ .

(٢) عن الفن فى العصر السومرى والأكدى والبابلى والآشورى والكلدانى ، راجع : سيتن لويد : فن الشرق الأدنى القديم (ترجمة محمود دوريش)، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ١٩٨٨ ، ص ٨٧ - ١٢٢ ، ١٣٨ - ١٤٣ ، ٢٠٥ - ٢٤١ .

كما تميزت نقوش الأختام فى أور بتعدد موضوعات مناظرها وتداخل صورها وتقاطع أجزائها واستغلال ما بينها لتصوير رؤوس حيوانية ونباتات وقد استحب فنانوها تصوير تغلب الأبطال الأسطوريين للأسود واعتادوا على تصوير أولئك الأبطال فى هيئات تجمع بين رؤوس البشر وأيديهم وبين أجسام وقرون الفحول .[١] كما تحدث د. صالح عن نقش اللوحات والنحت والمساكن والمقابر من عادات للدفن وما حوته مقابر مدينة أور . ومن التماثيل المعدنية تمثال عنزه أو جدى تتطاول على شجيرة قصيرة[٢] (تحدثنا عنه فيما سبق) .

كما تحدث د. توفيق عن تاريخ الفن السومرى من ٢٨٥٠ إلى ٢٣٥٠ ق. م . فتحدث عن فن النقش وما يسمى باللوحات النذرية والأختام الأسطوانية والتماثيل الحجرية والتماثيل المعدنية ، منها عربة ذات عجلتين وتمثال من البرونز لمصارعين والقيثارة وتمثال العنزه أو الجدى التى تتطاول على شجيرة قصيرة .[٣]

رابعا : الأكديون وملوكهم (٢٣٤٠ – ٢١٨٠ ق. م) : [٤]

تنافس حكام المدن السومرية على السيادة على نحو ١٢ مدينة تقريبا . ولكن بعد عام ٢٤٠٠ ق. م . تمكن الأكديون الذين يعيشون فى وسط العراق من تغيرات مجريات الأمور . وكان الأكديون فرعا من هجرات سامية متوالية استقروا فى بوادى

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٠٤ – ٤٠٨ ، ص ٥٨٠ شكل ٤٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠٦ – ٤١٦ ، ص ٥٨٠ شكل ٤٢ .

(٣) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٢٨ – ٣٣٨ صور ١٩٠ – ١٩٣ .

(٤) تحدث د. عبد العزيز صالح فى مؤلفه : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ عن العصر الأكدى ، ص ٤١٣ – ٤٣٤ . وتحدث فى هذه الصفحات عن أصل الأكديين وأهم أعمال سرجون الأول ، وتحدث عن الفنون ونقوش الأختام ، وتحدث عن نهاية الدولة والأخطار التى حاقت بالدولة وأدت إلى سقوطها .

العراق والشام قبيل منتصف الألف الثالثة ق. م . وكان من أبــــرز جماعـــات هــذه الهجرات فرع " الأكديين " الذين استقروا فى أكد (أو إجادة) (الدير حاليـــا) التـــى أصبحت مركزا لنشاطهم السياسى والحربى بعد فترة من استقرارهم فى وسط العـــراق ونزلوا على من سبقوهم من بنى جنسهم أصحاب الدماء السامية القديمة المتنـــــاثرة . وسيطر زعماؤهم على بعض المدن السومرية كانت أهمها مدينة كيش التى اســـتفادوا من حضارتها .[1]

ومن أهم ملوكهم :

سرجون الأول (الأكدي) : (٢٣٣٤ – ٢٢٧٩ ق. م)[2] :

تعاقب على عرض كيش عدد من الحكام الجدد ، ثم استولى علـــى العـــرش رجل من الساميين هو شروكين ، أى الملك الصادق ، الذى عرف تحت اسم سرجون الأكدى أو سرجون الأول الذى كان يعمل فى الأصل ساقيا لدى ملك مدينة كيش الذى يدعى " اورزبابا " (ثالث ملوك كيش) ، ويبدو أنه قام بثـــــورة ضـــد هـــذا الملـــك واستولى على العرش ، واتخذ سرجون عاصمة جديدة قريبة من كيش عرفها التـــاريخ باسم أكد (إجادة) وكانت مركزا لتجمع نشاط الأكديين فى البداية ، فعمل هذا الملـــك على تجديدها ، وطال عهده نحو أربعة وخمسين عاما ، استطاع خلالـــــها أن يحقـــق الكثير من طموحاته ، فاتجه أولا إلى شمال العراق وواصل فتوحاته حتـــــى بلغـــت جيوشه جبال زاجوراس وكسر حدة الجوتيين الجبليين الأشداء ، ثـــم عـــاد ســـرجون

---

(٢) عن الأكديين وعصرهم ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع الســـابق ، ص ٦٣ – ٦٦ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : المرجع الســابق ، ص ٣٥٥ – ٣٥٨ ؛ د. نبيلة عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٠٥ – ١٤٠ ؛ د. توفيق ســليمان : المرجع السابق ، ص ١١٨ – ١٣٨ ؛ د. أحمد سليم : المرجـــع الســـابق ، ص ١٨٩ – ٢١٢ ؛ وأيضا : Contenau, op. cit., p. 92

(٢) ليواوبنهايم : بلاد ما بين النهرين (ترجمة سعدى فيضى عبد الـــرزاق) ، ص ٤٤٣ – ٤٤٤ ، أعطى ١١ اسما لسلالة أكد مع تواريخ حكمهم .

وألقى بثقل جيوشه على المناطق الجنوبية السومرية وقضى على نفوذ لوجال زاجيزى الذى كان قد استقر فى أوروك ، ثم هاجم بجيوشه بقية المدن السومرية الكبيرة من أمثال أور وانينمار ، وبلغ بجيوشه البحر (أى الخليج العربى) ، ثم اتجه إلى المناطق الغربية لحدود دولته ، وبدأ بالمنطقة المحيطة بدويلة مارى (تل الحريرى) وضمها تحت سلطانه ، ثم توجه إلى عيلام وحالفه النصر أيضا وأصبح لدولته بعض الإشراف على المناطق التجارية المتصلة بالخليج العربى والقريبة منه ، مثل جزيرة دلمون (جزيرة البحرين) وماجان التى كانت تقع فى الشمال الشرقى من الخليج وملوخا التى يحتمل أنها كانت تقع فى وادى السند ، وذكرت نصوصه أنه خاض أربعا وثلاثين معركة وانتصر فيها وتذكر أن سلطانه امتد حتى غابات الأرز وجبل الفضة (منطقتى جبل اللكام وطوروس) ثم غزا جانيش فى كبادوكيا بآسيا الصغرى انتصارا لجالية أكدية كانت قد استقرت فى تلك البلاد منذ فترة وتعرضت لاضطهاد أحد الحكام المحليين فيها (وهو نورد أجان ملك جانيش) فانتصر عليه وسيطر على جزء من بلاد الأناضول ، واقترح بعض العلماء بأن إمبراطورية سرجون الأول كانت تمتد حتى جزيرة قبرص ، وليس من شك فى أن عهد هذا الملك يعتبر نقطة تحول رئيسية فى تاريخ بلاد النهرين لأنه كان أول من عمل على توحيد البلاد تحت زعامة سياسية واحدة ، وهو أول من ثبت دعائم أسرة سامية قوية حكمت نحوا من قرن ونصف قرن ، ومع ذلك ففى نهاية حياة سرجون الأول السياسية نشبت ضده ثورات عدة وبلغ من عنف الثوار أن حاصروا عاصمته ، ولكنه قاومهم وشتت شملهم ثم انتقم من مدنهم وخاصة أهالى سهل سوبارتو .[١] وعثر على رأس من البرونز لسرجون الأكدى (؟) .[٢]

---

(١) " بلاد السوباريين " أو " السوباريون " ، هم شعب غير سامى وكانوا غالبا بين سكان البلاد قبل وصول الحوريين إليها وتأسيس مملكتهم فى ميتانى ، راجع : د. فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول (ترجمة د. جورج حداد وعبد الكريم رافق) ، ص ١٦٢ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق، طبعة ١٩٧٦، ص ٤١٩، ٥٨٢ شكل ٤٦ .

ريموش (٢٢٧٨ – ٢٢٧٠ ق.م) :

خلف سرجون الأول ابنه ريموش الذى عمل على إعادة السلم فى مختلف أنحاء مملكته فقام بعدة غزوات لكى يخمد الثورات التى اندلعت على أطراف هذه المملكة فاشتبكت جيوشه مع مدن أور وأوما ولجش ودير ، وحاول مواصلة جهود أبيه فى مجالات التوسع الخارجى فشنت جيوشه حروبا ظافرة على مناطق فى داخل عيلام .

مانيشتوسو (٢٢٦٩ – ٢٢٥٥ ق.م) :

خلف أخوه ريموش وحاول بقدر الإمكان المحافظة على أجزاء الإمبراطورية ، وادعى فى نصوصه أن جيوشه هاجمت حلفا من اثنين وثلاثين أميرا على الشاطئ العيلامى لتأمين استغلال مناجم الفضة القريبة منه .

نرام–سين (٢٢٥٤ – ٢٢١٨ ق.م) :

ابن الملك السابق ، وتمتع بفترة حكم طويلة استمرت نحو أربعين عاما بذل فيها جهده للمحافظة على الإمبراطورية الواسعة ، وكان نرام – سين آخر ملوك أكد الأقوياء ، فكان عليه أن يكافح القبائل الجبلية المعروفة باسم (اللولوبيين) فى منطقة جبال زاجروس وقد تتبعهم حتى المناطق الجبلية ، وسجل انتصاره عليهم على لوحة عرفت باسم " لوحة النصر " وهى تمثله على رأس جيشه منتصرا على هذه القبائل، أقام الملك نرام – سين هذه اللوحة فى مدينة سيبار واستولى عليها الملك شوتروك – ناخونتا ونقلها إلى سوس حيث عثر عليها هناك وهى الآن بمتحف اللوفر ونشاهد فى قمة اللوحة ثلاثة نجوم ترسل أشعتها ونرى المحاربين الأكديين بخوذاتهم وهم يصعدون الجبل فى صفين ، يعلو إحداهما الآخر ، وهم يحملون الأعلام والحراب بأيديهم اليمنى . وأمام الجبل صور نرام – سين وقد غطى رأسه بخوذة ذات قرنين وتسلح بفأس وسهم . وهو يطأ بقدميه عدوين ساقطين .[1] ومن آثاره أيضا لوحة

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤١٨ – ٤١٩ ، ٥٨٢ شكل ٤٧ ؛ د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ – ٣٤٠ صورة ١٩٤ .

حفرت فى جبل فى منطقة ديار بكر (شمال العراق) ذكر فيها أنه هزم بلاد ماجان التى كانت غنية بما فيها من محاجر للديوريت وقد استورد منها هذا الحجر ليصنع منه تمثالا لنفسه . كما ذكرت نصوصه أن مناطق نفوذ دولته اتسعت شرقا فى عيلام وشمالا على حدود آسيا الصغرى ، وقد عثر فى وادى الخابور (شرق الفرات) على بقايا قلعة شيدها الملك نرام – سين ملك أكد . ويبدو أن هذه القلعة شيدت على الطريق التجارى بين أكد والأناضول ، وأقيمت لحماية طريق التجارة من هجمات الجوتيين وسكان الجبال .[1] وهكذا نجح نرام – سين فى إحياء عهد سرجون الأول فى نشاطه العسكرى وسمعته الخارجية ، وإن توسعه هو وحده الذى ساعد على انتشار اللغة الأكدية .

شارجالى شارى (٢٢١٧ – ٢١٩٣ ق. م) :

الذى كان ابنا لنرام – سين أو حفيده والذى كان عليه أن يواجه الثورات التى اندلعت فى جميع أنحاء الإمبراطورية . ولم تأت الأخطار التى حامت بالدولة الأكدية من داخلها فحسب ، وإنما هددتها فى الوقت نفسه تحركات قبائل الجوتيين التى كانت تقطن فى الجبال الشمالية الشرقية .

واشتدت الخلافات الداخلية بعد وفاة شارجالى شارى بحيث تعاقب على العرش بعده أربعة ملوك فى ثلاثة أعوام، وهم : ايكيكى ، نانجوم (٢١٩٢-٢١٩٠ ق. م)، ايمى ، ايلولو وجاء بعدهم ملكان هما : دودو (٢١٨٩-٢١٦٩ ق. م)، وشونورول (٢١٦٨-٢١٥٤ ق. م)[2] . واستقلت أوروك ، وتعاقب فيها هى الأخرى خمسة ملوك محليون فيما لا يزيد عن ربع قرن ، وتدفق الجوتيون على الأراضى الزراعية فى العراق وفرضوا وجودهم على أغلب أجزائها فى فترات الضعف الأخيرة للدولة ، ومع توالى الأيام خفت حدة الجوتيين وخشونتهم رويدا ن ولم يكن أمامهم وهم غير ذوى ثقافة أصلية إلا أن ينهلوا من معين الثقافة السومرية الأكدية فاصطبغوا بها وعبدوا أربابها ، ويبدو أنهم اتخذوا مدينة كركوك واحدة من مدنهم الرئيسية ، ولكن المدن القوية القديمة ظلت كارهة لهم وتتحين الفرصة

---

(١) د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٣٩٧ .
(٢) راجع : ليوا وبنهايم : المرجع السابق ، ص ٤٤٣ – ٤٤٤ .

لمقاومتهم وبدأت هذا الكفاح لجش وأوروك . وكان نضال لجش (تلو) نضالا سليما اكتفت فيه بأن تستعيد للسومريين كيانهم ونشاطهم أو عصر الإحياء السومرى أو انتعاش المملكة السومرية ثانية .

تحدث د. صالح عن الفنون في العصر الأكدي ، نقوش لوحة نرام سين وعن فن النحت ونقوش الأختام الأسطوانية.[١]

كما تحدث د. سيد توفيق عن تاريخ الفن الاكدى من ٢٣٥٠ إلى ٢١٥٠ ق.م . فتحدث عن فن النقش : لوح نرام – سين والأختام الأسطوانية والتماثيل[٢] . وأشار إلى أن من أجمل الأختام التى يجب الإشارة إليها ختم شارجالى شارى وعليه نرى البطل جلجامش عار الصدر ذا لحية طويلة ذات ضفائر [٣] . ومن المواضيع الأسطورية أيضا بصمة ختم نرى فيها جلجا وهو يحاول أن يخنق أسدا هائلة .[٤]

خامسا : نهضة المدن السومرية وأهم ملوكها أو عصر الإحياء السومرى [٥] (منذ عام ٣١٢٥ ق.م) :[٦]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤١٨ – ٤٢١ .
(٢) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ – ٣٤٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤١ صورة ١٩٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٣٤٢ صورة ١٩٦ .
(٥) وتحدث أستاذنا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٢٤ – ٤٥٥ عن عصر الإحياء السومرى . وتحدث فى هذه الصفحات عن عصر الإحياء السومرى فى لجش وفى اوروك وفى اور . كما تحدث عن الفنون وفن النحت والنقش خلال هذا العصر . كما تحدث عن نماذج من الأدب السومرى ، كما تحدث عن نهاية اور وعصر اسين – لارسا وتشريع اشنونا وتشريع اسين ، وعصر الإحياء فى لارسا ، وتحدث عن نماذج من الفن فى هذه المدن .
(٦) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٥٩ – ٣٦٥ ؛ وأيضا : Contenau, op. cit ., p . 94
وعن عصر الإحياء السومرى بوجع عام ، راجع :
د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٧-٧٢ ؛ د. نبيلة عبد الحليم : المرجع ، ص ١٤١-١٨٢ ؛ د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ١٣٩ – ١٦٠ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ٢١٥– ٢٣٢ .

(١) مدينة لجش (تلو) :

ومن أهم ملوكها :

جوديا : تمتعت مدينة لجش فى عهد رابع حكامها " جوديا " برخاء كبير فى بدراية القرن الحادى والعشرين وسجلت اسمه فى شمال سوريا وفى عيلام وماجان وملوخا ، ولم تذكر نقوش جوديا الحرب سوى مرة واحدة مع دولة انشان ، واحتفظت له أرض لجش بأكثر من ستة عشر تمثالا نحت أغلبها من الديوريت ، وقد وزعت هذه التماثيل بعد الكشف عنها فى متاحف العراق واللوفر (١) والمتحف البريطانى . وكانت هذه التمايل قد أقيمت فى معبد لجش الكبير . وإقيمت فى معبد لجش الكبير . وإقيمت فى فنائه عدة لوحات ، هذا إلى جانب رؤوس المقامع التى أهداها لمعبد " نين جيرسو " . وسجلت نقوش آثاره مدى اهتمامه باستيراد الأحجار المختلفة ، والمعادن والأخشاب عن طريق البر والنهر والبحر من ارض عيلام وعاصمتها سوس ، ومن ماجان وملوخا ومن كيماش وجبال الأرز وجبال الصنوبر ، لصالح معبد لجش بوجه خاص ، وتحدثت نقوش جوديا عن فضل أربابه فى منع فيضان الفرات على أرضه ، وعندما تم بناء معبد لجش أكدت نصوصه حسن معاملته لمن اشتركوا فى بنائه من عراياه كما أوقف الملك الكثير من الأوقاف على معبد لجش . وهناك أختام أسطوانية خاصة بهذا الملك مغطاة بالكتابة المسمارية ومحفوظة بمتحف اللوفر .(٢)

وأهتم الملك أيضا بوسائل الرى ، وبقى من نصوص عهده ما يتحدث عن شق قناة نسبت إلى معبود لجش وسميت باسم " نين جيرسو " .

اورنين جيرسو :

ابن جوديا ، وبقى من عهده بضعة تماثيل صغيرة جميلة تشبه تماثيل أبيه

---

(١) عن تمثال متحف اللوفر ونقوشه ، راجع : Parrot, Assur , p. 282 fig . 353 . وأيضا : Parrot , Sumer , p. XXX1 .

(٢) Parrot , Assur , p. 283 Fg , 354 (A-B) .

تدل على أن فنون لجش احتفظت بمسواها الرفيع فى عهده .

(٢) مدينة أوروك (الوركاء) :

وقع عبء الكفاح المسلح ضد الغزاه الجوتيين على أكتاف دولـــة أوروك . وكان من أبرز حكامها اوتو حيجال مؤسس أسرة الوركاء الخامســة ، الـذى أعلـن الحرب على الجوتيين . وما أن نادى بالكفاح ضدهم حتى انضم إليه عدد من أمـــراء جنوب العراق . وواصلت قواته الزحف من الوركاء وهزمت قوات الجوتييـــن فـى موقعة فأصلة قرب كركر ، وأسرت ملكهم ، وأصبحت الوركاء على رأس دويـــلات المدن السومرية ونهضت نيبور العاصمة الدينية من جديد ، ويبدو أن الصراع علـــى السلطة شغل حكام أوروك عن مواصلة العمل الجاد ، وترتب علـــى ذلـك فقدانـــهم للزعامة لصالح مدينة أور .

(٣) مدينة أور (المقير) وسلالة أور الثالثة :

ومن أهم ملوكها :

- **أورنمو ٢١١٢ – ٢٠٩٥ ق.م** [١] : لم يستمر الوضع السياسى بالنسـبة لأسـرة الوركاء الخامسة كما هو عليه طويلا ، لن اونمو مؤسس أسرة اور الثالثة سرعان مـا أعلن الثورة على اوتو حيجال وانتزع منه السيادة وأعلن نفسه ملكا على دول سـومر وأسس أسرة أور الثالثة فى القرن الحادى والعشرين ق.م ، وتعاقب على عرش هـذه الأسرة خمسة ملوك سعوا إلى استعادة الحكم الموحد ، واشتهر منـــهم إلـى جـانب مؤسسها اورنمو ولده شولجي ، وبفضل مجهودات هذين الملكين خضعت كثير مـن المدن السومرية والأكدية لأور ، فكان على أورنمو أن يعيد سياسة الغزو لضم أجزاء إلى مملكته ، فبعد أن ضم إليه مدينة الوركاء ضم أيضا لجش ، ولارسا ، ونيبـور ، واتخذ لنفسه لقب " ملك سومر وأكد و" ملك الجهات الأربع " . ومن أهم أعماله أنـه أعاد بناء ما تهدم من المعابد وأعاد حفر شبكة القنوات التى كانت تعتمد عليها ثـروة البلاد الاقتصادية ، وكان أورنمو من أقدم واضعى التشريعات المكتوبة فـى تـاريخ

---

(١) ليو وبنهايم : المرجع السابق ، ص ٤٤٤ .

العراق القديم ، حي عثر على أجزاء من نسختين لتشريعه كتب أحدهما طـالب فـي مدينة أور ، وكتب الأخرى طالب من نفر بعد وفاة أورنمو بنحـو ثلاثـة قـرون ، وتضمنت المواد الأولى من تشريعات أورنمو كما يذكر د. صالح " العبارات المعتـادة عن سعى صاحبه من خلال تشريعه إلى ضبط الأوزان والمكاييل وتوحيدها ، ورغبته فى تخليص المواطنين ممن يستغلون ماشيتهم وغنامهم ودوابهم ، وإلى منـع وقـوع اليتيم فريسة للثرى ووقوع الأرملة ضحية للقوى ، كما استن قانون اورنمو على دفـع غرامات على الجروح (التى لا تؤدى إلى وفاة) . وجعل التشـريع العـوض عـن الجارية مثلها أو عشرة شواقل من الفضة أو ما يساويها من المقتنيات . ومـن افسـد حقلا فعليه أن يعوض صاحبه بقيمة ما أفسده ؛ ومن اغرق حقـلا عـامدا عـوض صاحبه بثلاثة كور من الشعير ومن استأجر أرضا لزراعتها فأهملها وأصبحت بـورا عوض صاحبها بثلاثة كور من الشعير . وجعل التشريع غرامة شـهادة الـزور ١٥ شاقلا من الفضة .، وفى الأحوال الشخصية نص التشريع على أن من تزوج بكرا ثـم طلقها دفع لها مينة (وزن) من الفضة . والزم والد الخطيبة بـرد ضعـف هدايـا الخطيب إذا اخلف وعده له وزوجها لآخر . ونص التشريع على أن من رمى زوجـة آخر بالفحشاء ثم برأها امتحان النهر (آى إلقاءها فى النهر) غرم ثلـث مينـة مـن الفضة ، وأن من اغتصب جارية رجل آخر وكانت بكرا غرم خمسـة شـواقل مـن الفضة ، وإذا أوقعت زوجة رجلا فى حبائلها بطرق السحر فواقعها حق عليها الذبـح دونه ، ونص على انه إذا ساوت جارية الرجل نفسها بسيدتها وأهانتها حشـى فمـها بالملح . واغلب هذه البنود لم يعثر عليها . ولكنها أصبحت اساسا لبعض ماتلاها مـن تشريعات ".[1]

أعيد فى عهد ارنمو تسوير العاصمة أور والتى كانت تطل على نهر الفرات

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٢٩ ؛ د. عبـد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٧٨ ؛د. توفيق سليمان : المرجع السـابق ، ص ١٧٤ .

وأقام فيها المعابد الكبرى المخصصة للمعبود ننار وزوجته ننجـــال ، وفـــى الحيـــاة السياسية تجنب أورنمو عوامل الشغب التى أثرت فى كيان الدولة الأكدية مـــن قبلـــة نتيجة للتفرقة بين السومرين وبين الساميين ، فاستعان بالعنصرين فى الجيـــش وفـــى مناصب الإدارية وجمع بين اللغتين السومرية والأكدية فى بعض الوثـــائق الرســمية والأدبية . وظلت العاصمة أور تشرف على كل كبيرة وصغيرة فيما يختص شـــئون المدن والأقاليم .

ومن بين الآثار الباقية فى أور من عهد الملك أورنمو بقايا زاقورة ضخمـــة أقيمـت على إطلال أقدم منها نسبت إلى أيام أسرة أور الأولى ، وقد شيدت فوق ربوة متسـعة فى الزاوية الغربية من الحرم المقدس للمدينة ، وأكملت هذه الزاقورة ورصف فناؤهـا فى عهد شولجى بن أورنمو . ونسب إلى عهد أونمو معبد آخر للمعبود انليـــل فـــى مدينته نيبور (نفر) بلغت مساحة المسطح الأول لزاقورته ٥٨ × ٣٨ مترا [١] . وتم كشف عن جانب السور المبنى باللبن الذى أحاط بها هى وبقية توابع المعبد . وعـــثر على لوحة كبيرة من الحجر الجيرى إقيمت بأسم أورنمو بمناسبة إنشائه أحد المعـابد ، وبلغ ارتفاع هذه اللوحة نحو ثلاثة أمتار وصور الملك على وجهيها بلحيـــة طويلـــة وعباءة طويلة مرسلة واسعة الأكمام وقلنسوة عريضة الحافة يقدم القرابين للمعبود ننار معبود القمر وحامى أور وزوجته المعبودة ننجال وغيرهما من الأرباب ، ويتبعه ولى عهده أو كبير اتباعه فى وضع ابتهال ورفع بعض أولئك الأرباب بيمينه حلقة وعصـا ، ويحتمل أنهما كانا من أدوات قياس المعبد فى بداية بنائه ، ويشاهد فـــى أطـراف المنظر بصورة صغيرة أوزنمو ينقل بعض أدوات البناء وقد علقها فى عصا رفعـــها على كتفة ، وتبعه تابع يعاونه فى حملها . وتوجد هذه اللوحة الآن فى متحف جامعـــة بنسلفانيا – فلادلفيا .[٢]

---

(١) هناك منظر يمثل أطلال زاقورة أور عند : د. عبد العزيز صـــالح : المرجـــع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٣٢ ، ٥١ شكل ٤٤– ٤٥ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع الســـابق ، ص ٤٣٦–٤٣٧؛ وأيضـــا د. ســيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٤٤ صورة ٢٠٢ ، ٢٠٢ أ .

شولجى (٢٠٩٤ – ٢٠٤٧ ق.م) :

توفى أورنمو وخلفه ابنه شولجى الذى سار على نهج أبيـــه فـــى سياســـته العمرانية . وكان قد اختير كاهنا أكبر للمعبود انانا فى أوروك فى حياة أبيه . وذكرت نصوصه أن المعبود اختاره بنفسه ، وأطلق اسمه بعد توليه العرش على أحد شـــهور دولته ، ورفعه أهل بلاطه إلى مرتبة الربوية ، وسمى بعضهم أولاده باسم يتداخل فيه اسم شولجى . واهتم شولجى كثيرا بالمراسيم الدينية فكلف ، كل مدينة بنفقات قرابيـــن معبد معبود العاصمة شهرا على الأقل من كل عام ، أما مدينة لجش فتكلفـــت بـــأداء القرابين أربعة أشهر كاملة ، وقد اهتم بمعبد مدينة أريدو التى تقـــع قـــرب شـــاطئ البحر ، وكانت تعتبر مقرا للمعبود أنكى معبود المياه والبحار .

امرسين (٢٠٤٦ – ٢٠٣٨ ق.م) :

كان ابنا لسولجى واتبع نفس السياسة ، وتمسك بقدسية الملك .

شوسين (٢٠٣٧ – ٢٠٢٩ ق.م) :

الابن الثانى لشولجى وتولى فى أوائل الألف الثانية ق.م وأهتـــم بالمعـــابد وأولاهـــا بالهدايا والهبات ، وأثنت كاهنة من كاهنات لوكور على مولاها شوسين ومدحته فـــى نشيد بدأته بوصف الملك بالطهر ، ثم عددت عطاياه .

ابى سين (٢٠٢٨ – ٢٠٠٤ ق.م) :

عثر من عهده على خاتم أسطوانى عليه منظر يصور إبى ســـين ملـــك أرو حليق اللحية برداء ذى ثنيات عريضة مزركشة يرسل أطرافه على ذراعـــه ويتلقـــة بأطراف أنامله آنية يقدمها إليه كاهن يواجهه فى أدب وبساطه .

نهاية أور :

تعرضت دولة فى أواسط القرن العشرين ق.م لهزيمتين كبيرتين ، صدرتـــا عن شعبين ناهضين ، وهما : شعب العيلاميين وشعب الآموريين . وكان العيلاميـــون من جيران الدولة فى شرقها وكثيرا ما صدمتهم وتصادموا معها ، وناوأتـــهم حتـــى

اخضعت بعض جماعاتهم لسطلنها . وكلن فى العام الحادى عشر من حكم ابى سين اخذ العيلاميون يعدون العدة لمهاجمة اور فى عقر دارها ، وشيئا فشيئا اختفى اسم ابى سين من المصادر التاريخية فى مدن اشنونا ولجش وأوما مما يعنى أن هذه المدن قد وقعت فى يد عدوه ، وتقدم العيلاميون حينذاك من تلقاء أنفسهم واستغلوا الظروف لملحتهم ومدوا سلطانهم حتى مدينة لارسا التى قامت على مقربة من اور (تقوم على أطلالها بلدة المقير) .

وبدأ الأموريون بدورهم فىمناوأة أور من الغرب ، والأموريون هم أولئك الفروع من الساميين الذين انتشروا فى باديتى الشام والعراق وأمتدوا حتى غربى الفرات والذين سماهم السومريون القدماء أهل " مارتو " أى أهل الغرب . وكان لقرب مناطق الأموريين من صحراء شبه الجزيرة العربية يزودهم من وقت لآخر بهجرات من بنى عمومتهم البدو الساميين ، كانت تجدد دماءهم وحيويتهم فى أغلب الأحيان وعندما شعروا بضعف أواخر ملوك أور وعدم سيطرتهم على أطراف دولتهم بدأوا يتغلغلون فى مناطق الحواف . ومن كبرى المدن التى اخضعوها لنفوذهم مدينة مارى قرب نهر الفرات ، وكانت لأهلها صلة قديمة بالعنصر السامى وأرسل إبى سين آخر ملوك أور رسالة إلى أحد قواده " بوزور نومشدا " يعاتبه فيها على تردده فى مهاجمة حاكم مارى " إشبى ارا " الذى تظاهر بالولاء للملك فى البداية ، ولكنه مد نفوذه إل مدينة نيبور ثم إلى مدينة " أسين " إلى الجنوب منها بنحو ثلاثين كيلو متر ، ومن هناك أرسل إلى ابى سين يدعى أنه يدافع عن المدينتين ويطلب المدد لصد الأموريين . ولكن الملك السومرى ظل على سوء الظن بـه ، فأنتهزها إشبى ارا وكشف القناع عن اطماعه وسيطر على المدينتين لصالحه واتخذ أسين عاصمة له .

وكان لاقتسام مجد اور بين العيلاميين وبين الأموريين ، بل وبين جماعات جبلية سمت النصوص أصحابها باسم السوباريين (نتيجة لسيطرتهم على مناطق سوبار " ، دوى كبير فى نفوس أهلها ونفوس السومريين عامة .

(٣) مدينة أسين :

كان من الطبيعي ان يتنافس الغزاة الأموريون والعيلاميون على السلطة في العراق ، استمرت الحروب سجالا بينهما ، وسمح هذا التنافس الحربي لبعض مدن العراق القديمة بان تستأنف سيرها الحضاري على غفلة من هؤلاء وهؤلاء فترك الأموريون لمدينة أسين استقلالها الذاتي وسمحوا لها بالنمو مرة أخرى ، ويبدو أن العيلاميين إتخذوا من جانبهم خطوة مماثلة ، فتركوا لمدينة لارسا استقلالها الذاتي أيضا ، واكتفوا بأن ولوا عليها أمراء من بينهم الملك .

أهتم الحكام المقيمون في اسين ولارسا بالعمائر الدينية القديمة مثل تجديد زاقورة أور في عهدي اشمي داجان ملك اسين وعهد ورد سين ملك لارسا .

وكشف الأثري ليونارد وولي عن ضاحية سكنية لمدينة أور بلغ اتساعها نحو سبعة آلاف وخمسمائة متر مربع . وشيدت مساكنها في عصر حكام اسين ولارسا وهي مساكن شيدت قواعدها من الآجر وأقيمت بقية جدرانها الطوب من اللبن ، ولم تختلف فيما بينها إلا من حيث مساحتها .

وخرجت اسين التي أصبحت من العواصم الهامة في عصر الإحياء السومري بتشريع مكتوب في عهد لبت عشتار خامس ملوكها في النصف الأول من القرن التاسع عشر ق.م (١٩٣٤ – ١٩٢٤ق.م)[1] . وسجل هذا التشريع على نصب حجري كبير لم يعثر عليه بعد ، وسجلوا نسخا أخرى منه على ألواح طينية صغيرة عثر منها حتى الآن على سبع لوحات وتضمنت في مجملها ثماني وثلاثين مادة يحتمل أنها كانت تكون نحو نصف مواد التشريع .

إتخذ لبت عشتار في مقدمة تشريعه لقب الملك سومر وأكد واعتبر نفسه

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٧٩ ؛ ليواوبنهايم : المرجع السابق ، ص ٤٤ ؛ د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ١٨٣ – ١٨٨ ؛ د. نبيلة عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٧٥ – ١٧٦ .

ولدا للمعبود الأكبر انليل . واكد رعايته للمدن السومرية العتيقة نيبور وأوروأريدو (أبو شاهرين) واوروك ، وافتخر بان معبوده وهبه حكم البلاد ليحق الحق فيها ويعمل على إسعاد السومريين والأكديين جميعهم ، ولكى يقاوم الفساد والقلاقل بقوة السلاح . وذكر أنه ابتغى أن يحرر أبناء مدن سومر وأكد وبناتها من السرق الذى فرض عليهم ، وتناولت بنود التشريع كما يذكر د. صالح " حقوق العبيد وحالات العتق فقد عالج ما أهملته التشريعات السابقة له من حقوق الرقيق وأباح للعبد أن يحرر نفسه إذا دفع لسيده ضعف ما اشتراه به . وشهدت ألواح اسين باستجابة أصحابها لدعوة ملكهم . فهناك قصة زوجين اعتقا جاريتهما وحرما على أولادهما ان يسترقوها . وسمحا لها بالبقاء فى دارهما حيث هى". وتناولت بنود التشريع أجور المراكب ، وبعض حالات الملكية والمواريث وبعض حالات التعويض . فنصت على انه إذا جاورت أرض بور منزلا عامرا ، وانذر صاحب المنزل صاحب الأرض بخوفه من أن يعتدى معتد على منزله عن طريق أرضه ، ثم سرق منزله بالفعل ، وجب على صاحب الأرض أن يعوضه عما سرق منه . ونصت على أنه إذا عجز مالك عن دفع ضرائب أرضه وسددها شخص آخر ثلاثة أعوام حق لهذا الأخير أن يستولى عليها دون اعتراض من صاحبها " .

" ونصت التشريعات الخاصة بالأسرة على انه إذا انجب زوج أولادا من جاريته وحررها، لا يحق لأولادها أن يشاركوا أبناءه من زوجته الشرعية فى ميراثهم منه، وإذا هجر رجل زوجته وتزوج غيرها. وجب عليه أن يستمر فى الأنفاق عليها مادامت باقية فى داره وذكرت التشريعات التعويضات الخاصة بالبشر وأصحاب حيوانات الايجار. فمن أستأجر ثورا وقطع انفه (من حيث يوضع المقود) دفع ثلث ثمنه، فإذا فقأ عينه دفع نصف ثمنه وإذا كسر قرنه أو قطع ذيله دفع ربع ثمنه " .

ويحتمل ان بعض المحاكم كانت تأخذ بنظام المحلفين ، فقد تحدثت أحدى الوثائق عن ثلاثة رجال : حلاق وبستانى وشخص ثالث ، قتلوا أحد موظفى المعابد . واخبروا زوجة القتيل بجريمتهم ولكنها لسبب ما لم تبلغ الأمر الى السلطات المسئولة . وعندما سمع الملك اور- نينورتا ملك اسين بالأمر احال القضية والمتهمين الى مجمع

المواطنين فى نيبور وفى المحكمة طالب تسعة بإعدام القتلة والمرأة أيضـــا ، ولكــن وقف اثنان آخران ، وتساءلا عن جريمة المرأة ، وقالا أنها لم تشترك فى القتـــل ، ويحتمل أنهما بررا سكوتها بأن زوجها لم يكن يقوم بإعالتها ، ويبـــدو أن المحكمـــة أخذت بهذا الرأى واكتفت بإعدام القتلة .[١]

وروت المصادر العراقية عن تاسع ملوك اسين " اراميتى " قصة تذكر أنـــه . أختار بستانيا يدعى " بعل انبى " وأعتبره بديلا له واطمأن إليه فرفعه على العـــرش وألبسه تاجه ، ولكن حدث أن زهقت روح الملك فجأة وهو يأكل بنهم فأستغل البستانى الموقف لصالحه وتمسك بالعرش وحكم البلاد حكما فعليا وقد حكم فى اسين ١٥ ملكـا لمدة تقرب من ٢٢٥ عاما .

(٥) مدينة لارسا (سنكرة) :

كان المتسبب في هزيمة اسين هو ريم - سين ملك لارسا في العام التاسع والعشرين من حكمه ، بعد فترة تنافس شديد بين أسرته الحاكمة وبين ملوكها ، وكــان انتصاره عليها حاسما ومدمرا .

لم تتخلف العاصمة الثانية لارسا عن ركب التنظيم الإدارى ، فتوسعت فـــى استخدام عقود الكتابة لتسجيل أمورها اليومية . ومن عقودها الطريفة الباقية وثيقة بين راع وبين صاحب ماشية عهد عليه بتربية ٤٤٦ رأسا من الماشية والغنام . فتعهد لــه من ناحيته بان يعوض عما فقده منها .واقسم على تعهده باسم ملك عصره ورد ســين فى الربع الثانى من القرن الثامن عشر ق.م (١٨٣٤ - ١٨٢٣ ق.م)[٢] ثم وقع على الوثيقة بخاتمه ستة توقيعات ، وشهد عليه فيها سبعة شهود .وتدل علـــى التوقيعـات على الالتزام للعمل على تنمية الثروة الحيوانية والمحافظة عليها كمصدر هام للغـذاء وكمصدر كسب بالنسبة للراعى .

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٤٩ - ٤٥٠ .

(٢) ليواوبنهايم : المرجع السابق ، ص ٤٤٥ ؛ د. عبد العزيز صـــالح : المرجـع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٤٥١ .

ومن أمتع ما بقى فى المعابد تمثال جميل لكلبة تحمل آنية فوق ظهرها وتلفت برأسها ، وسجل على بدنها اهداء من سوموايللو ملك لارسا إلى إحدى ربات لجش . وقد حكم في لارسا ١٤ ملكا لمدة تقدر بنحو ٢٦٠ عاما .

(٦) مدينة اشنونا (تل أسمر) :

إنتعشت دويلات المدن العراقية شيئا فشيئا من جديد وعاش بعضها بعد سقوط أور بفترة طويلة . وساعدها على ذلك أن نهضتها كانت نهضة فكرية اكثر منها نهضة عسكرية أو توسعية ، الأمر الذى صرف عنها حقد اسين ولارسا . وكان من أنشطها دولة مدينة أشنونا (التى تقوم على أنقاضها الآن تل أسمر) . وكانت فيما يبدو أكثر ميلا إلى السامية منها إلى السومرية على الرغم من موقعها على الطريق التجارى بين العراق وعيلام .

ومن اهم ملوكها بلالاما الذى ترك تشريعا يعد من أقدم التشريعات العراقية إلينا[1] وقد تدهورت مملكة اشنونا بعد بلالاما ، بسبب إغارة ملك " دير " عليها من جانب وهزيمتها أمام ملك كيش من ناحية أخرى ، ولكنها عادت تتوسع من جديد في عهد ملكها ابيق- اداد - الثانى الذى حاول الحفاظ على ممتلكاته ولكن القوات الأشورية استولت عليها فيما بعد .

ويعتبر تشريع بلالاما الرابع من نوعه بعد إصلاحات اوركا جينا ملك لجش تشريع اورنمو ملك أور ولبت عشتار ملك اسين[2] وكان هذا التشريع قد كتب في

---

(١) أى تسبق قوانين حمورابى بأكثر من قرن من الزمان ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٧٨ ؛ د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ١٧٥ - ١٨٣ ؛ د. نبيلة عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٧٢ - ١٧٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٤٧ - ٤٤٨ .

(٢) راجع فيما سبق ، ص ١٠ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢١١- ٢١٣ .

أوائل القرن التاسع عشر ق.م أو قبلها . وبقيت منه إحدى وستون مادة عالجت أهم جوانب الحياة فى عصرها وشهدت بالكفاية التشريعية لأصحابها كما ذكر د. صالح فاهتمت مجموعة أولى من التشريعات بتحديد أسعار الأقوات الضرورية لسواد الشعب مثل الشعير والزيت والملك . واهتمت مجموعة ثانية بتحديد الحد الأدنى لأجور العربات والقوارب ومن يعملون عليها ، والحد الأدنى لأجور العمال الزراعيين ، واهتمت مجموعة ثالثة بتحديد العقوبات على جرائم عصرها وعلى الأضرار التى تلحق بالغير ، وجمعت فى ذلك بين القصاص والدية . فرضيت بالقتل عقابا للقاتل ، وأقرت مبدأ التعويض على الجروح التى لا تؤدى إلى الوفاة (شانها فى ذلك شان تشريع اورنمو) .

فقضت على من عفى أنف شخص أو اقتلع عينه بان يدفع غرامة قدرها مينه من الفضة (فى تشريع اورنمو ثلثى مينة فقط) وقضت على من كسر سنا لآخر أو قدمه أو قطع أذنه بأن يدفع نصف مينه من الفضة . وقضت على من شوه وجه آخر بأن يدفع له عشرة شواقل من الفضة . وألقت مسئولية ما يأتيه العبد أوالفحل أو الكلب على كاهل صاحبه . وعينت مجموعة رابعة بموضوع تنظيم العلاقات الأسرية فاشترطت رضا الوالدين على زواج ابنتهما . وذكرت أن من أغوى فتاة على معاشرته دون أن يعقد عليها أمام والديها لن تصبح زوجته ولو أقامت فى داره حولا كاملا . وأخذت بما سنته تشريع اورنمو من انه إذا تعاقد رجل مع شاب على تزويجه ابنه ثم زوجها لغيره وحجب عليه أن يرد له ضعف ما أخذه منه ، ونصت على حق المحارب الذى يؤسس فى ان يسترد زوجته حين عودته حتى لو تزوجت غيره خلال غيابه عنها . ولكنها حرمت هذا الحق على من فارق بلده كارها . وجعلت القتل عقابا للزوجة الزانية وعقابا لمن يغتصب فتاة مخطوبة. ونصت على أن من طلق زوجته ذات الأولاد وتزوج غيرها عليه أن يفارق دارها وما فيها نصيب اخيهم من الميراث إذا أراد بيعه . وحددت ارباح القروض معدنية كانت أم عينية . وحرصت مجموعة خامسة من التشريعات على تأكيد حقوق القصور الملكية والمعابد والسادة فيما يمتلكون من العبيد والوجوارى والعقارات . واكدت حق السادة فى امتلاك أبناء جواريهم . وحرمت على اى من العبد والجارية ان يتاجر

لحسابه . غير أن كل هذه المكاسب التشريعية كانت فى صالح أحرار اشنونا ، حتى الفقراء منهم ، دون العبيد الذين أهدرت حقوقهم ". [١]

وهكذا تناولت تشريعات بلالاما أغلب مشكلات الحياة فى عصرها ، وأدى العثور على ألواحها الباقية فى تل أبى حرملالتى تبعد نحو ستى أميال شرقى بغداد إلى تعديل الفكرة القديمة السائدة التى اعتبرت تشريعات حمورابى البابلى أقدم التشريعات المكتوبة فى بلاد النهرين أو فى بلاد الشرق القديم .

واحتفظت مدينة اشنونا بأطلال من قصور حكامها . ويرجع قصر اشنونا إلى عصر تبعيتها لدولة أور الثالثة ، ويبدو أنه تضمن إلى جانب مقر صاحبه إدارات الحكم الرئيسية فى إمارته ، وكان من طابقين ، ويؤدى مدخله إلى ممر جانبى بسور طويل يتعين على الداخل ان يسلكه قبل أن يصل إلى الفناء الداخلى الكبير ، ثم يقطع هذا الفناء على طريق ممهد قبل أن يصل إلى الفناء الداخلى الكبير ، ثم يقطع هذا الفناء على طريق ممهد قبل أن يبلغ مجلس الأمير وأقيم فى طرفى القصر معبدان ، معبد صغير ، وآخر كبير أقامه حكام القصر باسم شوسين ملك أور فى عهد تبعيتهم له ثم ضموه إلى قصرهم بعد أن ضعف شأن دولته .

واحتفظت ألواح الألف الثانية ق. م . وما بعده بآداب سومرية الصبغة فى الأسلوب نسخها أصحاب عن أصول قديمة وتضمنت تلك الآداب قصصا وملاحم وأساطير ومحاورات دينوية ودينية كان من أشهرها : قصة الطوفان ، ومغامرات جلجامش بصورها المتعددة ، ونزول المعبودة انانا إلى العالم السفلى ، ومحاورة الفلاح والراعى ، ومحاورة الصيف والشتاء ، وذلك فضلا عن نصوص تعليمية تصور حياة الدراسة وتصور مواد التدريس .

وتقص قصة الطوفان السومرية[٢] عن زمن بعيد خلقت فيه المعبودات آن وانليل وانكى ونينهور ساج والبشر " أصحاب الرؤوس السود " ، والنباتات والحيوانات ، وتكاثر الخلق والكائنات ونزلت الملكية من السماء إلى الأرض ، حيث

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٤٧ – ٤٤٨ .

(٢) عن قصة الطوفان السومرية ، راجع : د. فاضل عبد الواحد : سومر أسطورة وملحمة ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ٢٠٠٠ ، ص ٨٥ – ١٦٩ ، ١٧٤ – ١٨٠ .

بدأ العمران فى خمس مدن أشرف المعبود آن (أو انليل) على إنشائها فى مواضع طاهرة وسماها بأسمائها ، وهي : أريدو وبادتبيرا ولاراك وسيبار وشوروباك . وخصصها لعبادة خمس من الأرباب والربات ثم قضى بأن يغمر الفيضان الأرض لأمور لم تحتفظ بها السطور الباقية من القصة ، وأعلن قضاءه فى مجلس الأرباب . فدب الذعر في قلوبهم لاسيما ننتو وانانا ، وكان أشدهم اهتماما بذلك المعبود انكى الحكيم رب مياه الأعماق ، وملك صالح يدعى زيو سدرا (حل محله اوتنا بيشتيم- Utna Pishtim فى المصادر البابلية)(١) ، وأراد انكى أن يخبر زيو سدرا باليوم الموعود بطريقة غير مباشرة ، فأوحى إليه بأن يقف بجوار جدار مقدس وأن يستمع منه إلى صوته ويبدو أنه نصحه بأن يشيد سفينة كبيرة وينقل إليها ما تستطيع أن تحمله من المخلوقات ، فاستجاب زيو سدرا لأمره وعمل بنصيحته ، وفى اليوم الموعود هبت الأعاصير هبة عنيفة وأطاحت بالعواصم ومراكز العبادة وصحبها فيضان كاسح ، واستمر ذلك سبعة أيام وسبع ليالى ، اكتسح الفيضان الأرض وما عليها ، ودفع السفينة قدما .

وبعد فترة ما بزغ اوتو رب الشمس فأنار السماء والأرض ، وفتح زيو سدرا فتحة فى جدار سفينته وتطلع منها فرأى أشعة أنوار ربه ، وعلم بصفحه ، فركع وضحى من أجله بفحل وشاه كما استرضى بقية الأرباب الكبار .(٢)

وحظى جلجامش ملك أوروك بنصيب كبير من القصص السومرى ، وترتب على كثرة ما كتب عنه أن ظهرت له صورتان ، صورة احتفظت له بشجاعته وبرأته ولكنها لم تتردد فى أن تظهره بتسليمه بالأمر الواقع حين يتبين عجزه أمام عدوه ، وصورة أخرى جعلته مغامرا مغوارا لا يهن له عزم ولا يشق له غبار مهما واجهه من صعاب .(٣)

---

(١) راجع فيما بعد ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .
(٢) د.عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٤٣٩ – ٤٤٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٤٠ – ٤٤٦ .

ويرى بعض العلماء أن سيدنا إبراهيم ولد فى أور فى نهاية عصر الأحيـــاء السومرى فى حوالى عام ١٩٩٦ ق. م .[١] وارتبطت سيرته العطرة بأكثر من بلد من بلدان الشرق القديم : ببلاد النهرين ، وفلسطين ، ومصر ، وشبه الجزيرة العربية .

تحدث د. صالح عن الفن فى عصر الأحياء السومرى فى المدن الســـومرية فى لجش تحدث عن نقوش جوديا وتماثيله التى أخذت بالأسلوب الواقعى . وتحـــدث أيضا عن آيات النحت من عهد جوديا منها رؤوس رجال حلقى اللحـــى والشــوارب ورؤوس وتماثيل نساء وودائع أساسات المعابد اللجشية ونقوش الأختام الأســـطوانية واللوحات . وتحدث عن اللوحات التى عثر عليها فى أور ولوحة اورنمـــو ونقــوش الأختام وفن النحت ونماذج منه وما احتفظت به مقابر أور من روائع . وتحدث عـــن الفن فى عصر اسين – لارسا من لوحات وتماثيل صغيرة وتماثيل للأرباب والحكـــام وكبار الكهنة . كما تحدث عن أطلال قصور حكام اشنونا.[٢] ويرجع قصـــر اشـــنونا إلى عصر تبعيتها لدولة أور الثالثة وكان يتكون من طابقين ، ويبدو أنه تضمن إلـــى جانب مقر صاحبه إدارات الحكم الرئيسية . ويؤدى المدخل إلى ممر جانبى مســـور طويل يتعين على الداخل أن يسلكه قبل أن يصل إلى الفناء الداخلى الكبير ويوجد فـــى طرفى القصر معبدان ، معبد صغير وآخر كبير أقامه حكام القصر باسم شوسين ملـك أور فى عهد تبعيتهم به ، ثم ضموه إلى قصرهم بعد أن ضعف شأن دولته .[٣]

---

(١) عن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بين كتب الدين وأقـــوال المؤرخيـــن ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤١٤ – ٤٢٦ ؛ د. حســـن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، الجزء الأول ، ص ١٢ حاشية (٢) ، ص ٤٦ ، ١٧٥ . وســـوف نتحدث عن سـيدنا إبراهيـــم فى الجزء الثانى من مؤلفنا عن : الأناضول – بلاد الشام ، ص ٢٧٥ – ٢٨٤

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعـــة ١٩٧٦ ، ص ٤٢٤ – ٤٢٧ ، ٤٣١ – ٤٣٤ ، ٤٥٢ – ٤٥٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٥٣ .

كما تحدث د. توفيق عن فن عصر النهضة السومرى من ٢١٥٠ إلى ٢٠٠٠ ق. م . فتحدث عن فن النقش ولوح اورنمو وفن النحت وتماثيل جوديا وزوجته بمتحف اللوفر .[١]

سادسا : البابليون :[٢]

دولة بابل الأولى (أو العصر البابلى القديم)[٣] (١٨٨٠ – ١٥٩٥ ق. م)

البابليون هم فرع من الهجرة الآمورية التى هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى شمال سوريا وبلاد النهرين فى منتصف الألف الثالثة ق. م. واكتسحوا أراضى سومر وأكد وانتشروا بين المدن المتحضرة فى بلاد النهرين . واستقروا فيها وولوا حكم بعضها ، وكانت بابل قبل زعامتهم لها بلدة عادية ، فأحالوها إلى حاضرة كبيرة وأحسنوا استغلال موقعها التجارى فى منطقة خصبة يتقارب فيها نهرا دجلة والفرات وأطلقوا عليها اسم بابل (باب ايل أى باب المعبود " الحلة ") . وكان أول

---

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٤٤ – ٣٤٧ صور ٢٠٣ – ٢٠٥ .

(٢) تحدث أستاذنا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٥٦ – ٤٧٨ عن دولة بابل الأولى أو العصر البابلى القديم وتحدث فى هذه الصفحات عن أصل البابليين وعن حمورابى وتشريعاته بنوع من التفصيل ، وتحدث عن نماذج من الأدب البابلى : جلجامش وقصة الطوفان وأسطورة ايتانا إلى السماء وأسطورة نشأة الوجود التى ردوا فيها أصول الأشياء إلى ماء أزلى اختلط عذبه بمالحه ، ومثل العذوبة فيه آبو وهو مذكر ، ومثلت الملوحة فيه تيامة وهى أنثى .

(٣) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٦٤ – ٣٦٧ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٧٣ – ٧٩ ؛ د. نبيله عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٧٧ – ١٨٢ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ – ٢٤٥ .

ملك لها هو سموابوم الذى اعتلى العرش عام ١٨٩٤ – ١٨٨١ ق. م .[١] وكان يحكم فى جنوب العراق واخضع مدن الجنوب وأعلن نفسه ملكا على بابل وبسط نفوذه على سومر وأكد . وتعاقب من بعده أربع ملوك هم : سـوموايل ١٨٨٠ – ١٨٤٥ ق. م ، وسابو ١٨٤٤ – ١٨٣١ ق. م ، واب ايـل سـين ١٨٣٠ – ١٨١٣ ق. م ، وسـين موباليط ١٨١٢ – ١٧٩٣ ق. م . وقد عملـوا علـى تحسـين مدينتـهم وتنشـيط اقتصادياتها ، وترقبوا فيها نتائج الصراع بين المدينتين المتنافستين اسـين ولارسـا ، وعاصر سومو ابوم ملوك اسين ولارسا ، ولم ينتـه القتـال بينـهما إلـى نتيجـة حاسمة .[٢]

وعندما ازدادت شهرة بابل اعترفت بسلطانها منطقة سيبار (أبو حبة) كمـا خضعت لسلطانها مدينة كيش بعد حرب طويلة تعاونت عليها فيها مع دولة لازسـا ، ولكن كيش حاولت أن ترفع سيطرة بابل عنها فى عهد سومو ابوم وذكر ملكها أنه لـم يبق لديه بعد كفاح دام ثمانى سنوات غير ثلاثمائة جندى ، ولكنه واصل الجهاد معـهم حتى استرد لبلده سيادتها .

وازداد النزاع بين بابل وبين دويلات المدن الخاضعة لها فـى عـهد ثـانى ملوكها إلا أن ملكها أزال سورها بعد انتصاره على خصومه وتوسعت جيوشـه فـى فتوحاتها الإقليمية حتى سيطرت على إقليم أكد كله وسيطرت على أجزاء من أراضـى سومر . ووجدت بابل فى دولة لارسا وأسرتها الحاكمة نصف العيلامية أكبر منـافس لها ، بينما أصبحت دولة اسين فريسة للفريقين يقتطع ملوك لارسا بعض أجزائها حينا ، ويقتطع البابليون بعض أجزائها حينا آخر ، وظلت الأوضاع هكذا حتى تولى حكـم بابل سادس ملوكها وأكثرهم شهرة وهو حمورابى .

---

(١) ليواوبنهايم : بلاد ما بين النهرين (ترجمة سعدى فيضى) ، ص ٤٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤٥ – ٤٤٦ ؛ د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ١٦٠ – ١٦١ .

حمورابى[١] :

بدأ حكمه حوالى عام ١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق. م . وطال عهده ثلاثة وأربعين عاما قدر له فيها أن ينهض ببابل من دويلة صغيرة إلى عاصمة دولة كبيرة ذات شهرة كبيرة واستهدف منذ سنواته الأولى ضرورة توحيد بلاد النهرين .

ففى السنة الخامسة من حكمه بدأ حمورابى بالاستيلاء على اسين ، ووجد أن قواته لا تسمح له بمحاربة ريم سين ملك لارسا ففضل الانتظار نحو ثلاثة وعشرين عاما وبالفعل فى السنة التاسعة والعشرين من حكمه تقابل مع ملك لارسا ريم سين فى حرب قاسية وانتصر عليه .

وعندما زال خطر العيلاميين فى لارسا تمكن حمورابى من مد سلطانه شمالا واستولى على مملكة اشنونا وضمها إلى إمبراطوريته .

وسجلت له حولياته أخبار جهوده فى إخضاع مدن كثيرة مثل أوروك ومالحى وغيرها واتبع حمورابى سياسة التحالف مع المدن القوية دون الإصرار على إخضاعها ونذكر على سبيل المثال تحالفه مع دويلة مارى .

ولكى يحافظ حمورابى على الأمن واستقرار نظم الحكم والإدارة فى الإمبراطورية التى كونها ، قام بإصدار مجموعة من التشريعات المعروفة باسم " قانون حمورابى " .

تشريعات حمورابى : [٢]

لم تعتمد شهرة حمورابى على فتوحاته وتدينه ورعايته لاقتصاديات بلاده

---

(١) د. هورست كلنغل : حمورابى ملك بابل وعصره (ترجمة د. غازى شريف ومراجعة د. على يحيى)، سلسلة المائة كتاب ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٧ ، ص ١١ – ١٣٥ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٧٩ – ١٨٥ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٥ – ٤٠ ؛ ويذكر د. فخرى فى مؤلفه حوالى ٢٧ مادة من مواد هذا القانون ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٦ ، ص ٤٥٩ – ٤٦٥ ؛ د. نبيله عبد الحليم: المرجع السابق ، ص ١٩١ – ١٩٦ ؛ د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ١٨٨ – ٢٤١ ؛ د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٥١ – ٣٥٢ صورة ٢٠٩؛ د. هورست كلنغل : المرجع السابق ، ص ١٣٩ – ١٨٧ .

بقدر ما اعتمدت على تشريعاته الإدارية والقانونية ، وهى تشريعات بدأ فى إصدارها منذ العام الثانى من حكمه ، وسجلها رجاله على نصب كبير من الديوريت يبلغ ارتفاعه ٢,٢٥ مترا ، ونقشوه فى السنوات الأخيرة من حكمه . وصوروه فى جزئه العلوى يتلقى الأذن بإصدار تشريعاته من رب العدالة ورب الشمس " شماس أو شمش " الذى يجلس على عرشه . ويبدو أنهم أقاموه فى معبد ماردوك ببابل ونقشت نصوصه بخط دقيق . وكان العيلاميون قد استولوا على هذا النصب فى أواخر القرن الثانى عشر ق. م . ونقلوه إلى عاصمتهم سوس ضمن الغنائم نكاية فى صاحبه الذى انتصر على أجدادهم (فى لارسا) وأزالوا بعض سطوره ليسجلوا نصوص نصر ملكهم شوتروك – ناخونتا على بابل . وعثر على هذا النصب عام ١٩٠١ ونقل إلى متحف اللوفر .

لم تكن تشريعات حمورابى وليدة عصرها ، وربما لم تكن من وضع حمورابى نفسه ولكن يبدو أن مشرعى قانون حمورابى قد استفادوا كثيرا من التشريعات الأربعة السابقة وأضافوا إليها وهى التى تخص : اوركاجينا من سلالة لجش فى أواخر العصر السومرى الأول ، والذى يعد أول مشرع فى تاريخ البشرية حيث وردت بعض الإشارات التى تشير إلى إصلاحاته الاجتماعية وتنظيمه للإدارة وإزالة الظلم عن طبقة الفقراء . وارنمو مؤسس أسرة أور الثالثة والذى يعد من أقدم واضعى التشريعات أيضا . ولبث عشتار خامس ملوك اسين فى عصر الأحياء السومرى . وأخيرا بلالاما أهم ملوك مدينة اشنونا فى عصر الأحياء السومرى .[١]

وكانت مواد القانون فى الأصل ٣٠٠ مادة كتبت فى أربعة وأربعين عمودا وتبدأ بمقدمة طويلة وتفاخر فيها بنفسه وبإنجازاته فادعى أنه ابن للمعبود سين ووصف نفسه بأنه معبود بين الملوك وأنه الملك الحكيم والملك الكامل ، وأنه محارب لا مثيل له ، وأنه منقذ شعبه من البأساء وأنه اخضع كذا وكذا . وادعى أن بعض

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٥٩ ، راجع فيما سبق ، ص ١٠ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢١١ – ٢١٣ ، ٢١٤ – ٢١٦ .

رعاياه سموا أبناءهم باسمه " حمورابي – إيلو " بمعنى " حمورابي – الإله " ووصف نفسه بأنه الأمير التقى الذى اختارته الأرباب لإصلاح أحوال العباد ، وأنه المطيع للمعبود شمس العظيم وأنه دائم الدعاء للأرباب والتضرع إليهم . ويعرف الرب اداد تضرعه وأنه لم يهمل رعاية الفقراء الذين عهد بهم إليه رباه انليل وماردوك ، وأن ربه ماردوك أمره بأن يرشد الناس إلى الطريق القويم ويحق الحق والعدالة ويدونها بلغة البلاد ، فاستعان بأمر شمس القاضى الأعظم للسماء والأرض وذلل الصعاب للناس ، وكان أشبه بوالد لهم ، ثم رجا أن تدوم عدالته وتنتشر فى البلاد كلها بإذن ماردوك مولاه .[١] ولم يبق من هذه المواد غير ٢٨٢ مادة وهى مقسمة كالآتى :

(١) مواد تتعلق بالقضاء ونظام التقاضى من ١ إلى ٥ .

(٢) مواد تخص المعاملات من ٦ إلى ١٢٦ مثل مسئولية الدولة عن شئون الأمن وحقوق المواطنين عليها وتعويض المواطن فى حالة السرقة وأهله فى حالة القتل ، وحقوق المحاربين ومسئولياتهم وتعويضهم فى حالة الاستشهاد ، وتدوين عقود القروض وحددت قيمة ما تقرضه المعابد وإدارات الدولة ، وشروط شراء أو شراء العبد أو الجارية .

(٣) مواد تخص الأحوال الشخصية والعلاقات بين أفراد المجتمع وفئاته من ١٢٧ إلى ٢٨٢ . مثل شروط الزواج وتعويض الزوجة فى حالة الانفصال والعقوبات التى تتعرض لها الزوجة عند إهمالها لزوجها وحق الجارية وأولادها وصلات الأولاد بأبويهم وواجباتهم وحقوقهم فى المواريث وشروط التبنى ، وتحديد أجور أصحاب المهن والحرف المختلفة وأجور المراكب وحيوانات النقل والزراعة . وتطبيق مبدأ التعويض والعقوبات فى حالة الإهمال أو الاختلاس أو القتل أو التآمر على مصالح الدولة وأمنها والاعتداء على أملاك المعبد والقصر الملكى .

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٥ .

وقسمت التشريعات المجتمع إلى ثلاث طبقات أولها طبقة الأسياد أو النبلاء يليها طبقة العمال والأحرار أو العامة ، ثم تأتى بعد ذلك طبقة الرقيق .

وقام د. صالح بتحليل دقيق لبعض مواد هذا القانون :

(١) فبالنسبة لشئون التقاضي والقضاء ، فهناك أحكام ضد البلاغات أو الاتهامات الباطلة وأحكام رد الشرف والاعتبار .[١] وإذا أصدر قاضى حكما فى قضية ما ودون حكمه ووقع عليه ثم زور فيه لغرض ما وثبت ذلك عليه ، أقيل من منصبه وحرمت عليه مناصب القضاء مدى الحياة ويقوم بدفع غرامة قدرها اثنتى عشرة مرة من قيمة الشئ الذى زور فيه . ونرى فى ذلك وسيلة رادعة لمكافحة الرشوة فى القضاء .

(٢) كما تضمنت مواد هذا القانون مسئولية الدولة عن شئون الأمن وحقوق المواطنين عليها ، فإذا تعرض مواطن لحادث سرقة ولم يعثر على سارقه لاسترجاع مسروقاته ، عوضه أهل المدينة وحاكم الإقليم عما سرق منه . وإذا قتل مواطن ولم يتيسر معرفة قاتله والاقتصاص منه تعاونت المدينة وحاكم الإقليم لدفع دية إلى أهله مقدارها مقدار من الفضة (المادة ٢٤) ، وإذا شب حريق فى دار مواطن وكلف آخر بإطفائه فاستغل وجوده واختلس بعض الأمتعة ، ألقى به فى النار عقابا له (المادة ٢٥) .[٢]

(٣) وهناك مواد تقر بحقوق المحاربين فى مقابل مسئولياتهم ، إنه إذا افتدى ممول محاربا من الأسر وأعانه على العودة إلى بلده ، رد المحارب فديته من أملاكه الخاصة المنقولة ، فإن لم يستطع تولاها عنه المسئول عن أملاك المعبد ، فإن لم يتيسر ذلك تولت الدولة سدادها عنه (المادة ٣٢)[٣] ، حتى لا يضطر إلى

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٠ .

التضحية بأملاكه الثابتة . وإذا استشهد محارب آلت أملاكه إلى ولـده (المـادة ٢٨) فإذا كان ولده صغيرا تولت أمه إدارتها نيابة عنه وربته من ريعها نظـير انتفاعها بثلث إيرادها (المادة ٢٩) فإذا لم يكن له ولد وآلت أملاكه إلى شـخص آخر ، ثم ظهر أنه على قيد الحياة وعاد إلى بلده حـق لـه أن يسـترد أملاكـه (المادة ٢٧) .[١]

وأخذت تشريعات حمورابى بقوانين بلالاما من حيث حق المحارب الـذى وقـع أسيرا فى أن يسترد زوجته إذا عاد إلى بلده بعد الأسر وكانت متزوجة من آخـر (المادة ١٣٥) . وحتمت على زوجة الأسير أن تلتزم داره مادام فيها ما يكفيـها وألا تلجأ إلى الزواج من آخر وإلا ألقى بها فى النهر (المادة ١٣٣) . فإذا لـم يكن لديها ما يقيم أودها فلا بأس عليها فيما أقدمت عليه (المادة ١٣٤) .

(٤) وجعلت تدوين عقود القروض وعقود المشاركة ونظام الأمانات وشهادة الشـهود عليها ، شرطا لحق التقاضى وحددت أرباح القروض (المـواد ١٢٢ – ١٢٣) . واشترط سدادها بنفس المكاييل والأوزان التى اقترضت على أساسها وحـددت أيضا ما تقرضه المعابد والإدارات الحكومية فى الظروف الخاصة .[٢]

(٥) وأحاطت تشريعات حمورابى أفراد الأسرة وتقاليدها بضمانـات فاعلـة وزادت على ما نصت عليه تشريعات اورنمو ولبث عشتار . فأباحت للزوجة الشـرعية بيع جاريتها إن كانت غير ذات ولد ، حتى ولو كانت أثيرة عند زوجها ونصـت التشريعات على أنه إذا أهدت الزوجة زوجها جارية فأحبها وشـجعها علـى أن تشارك الزوجة مكانتها حق للزوجة أن تعيدها إلى الرق وتبيعها ، فإن حملـت منه أولدت له أبقتها فى دارها من أجل تربية أولادها (المواد ١٤٦ – ١٤٧) . وفى عقد زواج مؤرخ من عهد سين موبالليط والد حمورابى يتعهد الـزوج أن يكلف زوجته الثانية أن تغسل قدمى زوجته الأولى وأن تحمـل لها مقعدها حتى

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦١ .

ولو أرادت أن تذهب به إلى معبد ماردوك . وأكدت التشريعات حق الزوجة في استرداد بائنتها حين انفصالها عن زوجها وللزوجة المطلقة ذات الأولاد نصف أملاك زوجها لتستغله في تربية أبنائها . ثم تقطع منه جزءا تستعين به على زواج جديد إن فضلت فراق أولادها (المادة ١٣٧) . وأضافت إلى بائنة المطلقة العاقر تعويضا مينة من الفضة بالنسبة للطبقات العليا وثلث مينة بالنسبة لأهل الطبقات العادية (المواد ١٣٨ - ١٤٠) .[١] وإذا توفيت الزوجة فإن بائنتها تعود إلى أولادها (المادة ١٦٢) وجعلت بائنة الزوجة العاقر المتوفاه من حق أبيها بعد أن يسترد زوجها منها قيمة هداياه إليها حين عرسها .[٢]

وجعلت التشريعات حق الوصاية أو الهبة لزوجته دون اعتراض من أبنائه . وسمحت لها بأن تتنازل عن جزء من هذه الهبة لأولادها (المادة ١٥٠) وأقرت التشريعات بحقها في أن تلزم بيت زوجها المتوفى إلا إذا أرادت أن تتركه لتتزوج وحينذاك يكون لها حتى الخروج ببائنتها دون هدايا عرسها (المادة ١٧٢) .

ونصت التشريعات على أن من يتهم سيده بسوء السلوك دون بينة أكيدة ، على حلق نصف شعره في ساحة القضاء تشهيرا بافترائه عليها (المادة ١٢٧) فإذا اتهمها زوجها ولم يقدم بينة واضحة على خيانتها ، كفاها أن تقسم على طهرها أمام معبودها وتعود إلى دار زوجها (المادة (١٣١) .[٣]

وفي مقابل كل هذه الضمانات التي كفلتها التشريعات للزوجة ، ألزمت الزوجة بواجبات زوجها وبيتها . وإذا شكاها زوجها أمام مجلس المدينة وتبين أعضاؤه إهمالها لواجباتها حرموها من بائنتها وسمحوا لزوجها بأن يتزوج عليها ويستبقيها في داره إن شاء ويلزمها بخدمته (المادة ١٤١) فإذا تبينوا نشوزها

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٢ .

وإضرارها بزوجها ألقوا بها فى النهر (المادة ١٤٣) وإذا ثبتت عليها جريمـــة الزنا أمروا بتقييدها هى ومن زنى بها وإلقائهما فى النهر إلا إذا عفا عنها زوجها وعفا الملك عن عشيقها (المادة ١٢٩) وإذا تآمرت زوجة على قتل زوجها مـن أجل عشيقها ، أعدمت على الخازوق (المادة ١٥٣).[1]

(٦) وحددت التشريعات صلات الأولاد بأبويهم وحقوقهم فى المواريث فجعلت مـن حق كل ولد على أبيه أن يعينه بمهر يتزوج به . فـإذا توفـى الوالـد دون أن يتزوج أحد أبنائه ، قرر له أخوته قيمة مهر تناسب ثروة أبيه (المـادة ١٦٦) . وإذا توفى أب دون أن يزوج ابنته ودون أن يخصص لها بائنة مسجلة خصـص لها أخوتها بائنة مناسبة من ميراثه (المواد ١٧٨ – ١٧٩) .

وقيدت حق الأب فى حرمان ولده من الميراث بحكـم القضـاة فـى حالـة عصيانه ، فإن أدانوه أنذروه ، فإن لم يرتدع وافقوا علـى حرمانـه وإن تبينـوا براءته حموه من أبيه (المواد ١٦٨ – ١٦٩) . وجعلت للأبناء الذكور حصصا متساوية فى ميراث أبيهم وبائنة أمهم إلا إذا خص الأب ولـده البكـر بوصيـة (المادة ١٦٥) وجعلت للابنة العذراء المترهبة حق استغلال ما يعـادل ثلـث نصيب أخيها على أن يبقى هذا النصيب تحت تصرف أخوتها ولا يحق لـها أن تتصرف فيه (المادة ١٨١) . وإذا ترهبت فى معبـد مـاردوك معبـود بـابل فسمحت لها بأن تستغل حصتها كما تشاء ، وتهبها لمن تشاء من داخل الأسـرة حتى لا تنتقل هذه الحصة إلى أسرة غير أسرتها (المادة ١٨٢) .[2]

ونصت التشريعات على أن من يضرب أباه تقطع يـده (المـادة ١٩٥) وعلى من ضاجع أمه بعد وفاة أبيه بأن يحرق معها فى النـار (المـادة ١٥٧)
وعلى من ضاجع أمه بعد وفاة أبيه بأن يحرق معها فى النـار (المـادة ١٥٧)
وعلى من ضاجع زوجة أبيه الأرمل ذات الأولاد باستبعاده من أسرته (المـادة

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٢ .

١٥٨) وقضت بالنفى على من يضاجع ابنته (المادة ١٥٤) وبالــهلاك غرقـا على من يضاجع ابنه (المادة ١٥٥) .[١]

ونصت على أنه إذا تزوج عبد بامرأة حرة احتفظ أولادها بحريتهم . فـإذا توفى زوجها استردت بائنتها . وسمحت التشريعات للأب بحق الاعتراف بأولاده من جاريته ، فإذا اعترف بهم شاركوا أولاده الشرعيين ميراثه بشرط أن يـتركوا للابن الشرعى البكر حق اختيار نصيبه بنفسه (المادة ١٧٠) وإذا لـم يعـترف بهم صراحة حرموا من ميراثه مع حرمان أخوتهم الشـرعيين مـن اسـترقاقهم (المادة ١٧١) .[٢]

ونصت على أن من باع جاريته أم أولاده أو أجرها لآخـر حـق لـه أن يستردها من شاريها أو مستأجرها بنفس ما أداه له فى مقابلها (المـادة ١١٩) . وأباح المشرع ثلاثة أيام للمشاورة فى شراء العبد أو الجارية وشـهرا يسـتطيع المشترى أن يعيد العبد خلاله إلى بائعه ويسترد ثمنـه إذا تبيـن أنـه مصـاب بصرع ، فإذا انقضى الشهر كان مالكا له مسئولا عن الدعاوى التى تقام بشـأنه . ونصت على أنه إذا اشترى رجل عبدا أو جارية من بلد غريب ثم عاد إلى بلـده وتبين له أن العبد ملك لمواطن آخر من أهل بلده ، وطالبه به سيده ، وجب عليه تسليمه إليه دون تعويض فإذا كان العبد من بلد آخر دفع فيه سيده ما دفعه فيـه مشتريه فإذا أنكر العبد تبعيته لسيده ثم ثبتت التبعية عليه قطعت أذنـه (المـواد ٢٧٨ - ٢٨٢) .

وكان يذكر فى عقد الشراء اسم الجارية واسم بلدتها واسم سيدها واسـم مشتريها وقيمة ثمنها الأصلى وما زاده المشترى عليه ، ثم يسجل الكاتب اسـمه وأسماء الشهود معه .[٣]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٣ .
(٣) جاءت هذه المادة على لوحة أخذت بتشريع حمورابى ، ولو أنها متـأخرة عـن عهده ، راجع : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٣ .

(٧) كما نظمت أمور التبني ، فسمحت للرجل بأن يتخذ ولدا له بالتبنى وكان هذا الولد لقيطا ثم تنكر له بعد فترة وتطلع إلى اللحاق بأبويه بعد أن عرفهما قطع لسانه وحرمت استرجاع الولد إذا تبناه صانع ورباه وعلمه صنعته وأجازت التشريعات على عودة الولد إلى أبويه إذا عرفهما ولم يكن متبنيه قد اعترف به ولدا له . كما أجزت رجوع الولد إلى أبويه إذا لم يعلمه متبنيه الصانع حرفته .[1] واشترطت على من يتبنى طفلا ثم يستغنى عنه بعد أن ينجب أولادا من صلبه ، فعليه إلا يرده إلى أهله صفر اليدين ، وعليه أن يهبه ما يساوى ثلث نصيب ولده من صلبه من ثروته .

(٨) وعنيت التشريعات بأمور المعاملات وتحديدا أجور المهن المختلفة فتوسعت فيما تضمنته تشريعات اشنونا واسين بالنسبة لأجور العمال الزراعيين . وشروط المشاركة فى الزراعة والتجارة وتربية الأغنام والمواشى وتعويضاتها . وأجور المراكب تبعا لحمولتها ، وأجور حيوانات النقل والزراعة وأجور النساجين وصانعى الجلود والحلى والبنائين وغيرهم . كما حددت أجور الأطباء مع مراعاة الحالة الطبقية والاقتصادية للمرضى . بحيث حددت أجرة العملية فى البدن أو فى العين بالنسبة للثرى لعشرة " شواقل " . وبالنسبة للشخص العادى بخمسة شواقل ، وبالنسبة للعبد بشاقلين يتحملها عنه سيده (المواد ٢١٥ - ٢١٧) كما حددت أجرة العلاج العادى وجبر العظام بالنسبة للطبقات الثلاث بخمسة شواقل وثلاثة وشاقلين (المواد ٢٢٠ - ٢٢٣) ولم تغفل فى ذلك أجور علاج الحيوانات وتعويضاتها (المواد ٢٢٤ - ٢٢٥). كما ان صانع السفن كان يتحمل مسئولية خاصة . فإذا لم يكن عمله جيدا وصارت السفينة غير متماسكة كان عليه تفكيكها وإعادة بنائها على حسابه الخاص (المواد ٢٣٤ - ٢٤٠) . والتاجر الذى يستأجر سفينة ويؤدى إلى الإضرار بها بسبب إهمال ما فعليه تعويض صاحب السفينة . وإذا استخدم السفينة فى نقل الحبوب أو الصوف أو الزيت أو التمر وأصيبت بشرخ فهو المسئول عن السفينة وشحنتها (المادة ٢٣٧) .

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٣ .

وساد أغلب مواد التشريعات الشدة تجاه من يضر بمصلحة الدولة ويعتدى على النفس والمال ، وليس من المستبعد أن تكون هذه الشدة لمجرد التخويف ومنع الجريمة قبل وقوعها .

(٩) ومما يؤخذ على هذه التشريعات هو اعترافها بالتفاوت فى الحقوق والعقوبات بين الطبقات ، فهى وأن أخذت بمبدأ العين بالعين والسن بالسن (المادة ١٩٦) والولد بالولد ، إلا أنها قصرت تطبيقه على أفراد الطبقة الواحدة ولمصلحة الطبقة العليا بخاصة ، فإذا وقع ضرر على عين أحد العامة أو كسر عظمة كان تعويضه نصف " مينة " من الفضة وبالنسبة للعبد نصف ثمنه وإذا صفع رجل من العامة رجلا أرقى منزلة منه جلد ستين جلدة علنا ، وإذا صفع رجلا من طبقته دفع مينة من الفضة ، وإذا صفع عامى عاميا آخر دفع عشرة شواقل من الفضة .

وجعلت غرامة إجهاض المرأة من الخاصة عشرة شواقل فإذا ماتت قتلت ابنة قاتلها ، وغرامة إجهاض المرأة من العامة خمسة شواقل ، فإذا ماتت ففديتها نصف مينة من الفضة ، وغرامة إجهاض الجارية شاقلين ، فإذا ماتت ففديتها ثلث مينة من الفضة (المواد ١٩٦ – ٢١٤)[١] . ومما يؤخذ أيضا على بعض مواد هذه التشريعات هو إلزام الأبناء أحيانا بأخطاء آبائهم ، ، فإذا أهمل معمارى فى عمله وانهار المنزل الذى شيده على ابن صاحبه ، قتل أبنه نظير هذا . وإذا أجهض رجل سيدة من طبقته أو من الخاصة وماتت ، قتلت ابنته نظير هذا (المادة ٢١٠) .

وبالنسبة للعقوبات الأخرى فنجد أنها قضت بتغريم من يختلس شيئا من مقتنيات المعبد أو دور للحكومة ثلاثين مثلا لما اختلسه ، فأن اختلس من ممتلكات المواطن العادى دفع عشرة أمثاله ، فأن كان معدما قتل (المادة ٨) ، وجعلت الإعدام عقوبة التآمر على مصالح الدولة وأمنها[٢]والوقوف فى سبيل تنفيذ أوامرها ، كإيواء ثائر أو مجرم هارب ، أو التكتم على مؤامرات قطاع الطرق (المادة ١٠٩) أو التهرب من

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٤ .

خدمة الجيش ولو عن طريق تقديم بدل ، كما أن هناك عقوبة للضـــابط الـذى أجاز هذا الإبدال أو تكتم أمره (المادة ٣٣) [1] وهناك عقوبة للاعتداء علـــى أملاك المعابد وأملاك القصر وعقوبة لمن يعجز عـــن رد المســروقات ودفـع التعويضات عنها ، وعقوبة لمن يسم عبدا بدون علم سيده (المـواد ٢٢٦ ، ٢٢٧) وهناك عقوبة لخطف الأطفال واختفاء العبيد وتخريــب الـدور (المــادة ٢١) وعقوبة لمن يتجر فى المسروقات ، ومن يدعى ملكيته لأشياء مسروقة (المــواد ٩ – ١١) وعقوبة للكاهنة التى تفتح حانة أو تتردد عليها لتسكر فيــها (المــادة ١١٠) وعقوبة للمعمارى الذى يتسبب إهماله فى انهيار منزل علـــى صاحبـه (المادة ٢٢٩) وهناك عقوبة للرؤساء الإداريين إذا حرموا جنديا مما انعم الملك عليه به ، أو اغتصبوا متاع داره أثناء غيابه أو اجروها لصالحهم أو تخلوا عنـها لصاحب نفوذ فى ساحة القضاء (المادة ٣٤) وحرمت عليهم شراءها (المــادة ٣٥) [2] .

(١٠) وأخيرا تضمنت التشريعات عقوبات إذا أتهم مواطن مواطنا آخر بالاشـتغال بالسحر ، وكان على المدعى عليه أن يلقى بنفسه فى النهر فإذا ابتلعـــه المــاء ورثه الآخر ، وإذا نجا أعدم من اتهمه وآلت أملاكه إليه ، ونصت التشــريعات على انه إذا أدت عملية جراحية إلى وفاة مريض حر أو فقد نور عينيه قطعــت يد الطبيب فإذا كان المريض عبدا عوض الطبيب سيده عن حياته بعبــد مثلــه وعن عينه بنصف ثمنه من الفضة (المواد ٢١٨ – ٢١٩) [3]

ويبدو أن حمورابى كان حريصا على تطبيقها والالتزام بها فـــى الإدارات المختلفة من قبل موظفيه حتى لا يكون للكهنة حجة فى الاستئثار بتفسير القــانون وإصدار الأحكام أو تأويلها حسب أهواهم .[4]

فقد سمع حمورابى بارتشاء بعض موظفيه فأرسل مندوبان من طرفه

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٤٦٦ .

للتحقق من الأمر وسماع أقوال الشهود والتحرز على الرشوة ، ثم إرسال المتهمين والشهود إليه ، وكثيرا ما تضمنت رسائله إلى عماله أوامره بالتحقيق فى سرقات ومظالم سمع بها وأوامر أخرى بالتشديد على المتباطئين فى دفع الضرائب التى التزموا بها وإرسالهم إليه مع التحفظ على أملاكهم أن امتنعوا عن السداد ومن هنا نرى أحيانا أنه كان يتدخل بنفسه فى كثير من الشئون الإدارية ، فتضمنت إحدى اللوحات من عصره أمرا منه بافتداء أسير على حساب معبد سين [1] ودعا الملوك الذين سوف يعقبونه إلى أن يتبعوا أسلوب حكمه ودعا كل مظلوم أن يذهب بنفسه إلى هذا النصب ويقرأه بعناية ويتمعن حكمته فيه حتى تستبين له قضيته ويهدأ باله ويعرف أن له حقوقا وعليه واجبات واستعدى الأرباب على كل من يمحو بنود هذه التشريعات أو يغير فيها [2] وبمتحف اللوفر صورة لتفاصيل نص حمورابى .[3]

ويضيف اللغويون أن هذه التشريعات لم تعبر عن نضج العقلية التشريعية فى عصرها فحسب ، وإنما عبرت كذلك عن البلاغة والرقى فى الأسلوب اللغوى البابلى الذى اصبح من بعد نموذجا كلاسيكيا للكتابات الراقية فى العراق كله .

وبعد استعراض كل هذه المواد يمكننا القول بأن أغلب هذه الأحكام فى هذه التشريعات كانت أحكاما راقية ومنطقية يتقبلها المنطق فى كل عصر ، وأحيانا يبدو بعضها سابقة لعصرها على الرغم من ورود أحكاما أخرى يصعب علينا قبولها إلا بمنطق ظروف الحياة والمجتمع فى عصرها .[4]

فمن أحكامها التى تعتبر سابقة لعصرها :

- مكافحة الرشوة فى القضاء .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٥ - ٤٦٦ .

(٣) Parrot , Assur , p. 291 fg . 363 .

(٤) د.عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٠ .

- تعاونى المدينة وحاكم الإقليم فى دفع دية إلى أهل القتيل فى حالة عـــدم العثــور على قاتله .
- مسئولية الدولة فى دفع فدية المحارب الذى وقع فى الأسر .
- الأخذ بشهادة الشهود عند تحرير العقود ونظام التقاضى .
- أنها جعلت الوصاية للزوجة ، وللزوجة المطلقــة ذات الأولاد ونصــف أمـــلاك زوجها .
- أنها جعلت للأبناء الذكور حصصا متساوية فى ميراث الأب وبائنة الأم .
- سمحت التشريعات للأب بأن يعترف بأولاده من جاريته ، والسماح لهم بمشاركة الأولاد الشرعيين الميراث .
- أنها نظمت أمور التبنى ومنح الولد المتبنى نصيب يساوى ثلث الابن الشرعى فى ثروة الأب فى حالة انفصاله وعودته إلى أبويه الأصليين .
- تحديد أجور المهن والحرف والمركبات منعا لوقوع خلافـــات وحفـظ حقــوق صاحب كل مهنة فى أتعابه .
- مراعاة الحالة الطبقية والاقتصادية للمرضى عند أجراء العملية فى البدن أو فـــى العين بالنسبة للثرى وللشخص العادى وللعبد أى يغلب على هذه المـــادة الطـــابع الإنسانى .
- عقوبات لمن يتجر فى المسروقات ويدعى ملكيته لأشياء مسروقة .
- عقوبة لمن يتهرب من أداء الخدمة العسكرية .
- عقوبة لمن يمتنع عن دفع الضرائب ويجوز التحفظ على أمــــلاك المتــهرب أو المتباطئ عن دفع الضرائب .

وبقى من عصر هذا الملك رأس جراتينية يرجح أنها تمثل رأس حمورابـــى

نجح الفنان فى تمثيل تقاطيع وملامح الوجه أفضل تمثيل .[١]

تولى بعد حمورابى ابنه سمسوايلونا (١٧٤٩ - ١٧١٢ ق.م) [٢] الذى اندلعت الثورات في عهده فى أكثر فى مكان وحاول الإبقاء على أجزاء إمبراطوريته .ولكن بعض الأجزاء المتاخمة لعيلام استقلت وأعلن الملك ايلومو ايلو استقلاله واصبح سيدا على البلاد الواقعة جنوب نيبور وأسس مملكة بابل الثانية أو مملكة أرض البحر [٢] ونتج عن ذلك تدمير وتخريب عدد من المدن السومرية .[٣]

تعرضت معظم دول الشرق الأدنى القديم قبيل عهد حمورابى لأخطار الجماعات الهندوآرية التى تدفقت على أطرافه من أواسط آسيا ، وأحست دولة بابل بتسللات العناصر الكاسية والحورية والخيتيه أيضا . ولكن أقربهم خطرا عليها كانوا الكاسيين الذين لعبوا فى مرتفعات العراق دور الجوتيين القدماء واستطاعت جيوش حمورابى وجيوش خلفه سمسوايلونا أن ترد خطرهم ، فانكسرت حدتهم إلى واكتفوا بالتسلل السلمى البطئ إلى مدن العراق المتحضرة وعملوا فيها كأجراء مرتزقة . بينما ظلت قبائلهم الكثيفة الطامعة فى الخيرات والسيطرة تتربص بدولة بابل الدوائر .

حاول خلفاء سمسوايلونا إعادة إخضاع البلاد التى استقلت عن بابل ولكن دون جدوى . ونجح الحيثيون فى القضاء على الأسرة البابلية [٥] بعد أن حكم فيها

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٦٧ ، ٥٨٤ شكل ٥١ .

(٢) ليواوبنهايم : المرجع السابق ، ص ٤٤٦ ؛ د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ١٧٢ - ١٧٤ .

(٣) حكم فى سلالة مملكة البحر الأولى حوالى أحد عشر ملكا أولهم إيلومائيل ، راجع : ليواوبنهايم : المرجع السابق ، ص ٤٤٦ .

(٤) د.أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٣٦٨ .

(٥) عثر العلماء فى مدينة بابل على وثائق ونقوش عديدة عثر عليها الآثاريون ، وخصوصا أعضاء الجمعية الشرقية الألمانية للآثار ، ومن بين الوثائق التى تشير إلى هذه المدينة نص طويل يصفها بأكلمها بكل دقة ، وكذلك الخرائط الكثيرة الموجودة على ألواح طينية التى تبين أقسامها ، راجع ليواوبنهايم : المرجع السابق ، ص ٤٨٠ .

١١ ملكا لمدة تقرب من ٢٨٥ عاما ، كان أخرهـم سمسـوديتانا (١٦٢٥ - ١٥٩٥ ق.م) .[١]

واستعادت الحضارة البابلية من مخلفات السومريين اللغوية والأدبية وسجلوا بعض القصص والأساطير السومرية الكبيرة بأسلوبهم الخاص وأضافوا إليها أحيانا . فهناك أساطير نشأة الوجود وجلجامش[٣] وقصة الطوفان بعد أن عدلوا من اصل القصة القديمة وأضافوا إليها ، وتختلف قصة الطوفان البابلية عن القصة السومرية ، هناك أيضا أسطورة صعود إيتانا إلى عالم السماء .[٢] ففى أسطورة جلجامش ، نقرأ أنه عندما ذهب إلى جده اوتا بنشتيم ليدله على سر الخلود اخبره جده بإحداث الماضى البعيد قبل ان يلبى رجاءه ، فقص عليه قصة الطوفان القديم ، قائلا له :

" سأكشف لك يا جلجامش سرا ، وهو سر ربانى ، إن مدينة شوروباك التى تعرفها تقع على ضفى الفرات، هى مدينة عتيقة عاش الأرباب فيها ، عندما أرادت مشيئتهم أحداث الطوفان ، كان بينهم " أنو " أبوهم والشجاع " انليل " مستشارهم ، ومساعدهم " نينورتا " ، و" انوجيه " متولى أمر قنواتهم . وكان معهم كذلك رب الحكمة " ابا " الذى أحزنه الأمر ولكنه لم يشأ أن يفشى سر المعبودات جهرة ، فجعل اوتنا بيشتيم يرى فى منامه ما يحذره من لطوفان ، وعلمه الحكيم " إيا " كيف يصنع سفينة من البوص والخشاب ولم تكن له معرفة سابقة بصناعتها وقال اوتنا بيشتيم " وعند الفجر تجمع الناس حولى ، وحمل الصغار القار ،وحمل الكبار كل الضروريات ، وفى اليوم الخامس أتممت إطار السفينة ، وكانت سعة أرضها فدانا كاملا ، وارتفاع جدرانها ١٢٠ ذراعا ، وجعلت لها سبعة مسطحات أى قسمتها ستى أقسام وقسمت أرضيتها تسعة أجزاء . وأكرمت من عملوا معى واكتملت السفينة فى اليوم السابع أنزلوها الماء وحملتها بكل ما عندى ، وما أملك من ذهب وفضة ،

---

(١) ليواوبنهايم : المرجع السابق ص ٤٤٦ .
(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٤٧٣ - ٤٨٤ .
(٣) عن الأسطورة وأصولها السومرية وانتشارها فى المصادر البابلية والأشورية ، راجع : د. فاضل عبد الواحد : سومر : أسطورة وملحمة ، ص١٦٠ - ١٨٠ ، ٢٦٧ - ٢٦٩ .

وحملتها بصنوف الأحياء كلهم ، وأخذت معى كل عـــائلتى وأقربـــائى ، وحيوانـــات البرارى ، وكل الصناع ".

ارحل بسفينتك وأغلق مدخلها ، وحان الوقت وتطلعت إلى الجو ، فوجدتـــه معتما ، فغلقت السفينة ، وعهدت بها إلى النوتى " بوزور اموری " . وظهرت غمامة سوداء فى الفجر ، رعد فيها اداد ، وخرج نينورتا ، فجعل الترع تفيض ، وبلـــغ اداد السموات وأحال النور إلى ظلمة وهبت عاصفة الجنوب يوما كاملا بســـرعة شـديدة فنسفت الجبال ، وقتلت الناس ، واستمرت أعاصير الطوفان ستة أيام (وست) ليـالى واكتسحت الأرض كما تكتسحها عاصفة الجنوب . وفى اليوم السابع هبطت العاصفـة وهدأ البحر وتوقف الطوفان ونجى اوتنا بيشتيم من الغرق هو وزوجته ومن معـــه ، ورفع هو وزوجته إلى مصاف الأرباب .(١)

أما عن المظاهر الحضارية الأخرى عن البابليين (٢) فيمكـــن القـــول أنـــهم تركوا ما يدل على تمكنهم فى علم الجغرافية . فقد تركوا لنا خرائط مختلفـــة للبلـــدان والأقطار المحيطة بهم ، وأقدم هذه الرسوم هى خريطة لمدينة " نفر " يرجع تاريخـــها إلى الألف الثانية ق. م . كما رسموا أيضا خرائط للأقاليم وخريطـــة للعـــالم القديـــم المعروف حين ذاك . فقد صور البابليون الأرض على هيئة دائـــرة ، ويجـــرى فـــى وسطها نهر الفرات وفى مركز الدائرة تقع بابل ، وفى جانب من هذه الدائرة تقع بلاد آشور وكانوا يضعون دوائر كناية عن المدن وبجوارها اسم كل مدينة كما نفعل فـــى الخرائط الحديثة حاليا . أما المثلثات التى رسمت خارج الدائرة فكانت تعبر عن البـــلاد الأجنبية .(٣)

كما نبغ البابليون القدماء فى العلوم الطبيعية فتركوا لنـــا جـــداول أو قوائـــم بأسماء الحيوانات والنباتات والأحجار وتصنيفها . كما تقدموا فـــى معرفـــة خـــواص

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٧٩ – ٤٨٠ .

(٢) سوف نتحدث عن هذه المظاهر الحضارية فيما بعد ، ص ٢٩٧ – ٣٤٠ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

المعادن وصنع الأصباغ والعقاقير والأدوية والصابون والعطور والماء الملكى الـــذى يستخدم فى إذابة الذهب وهو ذلك الحامض الذى استخرجه الكيمائى العربى جابر بــن حيان فى القرن الثانى الهجرى .[١]

كما تطوروا بمعارفهم فى الطب الذى خالطه السحر أحيانا . ولكـــن وجــد عندهم أطباء كانوا يعالجون مرضاهم بالعقاقير . وكان بينهم الجراحون والبيـــاطرة . وقد حدد قانون حمورابى الأجور الخاصة بالأطباء والجراحين وكذلك البياطرة . كمـــا حدد القانون العقوبات التى تفرض على الأطباء إذا ما أهملوا فى وظائفـــهم . ونجـــح الأطباء البابليون فى علاج الكثير من الأمراض والأوبئة وذكروا بعـــض الأمـــراض المستعصية مثل السرطان والدرن والجذام . وكانت أدويتهم تتركب من مســـتخرجات من مواد نباتية أو من أصول حيوانية أو معدنية . وكانوا يأخذون بعض ما يســـتخرج من الحيوانات أو أجزاء خاصة منها كالعظام والشحم أو الحليب أو الشعر أو الجمجمة ويدخلونها فى تركيبات بعض العقاقير لمعالجة بعض الأمـــراض كمـــا اســـتحضروا بعض الأدوية من بعض المعادن بسحقها أو بخلطها وتسخينها .

أما فى مجال الفلك فقد ظهر فى أوائل القرن الخـــامس ق. م . أول فلكـــى بابلى جاء ذكره عند الكتاب اليونانيين نابوريمانى بن بالاتوسليل أحد كهنـــة معبـــود القمر ، والذى سجل وثائق هامة فى بابل فى عام ٤٩١ وعام ٤٩٠ ق. م . وقد سـماه سترابون بالرياضى ، فقد استطاع أن يضع جداول التحركات للشمس والقمر . وهـــى أقدم تسجيلات لحساب ما تستغرقه كل من الشمس والقمر فـــى دورتيـــهما اليوميـــة والشهرية والسنوية . واستطاع أن يؤرخ وقت كسوف الشـــمس وخســـوف القمـــر . وحسب طول السنة بثلاثمائة وخمسة وستين يوما وست ساعات وخمسين دقيقة وواحد وأربعين ثانية (مما يدل على مدى الدقة البالغة) .[٢]

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٦ – ١٩٧ .

وتعد حسابات نابوريمانى أقدم بحث علمى فى هذا الميدان وكان قريبا من الصواب . وأن الأرقام التى جاء ذكرها فى الجداول لا يوجد بينها وبين أرقامنا الحالية إلا فارق بسيط أقل من عشر ثوان خلال السنة كلها .[١]

كما وضع الكلدانى كيدينو فى عام ٣٧٩ أو ٣٧٣ ق. م . حسابا أدق من الأول . واستخدموا آلات رصد الأجرام . فقد استخدم الملك الآشورى توكلتى نينورتا الأول (١٢٤٣ – ١٢١٠ ق. م) أدوات حسابية عندما قام ببناء القصر الملكى .

كما عرف البابليون البروج الأثنى عشر (زودياك) ومثلوا كل كوكب خاص ببرج من الأبراج برمز .

وقسم البابليون اليوم إلى ١٢ جزءا ، وقسموا الساعة إلى ٣٠ جزءا ، وقسموا السنة إلى ٣٦٠ يوما وعلى ذلك فقد كانت الدقيقة البابلية تساوى أربع دقائق من الدقائق الحالية . واستطاعوا أن يميزوا بين الشهور التى تتكون من ٢٩ يوما ومن ٣٠ يوما وعرفوا السنة القمرية التى كانت تبلغ ٣٥٤ يوما أى أنها تقل عن السنة الشمسية بحوالى ١١ يوما . كما قسموا الشهر إلى أربعة أسابيع . وتعرف أهل العراق القدماء إلى كل هذه التقسيمات منذ أيام الأسرة الأكدية .[٢]

وفى الواقع أن ما توصل إليه الفلكيان نابوريمانى وكيدنيو من معارف قد مهد الطريق للعالم لمعرفة حساب السنين والأيام بدقة ، وأطلعا البشرية لأول مرة فى التاريخ على نظام ثابت للأجرام السماوية . وقد سجلا لأنفسهما وللعراق القديم وللشرق الأدنى كله صفحات من المجد حينما كان العالم القديم يتيه فى ظلمات من الجهل والضلال كان نور المعرفة يشع فى ومن الشرق . وقد نقل اليونانيون آراء الكلدانيين فى علم الفلك .[٣]

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

تحدث د. صالح عن الفن فى عهد حمورابى وخاصة فن النحت مثل الـرأس الجرانيتية لحمورابى وتمثال برونزى صغير لشيخ قصير يركع على ركبتـه اليمنـى ويقيم اليسرى . كما تحدث عما كشفت عنه أطلال بابل من أحياء فى عهد حمورابـى وبعض أحياء مدينة أكد من العهد نفسه ، يفهم منها أنها خضعـت لتخطيـط منظـم واجتاز فيها طريق يؤدى إلى معبد عشتار .[١]

أما بالنسبة للفن فقد عرف العصر البابلى القديم فن التصوير الجدارى وفـن النقش المتمثل فى لوحة حمورابى . كما عرفوا فن النقش على الأختام وفـن النحـت وخاصة فى مجال التماثيل الحجرية والتماثيل البرونزية .[٢]

سابعا : العصر الكاسى : (١٥٨٠ – إلى أواخر القرن الثانى عشر ق. م) : [٣]

أحاطت الدوائر بدولة بابل بسبب عاملين : عامل داخلى وآخـر خـارجى . فقد انشق على الدولة فى الداخل أهل مناطقها الجنوبية . وكانوا فيما يبدو خليطا مـن أصول سومرية وآمورية مهاجرة ، عملوا على استصلاح أراضى المناقع القريبة مـن

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٦٧ .

(٢) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٤٨ – ٣٥٧ ، الذى تحدث عن الفن فـى العصر البابلى القديم من عام ٢٠٠٠ إلى ١٦٠٠ ق.م .

(٣) تحدث د. صالح عن العصر الكاسي وبدأ الحديث عـن هـذا العصـر بتمـهيد وتحدث عن السياسة التى اتبعها الكاسيون بالنسبة لرعاياهم . وما أضافوه فـى مجال العمارة وعلاقتهم الخارجية السلمية ثم علاقتهم مع آشور ومع الحوريين ومع الميتانيين . ثم الأفول حتى نهاية الأسرة البابلية السابعة . كما تحدث عـن جوانب الحياة الفكرية فى العهد الكاسى وخاصة فى مجال الأدب مثـل قصيـدة العدل الإلهى ، لأمتدحن رب الحكمة ، حوار بين عبـد وسـيده . (راجـع : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٧٩ – ٤٩٣) .

مصاب النهرين ليكونوا لهم منها موطن جديد . وكونوا لأنفسهم دولة ناشئة عرفها التاريخ باسم " دولة البحر " نظرا لقربها من سواحل الخليج العربى .[١]

وبدأ الخطر الخارجى على دولة بابل من قبل الخاتيين (الحيثيين) الذين تكررت اعتداءاتهم على حدودها القريبة منهم فى الشمال . وحاول الخاتيون أن يمتدوا فى جنوب بلاد النهرين . ولكن وقفت فى سبيلهم دولة البحر الناشئة وكسرت شوكتهم ولاسيما بعد أن بعدت المسافة بينهم وبين أرضهم فى آسيا الصغرى . ولم تطل إقامة الخاتيين فى بابل . ونزحوا عنها بعد أن أخضعوا شأنها فى عالم الحرب والسياسة . فخلا الجو للخصمين الآخرين دولة البحر الناشئة والكاسيين ولما كان لدولة البحر الناشئة الفضل فى تخفيف قبضة الحيثيين على بابل لذا أطلق عليها البعض اسم " أسرة بابل الثانية " . واستمرت دولة البحر قائمة لبعض الوقت فى عصر الكاسيين حتى هاجمها الكاسيون وقضوا على استقلالها فى جنوب العراق .[٢]

---

(١) المقصود بها منطقة الأهواز الواقعة عند بداية الخليج العربى والأنهار التى تصب فيه . وتذكر قوائم الملوك أسماء عشرة أو أحد عشر ملكا يعودون إلى سلالة أور أو ممن كانت لهم أسماء أكدية أو سومرية مختلفة ، وقد أطلقوا على أنفسهم لقب " ملك بلاد البحر " كما جاء فى نصوصهم القليلة جدا ، ويبدو أنهم عاصروا الحكام الكاسيين الأوائل فى الشمال . ولا يعرف أى شئ آخر يدل على بقاء هذا الكيان السياسى فترة طويلة ، لكن توجد معلومات عن المصادر البابلية منذ الألف الثانية والنصف الأول من الألف الأولى حيث تذكر قوائم الملوك هذه التسمية " السلالة الثانية لبلاد البحر " فى القرن الحادى عشر ، وشاركت فى القتال ضد سيادة آشور ، راجع : ليواوينهايم : المرجع السابق ، ص ٤٤٦ ، ٥٠٥ .

(٢) راجع د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٨٠ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ – ٢٥٢ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٦٩ – ٣٧٠ ؛ د. نبيله عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٨٣ – ٢٨٧ ؛ د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ – ٢٦٦ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ – ٢٤٧ .

اختلف المؤرخون فى اصل الكاسيين ولكنهم لم يصلوا إلى رأى معين فـــى تحديد أصلهم . وكا ما نعرفه أنهم جاءوا من منطقة فى وســـط جبـــال زاجـــروس . وسادوا جزءا كبيرا من العراق . ولكن أعدادهم كانت قليلة . وحضارتـــهم القوميـــة كانت خشنة ضئيلة . وما إن احتلوا بابل حتى تأثروا بحضارتها وحاولت هذه الأســـرة الكاسية اعتناق بعض مظاهر الحضارة البابلية .

وتوالى على عرض بابل ٣٦ ملكا من الأســـرة الكاســـية ، التـــى اتخـــذت عاصمتها فى دو.. كور يجالزو (عقر قوف بجوار بغداد) ، وكان أولهم جنداش .

ففى مجال السياسة الداخلية جرى ملوك الأسرة الكاسية على السياسة القديمة فى منح الإقطاعيات العقارية للمقربين إليهم من العسكريين والمدنيين . ومن الوثـــائق الطريفة التى احتفظت بأسلوب منح الإقطاعيات والإعفاءات فى عصرهم هبة ســـجلها ملك كاسى يدعى " مليشيباك " باسم ابنته وابنه ، ومنح كلا منهما بمقتضاها إقطاعيـــة واسعة فى أرض البحر بعد أن استصلحها أعوانه وأعدوها للزراعة وأنشأوا فيها قرى جديدة . وزود الملك تفاصيل هذه الهبة بإعفائها من التكاليف التى تفرضها دولته علـــى مناطقها الزراعية .

وفى الحياة الدينية عبد الكاسيون أرباب بلاد النهرين إلـــى جـــانب أربابـــهم القوميين ، بأسمائهم القديمة أحيانا وبمسميات آرية أحيانا أخـــرى . واتبـــع الملـــوك الكاسيون سياسة ملوك بابل فى اكتساب ود الكهنة والتقرب إلى الأرباب عن طريـــق منح الهبات والإقطاعيات للمعابد وإعفائها من الضرائب . وكانوا يمنحون بعض هـــذه الهبات من خزائنهم الخاصة . كما أصلح الكاسيون الكثير من المعابد البابلية وأعـــادوا بناءها .

أما بالنسبة للحياة الفكرية فيلاحظ انتشار الخط المسمارى والأساليب السلمية وطريقة الكتابة على ألواح الطين ، انتشارا واسعا بفضل البابليين أولا ثم الحورييـــن والميتانيين والكاسيين ثانيا . ويقال إن اسم " العراق " ظـــهر فـــى أواخـــر العصـــر الكاسى ، عن طريق تقريبه من كلمة " اريقا " التى ظهرت فى نصوصهم خلال القرن الثانى عشر ق. م . وتميل بعض الآراء إلى اعتباره اسما ســـومريا دارجـــا يعنـــى "

المواطن " . بينما تميل آراء أخرى إلى اعتباره اسما إيرانى الأصل قريب الصلة بكلمة " إيراك " والتى تعنى " السهل أو البلاد السفلى " . وكما انتشرت فى عصر الكاسيين لوحات تعبر عن صيغ التعامل . كما أخرج كتبة العصر الكاسى قوائم بكلمات كاسية وما يقابلها من المفردات البابلية ، أى بما يقوم مقام القواميس المقارنة .

أما من حيث إنتاجهم الأدبى ، فقد ظل مقلدا واستعاره الأدباء من لغة العصر البابلى الأول ، وضمنوه كلمات سامية ظهرت قبله أيضا . ومن إنتاجهم ثلاثة أعمال فى مجال أدب الحكمة :

أولها تسمى قصيدة العدل الإلهي التى نظمت على شكل حوار بين رجل معذب وصديقه الحكيم . وتتألف من سبعة وعشرين دورا يحتوى كل دور منها على أحد عشر بيتا شعريا . ويعتقدأن زمن تدوينها يعود إلى نهاية العصر الكاسى . ومؤلفها هو الكاهن " ساكيل – كينم – اوبيب " وتتخذ القصيدة شكل حوار مطول بين رجل معذب أو مكتئب وصديق له حكيم يحاول أن يواسيه ويخفف عنه آلامه وأن يخلصه من حالة اليأس والقنوط التى يعيشها إلى الإيمان برحمة الآلهة وقدرتها على إنقاذه من عالم الشك والظلمة إلى عالم اليقين والنور .

ويبدأ الرجل المعذب حواره مع صديقه الحكيم عن همومه وعن ما أصاب جسده من ضعف وهزال وكيف أن الدينا أسودت فى عينيه وانه صار لا يرى املا فى الخلاص من الشفاء والعذاب . ورغم ذلك فانه منذ صباه كان يتعبد إلى الالهة ويقدم لها القرابين لكنها أعرضت عنه وجعلت أعز أصدقائه يتنكر له وسلطت عليه اسافل الناس وارذلهم هنا يتساءل المعذب فيقول : " لماذا أن الآلهة لا تحمى أولئك الذين لا يستطيعون حماية انفسهم ؟

وهكذا يستمر الحوار سجالا بين المعذب وصديقه الحكيم . فالأول يطرح فى كل مرة جانبا من المعاناة التى كان يعيشها على شكل صور ومشاهد ينتزعها مرة عن المجتمع حيث الظلم والنفاق ومرة من عالم الحيوان حيث تسود شريعة الغاب . فيقول فى البداية :

المعذب : أين الرجل الحكيم الذى له سعة عقلك ؟ أين العالم الذى يستطيع أن ينافسك ؟ أين الناصح الذى أقصى عليه عذابى ؟ ارانى قد انتهى أمرى وتسلط على الشقاء . فعندما كنت صغيرا اختطف القدر أبى وذهبت أمى التى ولدتنى إلى أرض اللارجعة لقد تركتنى أمى وأبى دون من يتكفل برعايتى .

الصديق الحكيم : يا صديقى المعذب ، ان ما تقوله يبعث على الحزن والكآبة أراك وجهت فكرك إلى الشر يا صديقى العزيز حتى انقلب فهمك الدقيق للأمور كفهم رجل معتوه وجعلت من بشاشة وجهك عبوسا .... ".(١)

ثانيهما قصيدة لامتدحن رب الحكمة :

دونت فى الأصل على أربعة ألواح وتضم ما يقرب من ٤٥٠ بيتا ودونت مثل سابقتها فى العصر الكاسى . وتدور القصيدة حول رجل بابلى اسمه شبشى - مشرى - شكان كان تقيا يخشى الآلهة ويؤدى الطقوس ويحسن إلى الناس وقد احتل مناصب عالية فى الدولة وكانت له ثروة طائلة . ولكن فجأة ساءت أحواله وتنكر له أصحابه وأحاط به الأشرار من كل مكان . لقد تركته الالهة وحيدا لا معين له واشتد عليه غضب سيده الملك وراح الطامعون من رجال الحاشية يحيكون ضده شتى أنواع المؤامرات للإطاحة به وأخذ مكانه وبعده يقصى من كل المناصب وصار أهله وأصحابه يعاملونه وكأنه غريب بينهم ، ويقول فى البداية :

" لقد تخلى عنى إلهى واختفى . وخذلتنى الهتى وابتعدت عنى - وفارقنى الملاك الصالح الذى كان يلازمنى . والروح حارستى لأدت بالفرار قاصدة غيرى . ذهبت قوتى ووهنت رجولتى وراحت هيبتى .. والملك اغتاظ قلبه منى ولم يهدأ . ورجال الحاشية يتآمرون على . لقد اجتمعوا فيما بينهم وقالوا بهتانا. أنا الذى كنت أمشى مشية النبلاء ، تعلمت كيف انسل خفية ، أنا صاحب المقام الرفيع صرت مثل

---

(١) هذا جزء بسيط مما ورد عند د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ - ٢٥٣ ؛ راجع أيضا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٩٢ ولوحة هذا النص موجودة بمتحف اللوفر ، راجع : Parrot, Assur, p. 290 fig. 362 .

العبد . فلا أحد من الناس يستمع إلى فى الطريق ولا عين تنظر إلى إذا مـــا دخلــت القصر . مدينتى تعبس فى وجهى كما لو كنت عدوا ..

هذه بعض مقاطع من قصيدة لامتدحن رب الحكمة ، جســد فيــها الرجــل صورة لعذابه النفسى والجسدى ولكن على الرغم من تلك المعاناة فأنه بقــى مؤمنــا بعدالة القدر وبان اليوم المنشود سيأتى ومعه رحمة الاله شمش على حد قوله . وقــد تمثل ذلك فى سلسلة من الأحلام رآها الرجل المعذب فى منامه ، كان آخرها أنــه رأى رجلا قال له أنه رسول من الاله ماردوك يحمل له البشرى بالخلاص . ويقص علينــا قصة شفائه واستعادة أعضائه الحياة مجددا . وتنتهى القصيدة بذكر ذهابه إلــى بــابل قاصدا معبدا الاله ماردوك حيث أقام الطقوس لاله كما قــدم لــه الذبــائح والــهدايا والنذور .[١]

هذا يذكرنا بجوار سجله كاتب مصرى على بردية بين رجل يئس من الحيــاة وعيوب الدنيا فى عصره وجعل روحه تتحدث إليه كأنها شخص آخر وظل كل منهما يحاور الآخر ، وشكا لها سبب ضيقه من الحياة ، وأنه تكفل بالدعوة بين الناس ولكنــه لم يجد من بينهم مجيبا .[٢]

ثالثهما حوار بين عبد وسيده :

وفى هذا الحوار يطرح السيد على عبده مسألة معينة فى كل مــرة فيوافقــه العبد على الفور ويأتيه بالدليل المنطقى الذى يدعمها . ولكن ما هى إلا لحظات حتــى يرجع السيد فى قراره فيؤيده العبد ويأتيه بالبرهان على عدم جدوى الفكرة أصلا .

فيقول فى البداية :

السيد : أسمعنى أيها العبد

العبد : أجل يا سيدى ، إنى مصغ اليك .

---

(١) هذا جزء مما ورد عند د. فاضل عبد الواحد : المرجع الســابق ، ص ٢٥٤ – ٢٥٦ ؛ راجع أيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٩١ .

(٢) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، دار نهضة الشرق بحرم جامعة القــاهرة ٢٠٠١ ، ص ٥٩٤ .

السيد : هيئ عربتى وأحضرها من أجل أن أذهب إلى القصر .

العبد : افعل يا سيدى ، أفعل ، أنه سوف ... من أجلك ويعفو عنك .

السيد : لا أيها العبد ، أننى لن أذهب إلى القصر .

العبد : لا تفعل يا سيدى ، لا تفعل ، لأنك إذا ذهبت إلى القصر فانه سوف سيرسلك إلى .. ويبعثك فى طريق لا تعرفه ، أنه سيسبب لك الشقاء والأحزان .

وفى حوار آخر :

السيد : أسمعنى أيها العبد .

العبد : أجل يا سيدى ، أنى مصغى اليك .

السيد : أحضر لى فى الحال ماء لأغسل يدى لأنى أريد أن أكل .

العبد : كل يا سيدى ، كل ، فالأكل بانتظام يشرح القلب .. أن الإله شمش يحضر مأدبة كل من ياكل بيدين نظيفتين .

السيد : لا أيها العبد ، لن أكل .

العبد : لا تأكل يا سيدى ، لا تأكل طالما أن الجوع من بعد الشبع والعطش من بعد الشرب يأتى لكل إنسان .(١)

وفى حوار ثالث يقول :

السيد : أريد أن أحب امرأة .

العبد : أحب يا سيدى ، أحب ، إن من أحب امرأة نسى الألم والتعب .

السيد : لا يا عبد ، لن أحب .

العبد : لا تحب يا سيدى ، لا تحب ، فالمرأة خنجر من حديد مسنون يقطع الشاب به عنقه .(٢)

وفى النهاية يقول :

---

(١) هذا جزء مما وورد عند د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ – ٢٥٩ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٩٢ – ٤٩٣ .

(٢) د. أحمد سليم : الأسرة فى العراق القديم " دراسة من خلال أدب الحكم والنصائح " ، درا النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ٣٦ – ٣٧ .

السيد : اسمعنى أيها العبد .

العبد : أجل يا سيدى ، أنى مصغى اليك .

السيد : أذن ما هو الخير فى هذه الدنيا ؟

العبد : أن يدق عنقى وعنقك ونرمى (بهما) فى النهر ، وذلك هو الخير فى الدنيا ، ترى من من يستطيع أن يطاول السماء ، ومن يستطيع أن يحتوى العالم السفلى .

السيد : أيها العبد ، أنى سأقتلك وأتركك تموت أولا .

العبد : أن سيدى لن يستطيع العيش من بعدى حتى لثلاثة أيام

أما بالنسبة للعمارة والفنون ، فقد أضاف الكاسيون إلى عمارة المعابد فى عصرهم تطورات وإضافات تناولت محاور المقاصير الرئيسية وتشكيل الواجهات الخارجية وأضافت العمائر المدنية الكاسية تجديدا آخر تمثل فى بناء صفات ذات أعمدة حول أفنيتها الكبيرة .[1]

وفى مجال العلاقات الخارجية ، فنجد أن هذه العلاقات اتخذت أكثر من مظهر ، فنجد أن البيت الحاكم فى آشور قد تصاهر مع البيت الحاكم فى بابل ، فتزوج الملك البابلى (كاروندداش) من ابنة الملك الآشورى (آشور أو باليط) وجعل ولدها ولى عهده ، فعز على الأمراء الكاسيين أن يسرى الدم الآشورى فى عروق صاحب عرشهم ويصبح ذلك سببا لتدخل الآشوريين فى شئون دولتهم ،

---

(١) تحدث د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٥٨ عن تاريخ الفن فى بابل خلال عصر الكاسيين من عام ١٦٠٠ إلى ١١٥٧ ق. م . فتحدث عن التصوير الجدارى والنقش بوجه عام والنقش على الأختام الأسطوانية والنحت والتماثيل الحجرية . كما تحدث عن جزء من واجهة معبد كاسى من الآجر المزخرف بأشكال إنسانية وهو محفوظ بمتحف برلين (المرجع السابق ، ٣٥٨ صورة ٢١٧) كما تحدث عن ظهور لوحات عرفت باسم " كدورو " بمعنى لوحات الحدود . وهى بمثابة وثيقة لتحديد ملكية عقار مبين فيها حدود واسم مالكه وأسماء الآلهة التى تشهد على ذلك (المرجع السابق ، ص ٢٦١ صورة ٢١٨) منها لوحة ماردوك زاكير شوهى بمتحف اللوفر ، (راجع : Parrot, Assur, p. 170 Fig. 217.) ، ولوحة ماردوك ابال أدين بمتحف برلين (راجع : Id., op. cit., p. 169 Fig. 216.)

فاغتالوا ولى العهد وولوا غيره مكانه .

وبالنسبة للعلاقة مع مصر اتسمت العلاقات المصرية البابلية بطابع الصداقة الشخصية خلال القرن الرابع عشر ق. م . وتمخضت هذه الصداقة عن مصاهرة البيتين الحاكمين أكثر من مرة ، فتزوج امنحتب الثالث من ابنة الملك البابلى كاردونياش وطمعه فيما بعد فى الزواج من بنت أخيه كادشمان خاربى (أو كاداشمان انليل) . وتأثرت التجارة البابلية بفوضى الطريق فى أرض كنعان ، فلم يجد الملك الكاسى البابلى غير الملك المصرى يستند به لتأمين تجارته .

لم تستفد دولة بابل الكاسية كثيرا بزوال الضغط الميتانى على حدودها ، بل على العكس من ذلك وجدت نفسها وجها لوجه أمام قوتين طموحتين ، وهما دولة الحيثيين ، ودولة آشور ، فضلا عن دولة عيلام منافستها العتيدة ، ووقع الصراع بين بابل وعيلام فحالف الحظ الجيش البابلى وتقدم حتى العاصمة سوس . وحاولت بابل أن تجرب حظها مع آشور ولكنها فشلت وظلت كفة النصر متأرجحة بين بابل وبين جارتيها عيلام وآشور ، فأحيانا يسود الهدوء ، وأحيانا ينتصر البابليون وأحيانا يغلبون . وكان احتدام التنافس بين بابل وبين آشور فرصة للعيلاميين للهجوم على بابل نفسها ، وطالت اشتباكاتهم معها حتى دمروها أكثر من تدمير الآشوريين لها ، وقضوا على الحكم الكاسى فيها فى أواخر القرن الثانى عشر ق. م . ونقلوا أغلب آثارها الفنية إلى عاصمتهم سوس ، سواء حبا فى النهب والتخريب ، أو لحرمانها من كل ما يذكرها بأيام مجدها . وكان من هذه الآثار ما يخص ملوك قدماء أحرزوا النصر عليها ، مثل نصب سرجون الأول ، ونصب نرام – سين ونصب حمورابى .

ثامنا : الآشوريون :

كانوا من أصل سامى هاجروا من الجزيرة العربية وسكنوا شمال العراق منذ بداية الألف الثالثة ق. م . وأطلق على هذه القبائل اسم الآشوريين نسبة إلى معبودهم آشور .[1] وامتدت منطقة آشور فى عصورها الأولى فيما بين نهرى الزاب

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٨٠ – ١٠٢ ؛ ===

الأكبر والزاب الأصغر ، وأطلت على نهر دجلة بضفتيه ، وتكونت في مجملها من تلال وهضاب جيرية . ووردت تسمية آشور في بعض النصوص الآرامية بلفظ آثور ، وذكرتها النصوص المصرية باسم " اسر " و " آسور " .

وكانت مدينة آشور تقع في طريق يتحكم في سومر وأكد من ناحية وكردستان وأرض الجزيرة الشمالية من ناحية أخرى . وقامت فوق ربوة صخرية تحف بها مياه دجلة وتقوم على أنقاضها قلعة الشرقاط الحالية .

ويقسم المؤرخون تاريخ الآشوريين إلى ثلاث فترات :

١- **العصر الآشورى القديم** : ويبدأ من فجر التاريخ الآشورى إلى نهاية حكم أسرة بابل الأولى .[1]

٢- **العصر الآشورى الوسيط** : ويبدأ من نهاية مملكة بابل الأولى وينتهي في

== أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٧٣ - ٣٨٣ ؛ د. نبيلة عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ - ٢٣١ ؛ د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ١٦١ - ١٦٧ ، ٣١٨ - ٣٣٢ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٢٥٥ - ٢٨٤ .

(١) قام العالم الفرنسي باروه بوضع مؤلف هام تحت عنوان " آشور Assur " وقسمه إلى جزئين: ففي الجزء الأول: المقسم إلى خمسة فصول نجده يتحدث عن الآتى :

ففي الفصل الأول : تحدث عن تاريخ الآشوريين وعصر الحديد (ابتداء من عام ١٢٤٥ حتى عام ٦٠٦ ق. م) .

والفصل الثاني : جاء بعنوان من خابور إلى دجلة .

وفي الفصل الثالث : تحدث عن نهاية الآشوريين .

وفي الفصل الرابع : تحدث عن البابليين والبابليين الجدد والعودة إلى المصادر (من عام ٩٩٠ حتى عام ٥٣٩ ق. م) .

وفي الفصل الخامس : تحدث عن الأخمينيين حتى وفاة الإسكندر الأكبر (من عام ٥٥٨ حتى عام ٣٢٣ ق. م) . ==

بداية القرن التاسع ق. م . (من ١٣٨٠ - ٩١٣ ق. م) وينقسم هذا العصر إلى مرحلتين .

٣- **العصر الآشورى الحديث أو عصر الإمبراطورية الآشورية** : ويمكن تقسيمه إلى عصر الإمبراطورية الآشورية الأولى من ٩١٣ إلى ٧٤٠ ق. م. تقريبا وعصر الإمبراطورية الآشورية الثانية من ٧٤٥ إلى ٦١٢ ق. م . تقريبا .[١]

(١) العصر الآشورى القديم : [٢]

بدأ الآشوريون وجها آخر من تاريخهم بعد أن احتكوا بالهجرات الحورية فى أواخر القرن التاسع عشر ق. م . وأوائل القرن الثانى عشر ق. م .

== وفي الجزء الثاني : تحدث بوجه عام عن ثلاثة مظاهر حضارية : الصناعات الخاصة بأهل بلاد النهرين ، أدب بلاد النهرين ، وموسيقى بلاد النهرين ، راجع : Parrot, Assur, Gallimard (Paris), 1961, p. 1-297

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٧٣ .

(٢) قام أستاذنا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٩٤ بالحديث عن " آشور " فى ص ٤٩٤ إلى ٥٤١ وتحدث فى هذه الصفحات عن : المراحل الأولى : عن العصر العتيق وعن العصر الآشورى القديم والعصر الآشورى الوسيط والمرحلة الأولى فيه وتحدث فى هذه المرحلة عن الفن الآشورى فى مجال النقش ومهارتهم فى صناعة الخزف وزخارفه كما تحدث عن العمارة : عمارة المعابد والمقابر . وفى المرحلة الثانية منه تحدث عن مرحلة التوسع الآشورى الثانية كما تحدث عن مجالات العمارة والفن والتشريع والإدارة فى هذه المرحلة . وتحدث بالتفصيل عن التشريعات الآشورية كما تحدث عن العصر الآشورى الحديث وتحدث فيه عن أعمال ملوك هذه الفترة فى السياسة الداخلية والخارجية وتحدث عن نهاية هذه المرحلة ومرحلة الأمجاد الأخيرة من هذا العصر الحديث وتفاصيل العلاقات الآشورية البابلية . ==

وبعد أن كانوا خاضعين لحكم ملوك أور الثالثة ، نجـد أنـه بعـد سـقوط الإمبراطورية السومرية أصبحت آشور مستقلة ، وبدأت بينهم أسرة حكم جديدة يسمى عصرها اصطلاحا باسم " العصر الأشورى القديم " وهى أسرة غلبت الصبغة السامية أو الأكدية على بعض أسماء ملوكها .

كان أولهم بوزور – آشور الأول الذى حكم حوالى ٢٠٠٠ ق. م . وحـاول الآشوريون أن يكون لهم شأن فى أحداث عصرهم فاشتبكت جيوش ملكهم أيلوشـوما مع جيوش مؤسس الأسرة البابلية (سوم أبوم) ولكن بغير نتيجة حاسمة . ثم مضت كل من الدولتين فى طريقها . وجاء بعد ذلك الملك ايروشوم الأول الذى ترك نصـا يدل على بنائه لمعابد لمعبود ومعبودة آشور : اداد وعشتار . وبعد ذلك تولى الملـك الآشورى شمش أداد (١٧٢٦ – ١٦٩٤ ق. م) الذى حاول أن يحقق لدولتـه كيانـا ينافس به دولة البابليين فاتخذ نينوى عاصمة لأول مرة ، واتسع غربا ناحيـة دويلـة مارى واستولى عليها ودخل شمش أداد فى صراع مع أخيه ، ونجح فـى اسـترداد العرش بعد أن استولى عليه فترة من الزمن ، وبعد ذلك أخذ شمش أداد فى التوسـع غربا حتى وصل إلى ساحل البحر المتوسط وعين أحد أبنائه يشمع أداد حاكما علـى مارى وعين الابن الآخر : أشمي داجان حاكما فى ايكالاتم فى وسط حوض دجلـة . وهكذا خضع جزء كبير من حوض دجلة والفرات للآشوريين .

(٢) العصر الآشوري الوسيط :

ظل الآشوريون على مهادنتهم للبابليين والكاسيين والميتانيين على التعـاقب ، حتى تعرضت دولة ميتانى لهجمات عنيفة من جيرانها الخاتيين (الحيثييـن) خـلال القرن الرابع عشر ق. م . ثم سقطت بابل على يد ملـك العيلاميين " شـوتروك – ناخونتا " ونجح فى القضاء على الأسرة الكاسية .

== كما تحدث عن علاقات آشور بعيلام وبمصر وببلاد الشام . كما تحـدث عـن بداية النهاية والتنافس على السلطة . كما تحدث عن العمران والفن وخاصة فـى مجال النقش والنحت والرسم الملون والفنون الصغرى والزخارف . كما تحـدث عن الأدب وما حققوه فى هذا المجال الثقافى .

وهنا ظهر حكام أقوياء فى آشور كان عليهم أن يواجهوا الآراميين فى الغرب والحوريين فى وسط العراق والحيثيين فى الفرات الأعلى والخابور والكاسيين فى الجنوب . وشهدت تحت زعامتهم سرحلتين للتوسع :

(أ) **المرحلة الأولى** : واستمرت خلال القرن الثالث عشر ق. م . وقدرت آشور فيها بأس جيرانها الخاتيين الأشداء ونفوذهم فى أعالى الشام ، فاكتفت بالتوسع فى منطقة الجزيرة وتدعيم حدودها القريبة . وكان آشور أو بالليط الأول (١٣٦٣ - ١٣٢٨ ق. م) هو أول ملوك الأسرة الآشورية فى هذه المرحلة ، وتلاه ثلاثة ملوك قاموا بجهود كبيرة لتأمين حدود بلادهم على أن أعظم ملوك هذه الفترة كان دون شك شالمانصر الأول رابع ملوك الأسرة (١٢٦٦ - ١٢٤٣ ق. م) وولده توكلتي نينورتا الأول (١٢٤٣ - ١٢١٠ ق. م) .

استولى شالمانصر الأول على منطقة أرمينيا الجبلية (أورارتو) وبلاد الجوتيين . واستولى ابنه توكلتي نينورتا الأول[1] على بابل بعد أن هزم ملكها الكاسى

---

(١) أدت الاكتشافات الأثرية إلى العثور على قصر الملك توكلتى نينورتا الأول فى المدينة التى أقامها على الضفة اليسرى من نهر دجلة . وكشفت الحفائر عن بقايا صور جدارية نفذت على الجص . وقد أحيطت هذه الصور الجدارية بشرائط زخرفية منها النباتية ومنها الهندسية ، راجع د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧ صورة ٢٢٢ أ - ب .

كما يلاحظ أن مجموعة الألوان التى استخدمت هنا هى الأبيض والأسود والأحمر والأزرق وهى نفسها التى سوف تستخدم فى قصر نيل بارسيب من عصر تيجلات بلاصر الثالث (المرجع السابق ، ص ٣٦٨)، وعثر فى مدينة آشور فى معبد المعبودة عشتار على مذبح للملك توكلتى نينورتا الأول وهو من الحجر ارتفاعه ٥٧,٥ سم وعرضه ٥٧ سم. وصور على واجهة المذبح الملك بصورة مزدوجة فنراه مرة راكعا أمام رمز المعبود نسكو معبود النور ومرة أخرى واقفا ويمسك بيده اليسرى الصولجان ويرفع اليمنى تحية لرمز المعبود (راجع : د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧١ صورة ٢٢٨ ؛ Parrot, Assur, p. 5 Fig. 5).

ولكن وقعت فتنة فى آشور قتل على أثرها الملك وسادت بعد فترة الاضطرابات وتعرضت آشور لسلسة من الأزمات بسبب التنازع على العرش وضياع بعض الممتلكات الشرقية من بلادهم .

(ب) **المرحلة الثانية** : وبدأت بعصر الملك تيجلات بلاصر الأول (١١١٢ - ١٠٧٦ ق. م) الذى عمل على توسيع حدود أرضه وكان يهدف إلى توسيع إمبراطوريته على حساب الشعوب التى تقع شمال آشور . فقام بحملة فى الشمال الشرقى ووصل إلى البحر الأسود ثم اتجه غربا نحو سواحل آسيا الصغرى وفينيقيا ، وبعد ذلك جرب حظه مع بابل نفسها فهزمها ونجح فى إخضاعها .[١] وعثر فى نينوى على لوحة بالمتحف البريطانى صور عليها الملك وأمامه أربعة أشخاص فى وضع ابتهال .[٢]

لم يطل أمد المرحلة الثانية من العصر الآشورى الوسيط ، على الرغم من بدايتها المشرقة ، ويبدو أن توسعها فى عهد تيجلات بلاصر الأول بخاصة كانت طفرة سابقة لأوانها ، فلم تستطيع الدولة أن تحافظ على أطرافها بحيث اضطرت آشور إلى الانكماش فى مناطقها الشرقية فترة من الزمان .

(٣) العصر الآشورى الحديث :

اكتفت آشور بحدودها الضيقة تحت ضغط الآراميين حتى تزعمها آشور دان (٩٣٢ - ٩١٢ ق. م) فنهضت فى عهده وتأهبت لمكافحة الآراميين شرقا وغربا .

---

(١) جاءت أخبار حملته على آسيا الصغرى وفينيقيا على لوح من الطين كان وديعة أساس فى معبد أنو أداد فى مدينة آشور ، وعلى جزء من نقش آخر ربما كان جزءا أيضا من ودائع الأساس ، راجع : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ (١ - ٢) .

(٢) Parrot, Assur, p. 35 Fig. 40 (c) .

وأهم ملوك هذا العصر هم :

أداد - نيراري الثاني (٩١١ - ٨٩٠ ق. م) :

الذى غلبت شهرته على شهرة أبيه ، لم يتجه إلى فتوحات بعيدة ، وإنما عمل على تقوية جيشه لإخضاع بعض الأقاليم المجاورة ثم تحالف مع مملكة بابل لاسترجاع الإشراف الفعلى لدولته على حدودها الغربية . وقام بتنظيم شئون الدولة فى جميع المجالات .

توكلتى - نينورتا الثانى (٨٩٠ - ٨٤٤ ق. م) :

الذى اتبع سياسة إرهاب الآراميين وتوطيد سلطان الدولة على حدودها الغربية وإرهاب بابل من حين إلى آخر . ومحاولته السيطرة الكاملة على الطرق التجارية والحربية التى تتجه غربا إلى الشام حيث المخارج البحرية .

آشور ناصر بال الثانى (٨٨٣ - ٨٥٩ ق. م) :

الذى اشتهر بقسوته وأدخل تحسينات كبيرة فى الجيش واستخدم الخيالة على نطاق واسع ، وقسم بلاده إلى ولايات يحكم كل منها أحد الولاة . واتبع سياسة " اضرب قبل أن تضرب ، وهاجم قبل أن تهاجم ، واجعل تنكيلك بأقرب خصومك عبرة يخشاها بقية أعدائك " . وأكدت نصوص آشور ناصر بال الثانى أنه تلقى الجزية من الخاتيين وبلغ جبال لبنان ، وغمس أسلحته فى بحر آمورو العميق (أى البحر المتوسط) ، وتلقى الجزية من الموانى والمدن الفينيقية الكبيرة : صور وصيدا وجبيل ومحلاتا ومايزا وآمورو وارواد ، وأنه صعد جبال لبنان ، وأحضر رجاله أخشاب الأرز والصنوبر من جبال أمانوس لمعابد سين وشمش ولاستخدامها فى قصره . ويفهم من حولياته أنه عمل على توطين الآشوريين فى المدن المفتوحة ليصبحوا سادتها والمنتفعين بخيراتها وليخمدوا نشاط زعمائها .

عثر على آثار عديدة من عصر هذا الملك وأغلبها فى مجال النقش والنحت وأغلبها موجود الآن بالمتحف البريطانى منها :

- تمثال جميل عثر عليه فى الكالح (نمــــرود) يمثــل الملــك واقفــا بــالمتحف البريطانى .(١)

- لوحة صور عليها هذا الملــك واقفــا عــثر عليــها فــى نمــرود (بمتحـف الموصل) .(٢)

- لوحة أخرى عثر عليها فى الكالح موجودة الآن بالمتحف البريطانى صور عليــها الملك بزيه الرسمى وممسكا بصولجان .(٣)

- أما بالنسبة للنقوش فهى عديدة بالمتحف البريطانى أغلبها من الكالح أولها منظــر أو نقش يمثل الشجرة المقدسة يحف الملك بها من الجانبين وقد ارتــدى ملابســه الرسمية ويرفع يده بالتحية وهى شجرة محورة بشكل تجريــــدى ، يحيــط بــها ويشتبك معها بزخرفة من أفرع نباتية وأزهار محورة . وقد انتشر نقــش هــذه الشجرة التى يسميها البعض شجرة الحياة لأنها ترمز إلى الحياة منذ عصر الملـك توكلتى نينورتا الأول .(٤) ومنظر آخر يمثل الاستيلاء على مدينة(٥) ومنظر ثالث يمثل الملك على عجلته الحربية أثناء القتال .(٦) ومنظر رابع يمثله على عجلتـــه الحربية وهو يقوم بصيد الثيران(٧) أو الأسود(٨) ومنظر خامس يمثله وهو جالسا

---

(١) Parrot, Assur, p. 18 – 19 Fig. 22 – 23.

(٢) Id., op. cit., p. 34 Fig. 39 (A).

(٣) Id., op. cit., p. 12 Fig 14.

(٤) Id., op. cit., p. 14 Fig. 16.

وأيضا د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧١ صورة ٢٢٩ .

(٥) Id., op. cit., p. 14 Fig. 17.

(٦) Id., op. cit., p. 14 Fig.18.

(٧) Id., op. cit., p. 54 Fig. 62.

(٨) Id., op. cit., p. 55 Fig. 64.

على كرسى رافعا بيده اليمنى إناءا .[١] ومنظر سادس يمثله واقفا ومن ورائه تابعه وهو يمسك بالقوس والسهم .[٢]

شالما نصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق. م) :

استفاد من جهود أبيه آشور ناصر بال الثانى وقام بحملات فى سوريا وفلسطين وقضى على أحلاف الآراميين والعبرانيين . وأضاف إلى إمبراطوريته أجزاء أخرى ، واستطاع أن يسود غرب البحر المتوسط . وروت نصوصه أنه اكتسح أرض خاتى كلها واستولى على خالمان (حلب) وأحاه (حماه) ودمشقى (دمشق) ، وخاروانى (حوران) وارنتو (نهر الأورنت العاصى) غير أن الأهم من ذلك هو ظهور اسم اريبو أو عريبو بمعنى العرب من قبائل الجزيرة العربية فى نصوصه .

وذكرت نصوص شالما نصر الثالث أنه قاد اثنتين وثلاثين حملة خلال فترة حكمه التى امتدت خمسة وثلاثين عام . ولكن جاءت فى نهاية عهده فترة ضعف بدأت بخروج ولده عليه ثم حدوث حرب أهلية استمرت نحو ست سنوات . وظلت آشور نحو ثلاثة أرباع القرن من الزمان تتلقى ضربات جيرانها الآراميين والبابليين والميديين والسوريين والفلسطينيين والعبرانيين حينا ، وتضربهم حينا آخر . ولكن بغير نتائج حاسمة لها أو لجيرانها . ومن عصر هذا الملك عثر على تمثال يمثله من الحجر الجيرى تم كشفه فى مدينة نمرود وارتفاعه ١٠٣ سم ومعروض الآن فى متحف بغداد .[٣] وله تمثال آخر يمثله جالسا عثر عليه فى آشور ومعروض بالمتحف البريطانى .[٤] وله تمثال ثالث عثر عليه فى آشور أيضا يمثله واقفا بزيه الرسمى

---

(١) Id., op. cit., p. 36 Fig. 41.

(٢) Id., op. cit., p. 36 Fig. 42.

(٣) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٨٠ صورة ٣٤٦ .

(٤) Parrot, Assur, p. 15 Fig. 19.

وهو معروض بمتحف أسطنبول .[١] وعثر على لوحة فى كورخ وهى بالمتحف البريطانى صور الملك عليها واقفا بزيه الرسمى .[٢] وأيضا مسلة عثر عليها فى نمرود عليها خمسة مناظر لأنواع من الجزى وتحت المنظر نص كتب بالمسمارية .[٣] وبالمتحف البريطانى مجموعة من البرونز عثر عليها فى بالاوات تمثل حملات هذا الملك : تكريس لوحة ، نقل الغنائم ، نزع الأشجار ، التضحية بالأسرى ، التضحيات وإقامة لوحة ، موكب الأسرى والحيوانات .[٤]

شمش - أداد الخامس (٨٢٤ - ٨١٠ ق. م) :

الذى كان عليه أولا أن يقضى على المؤامرات التى تثيرها ضده بابل والمناطق الجنوبية حتى الخليج العربى ، ولهذا لم يتدخل فى شئون فلسطين .

تولى العرش بعد ذلك الملكة سميراميس التى كانت وصية على ولدها أداد نيرارى الثالث من زوجها شمش أداد الخامس .

واحتفظت روايات المؤرخين الإغريق فيما سمعوه عن هذه الفترة بقصة محورة لملكة أطلقوا عليها اسم " سميراميس " تحريفا فيما يبدو للاسم الآشورى " سمرمات " أى " محبوبة الحمام " ، وكانت وصية على ولدها أداد نيرارى الثالث من زوجها شمش أداد الخامس ورووا أنهم سمعوا أسطورة تقول بأن أم هذه الملكة كانت معبودة تعبد فى عسقلان قرب سواحل البحر المتوسط ويرمز إليها بصورة نصفها سمكة ونصفها حمامة ، ولما ولدت ابنتها على هيئة بشرية سوية تركتها للحمام يرعاها ، ولهذا سميت بهذا الاسم وبعد ذلك عثر عليها كبير رعاة ملك آشور فأخذها ورباها وعندما كبرت تزوجها حاكم نينوى " أونيس " ولكن ملك آشور العظيم

---

(١) Parrot, op. cit., p. 16 – 17 Fig. 20 – 21.

(٢) Id., op. cit., p. 34 Fig. 39 (B).

(٣) Id., op. cit., p. 35 Fig. 40 (B).

(٤) Id., op cit., p. 122 – 123 Fig 138 – 146 (A – I).

" نينوس " طمع فيها وأجبر زوجها على التخلى عنها وتركها ، فكان هذا السبب فـــى انتحاره ، ولجأت هى إلى حيلة لتنتقم لزوجها ولنفسها ، فتقربت للملك وطلبت منـه أن يعهد إليها بالعرش والسلطان لمدة خمسة أيام لكى يرى كيف تحكم ، فرضى الملـك ، واستغلت هى سلطانها المؤقت وأمرت بسجن الملك ثم قتله ، واستأثرت بالعرش بعـده أكثر من أربعين عاما .(١)

ثم توالى على الحكم بعد ذلك ملوك ضعاف منهم آشور دان الثـالث الـذى حدث كسوف الشمس فى عهده وتفشى فى زمنه وباء الطاعون .

تيجلات بلاصر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٨ ق. م) :

بدأت المرحلة الثانية للتوسع الآشورى الحديث فى عام ٧٤٥ ق. م . بولايـة تيجلات بلاصر الثالث الذى عمل علـى إعـادة مجـد آشـور واسـتطاع أن يبلـغ بإمبراطوريته أقصى الحدود . فأخضع بابل وضمها إليه بعد مشقة وعهد بأمرها إلـى أحد أعوانه نابو نصر ، ثم اتجه إلى سوريا وحاصر دمشق بعد حروب عامين استعاد أغلبها للنفوذ الآشورى . وتدخل فى مشاكل العبرانيين فعين عليهم هوشع ملكا بعد أن خلعوا ملكهم واصطدم بالقبائل العربية التى كانت منتشرة على الطريق التجارى القديم فى شمال شبه الجزيرة العربية بين البحر الأحمر وبين العراق .

ومن عصر هذا الملك عثر على صور جدارية فى قصر تيل بارسيب طولها أكثر من عشرين مترا , وقد مثل الملك عليها جالسا على عرشه وأمسك بصولجـان طويل وخلفه خادما وحاجبه . وهناك منظر مشابه يمثل الملك وقد جلس على عرشـه وهو يستقبل مجموعة من المبعوثين الأجانب .(٢)

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٨٨ وحاشية (١) ؛ د. عبد العزيـز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٥٢٠ .

(٢) Parrot, Assur, p. 103 – 104 Fig. 112 – 113 p. 214 Fig. 266.
وأيضا د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٨ صور ٢٢٥ – ٢٢٦ .

شالما نصر الخامس (٧٢٨ – ٧٢٢ ق. م) :

قام ملك إسرائيل هوشع بتحريض من المصريين بمحاولة التخلص من السيطرة الآشورية فأسرع شالما نصر الخامس وحاصر السامرة لمدة ثلاث سنوات ولكنها لم تسقط إلا فى يد خليفته .

سرجون الثانى (الآشورى) (٧٢٢ – ٧٠٥ ق. م) :

يمثل عهده مجد آشور وعظمة نينوى ، ولم يهاجم فى البداية بابل ولكنه ترك أمرها هى واورارتو وآسيا الصغرى لما بعد . وبدأ بالهجوم على فلسطين فكانت مصر تضع العراقيل أمام آشور فى فلسطين فأتم فتح السامرة وضربها وشرد أهلها وأسر معظم سكانها ومحا مملكة جروبوام اليهودية من الخريطة وقام بعد ذلك فى عام ٧٢٠ ق. م . بحملة ضد تحالف سورى ضم هامات فى عام ٧١٨ ق. م . وقضى على طوروس ، وفى عام ٧١٧ ق. م . ضم قرقميش[1] ثم أخذ يضرب بقواته شمالا وشرقا ضد أهل اورارتو واستولى على عاصمتهم " وساتسير " وعاد مرة أخرى إلى الغرب ، واتجه إلى قبرص ، وفى الطريق ضم إلى حد ما مليتين . وقام بعدة حملات موفقة ضد قبائل السيث ، وتذكر نصوصه أخبار انتصاراته على حكام حماه وقرقميش وأشدود وغزة وبعد أن تم له توطيد سيطرته على سوريا العليا وفلسطين . اتجه إلى بابل التى ظلت دائمة التمرد منذ بداية حكمه ، وأخيرا اضطر إلى غزوها وفر ملكها إلى عيلام .

شيد سرجون الثانى على بعد قليل من نينوى ، قصر خور سباد الذى نجد بعض نقوشه تزين الآن متحف اللوفر فهناك نقش بارز على الالبستر باللوفر ومتحف الآثار الشرقية بجامعة شيكاغو . عثر عليه فى خور سباد يمثل البطل الأسطورى

---

(١) توجد أخبار هذه الحملة فى حولياته التى كانت منقوشة على ألواح من الحجر عثر عليها فى خورسباد (دور – شروكين) ، راجع : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ – ٢٤٧ (٢) .

جلجامش يقف بين كائنات خرافية التى تزين واجهات القصور . وقد قبض بيده اليسرى على عنق أسد صغير وأمسك باليد اليمنى عصا معقوفة . وقد نقش الفنان الوجه والصدر من الأمام أما بقية الجسم فمن الجانب .(١)

ومن أمثلة الكائنات الحارسة تمثال الذى يمثل ثورا مجنحا . عثر عليه فى قصر بمدينة خور سباد ويرجع إلى عصر الملك سرجون الثانى ومعروض بمتحف الآثار الشرقية بجامعة شيكاغو . وهو برأس إنسان بتاج مقرن وجسد ثور وجناح نسر . واهتم الفنان بتفاصيل اللحية والذيل والأرجل الأربعة .(٢)

وهناك نقش بمتحف اللوفر يمثل الملك سرجون الثانى عثر عليه فى خور سباد يمثل الملك واقفا يحمل بيده اليسرى جدى وفى اليمنى زهور .(٣)

وهناك نقش جميل بمتحف تورين عثر عليه فى خور سباد (دور شروكين) يمثل سرجون الثانى .(٤)

كما أن هناك رسومات من قاعة عرش القصر الملكى والبهو المؤدى إليها من هذا القصر ، وتتألف من شرائط أفقية ، تتكرر فى كل شريط منها وحدتان زخرفيتان ، إحداهما لحيوان أو كائن خرافى ، والأخرى لزهرة كبيرة فى تخطيط هندسى جميل . ويعلو هذا كله صورة الملك سرجون الثانى وهو يحيى تمثال المعبود .(٥)

---

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧٦ صورة ٢٣٨ ؛ وأيضا : Parrot, Assur, p. 32 Fig. 36, 38 .

(٢) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧٦ صورة ٢٣٧ .

(٣) Parrot, Assur, p. 37 Fig. 43.

(٤) Id., op. cit., p. 13 Fig. 15.

(٥) Id., op. cit., p. 99 Fig. 108.

وأيضا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٣٧ ، ٨٥٦ شكل ٥٧ .

وهناك نص كتب فى صفين يحدثنا عن الحملة الثامنة للملك سرجون الثانى ، وهذا النقش محفوظ بمتحف اللوفر .[١] وأضاف إلى القصر مدينة حقيقية .

سنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١ ق. م) :

كان عليه فى البداية أن يقضى على الاضطرابات التى سببها له الآراميون والكاسيون ، بالإضافة إلى إعادة سياسة غزو بابل التى كانت تحاول دائما الاستقلال ومناهضة آشور وأيضا خطر الأوضاع فى سوريا وفلسطين .

فقد حاول الملك شاباكا فى الأسرة الخامسة والعشرين المصرية فى عام ٧٠١ ق. م . أن يرسل حملة إلى فلسطين لكى يحد من تقدم الآشوريين .

وقد أنذر الآشوريون اليهود بعدم الاعتماد على ملك مصر لأنه كان ضعيفا ، وقرر ملك يهوذا حزقيا أن يهاجم آشور وقام بتكوين تحالف ضد ملك آشور سنحاريب . ولكن نجد أن هذا الأخير بعد أن وطد دعائم حكمه بحزم وقوة بعد مرور خمس سنوات ، قرر أن يعاقب فلسطين وبدأ سنحاريب حملته لإخضاع مدن الساحل الفينيقى ووصل حتى عسقلان وحدود مصر .[٢] وتقدم المصريون للزود عن حدودهم فأرسل سنحاريب فرقة من جيشه إلى القدس ووقعت المعركة فى تيكة وأوقفت تقدم المصريين وقضى على الثوار فى فلسطين وحاصر حزقيا فى أورشليم ولم يقض سنحاريب على أورشليم ولكنه أصابها بشئ من الدمار ، وقد اضطر حزقيا إلى دفع تعويض كبير وتنازل عن جزء كبير من خزائنه فى مقابل أن يحتفظ بعرشه ويقوم بدفع الجزية . واضطر سنحاريب لمغادرة فلسطين بسبب الطاعون الذى انتشر فى معسكره ، وهكذا أنقذ الجيش المصرى ولم تتعرض مصر لخطر الآشوريين .

---

(١) Parrot, op. cit., p. 293 Fig. 364.

(٢) سجلت أخبار هذه الحملة فى نقش محفوظ الآن بالمعهد الشرقى بشيكاغو ، الأسطر ١٧ إلى ٢١ راجع : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ (٤) .

وكان سنحاريب قد شيد فى تيل - بارسيب (تل أحمر) ونينوى أسطولا حربيا ضخما ، وكانت المراكب ذات الحمولة الخفيفة تنقل على عربات إلى مناطق الأنهار والبحار . وقام بحملة ضد الشاطئ العيلامى . ولكنها انتهت دون نتائج ايجابية ولا يزال أمر المعركة التى وقعت فى هالولى ضد عيلام من الأمور الغامضة وبعد قليل لقى سنحاريب مصرعه نتيجة حادث اغتيال .

وهناك بمتحف اللوفر رسم جدارى عثر عليه فى تيل بارسيب (من القرن الثامن ق. م) يمثل ملاكا راكعا .(١) وهناك مجموعة أخرى من المناظر تمثل جنودا عثر عليها فى تيل بارسيب بمتحف حلب يصورها لنا باروه فى مؤلفه .(٢)

أسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩ ق. م) :

أراد أن يكسب ود رعاياه ، ويهيئ لنفسه نوعا من الولاء ، ولكن بدلا من أن يبذل جهده لتحقيق ذلك ، نجد أنه وضع كل إمكانياته لغزو مصر ، ورأى أنه من الأفضل إعادة سياسة الغزو فى فلسطين(٣) ، وفى أثناء زحفه ، قضى على صيدا ولم يصب مدينة صور بأى ضرر لالتزامها بالحياد . وأخذ الملك طهرقا الذى كان يحكم فى الأسرة الخامسة والعشرين يتابع سياسة التحريض وإشعال الثورات ضد الآشوريين فى الهلال الخصيب ، فهو بدون شك ولا أحد سواه الذى أثار التمرد فى صيدا ، فقرر أسرحدون فى ٦٧١ ق. م . مهاجمة مصر مباشرة . وكانت هذه هى الغزوة الآشورية الأولى ، فقد عبر أسرحدون صحراء سيناء ووصل إلى وادى

---

(١) Parrot, Assur, p. X111

(٢) Id., op. cit., p. X1V – XV.

(٣) قام بحملة ضد منطقة الجوف فى شمالى شبه الجزيرة العربية ، وجاءت أخبارها فى نقش على أثر ، أما حملته على مصر فقد جاءت أخبارها على لوحة معروفة باسم " لوحة سنجرلى " ، راجع : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ (٥ - ٦) . وعن العلاقات بين بلاد النهرين وجيرانها ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٠٧ - ١١٨ .

الطميلات ، وقد تفادى الدلتا ، حيث تجمعت فيها بالتأكيد القوات المصرية ، ودمر الحاميات المصرية ووصل فى خلال خمسة عشر يوما إلى منف واستولى عليها كما أسر عائلة طهرقا . أما عن طهرقا فقد نجح فى الهرب فى البداية إلى طيبة ، ثم هدد أسرحدون هذه المدينة ، وسار بمحاذاة الوادى نحو الجنوب ، وأسرع منتومحات حاكم طيبة والكاهن الرابع لأمون رع بالاعتراف بالسيطرة الأشورية حتى يتجنب سقوط طيبة وأرسل منتومحات الجزية لكى يتفادى لقاء الفاتح القوى . وقد أدرك أسرحدون أن السبيل الوحيد للاحتفاظ بالبلاد المنهزمة هو تقسيمها إلى ممالك صغيرة متشابهة وتبعا لذلك قسمت البلاد إلى عشرين مقاطعة منفصلة ، ويحكم فى كل منها أمير محلى ولأسباب ما غادر أسرحدون مصر بسرعة ربما بسبب مرض مفاجئ ولم يترك غير قوات قليلة .

حاول طهرقا تأليب الأمراء المحليين ضد سيطرة الاشوريين وكان هذا سببا فى عودة الآشوريين وحاول أسرحدون القيام بحملة ولكنه توفى فى الطريق . عثر للملك اسرحدون على لوحة فى تيل بارسيب محفوظة بمتحف حلب صور عليها وأمامه شخصين راكعين[١] وهناك نقش بمتحف اللوفر صور عليه اسرحدون وناكيا .[٢]

آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق. م) :

أنجب أسرحدون ولدين ، تولى ابنه الأكبر شاماشى - شوم - أوكين عرش بابل ، وتولى الابن الأصغر آشور بانيبال عرش آشور . ونتج عن عدم المساواة فى توزيع الحكم أن نشأت عداوة بين الأخ الأكبر والأخ الأصغر ، وفى البداية كان هذا العداء غير ظاهرى ، ولكنه كان على وشك الظهور ، لولا أن عاود آشور بانيبال سياسة غزو مصر تنفيذا لمشاريع أبيه فأرسل قائده الأعلى الذى جمع قوات من فينيقيا

---

(١) Parrot, Assur, p. 77 Fig. 86.

(٢) Id., op. cit., p. 118 Fig. 133.

وسوريا وفلسطين ، وأرسل آشور بانيبال هذه القوات إلى مصر وهزم الجيش المصرى فى كاربانيه وتقدم الغزاة نحو منف واستولوا عليها وانتهى الأمر بصعودهم نهر النيل والاستيلاء على طيبة التى تعرضت للسلب والنهب من جانبهم ونجت من التخريب مما خفف من وقع الكارثة . وأقام الآشوريون الحاميات فى المدن الرئيسية . وكانت هذه هى الغزوة الآشورية الثانية فى عام ٦٦٦ ق. م . وقامت مصر بدفع الجزية لآشور ، وعندما عاد آشور بانيبال قام بحملة ضد أخيه ويقال أن أخاه قد هلك فى حريق شب فى قصره عام ٦٤٨ ق. م . وقام آشور بانيبال بمهاجمة عيلام ونجح فى تدميرها عام ٦٤٠ ق. م ، وشاهدت سوس معابدها تتهدم ومقابر ملوكها تسلب وتماثيل معبوداتها تسرق .

وبعد فترة علم آشور بانيبال بتآمر بعض الأمراء المصريين ضده ، وعاد إلى مصر فى غزوة ثالثة فى عام ٦٦٤ ق. م . وتقدم بجيشه دون أن يقوم بمعركة فعلية وفر تانوت آمون الملك الكوشى إلى طيبة ، وجاء حكام الدلتا الموالين للآشوريين لتقديم فروض الطاعة للفاتح وفى هذه المرة أراد آشور بانيبال أن يعاقب بشدة عدوه فتتبعه حتى طيبة واستولى على المدينة التى نهبها ودمرها وذاع نبأ سقوط طيبة فى جميع أنحاء العالم القديم . ويمثل ذلك مظهر من مظاهر العلاقات التى كانت بين العراق ومصر فى العصور القديمة وبعد قيام الأسرة السادسة والعشرين فى مصر نجح أول ملوكها بسماتيك الأول فى طرد الآشوريين وإعادة تنظيم قواته العسكرية وضم إلى جيشه المرتزقة الإغريق .

(سوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل فيما بعد عند الحديث عن العراق القديم وعلاقاته الخارجية ، ص، ٢٨٩ – ٢٩٧) .

أما عن نماذج فن النحت من عصر الملك آشور بانيبال فهى عديدة فقد أبدع الفنان فى تمثيل الطبيعة والواقع بأسلوب زخرفى جميل وخاصة فى مناظر الصيد التى يوجد مجموعة كبيرة منها بالمتحف البريطانى منها :

- منظر من نينوى يمثل الملك فوق صهوة جواده وهو يقوم باصطياد أسد .[١]

- منظر آخر من نينوى وهو يمثل الملك فوق عجلته الحربية وهو يقوم باصطياد الأسود . ونرى فى تفاصيل هذا المنظر أنثى أسد وهى تحتضر وأسد آخر ينزف من فمه بعد أن اخترق السهم جسده وأسدين آخرين أصابتها السهام ملقيان على ظهريهما .[٢] ونجح الفنان فى تصوير إحساس تلك الحيوانات من جراء إصابتها بالسهام .

- ومنظر ثالث من نينوى يمثل صيد فيصله من الخيل البرية وهى تعدو من كلاب الصيد التى تعدو ورائها وأصاب بعضها السهام .[٣]

- ومنظر رابع من نينوى أيضا يمثل مجموعة من الغزلان فى حالة فزع وهرب .[٤]

- وبالمتحف البريطانى أيضا نقش يمثل الملك آشور بانيبال ممسكا بقوسه وهو يقدم إناء للتطهير .[٥]

- وهناك لوحة عثر عليها فى بابل صور عليها الملك واقفا يحمل بيديه ما يشبه السلة . وبقية اللوحة مغطاة بنصوص مسمارية فى خطوط أفقية .[٦]

---

(١) Parrot, Assur, p. 54 Fig. 63.

(٢) Id., op. cit , p. 58 – 61 Fig. 65, p. 66 Fig. 70.

وأيضا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٣٤ ، ٥٨٦ شكل٥٥ – ٥٦ ؛ د. سيد توفيق : المرجع السابق، ص ٣٧٢ – ٣٧٣ صور ٢٣١ – ٢٣٢.

(٣) Parrot, op. cit., p. 67 Fig. 72.

وأيضا د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧٣ صورة ٢٣٣ وهو يذكر المنظر على أنه صيد للحمر الوحشية .

(٤) Parrot, op. cit., p. 67 Fig. 73.

(٥) Id., op. cit., p. 69 Fig. 76.

(٦) Id., op. cit., p. 35 Fig. 40 (A).

آشور - أنل - إيلانى :

بعد وفاة آشور بانيبال مباشرة فى عام ٧٢٧ ق.م أخذ الميديون يخططـــون لمهاجمة آشور والانتقام منها .. وشن أحد الملوك الميديين هجوما على آشور ولكـــن نجح الجيش الآشورى فى صده . وقد أثرت النزاعات الداخلية على الدولة فـــانفصلت عنها دويلات كثيرة ، فانفصلت المدن الساحلية فى سوريا وفلسطين وعاود الميديـــون هجومهم على آشور ، واستطاع كي اخسار ملك الميديين أن يســتولى علـــى شـــمال العراق ثم توغل إلى سهول آشور حيث قامت بينه وبيـــن جيـــوش آشـــور حـــروب طاحنة . واتفق ملك الميديين مع ملك بابل على مهاجمة عاصمة آشور فسقطت فـــى ايديهما بعد حروب عنيفة ، واستولى البابليون على جنوب آشور ، وأرسل ملك بـــابل ولده نابوخذ نصر الثانى ليتتبع فلول الجيش الآشورى التى كانت قـــد هربـــت إلـــى حران .

ترك الآشوريون آثار عدة فى عواصمهم الكبرى : آشور ونينـــوى وكـــالح ودورشروكين ، وبالمتحف البريطانى واللوفر وشيكاغو مجموعة من التمـــاثيل منـــها تمثال من الكالح (نمرود) يمثل أسد مجنح برأس أدمى (من القـــرن التاســـع ق.م) ومن دورشروكين (خورسباد) تمثالين بالموقع على بوابة قلعـــة يمثـــلان ثوريـــن مجنحين برأس أدمى (من القرن الثامن ق.م) ومن الكالح تمثال لأسد حارس (مـــن القرن الثامن ق.م) وباللوفر وشيكاغو من دور شروكين تماثيل لثيران مجنحة بـــرأس أدمى (من القرن الثامن ق.م) [١]

وقد جمعت هذه الكائنات بين فن النقش وفن النحت المجسم . فصدر الكـــائن الخرافى ووجهه وراسه بارزة بروزا شديدا حتى يبدو وكأنه تمثال . وكانت يحـــرس

---

(١) لهذه المجموعة من التماثيل ، راجع :.Parrot , Assur , p. 24 Fig . 29 , p 25 – 26 Fig . 30 , p. 27 Fig. 31 , p. 30 Fig. 34 , p. 31 Fig . 35 , وأيضا د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ – ٣٧٥ ، صـــور ٢٣٤ – ٢٣٨ .

المدخل الأوسط لواجهة القصر الملكى الذى شيده الملك سرجون الثانى في مدينة خورسباد .

ومن أمثلة هذه الحيوانات الحارسة التى شكلت على هيئة الأسد ، الأسد الذى عثر عليه فى نمرود وكان يتقدم معبد المعبودة عشتار ومعروض بالمتحف البريطانى وكان آشور ناصر بال الثانى هو الذى أمر بعمل هذين الأسدين لمدخل المعبد . وهناك أسد أخر مجنح معروض فى المتحف البريطانى عثر عليه فى مدخل قصر آشور ناصر بال الثانى فى نمرود .[1]

وأقيمت العاصمة آشور فوق ربوة صخرية تحف بها مياه دجلة والتى قامت على أنقاضها قلعة الشرقاط الحالية ، فى أواخر عصر بداية الأسرات السومرية .

وقامت نينوى بالقرب من الموصل الحالية ، ووجدت بقايا آثارها فى بوتين رئيسيتين : ربوة قويو نجيق فلا طرفها الشمالى الغربى ، وربوة النبى يونس فى طرفها الجنوبى الشرقى ، وتوفرت محاجر الالبستر حولها فأستغلها المعماريون فيها فى بناء وتزين قصور ملوكهم ، ولعبت المدينة دور العاصمة منذ القرن الثامن عصر ق.م أى الفترة التى تعاصر حكم حمورابى .

وكشف فيها عن قصر سنحاريب فى جنوبها الغربى ، وقصر آشور بانيبال فى شمالها .وقد اكتشفت كلاهما فى أواسط القرن الماضى ونقلت بعض الجدران المنقوشة من قصر سنحاريب إلى حوزة المتحف البريطانى . وتناولت نقوشها مناظر الصيد الملكى وحياة البلاط وتقارير تفصيلة للمنشآت المعمارية التى تمت فى عهده وعمل فيها أسرى حروبه . ويعتبر قصر آشور بانيبال فى نينوى مصدرا آخر للفن الآشورى .وعلى الرغم مما أصابه من تدمير وضياع الكثير من نقوش جدرانه وصورها خلال عمليات نقلها فى العصر الحديث ، إلا أن بقايا مناظر الصيد لا زالت

---

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ – ٣٧٥ .

تمثل ذروة ما بلغه الفن الآشورى فى ميدانها .[١]

وتخلف بين القصرين الكبيرين بنينوى بقايا معبدين للمعبود والمعبودة نـــابو وعشتار ويحف بمدخل المعبد الثانى تماثيل ونقوش قصور الملك منشئ المعبـــد فـــى طريقه إليه على عرش محمول على عجلات ويصحبه أهل بلاطه وحراسه وعدد مـن الموسيقيين .

أدت كالح ، نمرود الحالية دور العاصمة الثالثة .. وهى مدينة قامت علـــى الضفة اليسرى لدجلة ، إلى الشمال الشرقى من مدينة آشور التى تقع علـــى ضفتـه اليمنى ، وأقيمت فيها بعض قصور ملوك آشور منذ القرن الثالث عشر ق.م فى عـهد شالما نصر الأول وكشف فيها حتى الان عن بقايا قصور الملوك الثلاثـــة الكبـار : آشور ناصر بال الثانى وشالما نصر الثالث وآشور اخادين . وهى قصور تبيـن مـا كانت عليه قصور نينوى ، من حيث فخامة واجهاتها ، وحراسة التمـاثيل الحيوانيـة البشرية الحجرية الضخمة لمداخلها ومن حيث تعدد الأجنحة والقاعات فيها ، وتتمـيز القاعات الرئيسية منها وقاعات العرش بخاصة بمناظر منقوشة تسجل لقطات مختـارة من حياة الملوك فى الحرب والسلم . كاللوحة التى تصور خضوع ياهو اليهودى أمـلم شالما نصر الثالث (عام ٨٤١ ق.م) ، وأخريات تتحدث عن حفـل افتتـاح قصـر آشور ناصر بال فى عام ٨٧٩ ق.م بعد جهود طويلة ونفقات طائلة بذلت فى تشييده . وأقيم بعدها حفل بلغ عدد المدعويين فيه ٦٩٥٧٤ شخصا استضافهم الملك لمدة عشرة أيام (ربما يكون هذا العدد مبالغ فيه بعض الشيء) .

وتخير سرجون الثانى عاصمة جديدة هى الرابعة وتقع إلى الشمال الشـرقى من نينوى بنحو ١٦ كم ونسبت إليه فى تسميتها " دور شروكين " " داره او مدينتـه "

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٥٣٦ – ٥٣٨ .
عن الحياة اليومية فى بابل وآشور ، راجع :
جورج كونتنو : الحياة اليومية فى بابل وآشور (ترجمة وتعليق سليم التكريتـــى وبرهان التكريتى) ص ٥ – ٥٠ .

وأفتتحها قبل وفاته بنحو خمس سنوات . ثم هجرها العمران بعده بفترة فغطاها الرديم وحمى لحسن الحظ جزءا كبيرا من أطلالها . وأطلق عليها الساسانيون " خسرو أباد " (أى مدينة خسرو) مع تحريفه إلى خور سباد .

وقامت هذه المدينة على خطة شبه مربعة بلغت مساحتها نحو ميل مربع ، وأحاطت بها أسوار ضخمة تنفتح فى واجهاتها الأربع سبعة مداخل متباعدة ، وشيد سرجون فيها قصران من طابق واحد أحدهما كبير فى الشمال والآخر صغير فى الغرب واتصلت بقصر سرجون عن طريق فنائه الواسع ستة معابد ، ثلاثة كبيرة وثلاثة صغيرة وجاورتها زاقورة مشتركة بلغ طول قاعدتها ١٤٣ قدما ، وبقى منها ما يدل على ثلاث طبقات أو أربع ، لونت كل طبقة منها بلون مختلف عن لون الأخرى . وبلغ ارتفاع كل واحدة منها ثمانية عشر قدما . ويحتمل أن الزاقورة بنيت فى أصلها من سبع أو ثمانى طبقات ؟ وفى أعلاها شيد قدس الأقداس على ارتفاع ١٤٣ قدما . وكان أكبر هذه المعابد الستة ، معبد نابو ، يؤدى إليه طريق صاعد ، وتقدمت بوابته الداخلية صوار مصحفة بالبرونز تعلوها رموز مقدسة وكسيت جوانبها بقراميد من القيشانى الملون (أو الآجر المزجج) المزخرف ، تصور حيوانات وطيور وأشجار ، وقامت فى واجهة المعبد أساطين نصفية . وكسيت الجوانب الداخلية للقصر بالجص حتى ارتفاع يصل إلى ما بين الخمسة والستة أقدام ، وكسيت أكتافها بلوحات حجرية امتدت نحو ١٤ قدما طولا وارتفعت نحو ١٣ قدما . وكسيت جوانب فناء القصر الرئيسى وجدران قاعاته الرئيسية بلوحات حجرية أيضا بحوليات سرجون وصوره متبوعا برجال حاشيته(١) ، بينما نقشت لوحات الممر المؤدى إلى قاعة العرش بصور كائنات حارسة .(٢)

---

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ – ٣٧٥ شكل ١٢٨ – ١٢٩ .

(٢) تحدث د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٣٠ – ٥٣٩ عن العمران والفن وما تركه الأشوريون من آثار فى عدة عواصم : آشور ونينوى وكالح ودور شروكين ، وتحدث عن القصور وتخطيط المدن ===

وكان الآشوريون قد اقتبسوا أسلوب الكساء الحجرى فى أول الأمـــر مـــن مبانى الحيثيين فى بوغاز كوى ومن مبانى فى شمال سوريا .

وفى مجال الأدب : كان نتاج الآشوريين منه قليـــلا ، فعاشــوا علـــى آداب العصور التى سبقتهم ، ولكن كانت لهم مآثر عليها ، وهى تسجيلهم لأغلب نصوصـــها وحفظهم إياها ونشرها مع بعض التحوير والإضافة أحيانا ، ولاسيما منـــذ أن أنشـأ ملكهم سرجون مكتبته فى نينوى ، وزاد هذه المكتبة وأسس أمثالها أولاده وأحفـــاده ، وكان أكثرهم حبا للثقافات القديمة وجمعها فى مكتبات هو آشور بانيبال الذى أرســـل منشورا إلى حكام ولاياته فى الأقاليم يأمرهم فيه بالتحرى عـــن الألـــواح المســـمارية القديمة حيثما وجدوها ويقول لكل منهم فيه : " لا يجوز لأى إنسان أن يمنع شيئا مـــن الألواح عنك ، وإذا عثرت على أية لوحة أو رقية لم أعينها لك وتجد فيها صلاحيـــة لقصرنا استولى عليها وأرسلها إلىّ " .

وعثر على أطلال قصره بنينوى على لوحات كثيرة ، تحمل نقوشـــها عـــدة معارف فى الأدب القديم وما يخص العبادات والتمائم والتعاويذ . ووجدت رسالة مـــن هذا الملك إلى واليه فى بابل يأمره فيها بأن يبحث جادا عن لوحـــات تعـــاويذ الأيـــام والشهور ورقى الوسائد الملكية وتقاويم الأيام ومراســـيم رفـــع الأيـــدى ومجموعـــة الكروب ومجموعة قيل أنها معنونة " لا تدع السوء يمس الذاهب إلـــى المـــزارع أو

== وموضوعات النقوش وفن النحـــت وفـــن الرســـم الملـــون ونقـــوش الأختـــام الأسطوانية . كما تحدث د. سيد توفيق : المرجع الســـابق ، ص ٣٦٥ – ٣٨٠ عن تاريخ فن الآشوريين من عام ١٣٥٠ إلى ٦١٢ ق. م. وذكـــر أن الفنـــانين الآشوريين مارسوا فنون النحت والنقش والتصوير ولكن إبداعهم الفنى تجلى فـــى النقش البارز . فتحدث عن التصوير الجـــدارى ومواضيـــع النقـــش وخاصـــة المواضيع الحربية وتمثيل الكائنات الخرافية فى النحت وخاصة تمثيل الحيوانـــات الحارسة التى شكلت على هيئة أسد فى صورته الطبيعية . وجمعت هذه الأشكال بين النقش والنحت . كما تحدث عن نقوش الأختام الأسطوانية والزخرفة بـــالآجر المزجج والتماثيل المتعددة الأشكال .

الداخل إلى القصر " ، ثم أمره إلى جانب ذلك بأن يضم أشخاص معينين إلى رجـال حاشيته بعد أن سمع عن حيازتهم للوحات ثمينة قديمة . واتخذت ألواح أخرى صبغة علمية فكان منها ما تحدث عن مركبات الزجاج وأطلية الخـزف ، ووجـدت منـها جداول تتضمن بضع مئات من أسماء النباتات تتداخل بعضها فـى بعـض ، وعـبر بعضها عن خصائص هذا النبات وثماره واستعماله ، مثل نبات القنب الـذى اسـموه نبات الغزل ونبات الهموم نظرا لمفعوله المخدر الذى ينسى الهموم وتضمنت الألـواح تفاصيل عقاقير نباتية رتب كل منها باسم النبات ونوع المرض الذى يعالجه ثم طريـق تعاطيه ، فكان منها ما يقول : " العرقسـوس ، لعـلاج السـعال ، يـدق ويشـرب مختمرا " ، " والصبر دواء للصفراء ، يدق ويشرب " . وبلغ عدد الألواح الطينية فـى مكتبة آشور بانيبال ثلاثون ألف لوح .[1] وكان للملكين الآشـوريين آشـور أخـادين وآشور بانيبال دراية بهذه العقاقير والوصفات مما جعلهم يبدون اهتماما كبيرا بنشـاط أطبائهم ويرسلونهم خصيصا لعلاج أصدقائهم ثم يتلقون منهم تقـارير عنـهم وعـن طريقة علاج ذوى قرباهم بخاصة ، وكثيرا ما اختتمت نصـوص الألـواح بتحذيـر القارئ من سرقتها أو كسر نقوشها ، وإلا تعرض لنقمة المعبودات .

وانتفع الكتبة الآشوريون بأساليب المعـاجم القديمـة فـى بـابل وازدادت مفرداتها ومترادفاتها الأجنبية نتيجة لاتساع صـلات دولتـهم بجيرانـها وضمنوهـا مفردات خاتية وكاسية ومصرية وبعد أن كانوا يؤرخون نصوصهم فـى عصرهـم الآشورى الوسيط بأسماء الشهور : كيناته ، وسين ، والاناتو ، وشاسـاراته ، ومـا يشبهها من أسماء غريبة ، اصبحوا يذكرون شهورهم فى عصرهم الحديث بأسـماء : آبو ، وتشرينو (تشرين) وتموز (تموز) ونيسانو (نيسـان) وادارو واولولـو ، وهى نفس الأسماء المعروفة للشهور الآرامية الباقية حتى الآن ، مع تغييرات لفظيـة طفيفة .[2] وعثر على لوحتين من الطين المحروق فى العاصمة الآشورية " آشـور "

---

(١) د. شعبان خليفة : الكتابة العربية فى رحلة النشوء والارتقاء ، ص ١٥ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٥٤٥ ـ ٥٤٦ .

نقش عليها نص قانون آشورى يعود تاريخه إلى النصف الثانى من الألف الثانية قبل الميلاد .[١]

كشفت التنقيبات التى أجراها الألمان فى جزيرة فيلة عن العثور على إحدى عشرة لفة من البردى تحتوى أربع لفات منها على قصة " إحيقار " مدونة بالخط الآرامى ويعود تاريخها إلى القرن الخامس ق.م . وقد جاء فى هذه القصة أن إحيقار كان معاصرا لكل من سنحاريب وابنه أسرحدون وأنه أصبح شيخا فى زمن الملك اسرحدون فتبنى ابن أخت له يسمى نادين وأدبه ثم نصبه فى مكانه مستشارا عند الملك اسرحدون لكن ابن أخته تآمر عليه ووشى به عند الملك . فصدق الملك وشاية نادين وأمر بقتل الحكيم إحيقار . وعهد إلى ضابط يدعى نابو – شوم اشكون بتنفيذ ذلك . وتشاء الصدف أن يكون هذا الضابط هو ذاته الذى أنقذه إحيقار ذات مرة من الموت فى زمن الملك سنحاريب عندما أخفاه فى بيته إلى أن تبدد غضب الملك عليه وعفا عنه وأمر بإعادته إلى وظيفته ولذلك بادر الضابط إلى إنقاذ إحيقار من الموت فأمر اتباعه بعدم قتله . وسرعان ما أدرك الملك اسرحدون انه تعجل فى الحكم على إحيقار واتضح انه برئ من كل ما نسب إليه . ولهذا السبب فقد كان سرور الملك اسرخدون عظيما عندما علم من الضابط بأنه لم يقتل إحيقار وأنه ما زال حيا . أما لفات البردى السبع الأخرى فأنها تحتوى على مواعظ وإرشادات إحيقار التى أتخذ فيها من حكايات الحيوانات أمثلة يعزز بها حكمته .[٢]

---

(١) تتصف القوانين الأشورية عامة بشدة العقوبات التى نصت عليها هذه القوانين وموادها . وهى تتناول العلاقات العامة والعلاقات الأسرية ، راجع : د. توفيق سليمان : دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة ، ص ٣٢٢ – ٣٣٢ .

(٢) عن هذه القصة ، راجع : د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ٢٦٧ – ٢٦٨ .

تاسعا : العصر البابلى الأخير (المملكة الكلدانية ٦٢٦ – ٥٣٩ ق. م) : (١)

كان الكلدانيون (أو قبائل كالدو) فرعا من الآراميين ، ويمثلون آخر الموجات التى هاجرت من شبه الجزيرة العربية واستقرت فى منطقة الفرات الأوسط ، وكانوا يطمعون فى ضفاف بلاد النهرين منذ القرن الرابع عشر ق. م ، وشعرت بابل بخطورتهم على اقتصادياتها منذ القرن الثالث عشر ق. م . وتسلل الآراميون إلى أرض بابل فى أواخر عصرها الكاسى ، واستمر الآراميون فى توسعهم فامتدت قبائل كالدو فى جنوب العراق حتى الخليج العربى .(٢)

أسس الحكم البابلى الجديد الكلدانى نابو بولاصر (٦٢٦ – ٦٠٤ ق. م) : وكان يعمل قائدا فى الجيش الآشورى وحاكما على الأقاليم الجنوبية ، ثم عمل لحسابه فزحف على بابل وتولى عرشها .

وظلت الحروب قائمة بين بابل وآشور نحو ١١ عاما استطاع بعدها نابو بولاصر أن يستولى على نيبور وأن يحرر كل بلاد سومر من الآشوريين ، وتقابل نابو بولاصر ملك بابل الكلدانى مع كى إخسار ملك الميديين وارتبطا معا برباط الصداقة والسلام وتزوج ابن نابو بولاصر نابوخذ نصر من ابنة كى إخسار أميتس .

---

(١) قام د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، بالحديث عن " بابل الكلدانية أو العصر البابلى الأخير " فى ص ٥٤٢ – ٥٥٨ .

وبدأ حديثه بتمهيد عن الآراميين فى بابل ثم تحدث عن الفن ويقظة بابل وانهيار آشور والتوسع البابلى والفن والعمران فى بابل الكلدانية ثم الأفول أمام نهضة الفرس ثم انهى حديثه بخاتمة وانتهاء دور بابل فى التاريخ كدولة مستقلة فى عام ٥٣٩ ق. م .

(٢) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ١٠٣ – ١٠٦ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٨٤ – ٣٨٥ ؛ د. نبيلة عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٢٣٣ – ٢٣٨ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ – ٢٩٦ .

ومنذ ذلك الوقت ظل الاثنان يحاربان معا حتى تمكنا من إسقاط نينوى عاصمة آشور في عام ٦١٢ ق. م . ولم يهتم الميديون بامتلاك أجزاء من آشور واكتفوا بنصيبهم من الغنائم وحولوا أطماعهم إلى أرمينيا وآسيا الصغرى ، أما البابليون فقد امتلكوا أجزاء من آشور ولكنهم لم يحتلوها ، وبذلك انتهى دور الآشوريين من التاريخ بعد أن أثبتوا أنهم كانوا أقوى قوة عسكرية منظمة شهدها الشرق القديم حتى عصرهم وبعد أن ضربوا المثل في ضراوة القتال وأساليب العنف لجيرانهم من حكام إيران القديم ، لاسيما الميديين والفرس ، وبعد أن شتتوا جهودهم بتوسيع أملاكهم إلى آفاق بعيدة يصعب الاحتفاظ بها .

زادت صحوة البابليين الكلدانيين بعد القضاء على الغول الآشوري ، واستمروا في تقوية جبهتهم الداخلية وسيطروا على أواسط بلاد النهرين وجنوبها ، ورضوا مؤقتا بسيطرة الميديين على شمال العراق وأملاك الآشوريين في شرق دجلة . وبدأوا يعملون للسيطرة على بادية الشام وسوريا وفلسطين ، ولكن طموحهم أثار مخاوف مصر من عودة التنافس على الطرق التجارية في الشام ، فخرج الملك نكاو الثاني بجيشه إلى فلسطين وكسر شوكة مملكة يهوذا التي أرادت أن تنتصر في عهد يوشيا للقوة البابلية الجديدة ، وواصل طريقه إلى سوريا وأوقف مسيرة الجيش البابلي الجديد . ثم واصل طريقه نحو الفرات ولكن انتصاراته اسكرته وأخذه الزهو فعاد وتوقف بجيشه فترة طويلة في أرض سوريا العليا ، فكان توقفه فرصة سانحة اغتنمها البابليون بقيادة ولي العهد نابوخذ نصر لمهاجمة الجيش المصري . والتقى الجيشان في موقعة قرقميش عام ٦٠٥ أو ٦٠٤ ق. م . ونجحت القوات المصرية في وقف زحف القوات البابلية . وحاول المصريون أن يعيدوا الكرة لمهاجمة مصالح بابل في بلاد الشام عن طريق البحر . ولكن مشروعاتهم لم يكتب لها التوفيق .

نابوخذ نصر الثاني (٦٠٤ – ٥٦٢ ق. م) :

تولى العرش بعد وفاة والده نابو بولاصر وحكم لمدة ٤٣ عاما عرفت فيها البلاد فترة ازدهار ، وشهدت بابل في عهده نهضة فنية معمارية كبيرة ، فقد واصل نابوخذ نصر الثاني مشروعاته في الشام وسيطر على لبنان (لبنانو) وخلدت التوراة

حروب نابوخذ نصر مع مدينتين هما : أورشليم عاصمة يهوذا ، وصور الميناء الحصينة . فقد هاجم نابوخذ نصر أورشليم حوالى عام ٦٠٠ ق. م . فاستسلمت له بسهولة . وأعلن له حاكمها يهوياقيم الطاعة وصار تابعا له لمدة ثلاث سنوات على حد تعبير سفر الملوك ، ثم ثار عليه بعد ذلك وكون حلفا ضده ، فهاجمه نابوخذ نصر وانتصر عليه وأسر حاكم أورشليم وعدة آلاف من جنوده وأهل دويلته ، وكان فيهم ألف من الصناع وأمر نابوخذ نصر بنفى السرى جميعا إلى بابل وأطلق اليهود على هذا النفى اسم السبى الأول .

عين نابوخذ نصر " صدقيا " اليهودى واليا على أورشليم تحت إشرافه ، فظلت يهوذا خاضعة للبابليين أحد عشر عاما ، ثم ثارت عليهم ، فعاودت جيوش نابوخذ نصر مهاجمة أورشليم فى عام ٥٨٨ أو ٥٨٧ ق. م . وشددوا الحصار عليها ، ولكنها نجحت فى رفع هذا الحصار ، بعد أن تحركت الجيوش المصرية لمساعدتها . ثم عاودت الجيوش البابلية حصارها مرة أخرى ودخلتها عام ٥٨٦ أو ٥٨٥ ق. م . ودمرتها وأنها أحرقت هيكل سليمان المزعوم (؟) ونقلت خزائنه ، ونفت أربعين ألفا أو خمسين ألفا من أهلها إلى بابل . وهذا هو السبى الثانى . وتابعت جيوش نابوخذ نصر مهاجمة المدن الفينيقية والسورية وكانت أشد هذه المدن مقاومة لها مدينة صور التى ظلت على مقاومتها ثلاثة عشر عاما (٥٨٥ – ٥٧٣ ق. م) أبدت فيها من البسالة صورا كثيرة وساعدها على المقاومة سهولة اتصالها بالبحر المتوسط ، ثم رضيت فى نهاية الأمر بصلح اعترفت فيه بسيادة البابليين .(١)

---

(١) قامت حياة إبراهيم بتأليف كتابا عن :

" نبوخذ نصر الثانى (٦٠٤ – ٥٦٢ ق. م) " نشرته وزارة الثقافة والإعلام ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ١٣٩ . ويتكون هذا المؤلف من أربعة فصول :

تناولت فى الفصل الأول (ص ١٩ – ٣٢) مصادر البحث : وتشمل المصادر الرئيسية : الكتابات التاريخية المسمارية ؛ المدونات البنائية ؛ النصوص ==

وإذا نظرنا إلى إنجازات نابوخذ نصر الثانى المعمارية فى بابل فنجد أنها ملفتة للنظر نظرا لضامتها وفخامتها وتعددها . ونجد أنها لم تقتصر على العمارة

= القضائية ؛ النصوص الإدارية ؛ نتائج التنقيبات الأثرية ؛ المصادر الثانوية وتشمل المصادر اليهودية : كتابات العهد القديم ، الكتابات الربانية ، الكتابات الكلاسيكية : الكتابات اليونانية والرومانية ، كتابات المؤرخين العرب .

وفى الفصل الثانى (ص ٣٢) تحدثت عن تأسيس السلالة الأكدية : وفى المبحث الأول (ص ٣٢ – ٤٢) تحدثت عن الكلدانيين ، وفى المبحث الثانى (ص ٤٣ – ٤٥) تحدثت عن استعادة بابل لاستقلالها السياسى وتحديها للدولة الآشورية . وفى المبحث الثالث (ص ٤٦ – ٥٢) تحدثت عن سقوط آشور ونينوى .

وفي الفصل الثالث (ص ٥٣) تحدثت عن عصر نابوخذ نصر الثانى . وفى المبحث الأول (ص ٥٣ – ٥٤) تحدثت عن اسم الملك ومدلوله . وفى المبحث الثانى (ص ٥٥ – ٥٨) تحدثت عن نسبه ووضعه العائلى . وفى المبحث الثالث (ص ٥٩ – ٦١) تحدثت عن توليه لعرش بابل .

وفي الفصل الرابع (ص ٦٢) تحدثت عن نابوخذ نصر ملكا . وفى المبحث الأول (ص ٦٢ – ٨٣) تناولت الحملات العسكرية للملك وسبى بابل . وفى المبحث الثانى (ص ٨٤ – ٩٤) تناولت الإدارة فى عهد نابوخذ نصر وعن مركز الإدارة البابلية ، ودور المعبد فى الإدارة البابلية . وفى المبحث الثالث (ص ٩٥ – ١١٠) تناولت الحركة العمرانية فى بابل ، مدينة بابل وأبرز معالمها المعمارية ، نماذج من أبنية نابوخذ نصر فى بابل : القصر الجنوبى وتخطيطه ، القصر الصيفى ، أسوار بابل وتحصيناتها ، بوابة عشتار ، شارع الموكب ، معبد ماردوك ، صرح الزاقورة اى – اتمن – ان – كى .

وأنهت المؤلفة كتابها بعدة استنتاجات (فى ص ١١١ – ١١٣) وخلاصة للبحث (فى ص ١١٤ – ١١٥) والمخطوطات والخرائط (فى ص ١١٦ – ١٣٤) وأخيرا المصادر العربية والأجنبية (فى ص ١٣٥ – ١٣٩) .

الدنيوية (قصور وتحصينات وشوارع وبوابات) بل شملت العمارة الدينية المتمثلة في معبد ماردوك وملحقاته وزاقورة اى – اتمن – أن – كى .

القصر الجنوبي :

يمثل موقع القصر مركز المدينة ، وتبلغ مساحته ٥١ ألف متر مربع وقامت بالحفر في موقعه بعثة ألمانية برئاسة كولدوى فى عام ١٨٩٩ واختتمها فى عام ١٩١٧ ثم بدأت المؤسسة العامة للآثار فى العراق بالعمل فيه وصيانة بعض أجزائه المهمة فى الجانب الشرقى منه.[١] عاش نابوخذ نصر فى هذا القصر أثناء حياة والده نابو بولاصر الذى شيده باللبن على أساس من الآجر ويبدو أنه كان متواضعا قياسا لما أضاف له ووسع فيه نابوخذ نصر من بعده . ويحتوى القصر على ما يقرب من ٢٠٠ مرفق وخمس ساحات كبيرة ويحيط بكل ساحة عدد من الغرف المختلفة الحجم والوظيفة .

وتحتوى بوابة القصر على صالة للمدخل مع غرف على الجانبين وهى أماكن كانت مخصصة لإقامة حرس القصر ، وتؤدى بوابة المدخل إلى الساحة الشرقية مباشرة التى تحيط بها مجموعة من الغرف المتداخلة من الناحيتين الشمالية والجنوبية . ويتم الوصول إليها بواسطة ممرات يفصل فيما بينها ويرجح أن يكون هذا الجزء من القصر كان مخصصا لعقد محكمة حيث تم العثور فى أنقاضه على مجموعة من الألواح الطينية التى تعالج موضوعات الأحكام والعقود القانونية .[٢]

وتعد قاعة العرش من أهم أقسام القصر وتقع إلى الجنوب مباشرة من الساحة الوسطى الكبيرة ، ويبلغ طولها ٥٢ مترا وعرضها ١٧ مترا . تمكن خبراء

---

(١) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٩٩ – ١٠٢ . انظر أيضا خارطة رقم ٥ لمدينة بابل بأسوارها وتحصيناتها وقلاعها ومعابدها .

(٢) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

الترميم فى متحف برلين (الشرقية سابقا) من إعادة تجميع واجهة قاعة العرش التى كانت مكسوة بطبقة من الآجر الملون المزجج بارتفاع ١٢,٤ مترا . وتعد هذه الواجهة من أعظم تكوينات الآجر المغطى بالمينا فى العصر البابلى الأخير ، يتوسط الواجهة مجموعة من النخيل يحيط بها افريز من الزخارف الهندسية والنباتية .[١] أما القسم الخاص بحريم القصر الملكى فإنه يقع فى الجهة الغربية من القصر .

لقد ترك نابوخذ نصر وصفا لقصره فيقول :

" ... أنا وضعت اساساته الصلبة ، ورفعته بالقار والآجر بعلو الجبل ، وأنا أمرت بجلب الأرز العظيم ليمتد على طوله لأجل سقوفه ، ووضعت فى أبوابه المصاريع من الأرز المغطى بالنحاس ، والمداخل والمخارج من البرونز ، وجمعت فيه الفضة والذهب والأحجار النادرة ، وكل ما يصبو إليه الخيال من الأشياء الثمينة ، وخزنت ثروة طائلة من الكنوز الملكية فيه " .[٢]

ويوجد جدار يمثل هذه النقوش الزخرفية الجميلة من قاعة العرش معروض بمتحف برلين .[٣]

القصر الصيفى :

يقع شمالى بابل عند النهاية الشمالية الشرقية لسور المدينة الخارجى ويعرفه أهالى المدينة بتل بابل وأطلق عليه المنقبون الألمان القصر الصيفى . وهو مربع الشكل ويبلغ طول ضلعه ٢٥٠ مترا وهو مشيد على مصطبة عالية تعلو عن الأرض المجاورة والشارع العام بحوالى ١٨ مترا ونتيجة للتخريب الذى أصاب القصر

---

(١) د. سيد توفيق : تاريخ الفن فى الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، دار النهضة العربية ١٩٨٧، ص ٣٨٤ – ٣٨٥ صورة ٢٤٩ .

(٢) ترجمة حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٣) ، Parrot, Assur, p. 177 Fig. 224.

فى الفترات اللاحقة فإنه من الصعب إعطاء صورة تفصيلية عن مرافق وملحقاته .[١]

ومن نقوش نابوخذ نصر نجد أنه يصف هذا القصر بأن الغرض منه جعلـه قلعة أو حصن لحماية بابل من جهة الشمال . فيذكر لنا " أوعز لـى قلبـى أن ابنـى قصرا لحماية بابل . فبنيت قصرا من الآجر والجص " .[٢]

أسوار بابل وتحصيناتها :

التى تقع أطلالها على بعد حوالى مائة كيلو متر إلى الجنوب من بغداد . بلغت مدينـة بابل أوج مجدها واتساعها فى عهد نابوخذ نصر فتقدر مساحتها بعشرة ملايين مـتر مربع.[٣] فقد أحيطت المدينة بسورين كبيرين لحمايتها ، خـارجى وداخلـى. ويبلـغ محيط <u>السور الخارجي</u> حوالى ١٨ – ٢٠ كم يتكون من ثلاثة أجزاء يلى كـل جـزء الجزء الذى بعده ، فقد شيد الجدار الأول من اللبن ويبلغ سـمكه ٧ أمتـار ، وشـيد الجدار الثانى من الآجر وسمكه ٧,٨ متر ، أما الجدار الثالث فقد بنى بـالآجر أيضـا ويبلغ سمكه ٣,٣٠ متر .

أما <u>السور الداخلي</u> فيبلغ طوله ٨ كم ويتألف من جدارين الأول مـن داخـل المدينة ومشيد من اللبن والآجر ويبلغ عرضه ٦,٥٢ متر والثانى عرضه ٣,٧٢ مـتر ومشيد من اللبن أيضا .

وأبرز ما يميز هذا السور الداخلى فهى البوابـات الثمانيـة التـى تؤدى إلى داخل المدينة عبر شوارع مستقيمة حملت نفس اسم تلـك البوابـات التـى اتخذت سبع منها أسماء الآلهة البابلية : ففى وسط الجدار الشمالى نجد تحفة نابوخذ

---

(١) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .
(٢) ترجمة حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٠٣ ، راجع مخطـط رقـم (٧) للقصر الصيفى .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٣ – ١٠٤ .

نصر المعمارية " بوابة عشتار " وإلى جانبها بوابة الإله سين . وفى الجدار الشـــرقى بوابة الإله ماردوك وزبابا وفى الجنوب بوابة اوراث وشمش ، وأخيرا باتجاه الغـوب بوابة الإله اداد .[١]

بـوابـة عشتار :

تعد هى البوابة الرئيسية لسور المدينة الداخلى وهى مدخـــل المدينـــة مـــن ناحيتها الشمالية . ويعود تاريخ بناء البوابة إلى فترة سابقة لعصر نابوخذ نصر ، وقـد أعيد بناؤها فى عهده بحيث أصبحت أكثر اتقانا وإحكاما . وترك لنا نـــابوخذ نصـــر وصفا دقيقا لإعادة بناءه لهذه البوابة حيث يذكر كيف زينها بالثيران والتنين المصقـول المطلى ووضع أبوابها بعد أن غطاها بالنحاس وثبت فيـــها مغـــاليق ومفـــاصل مـــن البرونز .[٢]

كانت بوابة عشتار ، قبل نابوخذ نصر ، عبارة عن هيكل ضخم من الآجـــر مزدان بصفوف من الحيوانات البارزة التى تمثل الثور والتنين دون استخدام أية زينـــة أو تلوين ولكن عندما شيد نابوخذ نصر السور الخارجى للمدينة أصبحت بوابة عشتار تقف فى الخط الثانى للدفاع . ويكشف لنا مخطط هذه البوابة عن بوابة مزدوجة تتألف من بوابتين الواحدة خلف الأخرى ولكل منها باب خارجى وآخر داخلـــــى ، يوصـــل بينهما جدار قصير يجعل منهما وحدة بنائية واحدة . ويوجد فى مدخل بناء كل بوابـــة منهما برجان بارزان زينا شأنهما شأن الواجهة كلها والممــــر الرئيســـى والواجهـــة الجنوبية الشرقية المواجهة للمدينة بحيوانات صفت فى صفوف أفقية تبدو فيها الثيران

---

(١) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٤ – ١٠٦ ، انظر مخطط رقـــم (٨) يوضــح بوابـــة عشتار والجزء الشمالى من شارع الموكب وأجزاء من بوابة عشتار ؛ وأيضـــا نجد عند د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديـــم ، بعـــد ص ١٢١ رسم تخيلى لبوابة عشتار .Parrot, Assur, p. 174- 175 Fig. 221-222

والتنين لكل من يدخل المدينة وكأنها تتقدم لاستقباله وتحذيره فى الوقت نفســـه وتــم حصر عدد هذه الحيوانات التى تزين البوابة وملحقاتها فبلغت حوالى ٥٧٥ تنينا برأس أفعى وثورا و ١٢٠ أسدا وكان التنين يرمز إلى المعبود ماردوك والثور يرمز إلـــى اداد . وقد وضعت هذه الحيوانات بالتناوب فى ثلاثة عشر صفا .[١] لا يزال موجــود منها فقط على البوابة حوالى ١٥٢ نقلت إلى متحف برلين .[٢] فقد اســـتطاع خـــبراء متحف برلين (الشرقية سابقا) من إعادة تركيبها .

تحدث د. سيد توفيق عن تاريخ الفن فى العصر البابلى المتأخر مـــن عـــام ٦٢٦ إلى ٥٣٩ ق. م ، فتحدث عن فن النقش على اللوحات وعلى الأختام الأسطوانية والنحت والتصوير والزخرفة ومنها ما اصطلح على تسميته بوابة عشتار .[٣]

شارع الموكب :

يعد شارع الموكب ، الشارع الرئيسى لمدينة بابل والطريق المقدس الذى يربط المدينة ببيت الاحتفالات الدينية المعروف باسم " بيت اكيتو " ويخترق شارع الموكب بوابـــة عشتار فى اتجاه الجنوب . ويبلغ طول الشارع ابتداء من بوابة عشتار حتى باب سور زاقورة إى – تمن – آن – كى ومعبد ماردوك حوالى ٧١٠ مترا . أما اتساع الشارع فيتراوح ما بين ١٠ و٢٠ مترا . ولقد رصف الشارع استنادا للنصوص المســـمارية بنوعين من الحجارة البركانية التى يميل لونها إلى الاحمرار واللون الكلسى .[٤]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعـــة ١٩٧٦ ، ص ٥٥٢ – ٥٥٤ ، ص ٥٨٨ شكل ٦٠ ؛ د. سيد توفيق : تاريخ الفن فى الشرق الأدنـــى القديـــم : مصر والعراق، دار النهضة العربية ١٩٨٧، ص ٣٨٥ – ٣٨٦ صـــور ٢٥٠ – ٢٥٢ .

(٢) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٣) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٨١ – ٣٨٦ .

(٤) حياة إبراهيم : المرجع السابق، ص ١٠٦- ١٠٧؛ Parrot, Assur, p.172 Fig. 220.

معبد ماردوك :

وهو يعد المعبد الرئيسى فى المدينة الذى أضيفت إليه زاقورة بابل إى – تمن – آن – كى . وهو مربع الشكل يبلغ طول واجهته الشمالية حوالى ٧٩,٣ مترا ويبلغ طول واجهته الغربية ٨٥,٨ مترا . وزود الجدار الخارجى بأبراج وأربعة مداخل فى وسط كل جانب من جوانبه الأربعة . ويرجح أن تكون البوابة الشرقية هى البوابة الرئيسية التى تنفتح على الفناء الداخلى . وتحيط بهذا الفناء مجموعة من الغرف ويقع قدس الأقداس الخاص بالمعبود ماردوك على الجانب الغربى .(١)

زاقورة إى تمن آن كى :

تمثلت أهم عمائر ومعالم بابل الكلدانية فى تجديد زاقورة إى – اتمن – آن – كى أى البرج البابلى المدرج أو البرج كما سماها الإغريق والعبرانيون والإغريق والمسلمون وحدائق مدرجاتها التى اشتهرت خطأ باسم الحدائق المعلقة . وخصصت هذه الزاقورة لمعبد المعبود ماردوك أساسا ، المعبود البابلى القديم . فإلى الشمال من معبد ماردوك ترتفع زاقورة بابل المعروفة عند البابليين باسم إى – تمن – آن – كى أى بمعنى " بيت أسس السماء والأرض " وتقع الزاقورة فى نطاق المعبد المقدس ، وكانت محاطة بسور يمتد حولها وتعلوه أبراج كثيرة .(٢)

كان بعض الباحثين قد أشار إلى وجود هذه الزاقورة قبل الكشف عن أساساتها وأنها هى التى جاء ذكرها فى سفر التكوين باسم " برج بابل " . فهل هذا يعنى أنها كانت موجودة منذ أقدم العصور أى منذ العصر السومرى أو الأكدى ؟ ولم

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٨ – ١١٠ .

تكن بمثل هذه الضخامة التى أصبحت عليها فيما بعد ، ففى عهد الملك شولوجى من عصر الأحياء السومرى جاء ذكر معبد المعبود ماردوك دون أية إشارة إلى وجود زاقورة (أو برج) ملحقة به مما يدل على صغر حجمها فى ذلك العهد . ولكن أعيد تشييدها وأضيف إليها بعد ذلك فى العصر البابلى الأول ربما فى عصر الملك حمورابى ويعتقد أنها دمرت خلال الهجوم الحيثى على بابل فى حوالى ١٥٣٠ ق. م . وأيضا عندما غزا الملك الاشورى توكلتى نينورتا الأول مدينة بابل ، وأما الدمار الشامل التى تعرضت له بابل وآثارها فقد كان على يد جيش الملك الآشورى سنحاريب . وبعد وفاته بدأ خليفته ابنه اسرحدون بإعادة بناء إى - تمن - آن - كى من جديد ، وذلك على نفس المكان الذى كان يقوم عليه أصلا ولكن وفاة اسرحدون حالت دون إتمام هذه العملية لذلك أنجزها ابنه آشور بانيبال . وقد جاء ذكر هذا البرج تحت التسمية إى - تمن - آن - كى فى النصوص الآشورية ويذكر الملك الكلدانى نابو بولاصر مؤسس الأسرة ، فى نصوصه أنه أعاد بناء البرج ، وأكدت نصوصه ومناظره أنه استفتى وحى الأرباب فى تخطيطها القديم واشترك مع ولديه فى وضع أساسها ، فحمل أدوات البناء فوق رأسه ، وحمل ولى عهده طين اللبنة الأولى ، ورفع ولده الآخر معولا ومجرفا .(١)

ويرى البعض الآخر أن تاريخ بناء زاقورة بابل يعود إلى أواخر الألف الثانية ق. م . وهناك نقش يشير إلى وجود هذا البناء قبل عصرى نابو بولاصر ونابوخذ نصر . ونتيجة لتداعى بناء الزاقورة فى زمن نابو بولاصر عمل الملك على

---

(١) د. توفيق سليمان : أسطورة النظرية السامية ، الجزء الأول " دلالتها وتطويرها - حقيقتها فى التوراة - أسباب وضعها " ، بيروت ، دار دمشق ١٩٨٢ ، ص ١٧٥ - ١٧٩ .

تحدث المؤلف بإسهاب فى هذه الصفحات عن أعمال التنقيب التى حدثت فى مدينة بابل وذلك بسبب ما ذكره رواة سفر التكوين عن المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يشيدونهما .

إعادة بنائها ولكنه لم يتمكن من إكمالها ، حيث لم يرتفع بناؤها فى عصره إلا أكثر من خمسة عشر مترا .

ويصف لنا نابوخذ نصر عملية الإشراف على استكمال بناء الزاقورة قائلا :

" ... إى – تمن – آن – كى ، البرج المدرج لمدينة بابل ، الذى قام بتنظيف موقعه نابو بولاصر ، ملك بابل والذى .... وضع حجر أساسه ، وجدرانه الخارجية الأربعة ... ولكنه لم يقم بتعلية قمته لجعل إى – تمن – آن – كى عاليا وجعل قمته تتنافس وعلو السماء ، والأقوام الساكنة فى أقاصى البلاد والتى بسط حكمى عليها ماردوك سيدى والمنتصر إله السماء ، جميع الأقطار وجميع الشعوب من البحر الأعلى إلى البحر الأسفل والأقطار البعيدة ... قد دعوتها للمساهمة ".[1]

ويلغ هذا البناء قمة كماله فى عهد نابوخذ نصر ، ويؤكد ذلك مقاييس الطوب الذى كشف عنه معول المنقب كولدوى . ونستدل من نص نابوخذ نصر أن أباه لم ينجز من البرج سوى خمسة عشر مترا من علو البرج الكلى الذى يقارب أحد وتسعين مترا . وأن نابوخذ نصر جلب عمال وصناع من مناطق عديدة وجندها لبناء هذه الزاقورة .

وكشفت أعمال البعثة الألمانية برئاسة كولدوى فى بقايا الزاقورة عام ١٩١٣ عن الأساسات والأجزاء السفلى منها . أى القاعدة السفلى سرق معظم أجزاؤها وكذلك السلالم الثلاثة الواقعة فى الجانب الجنوبى من البرج . فالسلم الأوسط وعرضه ٩,٣٥ متر كان يؤدى إلى وسط البرج ويهئ مدخلا للطابق الأول منه وطوله نحو ٦٠ مترا . أما السلمان الجانبيان وعرض كل منهما ٨,٣٠ متر ، يلتقيان فى وسط الحافة العليا للطبقة السفلى .

أما الوصف الذى أورده هيرودوت فيتلخص فى الحديث عن برج شاهق يتكون من سبعة طبقات إضافة إلى المعبد العلوى فى قمة البرج . وهناك لوحة مسمارية من الفترة السلوقية (٢٢٩ ق. م) تعرف باسم " آنو – بيل – شونو "

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

تعطينا قياسات لارتفاعات قواعد أو طبقات البرج وما بقى منه في هذه الفترة . ويقص علينا الجغرافي سترابون الذى زار آثار بابل فى عام ٢٥ ميلادية إن إعداد الأرض وتمهيدها لبناء هذه الزاقورة كان يستلزم جهود عشرة آلاف عامل لمدة شهرين أو أكثر . وفى أطراف سور المسطحات زرعت الزهور ولذلك أصبحت تشبه الحدائق المعلقة للناظر إليها من بعيد ، وكانت تروى بواسطة آلات رافعة . وكانت تخوم البرج محاطة بسور يمتد حولها ، وعلى الجانب الداخلى من السور وعلى طول امتداده توجد أبنية مكرسة لعبادة إله المدينة . أما البنايات الواقعة فى الجانب الشمالى الشرقى وضمن تخوم الزاقورة فإنها على ما يبدو ليست معابد ولكنها غرف استخدمت كمخازن . أما الأبنية الواقعة على الجانب الجنوبى فإنها قريبة إلى مساكن ربما كانت مكان لإقامة الكهنة . أما الغرف الصغيرة الواقعة على امتداد أسوار الفناء الشمالى والغربى فهى على الأغلب كانت تستخدم لإيواء آلاف الزوار الذين يأتون لزيارة المعبد الرئيسى .(١)

وخدمت زاقورة بابل أربعة معابد أخرى كبيرة ، كان منها معبد " نين ماخ " ربة الخصب ، وهى معابد أخذت فى تخطيطها وقواعد تماثيلها بالأسلوب الأكدى القديم دون الأسلوب الآشورى .(٢) كما احتفظت أجيال الرواة العبرانيين والمسلمين بصورة أسطورية عن هذه الزاقورة .

ومن حيث الواقع لم يتبق من هذه الزاقورة غير أطلال لثلاث مدرجات (من أصل ثمانية) تؤدى إلى مسطحها الأول من ناحية الجنوب . وقد شيدت من الطوب اللبن وكسيت بالآجر ، وشكلت فى واجهاتها كلها مشكاوات رأسية متعاقبة ، وأنها توسطت فناء سورا عظيم الاتساع (٦٦٧ × ٣٦٥ مترا) ، ويقع المدخل الرئيسى لسوره من ناحية الشرق . ويرى علماء الآثار بعد الأخذ بما ذكره هيرودوت

---

(١) انظر مخطط رقم (٩) لزاقورة بابل ومعبد ماردوك فى مؤلف حياة إبراهيم، السابق ذكره

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٥٥٢ .

وغيره من المؤرخين من أن كل مسطح من المسطحات المتعاقبة للزاقورة قد لون بلون مختلف عن اللون الآخر ، ومن الألوان التى اقترحوها لها أو لمسطحاتها على التتابع ألوان :

الأبيض ، الأسود ، البنفسجى ، الأزرق ، البرتقالى ، القرمزى ، الفضى والذهبى .[١]

وكان طول ضلع مسطحها الأول يبلغ حوالى ١٨٣ مترا ، بينما بلغ طول ضلع مسطحها الثانى نحو ١٠٦ مترا . وتضمن عدة مقاصير لكبار أرباب بابل والمدن المجاورة مثل ماردوك ونابو وايا وآنو وسين وتاشتمتوم ونوسكو ، وعدة حجرات لكنوز الزاقورة .[٢]

وكان يصل بين الزاقورة ومعبد ماردوك طريق للمواكب ارتفعت أرضيته عن مستوى أرضية المدينة ورصفت باللبن المكسو بالقار ثم غطيت ببلاطات متسعة من الحجر الجيرى وحفت بها مربعات صغيرة من قطع الرخام الأحمر (البرشيا) . وكان يحف بالطريق جدران وتطل على جانبيه أبراج متباعدة ويبدو أن بعض واجهات جدارنه كسيت بأفريز من الآجر الملون ونقشت نقشا بارزا يمثل الكائنات الحارسة وبخاصة الأسود .[٣]

وقد قام بهدم هذه الزاقورة التى اعتبرت ضمن عجائب الدنيا السبع القديمة الملك الفارسى اكسركسيس الأول فى القرن الخامس ق. م.[٤] وقد حاول الإسكندر الأكبر إعادة بناءها مرة أخرى ولكنه عدل عن ذلك لضخامة أصل البناء .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥٣ .
(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٥٥٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٥٣ .
(٤) المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٥٥٣ ؛ د. نبيلة عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ ؛ وراجع أيضا فيما سبق ص ٩١ .

كما استخدم أهل المنطقة معظم لبناتها الباقية فى مبانيهم الحديثة .

نابونهيد :

كانت انطلاقة بابل الكلدانية أشبه بصحوة الموت بالنسبة لتاريخ العراق القديم فلم تستمر النهضة بعد نابوخذ نصر طويلا ، وتعاقب ثلاثة ملوك من أسرته على العرش فى مدى سبع سنوات ملؤها العنف والنزاعات الداخلية ، ثم انتقل الحكم منها إلى نابونهيد ، الذى كان من أسرة يؤيدها الكهنة ، فقد تدخل الكهنة أكثر من مرة فى شئون الحكم ، وفى هذه الفترة بدأ نجم الملك قورش الفارسى فى الظهور ، فحاول نابونهيد التظاهر بمناصرة قورش ضد الميديين حلفاء بابل بالأمس . وكان يهدف من وراء ذلك إلى تخليص مدينة حران الآشورية من سلطانهم لحسابه ، ونجح فى استعادتها فعلا وجدد معبدها . ثم تمادى فى الثقة بنفسه فغزا شمال سوريا حتى وصل حماة وجبال آمانوس . وغزا جنوبها حتى أدوم وغزة ولأمر ما أناب نابونهيد عنه على عرش بابل ولده بال شار أوصر .

وفى عام ٥٤٥ ق. م . صحت عزيمة الملك الفارسى قورش وبدأ فى تنفيذ مشروعه لغزو الهلال الخصيب كله . وهنا حاول نابونهيد أن يجمع الأحلاف حوله ، وخشى الآخرون من بطش الفرس العتاه ، ولم يستطيعوا الوقوف أمام الفرس ، ودخل قورش بجيوشه بابل وادعى فى نصوصه أنها فتحت أبوابها له ورحبت به ملكا .(١)

---

(١) يبدو أن الاستيلاء على بابل كان أمرا فى غاية الصعوبة ، لأن استحكامات برج بابل وأسوار المدينة ومناعتها كان أمرا معروفا ، وعلى الرغم من ذلك كله فقد توجه قورش للاستيلاء عليها ، وعبر الجيش الفارسى نهر دجلة فى ربيع عام ٥٣٩ ق. م. وكتب المؤرخون أ، ارتفاع سور المدينة كان يبلغ ثمانين ذراعا وأن قطره كان خمسة وعشرين ذراعا ، وكان على هذا السور خمسين برجا للمراقبة ، ومزود ببوابات من البرونز ، راجع حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم من البداية حتى عصر الساسنى (ترجمة د. محمد نور الدين عبد المنعم ود. السباعى محمد السباعى) ، ص ٨٢ وحاشية (٢) .

وهكذا انتهى دوربابل فى التاريخ القديم كدولة مستقلة فى عام ٥٣٩ ق. م . كما انتهى قبلها دور آشور بعد عام ٦١٢ ق. م . ولكن زوال دورهما السياسى لم يستتبعه إطلاقا زوال تأثيرهما الحضارى فى الشرق الأدنى القديم .

وبقيت بلاد النهرين تحت الحكم الفارسى إلى أن جاء الإسكندر المقدونى واستولى على بابل عام ٣٣١ ق. م . ثم استطاع الفرس بعد فترة طرد حلفاء الإسكندر من بلادهم وبلاد النهرين ، وفى هذا الوقت دخلت إلى أواسط بلاد النهرين موجه من اللخميين العرب ، ومنهم المناذرة الذين كانوا فى كثير من الأحيان عونا للفرس الساسانيين ضد الرومان .

أرسل سيدنا أبو بكر جيش المسلمين لغزو بلاد الفرس ، فبدأ بجنوب العراق وكان قائد الجيش خالد بن الوليد الذى تقابل مع هرمز الذى أعد جيشا كبيرا واشتبك مع المسلمين فى معركة انتهت بمقتله وهزيمة الفرس . وتوالت الانتصارات التى حققها خالد بن الوليد فى جنوب العراق ، فسيطر خلال المدة التى مكثها فى العراق ، قرابة سنة ، على أجزاء واسعة منه ، وصالح بعض القبائل ، وقبل منها الجزية .

العراق القديم وعلاقاته الخارجية :

منذ أيام الأسرات السومرية – تعرضت مدينة أور لهجوم القبائل العيلامية من إيران ، وفى عصر الأسرات السامية – تعرضت عيلام للهجوم عليها وعلى عاصمتها سوس من قبل الملك سرجون الأول . ووصول نفس الملك إلى آسيا الصغرى وسيطرته على جزء كبير من الأناضول ويقال أنه وصل جزيرة قبرص ويبدو أنه واصل أطماعه حتى جزر البحرين ، وأقام المنشآت فى شرق شبه الجزيرة العربية .[١]

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٥٤ – ٥٥ ؛ وأيضا :
Contenau, op. cit., p. 92.

وفى اسرة لجش الثانية التى كانت معاصرة لأورنمو مؤسس اسرة أور الثالثة – تولى جوديا حاكم لجش وقام بتشجيع التجارة مع كثير من أقطار الشرق الأدنى القديم مثل عيلام وسوريا والأناضول .[١]

وفى نهاية أسرة أور الثالثة (عاد النفوذ السومرى مرة أخرى) ونجح العيلاميون فى هزيمة آخر ملوك هذهالأسرة ونفيه إلى عيلام ودمروا أور .[٢]

* وعند قيام دولة بابل الأولى تقابل حمورابى مع ملك لارسا ريم سين فى حرب قاسية وانتصر عليه ثم تقدم إلى مارى واستولى عليها .

وتمكن الحيثيون فى نهاية الأسرة البابلية الأولى من القضاء عليها . وبعد أن قضى الحيثيون على مملكة بابل وجد الكاسيون الفرصة سانحة لإخضاع بابل لسلطانهم . واستطاع أولام – بوريلش ملك الكاسيين من أن يهزم ملك أرض البحر ويقضى على مملكة بابل الثانية .[١]

وتم القضاء على الأسرة الكاسية بواسطة ملك العيلاميين شورتورك – ناخونتا أثناء العهد الآشورى الوسيط .

وفى أثناء العهد الآشورى الحديث الذى قامت فيه الإمبراطورية الآشورية الأولى ، تولى شالمانصر الثالث الذى قام بحملات فى سوريا وفلسطين وقضى على أحلاف الأراميين والعبرانيين فى قارقار . وفى عصر الملك تيجلات بلاصر الثالث بدأ ملوك آشور يتدخلون علانية وأكثر من مرة فى شئون سوريا العليا وخاصة فى

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٦٠ – ٣٦١ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٤٤٦ – ٤٥٢ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ – ٣٦٣ ؛ وأيضا :

Contenau, op. cit., p. 92.

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٧٩ – ٤٩٣ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٦٩ ؛ وأيضا :

Contenau, op. cit., p. 98.

شئون مملكة سامال

وفى عصر الإمبراطورية الآشورية الثانية تدخل الملك شالما نصر الخامس فى شئون فلسطين وحاصر السامرة . وتولى سرجون الثانى وقام بإعادة الاستقرار فى فلسطين والاستيلاء على السامرة التى مهدت له السيطرة على سوريا العليا وفلسطين . وتولى سنحاريب الحكم والتدخل مرة ثالثة فى شئون الولايات السورية والفلسطينية . واستطاع سنحاريب القضاء على التحالف هناك . ثم حارب عيلام فى موقعة هالولى ، ثم حاصر أورشليم وأخضعها . وتولى الملك أسرحدون الذى وضع خطته لغزو مصر والحد من قيام الثورات على فلسطين فاتجه إلى الشاطئ الفينيقى وقضى على صيدا ودخل حدود مصر عن طريق شرق الدلتا .

وفى عهد الملك اشور اتل ايلانى شن أحد الملوك الميدين هجوما على آشور فصده الجيش الآشورى . واستطاع أخيرا الملك كى اخسار ملك الميديين أن يستولى على شمال العراق واتفق مع ملك بابل وهاجما معا عاصمة آشور فسقطت فى أيديهم بعد حروب عنيفة . ولم يهتم الميديون بامتلاك آشور واكتفوا بنصيبهم من الغنائم وقيام العهد البابلى الجديد (المملكة الكلدانية) وتولى نابوخذ نصر الثانى وتدخله فى شئون فلسطين وأسره للحاكم اليهودى سدسياس مع الكثير من سكان مملكة يهوذا واحتلت أورشليم وخربت بأكملها .[١]

العراق القديم وعلاقته بمصر :

ترجع علاقات مصر مع العراق إلى عصور ما قبل الأسرات ، فقد كان هناك تشابه كبير فى فن كل من البلدين ، تشابه فى العمارة (المقابر) والأختام الأسطوانية وخاصة فى تمثيل الحيوانات بأسلوب ضخم وأسطورى أحيانا وأكثر وضوحا بحيث نلمس أن بعض الأشخاص كان لهم نفس الزى ويسكنون نفس

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٧٦ - ٣٨٥ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٥٠٨ - ٥١٤ ؛ وايضا :
Contenau, op. cit., p 114 – 117

المساكن . وبوجه عام كان هناك تطور متشابه ومتعاصر فى كلتا الحضارتين ، وبعد هذه الفترة يبدو أن الاتصال قد توقف قليلا لفترة ما وانطوت مصر على نفسها ويبدو أنها اكتفت بالعلاقات التجارية .[١] كان ملوك بابل وآشور خلال الدولة الحديثة يتبادلون المراسلات المطولة مع ملوك مصر ، ولكن يبدو أن الأمر لم يتعد فى كل هذه المراسلات سوى الأدب الدبلوماسي فقط . ونلاحظ من جهة أخرى أن أجناس هذه الإمبراطوريات البعيدة ظلت غريبة على الشعب المصرى ، ولم يحدث أن ظهرت على الآثار المصرية أشكال أو تماثيل للبابليين ، وأطلق المصريون على نهر الفرات الاسم الشائع ماء نهارين أو " النهر الذى تجرى مياهه على عكس مجرى نهر النيل " أى المياه المنعكسة .[١] ونعلم أيضا أن تحوتمس الأول ، قد أقام لوحات الحدود على نهر الفرات ، وهى جزء من السياسة أو العلاقات ذات الطابع العسكرى ووصل تحوتمس الثالث إلى نهر الفرات .[٢]

وكان هناك نوع آخر من العلاقات الدبلوماسية وهى علاقات المصاهرة فنجد أن الملك تحوتمس الرابع تزوج من أميرة ميتانية هى موت أم ويا ، وقد أعطى لها هذا الاسم عند وصولها إلى مصر . وكانت مملكة ميتانى دولة متحضرة يحكمها أمير يسمى إرتاتاما وكان نهر الفرات يفصل هذه المملكة عن ممتلكات الملك المصرى فى آسيا ، وقد رأى تحوتمس أنه من الأفضل عقد معاهدة مع ارتاتاما وتقوية هذه العلاقة بالزواج حتى لا تتعرض مناطق نفوذه البعيدة فى آسيا لأى هجوم أو متاعب ، وتزوج أمنحتب الثالث من الأميرة الميتانية " جيلوهيبا " ابنة الملك شوتارنا التى وصلت إلى مصر ومعها ثلثمائة وسبع عشرة من حريم الشرف . وتزوجت من الملك ، ولكنها نحيت إلى الصف الثانى بواسطة الملكة تى فيما بعد ، وبعد وفاة شوتارنا تولى الملك بعده ابنه توشراتا فأرسل إلى ملك مصر أميرة صغيرة

---

(١) Contenau, op. cit., p. 83.

(٢) Erman – Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 690.

(٣) د. رمضان السيد : تاريخ مصر القديمة ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية رقم ٢١ ، هيئة الآثار المصرية ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٩٣ ، ص ٨١ .

السن وهى تادوهيبا فى الوقت الذى كان فيه امنحتب الثالث مريضا بسبب كبر سنه واعتلال صحته .

استمرت وصول الخطابات البابلية إلى مصر من كل من كادشمان انليل وبورنابورياش . وكانت خطابات الأول تعبر عن رغبة ملحة فى الحصول على الذهب . وكان الملك أمنحتب الثالث يرسل له ثلاثين وزنا منه كل عام .(١)

وكتب ملك بابل كاداشمان انليل الأول إلى أمنحتب الثالث ، يعتذر به بأنه ليست له ابنة يرسلها عروسا إليه ، ويرجوا فى الوقت نفسه بأن يزوجه من إحدى بناته فأعتذر أمنحتب الثالث بحجة أنه لم يسبق أن أرسلت أميرة مصرية إلى أى إنسان .. فعاد الملك البابلى وألح عليه بأن يختار له فتاة من قصره . ومن بين الرسائل التى عثر عليها فى تل العمارنة رسالة من ملك بابل كاليماسين الذى كتب إلى الملك المصرى أمنحتب الثالث أن ابنته التى طلبها الملك للزواج قد بلغت سن الرشد ، وأنه سوف يرسلها إليه ويعلن أن كمية الذهب التى أرسلت إليه كانت ضئيلة .(٢)

وبعد وفاة أمنحتب الثالث ، أرسل بورنابورياش ملك بابل ، خطابين إلى أخناتون يحدثه فيهما عن بعض القلاقل فى فلسطين ، وما تعرضت له بعثته التجارية فى مكان ما بجوار عكا . ونجد الملك البابلى يحذر الملك المصرى من تكرار مثل هذه الإعمال خشية أن ذلك يضعف من نفوذه وفى خطاب ثالث يتحدث عن مجموعة من الحكام الكنعانيين أرادوا أن يكونوا حلفا مع بابل لمهاجمة المناطق الخاضعة للنفوذ المصرى . وكان ذلك فى عهد والده كوريجالزو الذى رفض هذا العمل الموجه ضد

---

(١) د. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية عصر الدولة الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ،١٩٨١، ص٢٠٤.

(٢) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٩٣ – ٩٤ ، ٩٩ .

حليفه أمنحتب الثالث .[١] عثر على نسخة من أسطورة نرجال واير شكيجال . وهى الأقدم ، ضمن رسائل تل العمارنة ويعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر ق. م. وهى نسخة مختصرة لا تتجاوز تسعين سطرا . وتدور أحداثها حول نزول نرجال من السماء إلى العالم السفلى ومهاجمته لاير شكيجال وإنزالها عن عرشها وكيف أصبح ملكا على الأموات[٢]. فى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين أخذت هذه العلاقات طابعا آخر ويتمثل ذلك فى الغزو العسكرى الآشورى لمصر فى نهاية حكم ملوك نباتا . وجاء الآشوريون إلى مصر ثلاث مرات :[٣]

الغزوة الآشورية الأولى (٦٧١ ق. م) :

ففى عام ٦٧٤ ق. م . أى فى السنة السادسة عشر من حكم الملك الكوشى طهرقا، بدأ الملك الآشورى أسرحدون سلسلة من الهجمات ضد مصر أدت فى النهاية إلى سقوط أسرة ملوك نباتا، وكان أسرحدون قد تولى من بعد سنحاريب، ورأى من الأفضل إعادة سياسة الغزو فى فلسطين واستولى على صور ، ولم يمنع الفشل الذى منى به طهرقا فى فلسطين من قبل فى أن يحول أنظاره عن آسيا بل على العكس نجده يتابع سياسة التحريض وإشعال الثورات ضد الآشوريين فى سوريا أثناء إقامته فى تانيس ، فهو بدون شك ولا أحد سواه الذى أثار التمرد فى صيدا ، فقرر أسرحدون فى ٦٧١ ق. م. مهاجمة مصر مباشرة ونجح فى عبور صحراء سيناء ووصل إلى وادى الطميلات، وقد تفادى الدلتا، حيث تجمعت فيها بالتأكيد القوات المصرية، ودمر الحاميات المصرية ووصل فى خلال خمسة عشر يوما إلى منف واستولى عليها كما أسر الحريم وعائلة طهرقا وقال: " إنه انتزع جذور كوش من مصر " . واتجه بعد ذلك نحو الدلتا التى هاجمها من الخلف وأخضعها لسيطرته . أما عن طهرقا فقد نجح فى الهروب فى البداية إلى طيبة ، ثم هدد أسرحدون هذه المدينة ، وسار بمحاذاة الوادى نحو الجنوب ، على حين أسر منتومحات حاكم المدينة والكاهن الرابع لآمون رع بالاعتراف بالسيطرة الآشورية حتى يتجنبُ سقوط طيبة ،

---

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .
(٢) د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٣٥ ـ ١٣٧ .
(٣) د. رمضان السيد : المرجع السابق، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٣ .

وأرسل منتومحات الجزية لكى يتفادى لقاء الفاتح القوى ، ويرى بعض المؤرخين أنـه فى بداية الأمر نجح طهرقا والمصريون الذين معه فى مطاردة الغزاة إلى مـــا وراء الحدود الشرقية للدلتا .

ولكن فى عام ٦٧١ ق. م . هزم طهرقا بالفعل ، وانسحب إلى مصر العليـا بعد سقوط منف ، وأدرك اسرحدون أن السبيل الوحيد للاحتفاظ بالبلاد التى تعرضـت للهزيمة هو تقسيمها إلى ممالك صغيرة متشابهة مثلما كان الحال عند غـزو بعنخـى لها ، وتبعا لذلك قسمت البلاد إلى عشرين مقاطعة منفصلة ، ويحكم فى كل منها أمير محلى من المقاطعة ، وسمحوا للأسرات المحلية بأن تبقى فى أماكنها ، وتولى مـــهام الحكم فى سايس ومنف الأمير – نكاو – الذى كان فيما يبدو من سلالة تـــف نخـت المنافس السابق لبعنخى ، وحفيد باك إن رن إف . وفى تانيس كان يوجد أمير يســمى بادى باست وفى مندس كان يحكم على العرش الأمير بامى الذى ربما كان ابنا للحاكم الذى سلم هذه المدينة لبعنخى ، واتبع أسرحدون نفس هذه السياسة فى بعض الأقـــاليم الأخرى .

ولأسباب ما غادر اسرحدون مصربسرعة – ربما – بسبب مرض مفـــاجئ ولم يترك وراءه غير قوات قليلة ، واستغل طهرقا رحيله لكى يحرض حكام الأقـــاليم الذين خضعوا له أثناء الغزو الاشورى .

الغزوة الآشورية الثانية (٦٦٦ ق. م) :

لم يعد طهرقا نفسه منهزما ، فقد عاد فى عام ٦٦٩ ق. م . إلى منف وبـــدأ يبحث عن حليف فى آسيا الصغرى ، وحاول أن يؤلـــب الأمـــراء ضـــد الاحتـــلال الآشورى ، وعقد هؤلاء الأمراء معاهدة مع طهرقا فى مصر العليا ، الذين فضلـــوا سيطرته على سيطرة اسرحدون ، وكان هذا التحالف سببا فى عودة الآشوريين مـــرة ثانية فى عام ٦٦٦ ق. م ، وكان طهرقا قد استطاع أن يسترد منف ، ولجأ أسرحدون إلى القيام بحملة لكنه توفى فى الطريق وبعد قليل أخذ ابنه وخليفته آشور بانيبال فـــى تنفيذ مشاريع أبيه فأرسل قائده الأعلى الذى جمع قوات الإمبراطوريـــة مـــن فينيقيـــا وسوريا وفلسطين ، ولم يكن قد مضى أكثر من ثلاثة أعوام على نجاح طـــهرقا فـــى

جمع المصريين من حوله وأرسل آشور بانيبال جيشا إلى مصر ، ودارت المعركة في شرق الدلتا وهزم الجيش المصرى فى كاربانيه Karbanit ثم تقدم الغزاة إلى منف واستولوا عليها مرة أخرى وفر طهرقا للمرة الثانية إلى طيبة وعندئذ تتبعه الغزاة بصعودهم النيل والاستيلاء على طيبة التى تعرضت للسلب والنهب من جانبهم ونجت من التدمير ، مما خفف من وقع الكارثة . وبعد ذلك نزل الآشوريون إلى الوجه البحرى ، وأقاموا الحاميات فى المدن الرئيسية ، وعما قريب نجد أن نكاو أمير سايس واثنين أو ثلاثة أمراء آخرين قد بدأوا فى التفاوض مع طهرقا ، الذى استقر من جديد فى طيبة أملا منهم فى التخلص من الآشوريين .

لكن هذه المحاولة باءت بالفشل وقبض على نكاو ومؤيديه وأرسلوا مقيدين بالحديد إلى نينوى – عاصمة الآشوريين – ونجح نكاو فى النهاية فى كسب ود الآشوريين وحصل على العفو ، وكان آشور بانيبال ذكيا أكثر مما يجب ، ولذلك عفا عن نكاو ، وسمح له بالعودة إلى سايس محملا بالهدايا وحكم هناك وأصبح مواليا للآشوريين ، وظلت طيبة وكل الأجزاء الجنوبية من مصر العليا مخلصة لطهرقا ، ولم يحاول الآشوريون التوغل إلى هذه المناطق مرة أخرى .

ثم توج تانوت آمون كملك على كل من نباتا وطيبة فى عام ٦٦٤ ق. م، ولم يتردد فى الذهاب للإقامة فى طيبة لكى يحاول غزو البلاد كلها .

ووصل إلى طيبة وتقدم إلى منف ، وظل نكاو وفيا لآشور بانيبال وقتل أثناء الصراع ، وسقطت منف فى أيدى مؤيدى وجنود تانوت آمون وقدم القربان للمعبود بتاح ثم أبحر بعد ذلك ليقابل أمراء الدلتا الذين فضلوا السلام على الحرب ، وتقبل ولاء أغلب الأسرات المحلية فى الدلتا وفيما بعد نجد أن الدلتا كلها بدأت تصور ضد الآشوريين وتتحالف مع تانوت آمون الذى كان قد دعا أمراء الدلتا إلى قصره ، وكان المتحدث بلسانهم هو أمير سوبد – باخروى – وفى هذه الأثناء كان منتومحات يتولى شئون طيبة ، وغطى سلطانه نفوذ كبير الكهنة واكتشفت له آثار عديدة تبين أنه كان مواليا لطهرقا وتانوت آمون .

الغزوة الآشورية الثالثة (٦٦٤ ق.م) :

على الرغم من أن الآشوريين قد خرجوا من مصر للمرة الثانية فإنهم لم يترددوا فى العودة إليها مرة أخرى ، وأصبح الطريق ممهدا أمام اشوربانيبال لدخول مصر ، وتقدم بجيوشه دون أن يقوم بمعركة فعلية ، وقد فر تانوت آمون إلى طيبة . وجاء حكام الدلتا الموالون للآشوريين لتقديم فروض الطاعة للفاتح . وفى هذه المرة أراد آشور بانيبال أن يعاقب بشدة عدوه تانوت آمون ، وتتبعه حتى طيبة واستولى على المدينة التى نهبها ودمرها . ومن بين الغنائم التى سلبها سلتان من الذهب والنحاس ، وذاع نبأ سقوط المدينة الكبرى فى جميع أنحاء العالم القديم ، وقد أشير إلى هذا فى الكتاب المقدس فى سفر ناحوم الجزء الثالث ، ٨ ، الذى ذكر أيضا أن أطفالها قتلوا فى كل مكان فى أنحاء المدينة وحكم على نبلائها بالنفى والأسر وقيد كل كبار نبلائها بالسلاسل . أما عن تانوت آمون فقد أرغم على الفرار فيما وراء الحدود الجنوبية إلى نباتا ، وهكذا عاد تانوت آمون إلى كوش ، حيث لم يعد من هناك على الإطلاق وتوفى هناك ودفن فى كورو . وهو يعد آخر ملك فى سلالة ملوك نباتا الذين حكموا على عرش مصر .

وفى نقش عثر عليه فى الكرنك يذكر لنا منتومحات الأعمال التى قام بها فى محاولة لإعادة بناء ما دمره الغزاة فهو يقول : " لقد طهرت كل المعابد ، وهذا ما يجب عمله لأنها سرقت بعد غزوة قام بها أجانب أنجاس " . ويتحدث عن الكارثة كما لو كانت " عقابا مقدسا " وكان يبحث دائما عن وسائل جديدة يعيد بها إلى المعابد هيبتها وكان " يمضى أيامه ولياليه فى البحث والتفكير " .[١]

وفى بداية الأسرة السابعة والعشرين عندما غزا قمبيز مصر كان جيشه يضم أعدادا متنوعة من مختلف الأجناس والعناصر وخاصة البابليين الكلدانيين ، نجد أن البابليين قد جاءوا إلى مصر ولكن فى صورة أخرى غير التى دخل بها

---

(١) Leclant, Montouemhat, quatrieme prophete d'Amon, BdE 35 (1961), p. 60.

الآشوريون مصر فى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين ، فقد جاء البابليون هذه المرة فى ظل الغزو الفارسى . فبعد سقوط بابل فى عام ٥٣٩ ق.م دخل قورش إلى بابل وتوج ملكا فى معبد بابل ، وكان من الطبيعى أن تنضم عناصر من البابليين إلى جيشه الذى استعان بهم خليفته قمبيز عند غزوه لمصر . وفى دراسة حديثة للباحث د. صبحى يحدثنا عن البابليين فى مصر خلال العصر الفارسى الأول [١] وذلك من واقع الوثائق الآرامية التى عثر عليها فى الفنتين والتى كانت تعيش فيها هذه الجالية البابلية ، وترجع هذه الوثائق إلى القرن الخامس ق.م ويتضح من دراسة هذه الوثائق وجود أسماء لشخصيات أصلها بابلى ويتداخل فيها أسماء معبودات بلاد النهرين : نبو ، سين نانا ، ماردوك ، شمش ، اداد[٢] وعاش البابليون فى هذه المنطقة فى داخل حامية خاصة بهم ، واسند إلى رجال هذه الحامية حماية حدود مصر الجنوبية ومراقبة طرق التجارة القادمة من الجنوب وأيضا اسند إليهم استخراج الأحجار من محاجر أسوان . وكان زمام القيادة العليا لهذه الحامية فى يد الوالى الفارسى وقد خص الفرس أنفسهم بالمراكز العسكرية العليا بينما شاركهم البابليون فى الرتب الوسطى . أما وظائف صغار الضباط فكانت أغلبها من نصيب البابليين وشاركهم فيها الآراميون . ويظهر هذا الوضع المتميز للبابليين فى مصر ابان القرن الخامس ق.م فى تولى أحدهم وهو " مانوكى " منصب القاضى وذهب فى عام ٤٣٥ ق.م مع أثنين من القضاة الفرس من أجل فحص أحد القضايا كما كان هناك عدد كبير من كتبة الوثائق من البابليين كما تولى اثنان من أفراد الجالية البابلية فى مصر مسئولية بعض الإقطاعيات والضياع التابعة للوالى الفارسى فى كل من الوجه القبلى والوجه البحرى .كما تولى بعضهم وظائف أخرى مثل اصطحاب القوافل التجارية والعمل فى

---

(١) د. صبحى يونس : البابليون فى مصر القديمة خلال العصر الفارسى الأول . (٥٢٥ - ٤٠٤ ق.م) فى كتاب أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الأثاريين العرب ، القاهرة ١٩٩٩ ، ص ٤١ - ٥٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣ - ٤٨ .

تجارة الرقيق .[١]

وهكذا عاش البابليون فى منطقة أسوان (ومنف) وسط مجموعات سامية أخرى عاشوا جميعا متجاورين فى جزيرة الفنتين دونما اى نوع من الفواصل . ورأينا كتبة بابليين يكتبون عقودا لعائلات يهودية ، ويشهد آخرون منهم عليها كما تزاوج البابليون مع غيرهم ممن حولهم . ويستدل من الوثائق الآرامية أن البابليين أحضروا معهم إلى مصر معبوداتهم . فقد ورد على أحد البرديات من الفنتين ابتهالات للمعبودات : بعل ، ونبو ، وشمش ، ونرجال . كما جاء ذكر اسم معبد للمعبود نابو فى أسوان على بردية من سقارة . وعلى الرغم من مشاركتهم غيرهم عقائدهم فقد حافظوا على معتقداتهم الخاصة بهم .[٢]

ويختم الباحث دراسته بالتأكيد على أن البابليين عاشوا إلى جانب الفرس والجاليات السامية الأخرى فى الفنتين وشاركوهم تعاملات الحياة اليومية وتم نوع من الزواج المختلط فى بعض الحالات بينهم وبين الفرس والآراميين ، لهذا خرجت أجيال تحمل أسماء مشتركة ومتداخلة فتسمى البابليون بأسماء فارسية ومصرية ويهودية وكذلك فعلت العناصر الأخرى .[٣]

وكنا أشرنا فيما سبق إلى العثور فى جزيرة الفنتين على إحدى عشرة بردية تحتوى أربع لفات منها على قصة " أحيقار " مدونة بالخط الأرامى وترجع إلى القرن الخامس ق.م . وكيف تعرض هذا الحكيم لوشاية من ابن أخيه نادين فى عصر الملك اسرحدون الذى أمر بقتل الحكيم احيقار ولكنه بفضل حماية الضابط الذى كلف بقتله وكان أحيقار قد آوى من قبل هذا الضابط . أما لفات البردى السبع الأخرى فإنها تحتوى على مواعظ وإرشادات أحيقار التى أتخذ فيها من حكايات الحيوانات أمثلة يعزز بها حكمته .[٤]

---

(١) د. صبحى يونس : المرجع السابق ، ص ٤٩ – ٥٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥ – ٥٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٧ .
(٤) راجع فيما سبق ، ص ٢٧١ .

بعض المظاهر الحضارية فى العراق القديم

سوف نتحدث هنا باختصار شديد عن بعض المظاهر الحضارية فى العراق القديم .

. ففى الواقع كان لكل عصور من عصور العراق القديم التاريخية خصائصه الحضارية التى يمتاز بها .

فهناك حضارة العصر السومرى (بما فيها من فنون ونحت للمسكن والمقابر [١] وحضارة العصر الأكدى (وما فيها من فنون متنوعة).[٢]

وحضارة عصر الإحياء السومرى (وما فيها من فنون متعددة) .[٣] وحضارة دولة بابل الأولى (وما فيها من تشريعات وأدب بابلى غنى ورفيع) .[٤] وقد اشرنا من قبل إلى المظاهر الحضارية فى عصر هذه الدولة فى مجال الأساطير وفى علم الجغرافية وفى العلوم الطبيعية وفى ومجال الطب والفلك .[٥]

وحضارة العصر الكاسى (وما فيها من حياة فكرية خصبة)[٦] . وحضارة آشور (وما فيها من تقدم فى مجال العمران والفن والأدب) [٧] وأخيرا حضارة العصر البابلى الأخير (وما فيها من فن وعمارة) .[٨]

---

(١) د. عبد صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٤٠٤ – ٤١١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤١٨ – ٤٢٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٣٢ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٤٥٩ – ٤٧٨ .
(٥) راجع فيما سبق ، ص ٢١٣ – ٢١٧ .
(٦) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٨٩ – ٤٩٣ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٥٣٠ – ٥٤١ .
(٨) المرجع السابق ، ص ٥٤٤ .

أولا : نظم الحكم والإدارة :

(١) **الملك ومعاونوه :** فى كل أسرة كان تقديس الملك شيئا مسلما به ، كما حدث بالفعل فى عصر الأسرة الأكدية وخلال عصر أسرة أور الثالثة .

وفى بداية الأمر كان الملوك محل تقديس بعد وفاتهم ولكن فيما بعد كانوا يقدسون أثناء حياتهم أيضا . وكان مفوضا من المعبودات ويبسط نفوذه وسلطانه عن طريق الحق المقدس الذى منح له . وهو بذلك يحقق إرادة المعبودات ، فهو الذى يعلن الحرب بأمتهم ويعلن السلم باسمهم وكان الملك يمارس سلطانه بعد أخذ مشورة المعبودات . وذلك عن طريق كهنة الوحى المقدس . وكان من واجباته حماية الناس وقيادة الجيش ونشر العدالة وإقامة المشاريع العامة . وفى العراق القديم كان الملك هو الكاهن الأكبر (من الناحية النظرية على الأقل) وكانت الملكة هى الكاهنة الكبرى ولكنهما لا يمارسان هذه الوظيفة على الإطلاق . ولكن نجد فى بابل على سبيل المثال ، كان الملك هو الذى يعطى إشارة البدء فى موكب أعياد العام الجديد ، وذلك بالأخذ بيد تمثال المعبود ماردوك ، وكان يفوض فى كثير من الاحتفالات ، الكهنة الذين يؤدون الطقوس باسمه .

وكان هذا الاعتقاد سائدا فى الملكيات الأخرى فى غرب آسيا (أسرة أكد واور وبابل وآشور) . وكانوا يؤكدون هذا الحق فى مراسيمهم ، فالملك كان يلقب بلقب " ملك الأغلبية والأقطاب الأربعة فى العالم " .

وكانت الملكية مطلقة ووراثية ، وكان الابن الأكبر هو ولى العهد ، ولكن هذا لم يمنع حدوث اغتصاب والاستيلاء على العرش بدون حق شرعى فى بعض الفترات .

وكان يساعد الملك فى ممارسة سلطانه ووظائفه ، وزير أومسئول كبير أو وزير كان يختار فى أغلب الأحيان من الأقرباء فى عائلة الملك وكان يعاونه أيضا وزراء فى المالية والشئون الاقتصادية . وكان الملك بنفسه هو الذى يشرف على تطهير الأنهار

وشق القنوات وبناء المعابد وكل المشروعات العمرانية .[١]

وكان هناك طبقة من الموظفين العموميين . ومن هؤلاء الذين يرسلهم الملك كسفراء للخارج ومعهم مترجمون وكتبة وقضاة [٢] . وكان حكـــام الأقـــاليم يلقبـــون أنفسهم بلقب " وكيل المعبود " أى أنه يستمد سلطانه من ســـلطة معبـــود المدينـــة أو الأقاليم المحلى .

وكان يطلق على الحاكم الأقليم أو المدينة اسم " اشـــاج " [٣] الـــذى نجـــده مذكورا بصفة دائمة على اللوحات ، وأصبح حاكم الإقليم بعد ذلك ضمـــن موظفـــى الملكية . ومن أهم موظفى القصر بجوار الملك ناظر القصر الملكى وأميـــن خزانـــة الملك وإلى جانب هذين الموظفين يوجد عدد من الموظفين والحرفين والمتخصصيـــن وأصحاب الخبرات .[٤]

ومن ناحية أخرى علمنا بطريق مباشر ،أنه كان هناك سلم وظيفى لموظفـــى الدولة فى العصر الآشورى ، وذلك لأن بعض الموظفين كـــانوا يســـجلون أســـمائهم ووظائفهم بالتتابع طبقا لسنوات حكم الملك . وقد عثر على قوائم عديـــدة مـــن هـــذا النوع .[٥]

وفى الألف الثالثة ق.م كان الكاهن الأكبر يعين بواسطة الملك عن طريـــق الاختيار ولكنه أصبح موظفا ملكيا فى الألف الأولى ق.م .[٦]

(٢) **القوانين :** يعد القانون المرآة الحقيقية لمقياس حضارى أى بلد ، وقد كشفت لنا

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٠ – ٢١١ .

(٣) Contenau , op. cit ., p 77 .

(٤) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ – ٢٠١ .

(٥) Contenau , op. cit .. p. 76-77 .

(٦) Id , op. cit ., p. 78 .

الحفائر فى العراق من مجموعات من النصوص التى تمثل مجموعة من القوانين أو النصوص القانونية بعدد وفير تعد من أقدم الشرائع المدونة منها :

- ما ينتمى إلى عصر الملك أوركاجينا من سلالة لجش فى أواخر العصر السومرى الأول والذى يعد أول مشرع فى تاريخ البشرية حيث وردت بعض الإشارات من عصر فجر الأسرات تشير إلى إصلاحاته الاجتماعية وتنظيمه الإدارة وإزالة الظلم عن طبقة الفقراء .(١)
- ومنها ما ينتمى إلى عصر أسرة أور الثالثة مثل قوانين أورنمو " مؤسس الأسرة" وكتبت بالسومرية وهى تأخذ بمبدأ التعويض لا بمبدأ القصاص .
- لبت – عشتار (خامس ملوك اسين فى عصر الأحياء السومرى) وعثر عليها مدونة على كسر من الألواح الطينية وكانت تشمل فى الأصل مائة مادة لم يصلنا منها إلا ٣٥ مادة فقط (٢) . وقوانين بلالاما وهو من أهم ملوك مدينة اشنونا (شرق بغداد) الحياء السومرى . وكتبت هذه القوانين باللغة الأكدية . ثم أخيرا قانون حمورابى الشهير من الأسرة الأولى .(٣)

أما عن القوانين الآشورية فلم ترد منها مجموعة كاملة ، فمن العهد الآشورى " القديم " ، وجدت بعض مواد قانونية تتعلق بمستعمرة آشورية تجارية . ومن العصر الآشورى " الوسيط " عثر على مجموعة أخرى على ألواح طينية ولكنها لا تؤلف تشريعا كاملا بل بعض المواد القانونية (٤) . ونجد إن بعض القوانين الآشورية التى عثر عليها ترجع إلى القرن الرابع عشر ق.م ، وكانت متأخرة فى بعض أحكامها وبنودها عن القوانين البابلية . كان الهدف من القوانين البابلية هو

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٠٣ .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ – ٢٢٥ .

(٣) تحدثنا عنها بالتفصيل فيما سبق ، ص ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢١١-٢١٣ ، ٢١٤-٢١٦ .

(٤) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

المحافظة على الأسرة وكيانها وحماية المجتمع وتنظيم العلاقة بين النـــاس . وكـــانت تفرض عقوبات صارمة فى حالة عدم تنفيذ مواد القانون ، وتصل العقوبات إلى حـــد بتر أحد أعضاء الجسم أو الإعدام .

وكانت هناك محاكم تتشبه المحاكم الابتدائية للنظر فـــى مختلـــف القضايـــا يرأسها أما مدنيون أو كهنة . وكان لابد من وجود شهود عند تحريـــر عقـــود غـــير رسمية.[1]

(٣) الجيش : فى البداية لم يكن هناك قوات نظامية . وكان الملك هو الـــذى يســـير إلى الحرب على رأس جيشه يرتدى خوذة شبه مخروطية الشكل يتدلى منها ما يســـتر العنق من الخلف ويتسلح بحربة أو سلاح آخر .

ونعرف أن القوات السومرية كانت مقسمة إلى قسمين :

المشاة الخفيفة ، وكانت ترتدى زيا خاصا بها ، ولها ســـلاح عبـــارة عـــن مقمعة قتال بمقبض ، ثم المشاة الثقيلة ، وكان يرتدى كل جندى فيها معطفا ثقيلا مـــن الجلد وأحيانا كان يطعم بقطع صغيرة من المعدن .

ويحمل كل منهم ردعا كبيرا مستطيل الشكل ، والبعض الآخر يحمل الرماح الطويلة ، أما عن عربة القتال فكانت عبارة عن صندوق بمقدمة مرتفعة وله فتحـــات كانت تسمح بمرور رباط مقود الحيوانات التى تشدها ، وإلى جانب قائد العربة كـــان يوجد محارب الذى يشهر سهامه باليد ، لأنه يبدو أن الجيش السومرى لـــم يســـتخدم القوس الذى كانت تستخدمه الأجيال السابقة .

أما الحصان فلم يستخدم إلا من ابتداء الأسرة البابلية الأولى . وكان الحيوان المستخدم لجر العربات قبل ذلك العصر هو الحمار الوحشى .[2]

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢١١ – ٢٢٧ .

(٢) Contenau , op. cit ., p. 92 .

وكان الحصان معروفا سلفا ، فى بابل ، ولكن استخدامه كان نادرا ثم انتشر استخداماه فى عصر الكاسيين ، خاصة فى جر العربات الحربية ، وبفضل الحصان أصبح للغزاة نوع من التفوق العسكرى .

وعند الآشوريين كان الجيش يتكون من حرس الملك وكانوا يسمون كورادو أى اليقظون ، وكانوا أول من يدخل المعركة اما بقية قوات الجيش ، فكانت تتكون من قواعد مساعدة مزودة بأسلحة بسيطة . وعندما تكونت الإمبراطوريات ، أصبح هناك مدارس حقيقية لفنون الحرب والقتال .[1]

وكان من حق الملك أن يمنح قطعة أرض فضاء لأى فرد نظير خدماته العسكرية ، وبحق له توريثها لأولاده بعد ذلك . وكان ملوك آشور قواد حرب أكثر منهم رجال دولة ولكنهم لا يخرجون فى حملاتهم دون استشارة المعبودات . وقد اشتهروا بالقسوة وفى معاملاتهم لأعدائهم . وكانوا بعد انتصاراتهم يبيحون لجنودهم البلاد المفتوحة فيعملون فيها النهب والتدمير .[2]

ثانيا : النظم الاجتماعية :

فطبقا لما جاء على لوحة حمورابى نجد أن المجتمع العراقى لقديم كان مقسما إلى ثلاث طبقات :

أولهما : طبقة الأسياد أو النبلاء وكان أفرادها هم أعلى طبقة فى المجتمع ولكن ذلك لا يستلزم انهم كانوا طبقة حاكمة أو انحصر فيهم الثراء والمادة .

وثانيهما : الطبقة التى يستأجرها غيرها أو طبقة العمال أو العامة .

ثالثهما : هى طبقة الرقيق .

وكما تناولت مواد القانون مشاكل الميراث وعلاقة الأفراد بالرقيق وغير

---

(١) Contenau, op. cit., p. 79.

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢١٤ – ٢١٥ .

الرقيق كم أعطى المرأة حقها فى مزاولة مهنة التجارة وفى التعلم ودخول دور العلم .

كما نظم قانون حمورابى علاقات الزواج بين الأفراد ونظم الأنفاق بين الرجل والمرأة وأعطى حقها فى مهرها . فمن المظاهر الاجتماعية التى كانت سائدة فى العراق القديم أن الرجل يتزوج بامرأة واحدة فى معظم العصور . وأن كان القانون يبيح للزوج أن يتزوج بامرأة أخرى فى حالة مرض زوجته الأولى أو إذا ثبت أنها عاقر .

وكان هناك ما يسمى بالخطبة التى تسبق الزواج وعلى الخاطب ان يقوم بتقديم الهدايا لعروسه وفى حالة وفاة الخطيب فإنه يحق لأحد أقاربه أن يحل محله لإتمام الزواج فإذا رفض والد الخطيب كان عليه أن يعيد لعائلة الخطيب المتوفى هداياه التى قدمها لعروسه وفى حالة وفاة الخطيبة كان للخاطب الحق فى أن يتزوج من إحدى أخواتها ، وإذا حدث طلاق بين الزوجين لأى سبب من الأسباب كان على الزوج أن يدفع لها تعويضا . وإذا تزوج الرجل من أمه فإنها تصبح حرة بعد أن تنجب له أطفالا .(١)

عبر أدب الحكم والنصائح عن الكثير من واقع المجتمع وخاصة فى النصوص السومرية والأكدية والآشورية وغيرها . وقد تناول د. سليم فى مؤلفه الأوضاع التى تخص الأسرة من كافة النواحى وكيف تناولها أدب الحكم والنصائح فتحدث بالتفصيل عن <u>أربعة</u> محاور تناول فيها :

<u>**أولا : الزواج**</u> : وما جاء بخصوص فى هذه النصوص وما يجب أن يقوم به الرجل والمرأة .(٢)

فنجد أن الحكيم السومرى عبر أهمية تكوين أسرة ابلغ تعبير فأنتقد الشخص

---

(١) د. ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ١٩٦ – ١٩٧ .

(٢) د. أحمد سليم : الأسرة فى العراق القديم " دراسة من خلال أدب الحكم والنصائح " دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ٢١ – ٤٢ .

الأعزب والمرأة غير المتزوجة .

" أن الشخص الذى لا يعول زوجة ، لا يعول أبناء ، إنه شخص لا يؤتمن ، ذلك الذى لا يعول إلا نفسه :

" المنزل بدون صاحب ، كالمرأة من غير زوج " .

وترك الحكيم السومرى للفتى حرية اختيار زوجة فقال :

" تزوج امرأتك طبقا لاختيارك وأنجب طفلا حسب رغبات قلبك "[(١)]

ومن الجدير بالملاحظة أن اختيار الزوجة لم يكن أمره متروك تماما لرغبات قلب الفتى ، بل كانت هناك عوامل أخرى ، منها المصالح المشتركة والثروات . فلقد جرت العادة فى عصر حمورابى أن اختيار والد الشاب خطيبة أبنه ، وعندما يتم الاتفاق بين العائلتين يشرع فى إعداد الخطبة . ومن مظاهرها أن يرسل إلى بيت والد العروس بعض قطع الأثاث ، كما يقدم الشاب أو والده مبلغا من المال إلى والد العروس كان يطلق عليه اسم " تيرهاتو " أى المهر [(٢)] ،وكان عقد الزواج فى العراق القديم يوقع بين الرجل (زوج الفمستقبل) وبين أب الفتاة (عن زوجة المستقبل) أو أخاها أو ولى أمرها [(٣)] . وعبرت إحدى الحكم السومرية عن أهمية المرأة فى حياة الرجل ودورها فى تحديد مستقبله فى عبارة قصيرة بليغة جاء فيها :

" المرأة مستقبل الرجل " .[(٤)]

<u>ثانيا</u> : <u>الأطفال</u> :[(٥)] كيفية تربيتهم والعلاقة بين الوالدين وأبنائهم والعلاقة بين الأبناء وبعضهم البعض ، ومن النصائح التى يوجهها الأب لأبنه بالنسبة لفائدة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢ – ٢٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٣٩ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٤٧ – ٦٧ .

التعليم :

" إلى أين أنت ذاهب ؟

لن أذهب إلى أى مكان

إذا لم تكن ذاهبا إلى أى مكان ، فلم تكون كسولا ؟

أذهب إلى المدرسة ، وقف أمام معلمك ، واسمع دروسك أفتح حقيبة كتبك ، وأكتب لوحك ، ودع العريف (المدرس) يكتب لك لوحك الجديد ، وعندما تنتهى من دروسك وتقدمها للعريف أحضر إلى المنزل ولا تتجول فى الشوارع "[1] .

ثالثا : **العلاقات الأسرية** : [2] تقوم على ان يطيع ويحترم الصغير الكبير وأن يحترم ويكرم الأبن أباه ، ويحترم الأخ الصغير أخاه الأكبر ، ومن النصائح فى هذا الصدد :

" احترم أخاك الأكبر "

" اسمع كلمة أخيك الكبر كما تسمع كلمة أبيك "

" لا تغضب قلب أختك الكبرى "

رابعا : **الحياة المنزلية** : [3] ، وهى الحكم والأمثال والنصائح المتصلة بمظاهر الحياة اليومية من حيث المسكن والإيرادات والنفقات وضرورة العمل لكسب الرزق والطعام والشراب والملابس والأدوات المنزلية والنظافة والخدم وغيرها والالتزام بالتعاون المشترك ، وفى هذا الصدد يقول الحكيم :

" يد على يد – يبنى منزل الرجل

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧١ – ٧٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨١ – ٩٨ .

حقد على حقد – يدمر منزل الرجل " (١)

ومنها أيضا ما جاء فى إحدى لوحات الحكم البابلية التى تحث على الإحسان على الفقراء لأن ذلك يدخل السعادة فى قلوب الآلهة :

" أعط الطعام للجائع والنبيذ للعطشان "

" أن ذلك يدخل السرور للإله شمش ، الذى يكافئ الإحسان "(٢)

ثالثا : الحياة الاقتصادية :

كانت مصادر دخل الدولة تأتى من المعابد والضرائب وغنائم الحروب . وفى الألف الثالثة ق.م ، لعبت المعابد دورا خاصا وهاما فى زيادة وتوزيع ثروات البلاد . فكان الملك بعد كل انتصار يحققه يقوم بإرسال جزء من الغنيمة إلى المعبد . وكانت تلك الغنائم تضاف إلى قائمة القرابين التى تقدم للمعبود ، والتى أصبحت تمثل مصدرا هاما فى المعابد .

فقد كان الملك يقوم بغارات موسمية عبر الحدود ويستولى بعدها على عدة غنائم ، ففى أثناء فترة حكم ملوك أسرة أور الثالثة ، نجد أن هذه السنوات كانت تؤرخ بالسنة التى حدث فيها نهب أو استيلاء على مدينة أو قرية ما ، مرة واحدة أو عدة مرات . وتقص علينا المصادر الآشورية أعداد الغنائم التى كانت تفوق الخيال من أشياء ثمينة ورؤوس حيوانات وأسرى الذين كانوا يستخدمون كعبيد . وكانت هذه الحملات الحربية تقاد بواسطة الملك نفسه أو فى بعض الأحيان بواسطة شخصية هامة تعادل شخصية الوزير الأول يحمل لقب تورتان أو رئيس الأركان . وكان المعبد يقوم بقرض الفضة والحبوب والحيوانات وعندما يتعرض الملك لبعض الصعاب المالية فى حياته ، فكان المعبد او موارده وكل ثرواته توضع تحت تصرف

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨١ – ٨٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٤ .

الملك مباشرة لمساعدته .[١]

أما جباية الضرائب فقد كانت من مسئوليات حكام الأقاليم ، الذين كان عليهم وضع تقرير محدد بما يجب أن يحصل من السكان والأهالى . وكان هناك بعض المدن التى تتمتع بإعفاء كامل .

(١) الزراعة :

عرف أهل العراق القديم الحرث بمساعدة الثور فكانوا يستخدمون المحراث الذى يجره ثوران . وتشير بعض النصوص من النصف الثانى من الألف الثانية ق.م من مصادر كاسية وآشورية وحورية ، أنه كانت هناك حالة اجتماعية سائدة تعرف بما يسمى الإقطاع وكانت هناك أراضى لزراعة الحبوب ولزراعة الأشجار وأراضى مخصصة للبساتين .

وكان هناك أجر محدد للعامل الزراعى . وعقود تنظيم العلاقة بين مالك الأرض الزراعية والمستأجر وبين المنتفعين بهذه الأراضى وبين من يستأجرونها من مزارعين ورعاه ، إلى جانب وجود الإقطاعيات الصالحة للزراعة ، وكانت توجد أيضا المراعى .[٢]

(٢) الصناعات والحرف :

صناعة الفخار : وكانت تحتل فى العراق القديم مكانة خاصة منذ أقدم العصور وخاصة فى مجال الإنتاج الفنى . فهناك فخار يرجع إلى عصر ما قبل الأسرات ، أو العصور العتيقة ، سواء الملون باللون الموحد أو عدة ألوان ، خاصة ذلك الفخار الذى عثر عليه فى سامراء ، تل حلف ، العبيد ، جمدة نصر ، وبدأت

---

(١) Contenau , op . cit ., p . 78 .

(٢) د. ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٢ .

تظهر السيطرة السومرية فى عصر الوركاء حيث اختفى فيها الفخار الملون فهل هذا يدل على أن بعض السومريين فى عصر الوركاء قد جاءوا من خارج حدود إيران الشمالية ، أو على الأقل كان يوجد عنصر أجنبى كان لا يهتم بصناعة الفخار الملون ، وعرفوا صناعة الأوانى من الطمى والألواح للكتابة عليها . وعرفوا خواص الطين والأصباغ المختلفة كما توصلوا إلى طريقة التزجيج وعرفوا العجائن والمواد الكيماوية التى تدخل تركيبها .

التعدين : عرفوا صهر المعادن وعرفوا تحويل بعض المعادن الفقيرة إلى معادن ثمينة وعرفوا صناعة الأوانى المعدنية ، وتوصلوا إلى معرفة أنواع مختلفة من السبائك [١] وكانت الأدوات البرونزية ملازمة فى بعض الأحيان الأدوات المصنوعة من الحديد ، وهى تستخدم للزينة ، وقد عولج النموذج فى خطوط محددة ، ولكن حركة الحيوانات التى تمثل الجزء الكبر من الزينة بقيت ذات حركة وقوة كبيرة .

وقد عرف العراقيون صناعة التماثيل من المعادن . وكانت الطريقة هى استخدام نماذج أصلية من الخشب المصنع بدقة وكانت هذه النماذج مغطاة فى بعض الأحيان بالقطران ، ويقوم الصانع بوضع صفائح من المعدن على هذا النموذج ثم يبدأ بعد ذلك عملية الطرق على الأطراف بحيث يتخذ شكل النموذج . وهكذا لم يكن التمثال من المعادن ولكن صورة معدنية على نموذج خشبى سواء أكان هذا بالنسبة لتماثيل البرونز أم الحديد أم الفضة .

وكانت الرأس والجسد فى التماثيل الصغيرة تصنع على نموذج داخلى من الشمع الذى يوضع عليه صفائح المعدن وعند خرقها نجد أن الشمع يذوب ويختفى

---

(١) د. ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٥٢ .

ويبقى الشكل المجوف . ومثل هذا النوع من الرؤوس كان يزين مؤخرة القيثارة ، أو بعض التماثيل السومرية فى هافاجى (قيثارة متحف اللوفر على سبيل المثال) . وكانت الرأس تماثل إلى حد ما الحجم الطبيعى للرأس الملكية فى عصر أسرة أكد .[1]

صناعة أدوات الزينة :

* كانت أغلب أنواع الزينة مثل الحلى من المعادن ، فقد استخدم معدن الذهب بواسطة الطبقات العليا والبرونز والحديد المطعم بالبرونز عند الطبقات الأخرى . فمنذ ظهور الحديد أصبح البرونز نادرا . وقد أمدتنا المقابر الملكية فى أور بمتاع جنائزى ذا قيمة كبيرة ، إذ يضم أوانى من الذهب وعقودا من نفس المعدن ومطعمة بالأحجار الكريمة ذات الألوان المتعددة مثل اللازورد والزمرد والصدف (وألوانها الأزرق والأحمر والأبيض والأسود) وكانت هذه الألوان تثبت بالقطران . وقد عثر على غطاء للرأس من الذهب المطعم (غطاء رأس " مسكا – لامدوج ") .

واستخدم أهل العراق أيضا الخواتم والحلقان والأساور التى تلبس حول المعصم أو فى أعلى الساعد . وكان الرجال والنساء يضعون عقودا أو تمائم حول رقابهم من الأصداف أو الأحجار شبه الكريمة .[2]

التطعيم :

لا يمكن أن نغفل الأهمية التى حظى بها فن التطعيم فى العصور المتأخرة ، فمنذ عصر الوركاء ، نجد أن الأعمدة والجدران قد زينت بقطع من الفخار والفسيفساء ، وقد أمكن العثور من عصر المقابر الملكية لأور على خواتم من الذهب مطعمة بالأحجار ذات الألوان . ومن بين التحف النادرة ذات الأهمية ، نذكر فقط العاج الذى كان يزين الصناديق وقطع الأثاث الثمينة التى عثر على مجموعات عديدة

---

(١) Contenau, op. cit., p. 72.

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .

منها فى نمرود فى آشور (منها رأس ملونة فى حالة جيدة من الحفظ) .

صناعات أخرى :

مثل صناعة النسيج وصناعة الملابس والأزياء المختلفة . فمثلا كان السومرين والأكديون هم أول من عرف النقبة التى كانت محلاه بخيوط تشبه الشباك وتنتهى بأهداب فى صفوف منتظمة ، وهو زى المعبودات والملوك . ويضاف إلى النقبة قطعة قماش تلف حول الكتف اليسرى ، أما غطاء الرأس فلا يظهر إلا فى نقوش المعبودات والملوك حيث كانت المعبودات تتميز بقلنسوة مزينة بقرون .[١]

(٣) التجارة والمواصلات :

كانت مختلف أجزاء غرب آسيا القديمة ، فى علاقات وطيدة ، وكانت التجارة تمثل المكانة الأولى فى نوعية هذه العلاقات . وكانت الأنهار تربط بين الكثير من مدن العراق [٢] . فتنقل البضائع التجارية من آشور حتى الخليج العربى على معابر ، وهى مجموعة من جذوع الأشجار ، وكان يطلق عليها اسم " الكللك " وعند وصول التجارة إلى المكان المطلوب ، يفك الكللك وتباع أخشابه بعد تجفيفها . وقد كشف عن أرشيف يؤكد هذه العلاقات التجارية فى آشور الشرقية " نوزى " وفى بابل ، وأحيانا كانت تشيد المراكب لتسهيل عملية التعامل التجارى وتقام الحصون والقلاع لتأمين طرق المواصلات . إما عن النقل البرى فقد عرفوا العربات التى تجرها الحمير من عصور ما قبل التأريخ .

وكان نظام المقايضة معروفا فى المعاملات التجارة . وكان هناك الأوزان والعناية بالوزن والمكاييل [٣] ، كما نظمت مواد قانون حمورابى المعاملات التجارية والديون وفوائدها وريقة سدادها ومواضع الرهون أو الرهونات واستحقاقها وعواقب تبديد الأمانات .

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ – ٢٠٦ .

(٢) Contenau, op. cit., p. 80 .

(٣) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

رابعا : الديانة والمعتقدات :

(١) **الديانة السومرية** : كان لاختلاط الساميين والسومريين منذ زمن طويل ، أثر كبير على مجتمع كل منهما ، وقد تعرضت الديانة أيضا لهذا التأثير فالديانة السومرية كانت نقية فى بداية الأمر ولكنها أصبحت عرضة للنفوذ السامى ودخلتها عناصر سامية ، كما أننا لا نعرف الشيء الكثير عن الديانة السامية فى تلك العصور البعيدة ، التى تأثرت هى بدورها بالسومريين ، فإن الفصل بين العقيدتين ، شئ من الصعب تحقيقه . ولكن بمقارنة السومرية ، بديانات البلاد الآسيوية التى تعرضت لبعض النفوذ السامى ، (مثل آسيا الصغرى) يمكننا أن نكون فكرة عن العبادات البدائية فى بلاد النهرين ، وإذا بحثنا عن أصول الديانة السامية ، فليس علينا أن نبحث فى بلاد تأثرت قليلا بالحضارة الآسيوية " الجزيرة العربية على سبيل المثال " لرسم العالم الأساسية للديانات السامية .

ويبدو أن السومريين فى بداية الأمر ، قد مثلوا معبوداتهم فى هيئة آدمية وأضفوا عليها بعض الخصائص التى تساعد على التعرف على صورهم وتوصلوا أيضا إلى تمثيل معبوداتهم عن طريق الرموز فقط .

وتعرفنا عن الأصل الحقيقى إلى حد ما لهذه المعبودات عن طريق الأناشيد التى كانت تؤدى إليهم وأيضا عن طريق الألقاب التى تصاحب أسماءهم عند الإشارة إليهم ، وأخيرا عن طريق الأسماء الشخصية للأفراد التى كان لها غالبا معنى مقدس ، أى أن اسم المعبود يتداخل فى تكوينها (مثلما كان يحدث فى مصر القديمة) .

وهكذا نرى عند السومريين الأوائل ظهور شخصية " انانا " معبودة الخصب والإخصاب ، والتى تشرف على زيادة نسل العائلة البشرية ، وأيضا العائلة الحيوانية ، وكان من ضمن رموزها نوع من الصوارى بنهاية مقوسة ، وترمز هذه النهاية المقوسة إلى الأكواخ البدائية والمساكن والمراعى .

وكان **المعبود الكبير** آشور يمثل وهو يحمل فى يديه أغصان بها أوراق أو زهور ويرمز إليه بالسنبلة ، ويمثل أحيانا على هيئة الثور أما زوجته ، فكانت تمثل

على هيئة أنثى الأسد ، على حين كان يمثل ابنهما المعبود الصغير على هيئة الجدى . وقد اندمج هذا المعبود مع المعبود تاموز (أو تموز) .

ولكن قوى الخصب تتعرض فى بعض الأحيان للاختفاء ، فالخضرة تختفى فى الشتاء لكى تولد من جديد فى الخريف .

وقد اعتقدت الديانات الأسيوية ، بأن هناك اختفاء سنوى لمعبودة الخضرة فى الشتاء يتبعها بعث جديد وظهور متجدد ، وغالبا ما يحدث الجفاف فى آسيا الغربية فى الصيف ويكون السبب فى هلاك كل الخضرة وليست البرودة كما كان معتقدا .

لهذا نجدهم قد ميزوا بين شمس الخريف فى الصباح التى تدفئ الأرض وشمس الظهيرة الشديدة التى تحرق كل شئ والتى تساعد على انتشار العدوى وكان معبود العالم السفلى والطاعون يسمى فى بلاد النهرين نرجال .

ويحتفل بالوفاء أو الاختفاء السنوى للمعبودة بإقامة الطقوس والأعياد ففى أثناء أعياد المعبودات دوموزى – تاموز وجيزيدا يسود الحزن وينطلق البكاء والنواح طبقا للطقوس .

وكان من نتيجة هذه العبادات هو الاعتقاد بوجود ارتباط قوى بين عالم السماء والأرض ، وكل ما يحدث على هذه الأرض ، لابد أن يكون له رد فعل فى عالم المعبودات وبالعكس . وهذا ما أدى إلى الاحتفال بعظمة هذا الارتباط المقدس . ليس لهذا فحسب بل وكذلك الارتباط الجسدى ، ممثلين إما بواسطة تماثيلهم او بواسطة كهنتهم .

وكانت الطقوس والأناشيد تهتم بإظهار الأدوار الرئيسية للمعبودات البدائية ، ويقال أنها كانت تشرف على الفيضان ن وتتحكم فى مصادر المياه ، وكل ظواهر الناشئة عنهما . وكانت هناك معبودات ثانوية ، ترث بعضا أو واحدة من هذه الوظائف . وقد تؤدى هذه الأدوار فى بعض الأحيان إلى القضاء على فكرة ما هو مقدس .

وكان هناك عامل هام ، إلا هو تعدد الأشكال فى مجمع المعبودات السومرية وفيما بعد فى مجمع المعبودات السومرية - الأكدية ، ولا يجب أن يغيب عن أذهاننا أن عددا من هذه المعبودات لها أشكال مختلفة إلى حد ما ولكن لها نفس الأصل ويمكن إنقاص أعدادها إلى الأقل ، كما حاول الكتبة أنفسهم أن يفعلوه فى تعليقاتهم ويبنوا لنا أن ذلك المعبود ما هو فى الواقع إلا نفس الصورة من معبود آخر ، ولا نستطيع أن نتبين إن كانت تلك الأشكال المتعددة لنفس المعبود مميزة بواسطة اسم المدينة التى يعبد فيها أو المدينة التى يقع معبده فيها .

وبالإضافة إلى هذا نجد أن الساميين قد تشبهوا ببلاد سومر فى بعض المظاهر الحضارية ، لذلك نجد أن الساميين كانوا يحتفظون بالسومرية كلغة واعتنقوا معبوداتهم ، وترجموا أسمائهم دون أن يتركوا شيئا من عقيدة ومبادئ أى معبود ، ولكن كانوا يفرعونه من وعائه الأصلى ، لكى يضعوه بنفس الأصالة فى قالب آخر وازداد كثيرا عدد المعبودات غير المتشابهة فى الظاهر ، ولكن متشابهة فى العمق والأصالة .(١)

(٢) العقيدة البابلية :

جاء عصر الأسرة البابلية الأولى ، وجاهد الكهنة من أجل خلق شئ من النظام ووضع حد لهذه الفوضى ، فقسموا المعبودات إلى عائلات . وأن العالم قبل نشأته كان يمثل فراغا تميز بعنصرين مختلفين من الرطوبة :(٢)

أحدهما الماء العذب والآخر يمثل الماء الملح ثم ولدت منهما كل الكائنات ثم انجبا السماء والأرض ومن هذين الأخوين جاءت ثلاث معبودات أخرى هى الثالوث لمجموعة المعبودات البابلية : أنو (معبود السماء) أنليل " معبود الأرض ومعبود الجو والهواء " ايا " معبود الماء " وخاصة مياه المحيط الأزلى الذى طفت عليه الأرض .

يضاف إليهم نرجال معبود العالم السفلى الذى تزوج من ايرشيكجال ملكة عالم الأموات ومعبودات الكواكب : سين " (أو نانا) معبود القمر "

---

(١) James , Mythes et Rites dans la Proche Orient ancien , Paris (1960) , p. 136 – 140 .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .
وأيضا : د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ٩١ - ٩٣ .

وشمش " معبود الشمس " وعشتار " (إنانا) التى تمثل كوكب الزهرة " .

يضاف إلى ذلك نورتا " معبود الحرب " ونابو " معبود الأدب " ومـــاردوك الذى ارتقى إلى المرتبة الأولى بفضل البابليين وأصبح على راس المعبودات جميعـا . وانكى الإله الذى يراقب الكون والموكل إليه بالخصب وتكاثر الأغنام والماشية .

هذا بالإضافة أيضا إلى عدد من المعبودات الثانوية ، التى جـاءت بصفـة دائمة من مجمع المعبودات السومرية ، والقوى الخيرة والشـريرة الأخـرى ، التـى عدت غالبا من أنصاف المعبودات . ونجد فى كل هذه المعبـودات غيـاب قواعـد الخصب والإخصاب إلى حد ما ،ولكن لحسن الحظ كانت توجد المعبـودات عشـتار (أو انانا) وعدت تلك الأخيرة فى بعض النصوص كزوجة لعدة معبودات مختلفـة وعدها البعض الآخر " مخصبة للمعبودات " .

وفى مثل هذا المجمع الدينى المعقد الغزير يبدو أن عبادة الكواكب قد ذهبـت إلى أبعد مدى وهذا يرجع إلى الساميين ، لأن كل المعبودات كانت قد تشبهت بالنجوم أو بمجموعة الكواكب . كما كان لكل مدينة معبودها حتى أصبح عـدد المعبـودات كبيرا جدا .

(٣) الأعياد البابلية :

من أهم الأعياد البابلية عيد " العام الجديد " وكان هذا العيد معروفـا عنـد السومريين ويسمى " لاكيتو " ويحتفل به لكل المعبودات المحلية فى المدن المختلفـة . ولكن فى العصر البابلى ، أصبح لهذا العيد أهمية خاصـة ، نظـرا لصلتـه بعبـادة ماردوك معبود بابل ، الذى بقى كمعبود للخصب وكان يرمز إليـه بـالكبش وكـان يحتفى به كل عام ويبكيه الناس والكهنة عند اختفائه ، ثم تحل الأفراح عند عودتـه . وبع ذلك تقام الأعياد ابتهاجا بارتباط ماردوك بمعبـودة الخصـب ، ويطلـق علـى الطقوس التى تؤدى أثناء الاحتفالات ، عيد العام الجديد – تذكرنا هذه الاحتفالات فـى كل مراحلها ، بمثل ما كان يؤدى للمعبود أوزير فى مصر القديمة . وكان يحتفل بهذا العيد فى فصل الخريف ، وبالتقريب فى شهر مـارس – أبريـل [١] وتسـتمر هـذه

---

(١) Rutten , Babylone , p . 92 .

الاحتفالات أثنى عشر يوما ، وكان ملك بابل يشارك فى هذه الاحتفالات . وكان عليه أن يقوم بالحركة الرمزية " الأخذ بيد المعبود " لكى يدعوه إلى الرحيل أثناء " الموكب الكبير " الذى يقود ماردوك إلى المقصورة التى تقع خارج المدينة ، وتسمى " بيت لاكيتو " حيث يستقر هناك فترة قبل أن يعود إلى العاصمة وكان يتخلل الاحتفالات التى تؤدى أثناء عيد العام الجديد بعض الطقوس لمدة أثنى عشر يوما :

الأيام السبعة الأولى :

اليوم الأول : احتفالات مازال يكتنفها الغموض

اليوم الثانى : يقوم الكاهن الأكبر بعملية التطهر فى مياه نهر الفرات ، ثم يدخل معبد ماردوك متحليا بملابس الكتان ويؤدى نوعا من الطقوس إلى المعبودات وبعدها تفتح الأبواب لكى يدخل بقية الكهنة ، وتبدأ الطقوس بالموسيقى والأناشيد الدينية .

اليوم الثالث : يدعو الكاهن الكبر الفنانين ويضع أمامهم الذهب والأحجار الثمينة بخزانة ماردوك لكى يصنعوا تمثالين أحدهما يمثل المعبود ممسكا بثعبان والأخر ممسكا بعقرب (رموز القوى السفلى للطبيعة) .

اليوم الرابع : بعد وجبة المساء التى تقدم للمعبود يقوم الكاهن بترتيل أشعار الخليقة .

اليوم الخامس : تقام الطقوس أثناء الليل والتى تشبه المعبود ماردوك بنجوم السماء وتؤدى فى هذا اليوم التضحية : ذبح ثور " أو كبش " ثم يتم تطهير الكعبد بالبخور وغيره .

اليوم السادس : وصول تماثيل المعبودات الأخرى إلىالمعبد ، لكى تشارك فى الاحتفالات وهى المعبودات الكبيرة [1] مثل أنــو ، أنليل ، سين ، شمش ،

---

(١) Rutten , op . cit ., p . 96 – 97 .

أداد[١]، وعشتار .[٢]

اليوم السابع : يتم إعداد مشاهد مشاهد تعبر عن موت وبعث مـــاردوك ، وهــى عبارة عن مشاهد تمثل أو تقلد بدون أصوات ، وفيها يعبر الكاهن عن نزول المعبــود مارودوك إلى العالم الآخر فتتوقف كل ظواهر الحياة على الأرض . وكان موت هــذا المعبود وبعثة من جديد عاما بعد عام ، يضفى عليه طبيعة مقدسة وإنسانية فى وقــت واحد ، وكأنه بموته وبعثه هذا يرمز إلى ذبول الحياة على وجه الرض ثم بعثها مـــن جديد .[٣]

وما العام الجديد إلا رمزا للحياة الجديــدة ، واشــتراك الملــك فــى هــذه الاحتفالات وقيامه بالطقوس أمام المعبودات ، إنما يعنى انه يحصل منهم على السلطة من جديد .

اليوم الثامن : حتى الحادى عشر : ظهور المعبود ماردوك فى موكب كبير فى المدينة وتأتى المعبودات منذ الصباح لكى تكرم ماردوك . ويبدأ الموكب من قنــاة أراهتو ونهر الفرات .[٤]

ويصل موكب المعبود من قاربه حتى " بيت لاكيتو " فى الضواحى وتصــل معه قوارب تماثيل المعبودات الأخرى . ويمكث تمثال المعبــود مــاردوك وتمــاثيل المعبودات الأخرى فى " بيت لاكيتو " من اليوم الثامن حتى اليوم الحـــادى عشــر .

---

(١) هناك لوحة عثر عليها فى هاواتو (ارسلان تاش) من القـــرن الثـــامن ق.م . صور عليها المعبود اداد . بهيئة آدمية ممسكا بمجموعة من السهام وصور واقفا على ثور ، راجع : Parrot , Assur, p. 76 Fig . 84.

(٢) هناك لوحة أخرى عثر عليها فى تيل بارسيب (تل أحمر) من القــرن الثــامن ق.م صورت عليها المعبودة عشتار بهيئة آدمية وبيدها مقود حيوان حراســـة ، راجع : Parrot , op . cit ., p. 76 fig . 85 .

(٣) Id., op . cit ., p . 97 – 102 .

(٤) Id., op . cit ., p .103 .

وتؤدى الاحتفالات الرمزية التى تشير إلى اصل الخليفة . وفى نهاية اليـوم الحـادى عشر ، تبدأ العودة إلى بابل وتتخذ المعبودات طريق بابل فى الليـل ، علـى ضـوء المشاعل ، وعند دخول المعبد ينشد له هذا النشيد :

" (أيها) المعبود عندما تعود إلى منزلك . منزلك يقول لك " تحيـة لـك ، أيها المعبود .

" بابل " التى هى مدينة سعادتك لا تتركها على الإطلاق غير مسكونة " .(١)

اليوم الثانى عشر : تعود المعبودات فى الصباح إلى مقاصيرها الأصليـة . وتنتهى الأعياد .

(٤) قصائد وأساطير الخليقة :

كانت هذه القصائد منتشرة فى كل المراكز الهامة فى العراق ، ومنـها مـا ترجم بلغات أخرى وانتشر فى البلاد المجاورة للعراق . ونجد فيها أن الديانة تقـترح تفسيرا للمشكلات الكبرى التى تقلق وتواجه البشرية . فقد سـمى العراقيـون هـذه القصائد بقصائد الخليقة . جمع فيها البابليون الأساطير القديمة التى تبيـن أن سـلالة المعبودات التى توالت حتى خلق الشر كان بعضها أكثر اكتمالا من الأخرى ، ولذلـك حدث أن هاجم بعضها بعضها الآخر ، وكان المعبود الأكبر شجاعة من المعبـودات الأخرى هو ماردوك . ومن هذه الأساطير : (٢)

- أسطورة ألواح الخليقة السبعة أو نشأة الوجود :

يذكر د. صالح انها نقشت على سبعة ألواح طينية وهى تحتوى على نحو ألف بيـت تقريبا وتشري أنه لـم يكـن فـى بـدء الخليقـة سـوى مـاء ازلـى . ويقـول د. صالح : " اختلط عند عذبه بمالحة ، ويتمثل الماء العذب فى أبسـو وهـو مذكـر والماء الملح تشري إليه المعبودة تيامة أو تيامات وهى أنثى اللذين أعطيا بمجـهودهما

---

(١) Rutten , op. cit ., p. 104 .

(٢) د. فاضل عبد الواحد : سومر أسطور وملحمة ، ص ١١٨ ـ ١٢٥ .

كيان للأرض . وكانا مرتبطين ونشأة أجيال الأرباب فى جوف تيامة جيلا بعد جيـــل وكان كل جيل يفوق من سبقه واختير من بينهم المعبود ايا معبود الحكمـــة . ولكـــن حكمه هؤلاء الأرباب لم تمنع شدة صخبهم وسعيهم إلى التبديل والتغيير ممـــا اقلـــق أباهم آبسو وأخذ يفكر فى القضاء عليهم رغم معارضة أمهم تيمامة . لولا أن ألقـــى عليه " ايا " النعاس ثم قتله وأفناه فى نفسه وبنى بيته فيما كان يشغله (آبسو) وعـاش فيه هو وزوجته ، وانجبا ولدهما ماردوك الذى فاقت قدراته كل الحدود .

وهنا عاودت تيامة ذكرى زوجها المضحى به وانقلبت على أحفادها وسلطت عليهم الكواسر والزواحف واستعانت عليهم بمعبود قديم يدعو " كنجو " أغرته بنفسـها وعهدت إليه بألواح المقادير [1] . وعجز الأرباب متفرقين أمام هذين الحلفين . حتـــى تخيروا من بينهم ماردوك وفوضوه السلطة المطلقة وخلعوا عليه قدراتـــهم وأســـرار أسمائهم وارتضوه ملكا عليهم . وقد تعدد بقاؤه مع تيامة بالسحر مرة وبالحرب مـــرة أخرى حتى تصيدها بشبكة وأطلق عليها ريح السموم فملأت جوفها ونفختها ، فقيدهـا وذبحها . ونال من حليفها كنجو واسترد منه ألواح المقادير وختمها بخاتمة . ثم عـــاد إلـــى تيامة فبقرها وقسمها نصفين وجعل نصفها الأعلى سماء ونصفها الأسفل أرضا

---

(١) تروى الأساطير السومرية البابلية تفاصيل منازلات وحروب رهيبة بين الآلهـــة التى يقف قسم منها إلى جانب الخير ونصرته بينما يقف القسم الآخر منها مـــع قوى الشر . وهناك أسطورة بابلية تحكى لنا سرقة ألواح المقـــادير علـــى يـــد الطائر العملاق " انزو " من كبير الآلهة انليل . ووصلت إلينا أســـطورة انـــزو مدونة باللغة البابلية فى نسختين ، الأولى وهى الأقدم يقوم فيها بدور البطل نينى جيرسو معبود لجش الذى ينازل انزو ويسترد منه ألواح المقادير . أما النســـخة الثانية فبطلها المعبود ننورتا معبود مدينة نفر التى استعادها منه بعـــد صـــراع رهيب وكيف تم تكريمه من قبل الآلهة وفى مقدمتهم انليل ، تقديـــرا لبطولاتـــه المتميزة بين كل الآلهة التى تراجعت أمام بطش انزو ، راجع : د. فاضل عبـــد الواحد : سومر أسطورة وملحمة ، ص ١٢٥ - ١٣٥ .

وعين فى السماء حرسا ونظم ماءها وعين مواضع الأرباب فيها ، وأرسى الأرض وجبالها ودجلة والفرات وفجر العيون والينابيع . وأراد أن يخلق فى الأرض بشرا . فأشار عليه أيا الحكيم بأن يضحى بأحد المعبودات ويخلق الإنسان منه فجمع المعبودات واستفتاهم ، فأجمعوا رأيهم على كنجو خليف تيامة السابق وقيوه وذبحوه وخلقوا الإنسان من دمه ليعبدهم . ثم اتخذوا " اساجيل " مقرهم المختار فى بابل واقروا بالصولجان لماردوك وتنازلوا له عن ألقابهم وأسمائهم ورتلوا له ترتيلة تمجيد انتهى بها اللوح السابع من أسطورة نشأة الوجود والخليقة حسب الأساطير البابلية.[1]

وتطرقت الأسطورة إلى أمر المعبود ماردوك ببناء مدينة بابل ومعبدها الشهير " اساجيلا " مع معابد أخرى للآلهة العظام ثم تشير إلى أن الآلهة خلعوا على ماردوك خمسين اسما إلهيا جديدا فأضافوا بذلك لقواه السابقة قوى سحرية جديدة لا يمتلكها غيره من الآلهة الأخرى .[2]

وتلتقى مع قصة الخليقة البابلية أسطورة انزو وسرقة ألواح المقادير فى عدد من النقاط الرئيسية : تردد عدد من الآلهة وأحجامهم عن منازلة قوى الشر يتكرر فى الأسطورتين . فنجد ماردوك (أو آشور) فى أسطورة الخليقة وننورتا (أو نين جيرسو) فى أسطورة سرقة ألواح المقادير . وإظهار دور إله الحكمة ايا (انكى) فى معالجة المواقف المحرجة والخطرة فهو معروف بحبه لمساعدة الآلهة . ثم تكريم البطل المنتصر فى هاتين الأسطورتين يعتبر خاتمة طيبة وسعيدة فالآلهة تكرمه فى النهاية وتمنحه أسماءها وألقابها أى أنها تتنازل عن سلطاتها وامتيازاتها مما يزيد فى علو شأنه بين كل الآلهة .[3]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٧٧ - ٤٧٨ ؛ وأيضا د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢١٩ ؛ وبخاصة د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١١٨ - ١٢٤ ؛ وأيضا : Rutten , op. cit ., p. 89 – 91 ; Philipe et Rouche , Histoire , p. 43 .

(٢) د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

ملحمة جلجامش أو الطوفان :

وهى من الأساطير المعروفة ومع أن جلجامش قد جاء ذكره كأحد ملوك الأسرة الأولى فى الوراكاء إلا أنه صار موضوعا لعدة قصص تصف أعماله ومغامراته وبطولاته الخارقة وأشهرها تلك التى تتصل بالطوفان وهى أطول ملحمة فى الشعر البابلى ، وهى قصيدة شعرية طويلة مدونة بالخط المسمارى واللغة البابلية على أثنى عشر لوحا من الطين وتحتوى على نحو ٣٥٠٠ سطرا عثر على معظمها فى مكتبة الملك آشور بانيبال فى العاصمة نينوى . ويعود زمن استنساخ الألواح الآشورية إلى النصف الأول من القرن السابع ق.م .(١)

وتمثل هذه الألواح ثلاثة عصور هى : العصر البابلى القديم ، العصر البابلى الوسيط ، العصر الآشورى الحديث (٢) وتختلف قصة ألواح كل عصر عما سبقه فى بعض التفاصيل .

وهى ملحمة تتعامل مع أشياء من عالمنا الدنيوى مثل الإنسان والطبيعة والحب والمغامرة والصداقة والحرب . وقد أمكن مزجها لتكون خليفة لموضوع الملحمة الرئيسى إلا وهو " حقيقة الموت المطلقة " وعلى الرغم من كفاح البطل جلجامش من أجل تغيير مصيره المحتوم عن طريق معرفة سر الخلود من رجل الطوفان ، ينتهى بالفشل فى نهاية الأمر . ولكن مع ذلك الفشل يأتى شعور هادئ بالاستسلام وتوقع الأمر المحتوم .(٣)

والحكمة المستفادة من هذه الأسطورة برواياتها العديدة هو التأكيد على نفاذ قضاء الآلهة بوجوب موت الإنسان "وانه " لا خلود إلا للذكر والعمل الصالح ".(٤)

---

(١) د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٠ - ١٧٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

وتبدأ بمقدمة تتكون من خمسة وعشرين بيتا ليس لها علاقة ببطل الوركاء ومآثره . يذكر الشاعر السومرى قصة خلق الكون بفصل السماء عن الأرض ومن ثم خلق الإنسان بعد ذلك . ويذكر بعد ذلك صراع اله المياه انكى مع العالم السفلى الذى تجسد فى هيئة تنين . وبعد تلك المقدمة يدخل الشاعر فى تفاصيل القصة فيتحدث عن شجرة اسمها " خولوبو " لعلها الصفصاف ، كانت تنبت على ضفاف نهر الفرات . وذات يوم هبت ريح الجنوب فاقتلعتها من جذروها وحملها النهر بعيدا فى مياهه وبينما كانت الشجرة تطفو رأتها " العذراء الضحوك " الألهة انانا التى كانت تتجول على ضفاف الفرات فانتشلتها من النهر وقررت زرعها مجددا فى بستانها المثمر على امل أن تكبر الشجرة فتصنع منها عرشا تجلس عليه وسريرا تنام فيه .ونمت الشجرة لكن جذعها لم يروق لأن حية بنت عشها فى جذورها ، وعلى راسها وضع الطائر انزو صغاره ، وفى وسطها بنت الشيطانة ليليث بيتها . فذهبت انانا باكية إلى أخيها اله الشمس اوتو وأخبرته بما حل بشجرتها وسألته أن يخلصها من أولئك الأشرار . ولكن أخاها لم يستجب لندائها . فلجأت إلى البطل جلجامش الذى هب على الفور لنجدتها . وجاء وهو يحمل درعا سميكا وفأسا ثقيلة فهجم على الحية عند أسفل الشجرة وقتلها . فلما رأى الطائر انزو ذلك فر هاربا إلى الجبال وهدمت الشيطانة ليليث بيتها . وبعد ذلك استطاع جلجامش ومن معه من رجال مدينته أن يقطعوا الشجرة ويقدموها إلى أنانا .واعترافا منها بالجميل قامت بصنع شيئين من جذع الشجرة " طبلة ومدق ويظهر جلجامش أسرف فى استعمال هاتين الأداتين فأثقل بذلك كاهل مواطنيه من رجال الوركاء بأعباء استنفارهم الدائم على صوت دقات الطبلة لخوض الحروب .

وبسبب صرخات النسوة زوجات الرجال المحاربين سقطت الطبلة والمدق من يد جلجامش إلى أعماق العالم السفلى . ولم يستطع البطل انتشالهما رغم محاولاته المتكررة . فجلس حزينا وهو يبكى بمرارة واضطر إلى الاستعانة برفيقه انكيدو الذى لم يتردد فى النزول إلى العالم السفلى .[1] لاسترداد الحاجتين المفقودتين . وحذره

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٦٢ - ١٨٣ .

جلجامش من مغبة النزول وما سوف يتعرض له من أخطار ولكن انكيدو لم يلتزم بوصايا جلجامش فتمكنت منه صرحة العالم السفلى ولم يستطع العودة إلى عالم الأحياء وحاول جلجامش إنقاذه وتخليصه من قبضة العالم السفلى واستعان بآله الحكمة انكى الذى نجح فى فتح ثغرة فى العالم السفلى ليخرج منها شبح انكيدو إلى الأرض " فذلك كل ما تبقى من انكيدو " وعندئذ تعانق جلجامش مع شبح صاحبه انكيدو وراح الأول يطرح الأسئلة على الثانى عما رأى فى العالم السفلى ، عالم الأموات .[1]

وفى المصادر البابلية يعاود جلجامش سؤال انكيدو عما يوجد فى العالم السفلى قائلا :

" اخبرنى يا صديقى ، اخبرنى يا صديقى ، اخبرنى عن أحوال العالم السفلى الذى رأيته ، سوف لن أخبرك ، يا صديقى ، سوف لن أخبرك ولكن إذا كان لزاما على أخبارك عن أحوال العالم السفلى الذى رأيته فأجلس وابك ! حسن سأجلس وأبكى ... " .[2]

وتروى لنا نصوص ألواح أخرى ما يلى :

كان جلجامش يتحلى بالشجاعة وحب المغامرة فقد حباه أله الشمس شمش بالحسن والجمال وخصه أله الرعد أدد بالبطولة والقوة البدنية الخارقة . لذلك عرف جلجامش بين أهل الوركاء بلقب " البطل الجميل " وزاع صيته فى الوركاء وفى غيرها من مدن سومر واكر . وكان أمرا طبيعيا أن يفتن بقوته وجماله بنات الوركاء الحسان وأن لا يجد من رجالها من يجرؤ على منعه أو الوقوف أمامه .

لذلك لجأ أهل الوركاء إلى الآلهة لكى تخلق رجلا يكون ندا لجلجامش فى القوة والعزم . فأستجابت الآلهة لهم وعهدوا إلى إلهة النسل " آرورو " العظيمة لتخلق ندا له فى البأس والقوة فخلقت " انكيدو " الذى قطع حياته فى البرية ليألف طبيعتها

---

(١) د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٦٣ – ١٦٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

الصعبة ويتطبع بطباع وحوشها المفترسة منها والوديعة وليكتسب قوة بدنيـــة غـير عادية تؤهله لدورة المرتقب وكان هناك مورد للماء يشرب منه انكيدو مع حيوانـــات البرية وكان هناك صياد ينصب شباكه بالقرب من هذا المورد ، الـــذى كـان يبعـد مسيرة ثلاثة أيام عن مدينة الوركاء . وكان لابد لأنكيدو المتوحش أن تســتيقظ فـى أعماقه غرائزه الجنسية فأنجذب إلى فتاة كانت قد ذهبت مع الصياد يقصدان المكـــان الذى يتردد إليه انكيدو ومع حيوانات البرية ونجحت الفتاة التى أرسلت مع الصياد فى الاتصال بانكيدو الذى أحس بحالة من الخذلان والضعف وأصبح غـير قـادر علـى مجاراة حيوانات البرية فى عدوها وانطلاقها . فأقنعته الفتـاة بـترك حيـاة البريـة والذهاب معها إلى الوركاء المسورة . فوافق على الذهاب معها ، وأكثر مـــن ذلـك وعدها بتحدى جلجامش ومعاقبته حالما يصل الوركاء ليثبت أنه الأقوى بين الرجـال . وتعود بعدها على حياة الإنسان العادى وأصبح رجل آخر يأكل الطعام ويشرب الجعـة ويلبس الثياب وهجر تماما حياة البرية مع الحيوانات .ووصل انكيدو بصحبـة الفتـاة مدينة الوركاء فدخلاها يتجولان فى الأسواق ، ولما رأى النـاس انكيـدو بعضلاتـه المفتولة وأكتافه العريضة رأوا فيه الشخص الذى يمكن أن ينازل جلجامش .(١)

وتقابل الندان فى أحد شوارع الوركاء ، وأخذ هذا الصراع طـابع العنـف بحيث أن أبواب وجدران المنازل اهتزت لهوله . وبدأ الصراع بين جلجامش وانكيـدو عندما اعترض انكيدو طريق جلجامش ومنعه من دخول بيت " إشخارا " ربة الـزواج والإنجاب .

وكانت الغلبة فى المنازلة من نصيب جلجامش الذى بقى ثابتا بقدمـه علـى الأرض مما يعنى أن خصمه لم يستطع زحزحته .وأدرك جلجامش أن أنكيـدو هـو أفضل من نازله من الرجال لذا أتخذه صديقا له حتى صار كل منهما يلازم الآخر ولا يفارقه . وفى يوم ما شعر انكيدو بحالة الاكتئاب وعندما سأله جلجامش مستفسرا عـن سبب حزنه أجابه بأن الأسى ينتابه لضعف قواه . وهنا عرض عليه جلجامش الذهـاب فى رحلة إلى غابات الأرز ليسرى عنه ولينسيه همومه ورفض الفكـرة بسـبب مـا

---

(١) د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٨٥ ـ ١٩٥

يكتنف هذا السفر من مخاطر وأهوال . وهناك والنهاية أقنعـــه جلجـــامش بالذهـــاب معا .[١]

وينتقل اللوح السادس من الملحمة إلى تكملة القصة فبعد أن عاد جلجـــامش مع رفيقه بعد رحلتهما إلى غابات الأرز ، وقعت عشتار فى حب جلجامش ما عجبت به وبرجولته وأسرها جماله وحسن منظره وعرضت عليه الزواج مقابل هدايا سـخية ولكن جلجامش رفض العرض فاستاءت من رد جلجامش وذهبت إلى أبيها آنـــو ألـــه السماء وهى تبكى بمرارة وأخبرته بما قال جلجامش ثم طلبت منه أن يعطيها " ثـــور السماء " لتأخذه إلى مدينة الوركاء لكى ينتقم لها من جلجامش .

فأجابها أبوها أنه إذا أعطاها الثور فسوف تحل فى الوركـــاء ســبع ســنين عجاف ويعانى الناس من الجوع ، فأجابته بأنها احتاطت للأمر وخزنـــت مـــا يكفـــى الناس من غلال ومؤن . وإزاء ذلك لم يجد أبوها بدا من وضع مقود الثور فى يدها . وفى الوركاء أخذ ثور السماء يجول ويبطش بالناس عندئذ نادى انكيدو علـــى رفيقـــه وطلب منه أن يسرع ويطعن الثور ما بين السنام والقرنين ، ففعل جلجـــامش وســـقط الثور ميتا على الأرض فلما رأت عشتار ما حل بثورها راحـــت تقـذف كـل مـــن جلجامش وانكيدو باللعنات .

وأمر جلجامش صناع الوركاء بان يغلفوا قرنى الثور بـــالذهب ويزينوهـــا باللازورد . وبعد ان انتهى الصناع من ذلك أخذ جلجامش الرأس وعلقه فوق ســريره تذكارا لذلك النصر .

وعندما خلد كل من انكيدو وجلجامش للنوم ، رأى انكيدو فى نومـــه حلمـــا قص تفاصيله على صديقه جلجامش ، لقد رأى أن الآلهة مجتمعة آنـــو الـــه الســماء ورئيس مجمعها ، وانليل اله الريح والذى بحوزته شارات الملك ، وشمس اله العدل . وأدرك انكيدو مغزى حلمه ، لقد حكمت عليه الآلهة فى مجلســها بـــالموت . فـــألقى انكيدو بنفسه على الأرض أمام جلجامش وأجهش فى البكاء . لأنه سوف يفارق أخيه

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٦ – ٢٠٦ .

جلجامش ويذهب إلى العالم السفلى ولن يرى صاحبه بعد ذلك . ثم رفع انكيدو رأسه وأخذ يطيل النظر فى الباب الذى قطع خشبه بيديه من غابة الأرز بعد أن قتل الوحش خمبابا . ومرض انكيدو مرضا شديدا وظل طريح الفراش أحد عشر يوما متوالية ، لازمه خلالها جلجامش يكلمه ويواسيه ويخفف عن آلامه . ولكن انكيدو مات ولفظ أنفاسه أثناء ما كان جلجامش يحدثه ويذكره بمآثرهما معا . وعند الفجر أرسل جلجامش فى طلب الصناع ليصنعوا تمثالا لصديقه انكيدو . وأنتاب جلجامش شعور بالحزن العميق وأدرك أن دوره آت أجلا ان عاجلا وأنه هو الآخر سوف يدركه الموت ويجعل منه جثة هامدة . وأصبح شبح الموت يطارده ليل نهار حتى دفعه هذا الإحساس إلى الهيام على وجهه فى البرارى طالبا للخلاص من مصيره المحتوم ولكن أين سيتوجه جلجامش ؟ . ولم يكن أمامه الخيار سوى أن يقصد رجل الطوفان أوتنابيشتيم فهو الإنسان الوحيد الذى نجا من الموت وحصل على الخلود بعد أن أنقذ نسل البشرية من الطوفان .[١] ويصل إليه بعد أهوال وبعد أن تنصحه إحدى المعبودات بالانصراف عن فكرة الخلود لأنه من البشر ومصيره الموت ، وما أن يصل إلى جده حتى يسرد له هذا الأخير قصة الطوفان ويشير فيها إلى أن المعبودات عزمت على إحداث الفيضان وقد حاباه المعبود إنكى – أيا – فأخبره بوقوع الفيضان الوشيك ونصحه بعمل سفينة من سبعة طبقات قسم كلا منها إلى تسعة أقسام وجهزها بما تحتاج من مؤن ... الخ .[٢]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٦ – ٢١٦ .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٩ – ٤٧٩ .

وبعد أن نجا من الطوفان قدم قربانا إلى المعبودات . وصعد المعبود " أنليل إلى السفينة وأخذ بيد اوتنابيشتيم " وأخرجه من السفينة هو وزوجته ثم أمر بأن يصحبا معبودين . وبعد أن روى له هذه القصة دل جلجامش على مكان وجود نبات الخلود. فى قاع بحيرة وقال له : " أنه نبات له اشواك مثل الورد تخز يدك فإذا ما ظفرت به وجدت (حياة متجددة) . ولما سمع جلجامش هذا الكلام من اوتنابيشتيم أسرع بالنزول إلى قاع البحيرة بعد أن شد أحجار ثقيلة فى رجله لتسهل مهمة الغوص وأخذ يبحث عن ذلك النبات الشوكى وعندما وجده مد يده وقطعه رغم الوخز الشديد الذى سببه له النبات . ومن ثم قطع حبل الأثقال من رجليه فعاد مسرعا إلى سطح الماء . وأصبحت فرحته عظيمة بحصوله على هذا النبات الذى يعيد للإنسان شبابا متجددا إذا أكل منه . وصاح على الملاح اورشنابى وخاطبه قائلا : " يا اورشنابى أن هذا النبات ثبات يشفى الفم يحصل الإنسان على نفس الحياة لأحملنه معى إلى الوركاء المسورة وأعطيه إلى شيخ ليأكله ويجربه وسيكون اسمه " يعود الشيخ إلى صباه " وأنى سآكل منه وأعود شابا كما كنت " .

وواصل جلجامش والملاح اورشنابى رحلتهما فى طريق العودة إلى الوركاء . وبعد أن قطعا ثلاثين بيرو (ساعة مضاعفة) رأى جلجامش بركة فنزل للاستحمام فيها . وبينما هو فى البركة شمت حية رائحة النبات الشوكى فتسلقت إليه وخطفته . ولما أخذته خلعت عنها جدلها وعند ذلك جلس جلجامش وأجهش فى البكاء . وأخذ يندب حظه لأنه لم يستطيع أن يحقق لنفسه مغنما رغم كل ما بذله من جهد وما لقى من أهوال . وإذا كان هنا من رابح فى نهاية المطاف كله فهى الحية أو " سبع الأرض " كما يسميها البابليون ، لأنها حصلت على النبات السحرى وأصبحت تنعم بشباب متجدد على الدوام فتنزع عنها جدلها كل عام .[١] وهناك رواية ثالثة من هذه الأسطورة .[٢]

---

(١) د. فاضل عبد الواحد : سومر أسطورة وملحمة ، ص ١٦٠ – ٢٢٧ .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٢١ .

أسطورة أدابا :

التى تعطينا تفسيرا آخر لحياة الإنسان غير الخالدة ، فقد طلب أدابا فى حضرة المعبودات وخاصة أنو أن يعطى له الغذاء الذى يحقق له الخلود ، ولكنه أساء النصيحة ورفض هذا الغذاء وفضل أن يأكل من طعام الخلود الذى قدم إليه بناء على نصيحة المعبود أنكى – أيا – وقاست البشرية نتيجة خطئه هذا .(١)

أسطورة صعود أيتانا إلى السماء :

تتلخص فى أنه عندما نزلت الملكية من السماء على الأرض لم يكن لأحد الملوك ولد تقى كى تهبه المعبودات هذا الإرث ، لهذا تكفل المعبود أيتانا بعمل خير لقاء حصوله على الملك ، ويقول د. صالح : " وقد أونى من كل شئ فيما عدا نعمة الإنجاب ، وعلم من تنبؤات الكهنة أنه لا علاج لعقمه هذا إلا بالحصول على نبات الإنجاب ، وأن هذا النبات يوجد فى السماء السابعة ، سماء آنو . وتضرع ايتانا إلى المعبود شمس كى يهبه ولدا يخلد ذكره . وهنا دله شمس على نسر عجوز مهيض الجناح مثلوب المخالب منبوذ فى حفرة عميقة . وكان هذا النسر صديقا لثعبان عاشا متجاورين وأقسما على الإخلاص ، وكان الثعبان يعيش فى ساق شجرة والنسر فى قمتها . وأنجب كل منهما ولدا . وكان للثعبان نصيب مما يصيده النسر وللنسر نصيب مما يصيده الثعبان . ولكن النسر حنث بقسمه والتهم ابن الثعبان وعندما عاد الثعبان وافتقد ولده اتجه بشكواه إلى شمس فأشار عليه شمس : بأنه سوف يقوم بقتل ثور برى وأن عليه أن يبقر بطنه ويختبئ فيه حتى إذا حط النسر عليه ليأكله تمكن منه وفعل به ما يشتهيه . وقد حدث ما رسمه شمس وحذره ولده أن تكون هناك مكيدة ولكن النسر حط على بطن الثور يريد التهامها وهنا تمكن الثعبان منه ونزع ريشه وكسر جناحيه وقلم مخالبه ورماه فى حفرة ليلقى حتفه فيها . ولما سمع ايتانا القصة من النسر ساعده على استرداد قوته واستوى جناحاه . وعندما اعتزم الصعود إلى

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ ؛ د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ – ٢٤٣ .

السماء ، طلب النسر منه أن يلاصقه صدرا لصدر وأن يضم ساعديه حول وسطه ثم أقلع به وأخذ يصعد به إلى أعلى حتى اختفت الأرض والبحر من تحتهما . ولما أوشكا بلوغ الهدف اختلفت الروايات فى مصيرهما ، فروت إحداها أنهما بلغا سما آنو بينما روت أخرى أن النسر خاف وارتعد وهوى بحمله سريعا حتى سقطا على أرض آنو ".[١]

وكانت أشعار الخليقة تؤدى فى اليوم الرابع من احتفالات العام الجديد ، وكان يؤدها الكاهن الأكبر بمساعدة الكهنة الآخرين . وهى عبارة عن قصائد أو ترتيل تعكس انتصار ماردوك على المحيط الأزلى ، وفى نفس الوقت تردد أحداث موت ماردوك وبعثه مرة أخرى .

وهناك أسطورة نزول أنانا (عشتار) إلى العالم السفلى :[٢]

التى تحدثنا عنها المصادر السومرية والبابلية . وقيام هذه المعبودة بزيارة العالم السفلى أى عالم الأموات الذى كان تحت سيطرة أختها الكبرى الآلهة ايرشكيجال . ولم يزل الغرض من هذه الرحلة غير معروف بالرغم من وجود عدة تفسيرات محتملة . ربما كانت من أجل استعادة حبيبها وزوجها تموزى لأنها هى التى سلمته إلى الشياطين مقابل خروجها من عالم الأموات .

وعندما وصلت إلى البوابة الأولى طلبت من رئيس الحرس أن يفتح لها الباب وإلا فأنها " ستحطم كافة الأبواب والمزاليج وتبعث الأموات ليلتهموا الأحياء به . فطلب منها الحارس إلا تقدم على شئ من ذلك وأن تنظر ريثما يخبر سيدته

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٧٥ - ٤٧٦ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق، ص ٢٢٢ ؛ د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ صورة ١٩٨ ؛ د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ - ٢٤٠ .

(٢) د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٠٣ - ١٠٥ .

ايرشكيجال بالأمر . وتذكر النسخة الآشورية أنه لما سمعت ايرشكيجال نبأ وصول عشتار أصابها الفزع وكانت تخشى أن تسبب لها أختها عشتار متاعب تهدد سلطانها فى عالم الأموات وأن تأخذ منها رعاياها من الأموات رجالا وصبايا وأطفالا . وعلى أية حال فبعد أن أفاقت ايرشكيجال من ذهولها واستردت أنفاسها أمرت الحارس أن يفتح لأختها الباب . فرحب الحارس بالضيفة قائلا " أن عالم اللارجعة لمسرور بحضورك يا سيدتى " . لكنه سرعان ما جردها من تاجها أثناء ما كانت تهم بعبور البوابة الأولى .

فأعترضت عشتار على ذلك بغضب شديد لكن الحارس أجابها بأنه لا مفر من ذلك " أنها نواميس العالم السفلى " . وفى البوابة الثانية جردها من قرطيها ، وفى الثالثة من سلسلة حول عنقها ، وفى الرابعة من الحلى التى كانت تزين صورها ، وفى الخامسة من نطاق حول من كل ما عليها من ثياب عند البوابة السابعة . ولما عبرت عشتار البوابة السابعة أصبحت أمام أختها ايرشكيجال وجها لوجه . وعندما راتها ايرشكيجال تفجرت غضبا وأمرت وزيرها نامتار أن يأخذها ويحبسها ويطلق عليها أرواحا شريرة وكان شرط خروجها من عالم الأموات هو إيجاد بديل .

(٥) المعتقدات الجنائزية :

كان المتوفى يوضع فى بادئ الأمر على الأرض ويغطى بنوع من الحصير ويحيط به حاجز من الطوب ، ومنذ عصر الأسرة البابلية الأولى ، كان المتوفى يوضع فى تابوت من الحجارة . وفى عصر الإمبراطورية البابلية الجديدة ، كان المتوفى يوضع داخل تابوت من الفخار ذى فتحة بيضاوية . وكان يوضع معه دائما ما يسمى بالمتاع الجنائزى ، الذى كان يستفيد منه المتوفى فى حياته ثم فى خلوده فى العالم الآخر طبقا للطرق السحرية .

وقد بقى هذا الاعتقاد فى العالم الآخر عند الآشوريين والبابليين .[١] وكان العالم الآخر فى فكرهم ومعتقداتهم هو " الأرض الكبيرة " أو " بلاد بلا عودة " التى

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

تصل إليها المياه القاتلة من نهر خاص بالعالم السفلى ، والذى يجرى من الغرب والسهول الصحراوية ، وكان هذا العالم مكونا من سبع دوائر بكل منها مدخل يوجد إلى جانبه حارس ، وفى هذا المكان تحكم المعبودة ايرشكيجال (أخت المعبودة عشتار) والمعبود نرجال زوجها .

وفى الواقع كان يخشى من الموت بدرجة كبيرة ، لذلك نجد أن الديانات فى آسيا الغربية تتفق فى أن تمثل لنا العالم السفلى أو عالم الموتى كحياة بطيئة ومكان مظلم يعيش فيه المتوفى ، فيه التنفس ردئ ، ومملوءة بالأتربة الخانقة ، ولكن المتوفى لن يتعرض من جانب أسياد هذا المكان لأى نوع من العقاب ، وليس له من غذاء أو شراب ولهذا كان المتوفى فى حاجة إلى الطعام والشراب عن طريق القرابين التى تؤدى إليه بفضل معونة أبنائه وزوجاته ، ومن لا تؤدى إليه القرابين فإنه فى إمكانه العودة إلى الأرض ويصبح روحا شريرة ، وتعساء هؤلاء الذين يموتون دون أن يتركوا ذرية فإن مصيرهم كان محزنا تأكلهم الديدان ويملؤهم الغبار .[١]

ولهذا نجد فى الروايات الأخرى لأسطورة جلجامش ، أنه طلب المعبودات أن يصعد جسد صديقه أنكيدو مرة أخرى على الأرض لبضع لحظات ، وعندما سأله عن حالة الموتى فى العالم الآخر ، أدرك منه المصير المؤلم الذى كان متوقعا لهم ، وكانت تؤدى للمتوفى العادى القرابين المختلفة أو الولائم ، وذلك لكى يتغذى منها الأجداد والمعبودات ، وتبعا لذلك توضع أدوات المائدة فى المقبرة ، أما بالنسبة للملك فكانت الاحتفالات أكثر أهمية . وفى حالة الوفاة كان يسود الشعب الحزن العميق وكان هناك ما يسمى بالنائحات والمنشدات اللاتى يرتدين الملابس الحمراء ويحملن أساور من ذهب (لأن لون هذا المعدن يبعد الشيطان) وكان جسد الملك يوضع فى تابوت مستطيل ، وأثناء تلاوة الطقوس الجنائزية نجد امرأة تسمى " كالاتو " أى " الخطيبة " للمتوفى ، هى فى الواقع التى كانت تقوم بتأدية الطقوس قبل غلق المقبرة .

---

(١) Rutten, op. cit., p. 59.

وفى عصر المقابر الملكية لأور (حوالى منتصف الألف الثالثة) كان الملك المتوفى محاطا فى العالم الآخر بكل بلاطه وزوجاته والموسيقيين والخدم والحاشـية ، ولكن هذه العادة تغيرت ، ولم يعثر عليها فى مكان آخر وحل محلها تمـاثيل تتخـذ أشكال آدمية صغيرة من الفخار ، ومن بين هـذه التمـاثيل تلـك التـى تمثـل دور " الخطيبة " (وهذه الأشكال الصغيرة تشبه تماثيل الأوشبتى " المجيبات " فى مصـر القديمة) . وفى العصر البابلى كانت العادات تشبه تلك التى كانت سائدة فى العصـور السابقة . ومن الملاحظ أن أدوات المتاع الجنائزى قد تطورت وزداد عددهـا ، وقـد صنعت من مواد مختلفة .(١)

(٦) المعابد والكهنة :

كان عبدة المعبودات فى غرب آسيا ينسـبون إليـها صفـات وخصـائص إنسانية ، وشيئا فشيئا أصبحت هذه المعبودات مميزة برموزها أو حيواناتها المقدسـة أو الشارات الخاصة التى كانت تصطحبهم فى المناظر المألوفة ، وانتهى الأمر بـأن مثلت هذه المعبودات برموزها فقط .

فمثلا فى المراسيم الخاصة بهبات الأرض والأوقاف والتى حفـرت علـى الأحجار وتسمى " كودورو " نجد مجموعة من المعبودات ممثلـة بطريقـة موجـزة ومبسطة ، بعدد محدود من الرموز .

وكانت معابد المعبودات ، فى العصر السومرى ، عبارة عن مساكن تمـاثل إلى حد ما تلك التى كان يقطنها الإنسان . ونسـب السـومريون إلـى معبوداتـهم ، رغباتهم وفضائلهم ونقاط ضعفهم ، وخصصوا لها الهبات ، وخدما من التابعين أعدوا إعدادا منظما ودقيقا . وكانت المعبودات تملك القوارب والعربات والرموز الخاصـة بها . وكانت المعابد عبارة عن مؤسسات كاملة ، تحقق لنفسها اكتفاءا ذاتيا ، أولا كان الكهنة والكاهنات يختارون ويتدربون منذ الصغر ، على أساس أن يكونوا معافين مـن

---

(١) Rutten, op. cit., p. 59.

أى عيوب جسمانية وبعضهم كان مسئولا بصفة خاصة بتحقيــق إرادة المعبــودات ، وهم ما يسمون بالمنجمون ، وأن يبعدوا التأثيرات الضارة بإلقائهم وهم المنشـــدون ، وأن يدخلوا السعادة فى قلوب المعبودات بأصواتهم ، وهم المغنيـــون وأن يصـــاحبوا الطقوس وأداء التراتيل بأنغام الموسيقى ، وهم الموسيقيون . إلى جانب هؤلاء يوجــد حراس المعبد ، والمشرفون الذين يقومون بنسخ الأناشيد والطقـــوس . وغالبــا مــا يحررون العقود ، وفى عصر الإمبراطورية البابلية الجديدة ، نجد أن الكاهن والكـاتب القانونى الذى يحرر العقود القانونية ، كان يطلق عليهما لقبا واحــدا . وكـــان هنـــاك بالمعبد أيضا مجموعة من الكتبة التى تختص بحسابات المعبد وإداراته .[١]

كانت المراسيم عديدة ومعقدة ، لذلك نرى أن تفاصيلها كانت تســجل طبقــا للطقوس التى كانت تصف مراحلها المختلفة ، منها نظافة الجسد ، الطهارة ، حـــرق البخور ، صب الماء المقدس ، الأضاحى التى تعقب الأناشيد والتراتيل التى يقوم فيــها المتعبد بمدح المعبود أو البكاء على حالته ، التى لن تـــدوم علـــى الأرض وتشـــمل الأناشيد نصوص تدل على الاعتراف بكثرة الذنوب كما تنص على أن هذه الذنـــوب ربما كانت غير مقصودة .

ونجد أن الديانات فى غرب آسيا ، كانت تعطى أهمية كبرى للطقوس فـــأقل تقصير فى الطقوس قد يؤدى إلى غضب المعبود ، ونجد هذا الأمر عند أهـــل بـــلاد النهرين وأيضا عند الحيثيين ، فنعرف عند الأوائل ، طقوس الأناشـــيد التـــى كـــانت يوصف فيها بالتفصيل المراحل المختلفة لصناعة الأجـــراس مـــن النحـــاس ، التـــى تصاحبهم بالعزف عليها أثناء الغناء .[١]

---

(١) Rutten, op. cit., p. 60.

خامسا : الحياة الثقافية :

الكتابة واللغة :

---

(١) الكتابة البدائية :

لا يوجد إلا كتابة بدائية واحدة ، تلك التى تمثل الشياء المادية ، وهى ما تسمى بالكتابة التصويرية . وقد عرفت كل الشعوب فى الشرق القديم المحاولات الأولى للكتابة مثل المصريين القدماء . فعند المصريين مثلا ، كانت صور الأشياء تتغير حتى أنها لا تتماثل إطلاقا مع الأصل . ونلمس هذا الأمر بصورة أكثر شيوعا عند أهل بلاد النهرين[٢] ، ولعل السبب الذى جعل كتاب العراق لا يلتزمون دائما بشكل العلامات فى الأصل ، أن ذلك يرجع إلى استخدام الأدوات فى اللغة نفسها . فالكتابة اليومية كانت تسطر على ألواح الطين الخالية من الشوائب ، والتى كانت تشكل على هيئة لوحات كبيرة إلى حد ما ويكتب عليها بواسطة قلم بسيط من البوص – وذلك قبل أن يجف الطين . وبعد ذلك تترك هذه اللوحات لكى تجف أو تحرق وتحويلها إلى قالب من الطين المحروق يساعد على الاحتفاظ بها مدة أطول .

والرسم على الطين بعمق قليل بأداة ذات حد ، التى يمسك بها بطريقة راسية يخلق نوعا من الأخطاء التى لا يمكن تفاديها ولكن إذا ضغط الكاتب بطريقة مائلة على سن القلم ، فنجد أن الخطوط ترسم بطريقة أكثر وضوحا على الطين ، ويؤدى هذا إلى إظهار الرسم كمجموعة من الخطوط المستقطعة ، مما أدى إلى

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٢) تحدثنا فيما سبق ، ص ١٤٠ – ١٤١ .

إعطاء كتابة بلاد النهرين صورة لزوايا متعددة ، ومسامير متتابعة ومنها جاءت الكتابة المسمارية . وكتبت بهذه اللغة السومريون والآشوريون والبابليون . واللغة المسمارية تنتمى إلى عائلة اللغات الآسيوية .. وقد استخدم الكتابة المسمارية أيضا الحيثيون والفينيقيون والعيلاميون والحوريون والميتانيون .. وكانت تحتوى على ما يقل على ٦٠٠ علامة تقريبا ، منها نحو ١٥٠- علامة فقط هى التى كانت تستخدم استخداما صوتيا بحتا (١) . وقد امتازت اللغة والكتابة المسمارية على الرغم من النقص الذى كانت تعانيه فى بعض التركيبات اللغوية ومثال ذلك اللوحات التى عثر عليها فى تل العمارنة فى مصر الوسطى ، والتى كانت عبارة عن مراسلات بين ملوك مصر أمنحتب الثالث والرابع وبعض الولايات والمدن فى سوريا وفلسطين ، مما يدل على أن مصر قد اعترفت باللغة المسمارية ككتابة وكلغة رسمية فى المراسلات السياسية العالمية لأن كل الرسائل التى خرجت من مصر إلى حكام وأمراء تلك البلاد والذين كانوا موالين لها كانت مكتوبة بالمسمارية .

وكان قد عثر على هذه الرسائل فى المكان أو الموقع الذى كان يشغله أرشيف الديوان الملكى الذى عثر فيه حتى الآن على ٣٧٩ خطابا كتبت على ألواح طينية . وهى موزعة كالآتى : ١٩٩ بمتحف برلين ، ٨٣ بالمتحف البريطانى ، ٥٠ بالمتحف المصرى ، ١٨ بمتحف اكسفورد ، ١ بمتحف اللوفر ، ١١ بمجموعة خاصة ، يضاف إليها قطعا صغيرة لا تحمل أرقاما (٢). ومن أهم ما عثر عليه بين هذه الألواح جزء من لوح عبارة عن قاموس كانت كل صفحاته مقسمة إلى ثلاثة أعمدة سجلت فى العمود الأول الكلمة بالمصرية وأمامها فى العمود الثانى معناها بالمسمارية الأكدية ، وفى العمود الثالث النطق الأكدى مكتوبا بالأحرف المصرية . وكان هذا القاموس فى أيدى كتبة " مكتب مراسلات الملك " التابع للديوان الملكى ، وذلك للاستعانة به عند ترجمة ما جاء فى هذه المراسلات وعند تحرير الرد

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٢) Knudtzon, Die EL Amarna Tafeln, A Allen 1964, p. 991 - 996 .

عليها .[١]

وهذه الكتابة لم تكن شائعة فى العراق فقط ، بل كان الأمر كذلك فى كل آسيا الغربية حتى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد .

وكانت هناك طريقة أخرى استخدمت فى بعض الحالات ، وهى استخدام الحروف .

(٢) اللغة السومرية :

الأبجدية : فى الواقع عندما أراد السومريون أن يسجلوا كتاباتهم التصورية كانوا يقرأون الاسم بالشئ المرسوم .

ولكتابة اسم القدم فكانوا يرسمون القدم التى تقرأ " دو " ولكن هذه الطريقة جعلتهم يزيدون إلى ما لا نهاية العلامات ، دون أن يستطيعوا أن يسجلوا تغييرات الكلمة سواء كانت فعلا أم اسما ،ولاحظوا أنم الكلمات مكونة من مقاطع (وقد يبدو لنا هذا الحادث عادى جدا ولكن بالنسبة للمبتدئ ، فهو اكتشاف حقيقى) ثم تطورت الكتابة على أيدى السومريين إلى المرحلة الصوتية التى تؤدى علاماتها وصورها وظائف المقاطع الصوتية – كام يمكن التعبير بها عن المعنويات . فالقدم استمرت تمثل بالقدم ولكن أيضا بالنطق " دو " وهكذا حصلوا على علامات للمقاطع المفتوحة والتى تتكون من حرف متحرك وساكن مثل (Aa,Bb) وللمقاطع المغلقة التى تكون من حرف متحرك بين حرفين ساكنين مثل dan ، وأضاف السومريون الكثير من علاماتهم الصوتية ، مع توالى الزمن واستمرار الخبرة ، حتى أوفت بمطالب حضارتهم .

---

(١) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ؛ بارى كيمب : تشريح حضارة (ترجمة أحمد محمود) ، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومى للترجمة ٢٠٠٠ ، ص ٣١١ .

تعتبر اللغة السومرية من عائلة اللغات الآسيوية وقد حلت رموز السومرية بعد السامية الأكدية بفترة وجيزة ، وهى مازالت حتى الآن مجالا لبعض الترجمات ولكنها لم تصل بعد إلى الدقة المطلوبة . وكانت أول النصوص العراقية التى أمكن ترجمتها مكتوبة بالسومرية ، وكانت هى اللغة المستعملة بوجه عام إلى أن حلت محلها اللغة السامية ، قبيل أن يسود فى البلاد الطابع السامى بالكامل ، وقد أهملت هذه اللغة لصالح الأكدية ، التى كانت تستخدم فى مجالات الحياة اليومية ،ولكنها بقيت حتى نهاية الحضارة الآشورية – البابلية : لغة ديانة خاصة بكل استخدامات الطقوس ، ولدينا أيضا بعض التراجم بحروف يونانية لكلمات سومرية ، مما يدل على الرغم من اللغة السومرية قد عدت فى العصر اليونانى لغة ميتة ، إلا أنها كانت لغة للكتابة والحديث فى الحياة اليومية ، كما يحدث الآن بالنسبة للغة اللاتينية واليونانية القديمة وعلى ذلك فإذا كان الموطن الأصلة للغة السومرية هو بلاد سومر ، إلا أنها استخدمت كلغة ديانة وثقافة فى كل بلاد النهرين ، ، وانتشرت أيضا فى آسيا الغربية كما تدل على ذلك القواميس الحقيقية من هذا العصر . وتشمل اللغة السومرية جميع ومختلف النصوص : نصوص تاريخية خطابات ، نصوص قانونية ، نصوص أدبية ، التى اشتق منها الأكديون الكثير وخاصة الأدب الدينى الذى سوف يستمر طويلا .[١]

وعندما اتصل الساميون بالسومريين نجد أنهم اعتنقوا كتاباتهم وكانوا ينطقون الكتابة التصويرية لأسماء الأشياء التى كانت توجد فى لغتهم الأساسية وتبعا لذلك نجد أن الطريقة كان من الممكن تطبيقها على لغات مختلفة وذلك ما حدث فى الواقع عند العيلاميين والحوريين والحيثيين وآخرين .

(٣) الأبجدية المسمارية :

ظهرت تباشير الكتابة منذ المراحل الأخيرة للحضارة الوركاء أو حضارة

---

(١) Contenau , op. cit ., p. 17 .

جمدة نصر فى فجر التاريخ العراقى .[1]

وكانت هناك عدة نظريات ترى أن الكتابة المسمارية ، جاءت من أصل مصرى قديم ، أو أصل كريتى بل رأى بعضهم أنها من أصل ينتمى إلى شبه جزيرة سيناء (نصوص المحاجر فى سيناء التى استغلت بواسطة المصريين) ولكن لا يمكننا القول بأن أبجدية لغة ما قد تطورت عن لغة أخرى ، إلا إذا كانت العلامات موضع المقارنة لها نفس القيمة فى كلتا اللغتين . وليس لدينا هذا اليقين فى نصوص شبه جزيرة سيناء . ولكن هذا الاحتمال غير مقبول نظرا لاكتشاف العديد من النصوص القديمة ومنها يتضح أنه ابتداء من منتصف الألف الثانية ق.م انتشرت فكرة تبسيط الأبجدية للكتابة المسمارية ، التى كانت شائعة فى كل آسيا الغربية وكانت المسمارية من الكتابات المعقدة إلى حد كبير ولكن على الرغم من ذلك عاشت فى آسيا الغربية حتى بداية دخول المسيحية .

والتوصل إلى نوع الأبجدية ، لا يعنى فقط اختراع عدد قليل من العلامات ، فالتقدم يتمثل فى الواقع فى فهم أن مقطع الكلمة مكون من عدة أصوات بسيطة ويجب معرفة كيفية عزلها . وقد يبدو لنا هذا الأمر بسيطا اليوم ولكن مضى وقت طويل قبل أن يتوصل القدماء إلى معرفته . وهنا يتمثل الاكتشاف الحقيقى ، فقد توصل أهل بلاد النهرين إلى فهم المقاطع كما رأينا وعزلها فى الكلمات وعرفوا أيضا تمييز بعض الحروف المتحركة مثل ' a . I . u ' (كما فى اللغة الإنجليزية) ولكنهم لم يسجلوها إلا منعزلة أو لتقوية نطق المقاطع ، ولم يكن لديهم دراية عن حذف الحروف المتحركة فى المقاطع للمحافظة على الحروف الساكنة .

وتحدثنا فيما سبق عن متى بدأ حل رموز الكتابة المسمارية والمحاولات الأولى لقراءتها وذكرنا أن المحاولات الأولى لحل غموض الكتابة المسمارية جاءت على يد جروكفند عام ١٨٠٢ الذى ظل عدة سنوات يواصل أبحاثه ودراساته لبعض المخطوطات المسمارية . وفى عام ١٨٣٥ عكف رولنسون على دراسة الكتابات

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٨٨ .

الثلاث التى حفر بها نقش بيستون على الطريق التجارى القديم المؤدى من كرمنشاه إلى همدان، والكتابات هى : الفارسية القديمة ، العيلامية العتيقة ، والبابلية السامية . وبعد جهد دام اثنتى عشر سنة كاملة نجح فى ترجمة النصين العيلامى والبابلى عام ١٨٤٧ ونشر النص الكامل لنقش بيتسون بالكتابة البابلية السامية عام ١٨٥١ . وفى هذا العام قدم رولنسون بحثا لجمعية الدراسات الآسيوية الملكية فى لندن أوضح فيه توصله إلى قراءة عدد من الأسماء ومعرفة القيمة الصوتية لبعض العلماء تعرف على شكل ٥٠٠ كلمة من الكتابة المسمارية البابلية .

وتوالت الجهود بعد ذلك لمعرفة المزيد عن الكتابات المسمارية وعكف العلماء على دراسة رموز الكتابة المسمارية ومقارنتها بالنصوص الفارسية القديمة. (١)

وعندما لجأ العلماء إلى قراءة النصوص السومرية ، التى أمكن حل رموزها وجدوا أنها قد كتبت بنفس الطريقة الأكدية ، وقد أمدت النصوص الأكدية الأثريين بعون مفيد . فبالنسبة لهم كانت اللغة السومرية لغة ميتة . وكان الأكديون قد كتبوا قواميس حقيقية للكلمات . وبفضل هذه الكلمات أصبحت الترجمة أكثر تيسيرا ، ولكن يوجد بها بعض الصعاب حتى الآن نظرا لقلة ثراء اللغة نفسها . وبوجه عام نجد أن اللغات الآسيوية ، أقل دقة من اللغات السامية ولهذا السبب بالتأكيد نجد أن الأكديين الذين كانوا أقل تقدما فى الحضارة قد تأثروا بكل مجالات الحضارة السومرية ، بما فى ذلك الكتابة لأنهم رأوا أن لغتهم سوف تحل فى وقت ما محل الكتابة السومرية .

وكانت بعض الشعوب الصغيرة فى العراق تتحدث بلغات أخرى غير المسمارية وتدخل هذه اللغات فى نطاق العائلة الآسيوية ومنها :

الفانيكية : وكانت لغة دويلة فى منطقة أورارتو والتى كانت تتمتع بشيء من القوة والنفوذ ولذلك قاومت آشور فى عصر الملك سرجون الثانى ولكن آشور انتصرت عليها فى القرن الثامن ق.م .

---

(١) راجع فيما سبق ، ص ١٣٨ – ١٤٢ .

الجوتية : لغة سكان الجبال فى منطقة زاجروس ، الذين احتلوا جزءا من العراق ، فترة تناهز المائة والعشرين عاما .

الكاسية : وهى لغة يتكلم بها سكان الجبال المجاورين للجوتيين ، والذين جاءوا بعد الجوتيين بمئات السنين وسيطروا على منطقة دجلة والفرات لعدة قرون . وكل هذه اللغات التى تنتمى إلى العائلة الآسيوية على الرغم من التباين الواضح بينهما ، إلا أنها لا تتساوى فى أسلوب توزيعها فى النصوص المختلفة .

الأكدية : وهى أول اللغات السامية ، ولم تظهر نصوص اللغة الأكدية قبل الأسرة الأكدية على الإطلاق ، وهى متباينة بشكل ملحوظ فى آشور وفى بابل ، وأقدم النصوص المعروفة عنها ترجع إلى بداية دخول المسيحية .

(٤) الأدب وفروعه :

يعتبر الأدب الأكدى ، الذى لم يكتشف منه إلا أجزاء بسيطة من أهم مجموعات الأدب التى وصلت إلينا . ونجد كل أنواع النصوص فى هذه اللغة : نصوص تاريخية ، علمية ، قطعا أدبية كبيرة ، خطابات ، عقودا ، نصوص دينية وفى جميع الاتجاهات ، هذا بالإضافة إلى " القواميس " التى تحتوى على مجموعة متنوعة من الكلمات .

ولا يجب أن نغفل أن اللغة الأكدية والكتابة المسمارية كانتا لهما أهمية كبيرة ، فى استخدام البردى والرق فى بلاد النهرين. ولكن اندثرت بقاياهما بسبب طبيعة الأرض ورطوبتها فى بعض المناطق .(١)

وكان على الكاتب أن يجمع تعبيراته فى جمل قصيرة وذلك حسب الموضوع . فإذا كان الموضوع هو سرد أحداث تاريخية أى تسجيل ما يسمى بالحوليات الملكية وقصص الحملات الحربية (حيث نجد نفس التقسيم) فقد كانت القصة تتكون من جمل لها نفس الخصائص ، وكان الأسلوب دائما مقتبسا وغير معبر

---

(١) Contenau , op. cit ., p. 17 – 18 .

عن الآراء الشخصية وإذا كان هناك تجديد فنجده فى التفاصيل الدقيقة .

ونجد هذه الحالة من التفكير شائعة عامة فـى الأدب .وترتبـط النصـوص الأدبية فى العراق بالديانة وتذكر على سبيل المثال قصائد الخليقة وما جاء فيها مـن صور وتعبيرات . وكان هناك ما يسمى بالنصوص التاريخية ، التـى جمعـت مـن مختلف البلاد وتسمح لنا معرفة بعض الأحداث التاريخية . فهناك نصـوص خاصـة بالمراسلات وهى عديدة (عبارة عن خطابات بين الملوك أو بين الوزراء ، وهى فى الواقع إما أوامر أو تقارير رسمية) . ومن بينها خطابات الملك حمورابى والملـوك السرجونيين ، وإذا كان الأدب الأكدى قد امتاز بالتنوع فإنه بقى إلى حد ما جـامدا لا نقابل فيه حماس حسب الحياة الذى تفيض به نصوص وأدب السـومريين . وهنـاك بعض الخطابات التى تتضمن بعض الأمثلة والحكم والتعاليم .[١]

عثر على مئات من اللوحات الطينية التى تبيـن مـا وصـل إليـه الأدب السومرى ، ولهذا فهل الأكديون والأشوريون والبابليون الكلدانيون مـن هـذه الآداب كما نقل منها الحيثيون والحوريون والكنعانيون .[٢]

ويرجح أن السومريين قد بدأوا يسجلون أعمالهم الأدبية منذ حوالـى عـام ٢٥٠٠ ق.م . وأمكن التعرف على ما يقرب من سبعمائة لوحة وقطعة تتصل بـأدب الحكم والأمثال والنصائح السومرية . كما تم الكشف كذلك عن مايقرب من عشـرين لوحة وقطعة ترجع إلى العصر السومرى الأكدى وجدت فى مكتبـة الملـك آشـور بانيبال فى نينوى .[٣]

وجاءت هذه اللوحات والقطع من مواقع كيش ونيبور واور وهـى مؤرخـة

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

(٢) د. أحمد سليم : الأسرة فى العراق القديم " دراسـة مـن خـلال أدب الحكـم والنصائح " ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ١١.

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢ – ١٤ .

حاليا فى العديد من متاحف العالم .[١]

وجاءت بعض هذه الحكم والأمثال مزدوج اللغة : أى كتبت باللغتين المشهورتان : اللغة السومرية واللغة الأكدية .وظلت السومرية هى اللغة السائدة فى التدوين حتى برزت اللغة الأكدية فى العصر الأكدى وتزايد استخدامها حتى طغت على السومرية منذ مطلع الألف الثانية قبل الميلاد .وعلى الرغم من زوال السومريين من الحيّاة السياسية فى هذه الفترة من الألف الثانية ق.م إلا أن لغتهم استمرت هى لغة الثقافة ، استمر التدوين بالسومرية جنبا إلى جنب مع اللغة الأكدية بفرعيها الأساسيين : البابلية والآشورية إلى آخر عصور العراق القديم . وقد تأثر الإنتاج الأدبى بهذا الازدواج اللغوى ، لهذا لا يمكن فهم النصوص الأدبية وترجمتها إلا إذا ترجم النص من السومرية إلى اللغة البابلية أو الآشورية .[٢]

(٥) العلوم والمعارف المختلفة :

قامت العلوم فى العراق القديم والبلاد المحيطة به على " التصنيف العلمى " أى محاولة فهم ما حولهم والربط بين الحيوانات المختلفة وسلالتها والنباتات وأنواعها حسب التشابه . وقد اخطأوا فى ذلك حيث أنهم وضعوا تحت جنس الكلب : الذئب والضبع والأسد ، كما جلعوا كل ما يعيش فى الماء تحت صنف الأسماك بما فى ذلك الأصداف البحرية والسلاحف ، وربما كانت مصنفاتهم فى النباتات أكثر دقة حيث أنهم جعلوها فى مجاميع متشابهة من حيث أشكالها وثمارها وميزوا فى بعض أنواع

---

(١) متحف جامعة بنسلفانيا ، ومتحف الشرق الأدنى القديم فى اسطنبول ، متحف جامعة شيللر بألمانيا ، المتحف الوطنى فى بغداد ، المعهدالشرقى فى جامعة شيكاغو ، متحف نيس ، وفى تورنتو ، وفى ليدن ، وخاصة المتحف البريطانى وغيرها ، راجع : المرجع السابق ، ص ١٤– ١٥ حاشية (١) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦ – ١٧ حاشية (٣) .

الأشجار بين الذكر والأنثى .[١] وقد قام التصنيف العلمى على مبدأ تقسيم العلوم إلى التخصصات الآتية : علم الحيوان ، على النبات ، وعلى الجيولوجيا .

الطب : فى مجال الطب توصلوا إلى الكثير من المعارف عن الأمراض وتشخيصها وتشريح الجسم والعقاقير النافعة , وكان العلاج مختلطا بالسحر لأنهم كانوا يعتقدون أن الأمراض سببها أرواح شريرة تتقمص جسم الإنسان .

والمريض ما هو إلا إنسان ارتكب معصية أو خطأ ما ، ولذا فهو يصاب بمرض كعقاب له . ولذلك كان يجب أولا معرفة نوع الخطيئة التى ارتكبها المريض ويبدأ الطبيب ، الذى كان فى أغلب الأحيان كاهنا يراجع قائمة المعاصى التى ربما قد ارتكب المريض إحداها وهى قائمة طويلة جدا .[٢] وكان على المريض أن يذكر نوع الخطيئة لكى ينال مساعدة المعبود ولكى ينجو من الشيطان والروح الشريرة .ولذلك كان يقوم الكاهن بترديد الرقى والتعاويذ ذات الكلمات المؤثرة والفعالة باسم القوى العليا وباسم المعبودات ، وذلك بهدف طرد الروح الشريرة وطرد الشيطان إلى مأوى آخر ليترك جسم الإنسان ، ويعرض عليه أن يحل فى جسد حيوان مثل الماعز أو الخنزير ، ومن المقبول فى بعض الأحيان أن فرعا من نبات البوص ، يقطع بطول المريض ، كما يستخدم كبديل لجسد الحيوان .[٣]

وبعد أن يغادر الشيطان جسد المريض ، تقدم القرابين وتؤدى الطقوس للصلح بين الإنسان المريض والمعبود لتفادى وقوعه فى الشر مرة أخرى ، ومثل هذه الطقوس لم تكن فى متناول كل إنسان . لذلك كان الإنسان يستخدم فى بعض الأحيان لوحة كبيرة تحمل نقوشا بارزة تشير إلى هذه الطقوس وتحل محل أدائها عمليا . وكان الطبيب يضيف إلى علاجه بعض الصيغ السحرية ، ولكن هذا العلاج لا يعالج طبيعة المرض ولكن يؤدى وظيفته فقط ضد الشيطان بمواد سوف يكرهها

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق ، ص ٢٣٦ – ٢٣٧ شكل ٤٧ .

(٢) Contenau , op . cit ., p. 50 .

(٣) Id , op . cit ., p. 61.

الشيطان من حيث المذاق والرائحة (وهذا ما يسمى بالعلاج الطبيعى) . وحدث فيما بعد فى الألف الأولى ق.م نوع من التقدم وأمكن تصنيف أنواع الأمراض وطبيعتها وأصبحت مرتبة ومعروفة ، وقام بما يسمى بالطب الفعلى ولم يصبح ذا طابع سحرى ، وفى القرن السابع ق.م توصل الآشوريون فى عصر الملك سرجون الثانى إلى إرشادات طبية سوف تستخدم فيما بعد فى طب هيبوقراتس.

• وقد اعتبر المعبود أيا معبود المياه للطب أيضا . ومن معبودات الطب الأخرى المعبود ننازو وابنه ننجشزيدا . ومن رموزه المقدسة عصا تلف عليها حية أو حيتان وذلك لأن الحية قادرة على تجديد شبابها لأنها تخلع جلدها فيعود لها الشباب وهذه الشارة هى التى اتخذها الأطباء الصيادلة شعارا لهم الآن .[١]

وكان الأطباء ينقسمون حسب تخصصاتهم إلى جراحين ومعالجين بالعقاقير وعرفوا استخدام الأدوية المستخرجة من عناصر نباتية وحيوانية ومعدنية كما قسموها من حيث استعمالها إلى أدوية تستعمل من الظاهر " أى دهون " وأخرى تتناول عن طريق الفم .[٢]

ومن الأطباء من كان يؤدى عمله كموظف رسمى وخاصة لدى الملك ومنهم من كان يعمل لحسابه الخاص . وقد يرسل الملك بعض الأطباء الرسمين إلى ملوك بعض الأقطار الأخرى لعلاجهم .[٣]

الكيمياء : عثر للعراقيين على بعض المؤلفات فى الصناعات الكيماوية كما أن عملياتهم الكيماوية كانت تتضمن بعض الرقى والتعاويذ . وعرفوا المواد المفيدة مثل الزئبق وعرفوا الماء الملكى الذى يذيب الذهب كما نجحوا فى استخراج عدد كبير من الأدوية من المعادن الصخرية وصلنا منها ما لا يقل عن ١٢٠ نوعا [٤]

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور :المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٥٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

(٤) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

ولأغراضهم العلمية عرفوا الأصباغ والعقاقير واستخدموا الأدوية والصابون والعطور .[١]

التنبؤات والفلك : اعتقدت المجتمعات القديمة فى غرب أسيا فى المعرفة ، عن طريق الوحي المقدس ، وكان من السهل عليهم أن يفترضوا وجود صلة بين عالم السماء وعالم الأرض وهذه الصلة يجب أن تستمر وذلك عن طيق المعبودات التى كانت ترشد الأحياء إلى رغباتهم . لذلك عد التنبؤ وسيلة للمعرفة . ولمعرفة الأحوال الجوية كان أهل بلاد النهرين يسألون المعبودات وجزءا كبيرا من تنبؤاتهم كان أقرب إلى الطريقة العلمية . أما الفلك بالنسبة لهم هو معرفة التنبؤات الجوية فكانوا يقدرون نوعية السحب وحجمها ، وضوء الكواكب ، والضوء الذى يحيط بالنجوم ، والأحلام كانت بالنسبة لهم شيئا حقيقيا ، فهم لا يحملون برؤية الشئ ولكن كانوا يعتبرون أنفسهم أنهم يعيشون حياة أخرى أثناء النوم أو السبات وكان عليهم أثناءه ، أن يتلقوا أوامر وتعاليم المعبود .[٢] وهذا كان يتطلب نوعا من التفسير الذى كان يقوم به الكهنة المنجمون . وكان لهؤلاء الكهنة طابع رسمى أو صفة رسمية . لذلك كان الملوك يعملون على الاحتفاظ بعدد منهم فى لا قصورهم عند التشاور معهم فى أمر ما يتعلق بمستقبل أو إدارة البلاد ،أو تفسير الأحلام . ويبدو أن جميع أنواع التنبؤات كانت معروفة فى غرب آسيا القديمة .

فمثلا التنبوء بالميلاد غير الطبيعى للطفل أو الحيوان ، ووصف التكوين غير الطبيعى للمولود الجديد يدل على نوع من التقدم العلمى . ولكن مثل هذه التنبؤات يجب ان تفسر بقصد حسن نية . فعندما تحبرنا النصوص أن حدثا ما سوف يقع ، فيجب فهم النص هنا بأنه " يشبه إلى ... " .

ونجد أن البابليين قد جمعوا هذه التنبؤات فى كتب ولما كانت المعبودات هى التى توحى بتعاليمها للأحياء فليس هناك ما يمنع من إرادتهم ورغباتهم توجد مكتوبة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

(٢) Contenau , op. cit ., p. 54 .

على كبد الضحية التى تقدم إليهم ، ولهذا عمد الكهنة إلى صنع نماذج للكبد من الطين سجلوا عليها رغبات المعبودات .

وكان هذا النوع من أدب التنبؤات مترجما فى البلاد المجاورة للعراق . والتى كانت تعتقد فى التنبؤات . وكانت النصوص المخصصة للتنبؤات تمثل جزءا هاما من الدب العراقى والأدب الحيثى .(١)

أما بالنسبة للفلك ، فقد تطور وأصبح يقوم على أسس رياضية واستخدم الفلكيون وسائل بسيطة وأمكن التوصل إلى نتائج ملموسة عند البابليين ، ومن ذلك اعتبار الشمس مركز الكون وأن المد والجزر يرجعان إلى تأثير القمر وقد استخدموا فى أرصادهم بعض الآلات . كما يعتقد أن قمم الزاقورات كانت تستخدم لرصد الأجرام السماوية . فقد تعرفوا أو توصلوا إلى حساب فترات الكسوف وقد تركوا لنا لوحات تعبر عن المسافات المختلفة بين النجوم غير المتحركة والتى تدل على دقة بالغة .

وقسم البابليون اليوم إلى ١٢ قسما كل منها يتكون من ٣٠ جزء وقسموا السنة إلى ١٢ شهرا قمريا يضاف إليها شهر آخر كلما دعت الحاجة لضبط فصول السنة . كما قسموا دائرة السماء بواسطة النجوم إلى ١٢ قسما ورصدوا بعض الكواكب مثل الزهرة وحسبوا أبعادها بالدرجات ولقياس الزمن استعملوا ساعات مائية لقياس ساعات الليل وشمسية لقياس ساعات النهار .(٢)

السحر : كان معروفا فى العراق القديم ، كوسيلة لطرد الأرواح الشريرة التى تلازم الإنسان ، وتسعى إلى النيل منه ، فكانوا يعتقدون فى أهمية الاسم الذى يحدد شخصية الإنسان ويحدد معالم الشئ .

فكل شئ له اسم وهذا الاسم هو المعبر ، وبدونه يصبح الشئ مبهما وغير واضح وليس له وجود . وهذا الاعتقاد كان سائدا أيضا فى مصر القديمة. وكلما كان

---

(١) Contenau , op . cit ., p. 55 .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور :المرجع السابق ، ص ٢٥١ – ٢٥٢ .

للشئ اسم يمكن التعرف عليه فإنه يصبح من السهل على الإنسان التحكم فيه والسيطرة عليه عن طريق السحر .[١]

ولكى يهرب الإنسان من سيطرة مشابهة ، فعليه أن يخفى اسمه ومن المقبول أن معرفة الاسم ، ومعرفة بعض الكلمات (كلمة ذات قوة) التى تنطق مع الصوت المناسب ، ترغم من توجه إليه أن يبتعد .

وبالمثل نجد أن التمثال الموضوع فى المعبد ليكون محل عبادة ، والذى يحمل اسم من يمثله يصبح الممثل الدائم لصاحبه ، وإذا كانت هناك دعوات مكتوبة على التمثال وموجهة إلى المعبودات تصبح لهذه الدعوات نفس القيمة ، كما لو كان صاحب التمثال هو الذى ينطق بها . وفى هذه الحالة فإن السحر له تأثيرا على قوة الطبيعة .

ولحماية المجتمع والبشر من الأرواح الشريرة أو الأعمال السحرية المؤذية يجب استخدام السحر [٢] . فالأرواح الشريرة موجودة بكثرة من حولنا ، منها ما هو نصف مقدس ومنها ما يمثل الأرواح الشريرة التى تخص هؤلاء الذين كانوا قد تعرضوا لمصائب فى الحياة أو توفوا نتيجة حادث معين ، أو هؤلاء الذين لم تشيد لهم مقابر أو هؤلاء الذين لم تقدم إليهم قرابين جنائزية ، كل أرواح هؤلاء بمقدورها إيذاء الإنسان الحى .

ويتحرك الشيطان داخل الإنسان ، لأن الإنسان قد أهان المعبودات أو أقدم على خطيئة ما (أغلب هذه الخطايا ضد الطقوس الدينية وربما حدثت بدون عمد) فيغضب المعبود ويبتعد عن مخلوقاته ويصبح المكان مهيئا لتدخل الشيطان . وفى حالات أخرى قد يقوم الساحر نفسه بنداء أحد الأرواح الشريرة ضد أى إنسان قد اختاره هو كضحية له .

وكان الغرض من السحر فى بابل هو الصراع ضد أغراض وأهداف

---

(١) Contenau , op . cit ., p. 58 .

(٢) Id , op . cit ., p. 58 .

الشيطان وقوى الشر . وكان الكاهن يستخدم طريقة نداء وكتابة الاسم ، لكى يطرد الشيطان عن طريق الصيغ التى يتعرف بها على شخصية الشيطان مما يؤدى إى وضع الشيطان فى موقف ضعف لأنه قد تعرف عليه ويضطره إلى ترك المكان .

وبالنسبة لأى إنسان ارتكب معصية أو خطيئة ، فإن الكاهن يقوم بتطهيره من الخطيئة عن طريق حرق بعض الأعشاب وبعض المواد كما لو أنه يحرق الشيطان نفسه ، ويقوم أحيانا بعمل تمثال صغير يشبه الروح الشريرة ويعطيه نفس اسم هذه الروح ، ويقوم بتعذيب هذا التمثال ويقضى عليه بإلقائه فى النار ، وهذه الطريقة تسمى بطريقة السيطرة على قوى الشر .[١] وقد وصف هذا السحر على لوحات صغيرة كانت توضع فى مكتبات المعابد وكان يسمى السحر للدفاع عن النفس والسحر للهجوم على قوى الشر وكان يستخدم نفس الطرق والأساليب .

سادسا : التعليم :

كان العلم والمعرفة قاصرين منذ أقدم العصور على طبقة قليلة هى طبقة الكتبة التى تنتمى إلى الكهنة ، الذين كانوا يتلقون العلم وخاصة التعاليم والحكم من الكهنة ومن الصغير كان الكاتب يعد نفسه لتمارين الكتاب [٢] ، وفهم العلوم التى سوف يتخصص فى أحد فروعها فيما بعد . وإلى جانب هؤلاء الكتبة العاديين نجد كتبة المعبد ، كتبة الجيش ، كتبة الحسابات ، كتبة الوصفات الطبية وآخرين . وقد عثر على مئات من اللوحات التى تمثل الواجبات المدرسية التى كان يخط عليها المعلم بعض العلامات بالحروف والجمل ومن تحتها كان التلميذ يحاول تقليدها ونسخها وتكرارها عدة مرات[٣] . وكان هناك من الكتبة والمتعلمين من يتخصص فى مختلف فروع الثقافة كالطب والفلك والقانون والعلوم والرياضة والموسيقى .

---

(١) Id ., op . cit ., p . 59 .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٥١ – ٢٥٢ .

(٣) Contenau , op. cit ., p. 17 – 19 .

وقد عثر على بعض اللوحات الصغيرة التى تسمى " تعليقات " وكانت مخصصة لتخفيف العبء عن ذهن المعلم ، وتساعده على ترديد ما يجب قوله ، وما يجب إخفاؤه على الإنسان العادى وخاصة فيما يخص المبادئ الدينية .

الحساب : إذا تحدثنا عن الحساب ، فنجد أنه عثر على قوائم عبارة عن جداول ضرب وقد عثر على بعض المسائل على لوحات صغيرة ودراسة هذه المسائل على الرغم من عدم تشابهها من الناحية العلمية ، بالنسبة لعصرنا الحاضر ، فإنها تدل على تقدم علم الحساب . وكانت طريقة العد مزدوجة : أحدهما هى كتابة العدد واحد يضاف إليه أعداد أخرى ، والثانية هى كتابة الكمية التى تمثل القاعدة مثل وجود عدد من الدقائق فى الساعة .

وقد قسم البابليون الدائرة إلى ٦٠ درجة [١] . ومنها جاء تقسيم الساعة إلى ٦٠ دقيقة ، والدقيقة إلى ٦٠ ثانية .

وقد عثر على لوح عليه نظرية هندسية مكتوبة بالمسمارية [٢] وعثر أيضا على خريطة للعالم مبين عليها مدينة بابل كنقطة قريبة من مركز دائرة العالم بالكتابة المسمارية .[٣]

سابعا : الحياة الفنية :

العمارة والفنون : أثر الفن السومرى على البلاد المجاورة ، وذلك طوال فترة تطور الفن فى هذه البلاد وأدت هذه المحافظة على الفن السومرى الذى نجده فى بعض البلاد (عمارة آشور على سبيل المثال) إلى اعتناق بعض الاتجاهات الفنية من الفن السومرى وأدت أيضا إلى نوع من عدم التناسق لكى تتناسب مع إمكانيات هذه البلاد المجاورة ، وكمثال للفن فى العراق القديم ، نأخذ الفن السومرى ، ونتتبع

---

(١) Contenau , op . cit ., p. 53 .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ ، شكل ٤٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥١ ، شكل ٤٩ .

اتجاهاته ومراحل تطوره والتغيرات التى تعرض لها فى انتشاره وفى طريقة تنفيذه منذ عصر فجر التاريخ حتى النهاية .[١]

(١) العمارة :

المساكن :

كان للعمارة طابع الأشكال البسيطة مع إضافات فن النحت البارز التى تعطيه الحياة والثراء . ولم يكن فن نحت التماثيل هو الفن المسيطر فمثلا بالنسبة للمساكن نجد أن البيئة وطبيعة بلاد سومر قد أثرت على الفن ومواد العمارة وأشكالها ، فليس هناك حجارة للبناء أو أخشاب سوى النخيل وأرض تتسرب إليها الماء بسبب فيضان الأنهار . ونتيجة لذلك استخدم الفنان الطوب من الطين المخلوط بالقش والمجفف فى الشمس .[٢] ولكن مثل هذه الأبنية لم تكن دائمة ، لأنها لم تكن ذات جدران سميكة ولم يكن هناك نوافذ فى المساكن لأن الفراغات تعرضها للخطر ، وفى أغلب الأحيان كان الباب هو المنفذ الوحيد الذى يعطى الهواء ويسمح بدخول الضوء وكانت هناك فى بعض الأحيان فتحات تترك بين ألواح السقف لتسمح بدخول الضوء . وإذا كان السقف المسطح مكونا من كتل النخيل ، فهناك طابق آخر ، كان يصعد إليه عن طريق سلم خارجى . وإذا لم يكن السقف مسطحا ، فقد كان على هيئة

---

(١) عن الفن بوجه عام وكافة مجالاته ونماذج منه منذ فجر العصور التاريخية حتى نهاية العصر الكلدانى ، راجع : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٣٧٣ – ٣٨٣ ، ٤٠٤ – ٤١٢ ، ٤١٨ – ٤٢١ ، ٤٣٢ – ٤٣٤ ، ٤٨٢ – ٤٨٣ ، ٤٩٨ – ٥٠٢ ، ٥٣٠ – ٥٣٩ ، ٥٥١ – ٥٥٤ ؛ د. سيد توفيق : تاريخ الفن فى الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، ص٣١٣ – ٣٨١ ؛ وفيما سبق ، ص ١٧٠ – ١٧٥، ١٨٣، ١٨٧، ١٩٩، ٢١٧ ، ٢١٩ – ٢٢٠ ، ٢٣١ – ٢٣٥ ، ٢٤١ – ٢٥٠ .

(٢) Contenau, op. cit., p. 64.

قبو حيث يوضع الطوب اللبن على هيئة نصف دائرة[١] ولكى يقضـى السـومريون على رطوبة الأرض ، لجأوا إلى وضع أبنيتهم فوق سطح مرتفع من الطوب اللبـن . وقد عمل الآشوريون على تطبيق نفس الأسلوب ، ولكى يساعدوا على صلابـة هـذا المسطح المرتفع أضافوا إليه كتل من الأحجار أو بقايا حجريـة صغـيرة أخـرى . وكانت هذه المسطحات تتطلب وسائل معينة ومعقدة لتصريف مياه الأمطار والميـاه المستخدمة فى المساكن .

ولم تطبق تلك الوسائل فى المساكن البسيطة . فكانت المساكن فـى البدايـة عبارة عن أكواخ حقيقية من البوص المغطى بالطين المجفف والمدخل مغطى بحصير ولم يدم هذا النوع من المساكن طويلا .[٢] فإذا شاءوا أن يبنوا فوقها ، فكانوا يـهدمون تلك المساكن ، ويمهدوا بها الأرض . ثم تبدأ عملية التشييد من جديد . وينطبق هـذا الحال أيضا على المبانى الكبيرة المشيدة من الطوب اللبن . وقد عثر على بقايا قـرى ومدن كانت على هيئة أكوام ، وهى التى عرفت فيما بعد باسم " تل " فى العراق .

وكانت الأكواخ منتشرة فى البداية فى جنوب العراق ، ثم استخدم اللبن فـى بناء المساكن الصغيرة والمنشآت العامة .[٣] أما عن آشور ، فكـانت البيئـة غـير معرضة لخطر الفيضان ، واستخدم اللبن فى بناء الجدران والحجارة ، لأن البيئة كـان يكثر فيها الحجارة ، كما توافرت فيها الأخشاب ، فى شمال البلاد ، لذلـك تغـيرت طريقة البناء وأصبح لها طابع خاص بها . ولم تستخدم الأحجار فى بداية الأمـو ، إلا فى النقش الغائر الذى يزين القصور والجدران الخارجية من أسفل ، وكـان تصميـم المساكن عبارة عن فناء أو ساحة مكشوفة يحيط بها عدد من الحجرات . كما يسـتعان فى تهوية هذه الحجرات بأنابيب فخارية مثقوبة موجودة فى الجدران .[٤]

---

(١) Contenau, op. cit., p. 65.

(٢) Id., op. cit., p. 64.

(٣) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق، ص ٢٠٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

المعابد :

منذ العصور القديمة كانت المعابد تقام من الطين ، ونتيجة لعدم وجود الأحجار الصالحة للبناء فى جنوب العراق ، فاستعيض عن ذلك بجعل الجدران سميكة ضخمة من الطين حتى تصبح أكثر متانة . وفى بعض الأحيان كانت متعرجة وذلك لضرورة الدفاع عنها . وكان المبنى عبارة عن سور مقوس الشكل يحيط بأرض فضاء يشيد من داخلها مبنى مسطح . وكان لهذا المبنى نفس مساحة المسطح تقريبا . وكان هذا النوع من المبانى هو الفضل عند الساميين . ثم ظهور نوع آخر من المعابد السومرية عبارة عن أرض مسطحة يحيطها سور به مدخل فى وسط واجهة المبنى .

وأحيانا أخرى نجد العكس فنجد المدخل فى إحدى الواجهات الطويلة وهو مائل إلى الداخل . وكان المدخل يؤدى إلى فناء أوسط وهذا بدوره يؤدى إلى بهو عن طريق بوابة رئيسية وهذا البهو ينتهى فى طرفه البعيد بقدس الأقداس الذى تقع أمامه غرفة يلحق بها مخازن للأدوات والمواد المستخدمة فى الطقوس .(١)

وأخيرا نجد أن المعابد الهامة فى سومر ، كانت مصحوبة ببرج من عدة طبقات فى هيئة مصاطب تتدرج فى صغرها إلى أعلى . وهو الأصل الذى تطور إلى الزاقورة التى كانت تقام بجانب المعبد ، وللوصول إلى عدة طبقات أو مسطحات ، كان يجب اتخاذ طريق منحدر حول الطبقات أو عن طريق سلم مدرج يربط كل مسطح من الزاقورة بالآخر وفى نهاية الزاقورة توجد ما يسمى بالمقصورة ، التى تحتوى على تمثال المعبود .

ويعتقد بعض المؤرخين أن أهل بلاد النهرين قاموا ببناء هذه الزاقورات لاعتقادهم بأن المعبود يهبط إليها ويشرف منها على شئون البشر(٢) وكان من المعتاد

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٠ .

أن يوضع فى أساس كل معبد رمز للحماية يكون أحيانا عنـــد البوابـــة فـــى إحـــدى المشكاوات وأحيانا تحت أرضية قدس الأقداس . وقد يوجد مائدة قرابين أمـــام قـــدس الأقداس .[١]

ومن الجدير بالذكر أن قدس الأقداس فى الزاقورة كان يتمثل فى أعلى طبقـــة منه حيث يوجد قدس الأقداس صغير . وروى هيرودوت أنه كـــان يحـــوى ســـريرا مزخرفا زخرفة فخمة وتقوم إلى جانبه مائدة من الذهب .

كما روى هيرودوت أن المعبود كان يأتى ليمضى الليل فى هذا المكـــان .[٢] ومن أشهر الزاقورات ، زاقورة أور وخور سباد .[٣]

وفى العصر البابلى ظهر طراز جديد من المعابد يبدو أنه كان لعبادة الملـــك الحاكم وهو عبارة عن معبد مربع الشكل أضيفت إليه دعامات وفى مدخلـــه برجـــان مزينان بالتجاويف ..وهذا المدخل يؤدى إلى حجرة بها طاقة بـــها تمثـــال المعبـــود وأمامها مجرى من الفخار لتصريف سوائل القرابين وإلـــى يســـار الحجـــرة غرفـــة للاجتماعات أو للطقوس ، وإلى يسار هذا المعبد كان يقع قصر الحاكم الذى يقع إلـــى غربه معبد آخر بنفس نظام المعبد السابق ، خصص أيضـــا لعبـــادة الملـــك ، أى أن القصر الملكى يقع بين هذين المعبدين .[٤] ومن أشهر الزاقورات فى العصر البـــابلى زاقورة بابل أو برج بابل الذى أقيم على قاعدة مربعة طول كل ضلع منها ٩١ مترا ، وأقيم على سبعة مدرجات كل واحدة أصغر من الأخرى ، وارتفـــاع كـــل منـــها ٩ أمتار . ويوجد أعلاها معبد أو مقصورة المعبود ماردوك معبود المدينة .[٥]

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

(٣) Contenau, op. cit., p. 67.

(٤) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٦٤ شكل ٥٤ .

القصور :

ما هى إلا صورة مكبرة للمساكن البسيطة ، والتى تتكون من فنـــاء كبــير يحيط به عدة حجرات ، وهذه القصور كانت عرضة للإضافة والزيادة . وينطبق هـذا على قصور سومر وأكد التى وصلت إلينا فى حالة جيدة . ومنها قصور أشنونا ومــن آشور قصور نوزى وخور سباد كان القصر يحتوى على مساحة مربعة تؤدى إلـــى الديوان وهو عبارة عن حجرة كبيرة للأعمال الإدارية . وبالقصر غرف للحراســة ، وعند مداخل القصور توجد أبراج قوية تحميها ووضعت عليها تماثيل لثيران مجنحــة ذات رؤوس بشرية ربما كان القصد منها أن تكون رمزا للحماية وذلك فــى العصــر الأشورى . وفى العصر البابلى اختفت هذه التماثيل وحلت محلها نقــوش لحيوانــات وأزهار على أجر أزرق مزجج . وكان القصر يقع فى إحدى نهايتى الشارع الرئيسى للمدينة .(١) وفى النهاية الأخرى يوجد المعبد الرئيسى وإلى جواره الزاقورة .(٢)

المقابر :

هى " المسكن الأبدى " الذى يعيش فيه الإنسان حياته البطيئــة فــى العــالم الآخر ، وكان الموتى فى سومر يدفنون تحت أرضية المساكن ، وفيمــا بعــد كــان المتوفى يدفن فى جبانات منفصلة ، ويوضع المتوفى فى توابيـــت مــن الخشــب أو الأحجار أو الفخار . ومن النادر أن نجد مقبرة سليمة ولم تمسها أيــدى اللصــوص ، فسرقات المقابر كانت معروفة ، وذلك بسبب الثروات التى كانت توضع مع المتوفــى الذى كان يتمتع بشئ من الغنى . ولكن المثال الشاذ عن هذه القاعدة ، وهو الجبانــة الملكية لأور حيث نجد أن المقابر الغنية قد نجت من أيدى اللصوص والكشف عنــها جعلنا نتعرف على فن الزخرفة عند أمراء النصف الأول من الألف الثالثة ق. م .(٣)

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

(٢) راجع فيما سبق ، ص ٢٦٣ .

(٣) Amiet, les Civilisations Antiques du Proche Orient, p. 68.

(٢) الفنون التشكيلية والتعبيرية :

عرف الإنسان العراقى القديم الرسم والنقش والنحت منذ القدم ، عرف مثلا رسم الأشكال الهندسية وأشكال الحيوانات والنباتات على الفخار وقد وجدت أمثلة للرسم فيما بعد فى قصر تل أحمر ، (تيل بارسيب) حيث نجد فى هذا القصر الآشورى الذى يرجع إلى حوالى بداية النصف الأول من الألف الأولى ق. م. رسوما لما كان موجودا على حجارة القصور الآشورية الكبرى ، والتى كانت منتشرة فى العواصم وفيها نرى : حياة الحاكم ، انتصاراته ، أعمال الصيد وبعض الموضوعات الدينية فى العواصم . وتقليد النقوش فى رسوم الجدران نجده فى خور سباد وقد استخدم بكثرة هناك كما تدلنا على ذلك الحفائر .[1] وعرف الفنان قواعد المنظور ومنه الكاريكاتير .

النقش :

مارس أهل العراق القديم فن النقش منذ القدم ، وكان الفنان يلجأ إلى ترتيب كل لوحة أو منظر يلى أحدهما الآخر (مثل الموكب المنقوش على آنية واركا فى بغداد) أو يجمع العناصر حول المنظر الرئيسى مثل لوحة النسور ، ونذكر لوحة نرام – سين ملك أكد كمثل أفضل لفن النقش ثم لوحة قانون حمورابى .

وقد جاءت أكبر مجموعة من النقوش من قصور نمرود وخورسباد وهى نقوش بارزة لها تأثير بالغ نظرا لضخامتها وكثرتها ولكن بها بعض الجمود . وكانت النقوش البارزة توضع فى مربعات حسب الموضوعات ، وكانت المناظر تحدد أولا فى خطوطها العامة بالرسم ثم يتناولها الحفارون بالنقش لتحقيق الصورة المطلوبة وإضافة زينات الزى والملابس .

وقد لعب فن النقش على الأحجار ، دورا هاما فى فنون العراق فنجد أن كل شخص كان عليه أن يحمل معه خاتم أسطوانى صغير ينقش عليه اسمه ووظيفته

---

(١) Contenau, op. cit., p. 64.

وابتداء من العصر البابلى الجديد ، اختفت الأختام الأسطوانية شيئا فشـيئا ، وللنقـش على الأحجار كان يجب استخدام أداة حادة أو أداة لولبية التى تحدث ما يشبه الدوائـر البسيطة ، التى كان يجب على الحفار جمعها أو يصلها بعضا عن طريق الحفر تاركـا أثر هذه الدوائر الصغيرة واضحا .[١]

النحت :

وجدت نماذج جميلة للنحت منذ أقدم العصور ومن خير الأمثلة علـى ذلـك القيثارة الممثل بها راس ثور .[٢]

وكان نحت التماثيل قليل الانتشار بين فنون الشرق القديم الأخرى ونجـد أن السومريين فى العصور القديمة ، قد أنتجوا تماثيلا لأنهم كانوا يرغبون فى أن تظـل صورهم خالدة فى المعبد ، ومن بقايا الحفائر فى جمدة نصر والوركاء عـثر علـى الجزء الأمامى لرأس جميلة فقد منها تطعيم العين . وفيما بعد أبان عصـر الأسـرة الأكدية وعصر جوديا ، اصبح فن التماثيل ذا أحجام كبيرة ومن الأحجار الصلبة مثـل الديوريت ، وبلغ درجة كبيرة من الإتقان الحقيقى . ونذكرها على سبيل المثال الـرأس الصغيرة التى كشف عنها فى حفائر سوس من عصر الأسرة البابلية الأولى .

فقد زادت موضوعات النحت فى عهد البابليين . أما فى عصر الآشـوريين فقد شاع تمثيل المعبود بهيئة آدمية داخل قرص الشمس وهو يسحب قوسـه ليعـاون الملك ضد أعدائه . كما شاع تزجيج قطع كبيرة من المنحوتات . وقد بالغ الفنان فـى إظهار ملامح التمثال وبالغ فى حجم العيون ولذا اضطر إلى جعل نسب الوجـه إلـى الرأس أكبر ولم يوفق فى إبراز تقاطيع الجسم ولم يهتم بالزى الذى يلبسه التمثـال . غير أنه بلغ مرتبة عالية فى إتقان الحيوانات وأبدع فى إخراجها .[٣] ونرى مظـاهر

---

(١) Amiet, op. cit., p. 102.

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ شكل ٥٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٧ – ٢٥٩ .

العنف فى فن النحت فى تمثال آشور ناصر بال والتمثال النصفى لامرأة تسمى آشور بل كالا من آشور .

وكان إعداد الأحجار وقطعها أمرا سهلا ، فنجد فى العصور القديمة وفى العصر الآشورى كان من السهل قطع الحجر الجيرى بآلة حادة لحظة استخدامه من المحاجر لأنه كان يحتوى على الماء فى تكوينه الطبيعى . أما بالنسبة لإعداد الديوريت فكان الأمر مختلفا إذ كانت تتطلب عملية تقطيعه إلى وتد كبير فتنفصل الشظايا ، ويهذب عن طريق احتكاكه بالرمال .

بقايا العواصم القديمة فى العراق :

بابل : تقع بابل على بعد ١٠٠ كم ، إلى الجنوب من بغداد على ضفاف نهر الفرات ، وقامت أول حفائر فيها فى عام ١٨٥٢ ، بواسطة " فرنل " .(١) وإذا كانت القرون قد توالت عليها وأخفت معالمها ، فإنها ما زالت تدين بأمجادها للملك نابوخذ نصر الثانى ، فقد شهدت معابدها نهضة معمارية كبيرة فى عصر هذا الملك ، فقد كان من أكبر البناه فى الأسرة البابلية . وكشفت الحفائر فى هذه المدينة الهامة ، عن أجزاء متعددة من معابدها وقصورها ، منها بوابة المعبودة عشتار . وكان يحيط بالمدينة سور خارجى به تسعة أبواب ، تحمل كل بوابة اسم معبودة معينة وكان ارتفاع السور الخارْجى حوالى ١٢ مترا وواجهة كل بوابة حوالى ٣١ مترا . وكانت هذه البوابات مزينة بتماثيل ضخمة لحيوانات ضارية مثل الأسود والثيران وكانت مطعمة بالطوب المطلى بالمينا أو الآجر المزجج . وكان يوجد بداخل المعابد الهامة مثل معبد معبودة الخصب والنماء . وكان يشيد بالقرب من هذه المعابد أبراج بعدة طبقات وهى ما تسمى بالزاقورات . وأحيانا كانت تقام بجوار مدخل المعبد ، ومن أمثال هذه الزاقورات " زاقورة بابل " أو " برج بابل " وللوصول إلى قمة الزاقورة التى كانت عبارة عن كتل كبيرة من الطين الجاف المكوم ، ومقسمة إلى عدة طبقات أو مسطحات ، كان يجب اتخاذ طريق منحدر – مائل حول الطبقات أو عن طريق

---

(١) Eydoux, A la Recherche des Mondes Perdus, p. 55 – 56.

سلم مدرج يربط كل مسطح من الزاقورة بالآخر ، وفـــى نهايــة الزاقــورة توجـد مقصورة بها تمثال معبود بابل .[١] وقص علينا الجغرافى سترابون الـــذى زار آثـار مدينة بابل قبل عام ٢٥ ميلادية أن إعداد الأرض وتمهيدها لبناء هذا البرج أو هـــذه الزاقورة كان يستلزم جهد ١٠ آلاف عامل لمدة شهرين أو أكثر . وقد شـــيدت هــذه الزاقورة على قاعدة مربعة طول كل ضلع فيها ٩١ مـــترا ، وأقيمــت علـــى ســبع مدرجات أو سبع طبقات كل واحدة أصغر من الأخرى ، وارتفاع كل منـــــها تسـعة أمتار .

ويوجد فى أعلاها معبد أو مقصورة المعبود مـــــاردوك معبــود الخصــب والرخاء معبود المدينة . وكان يرمز إليه بالكبش ، هذا إلى جــــانب الحدائــق التـــى زرعت على مسطحات هذا البرج وأصبحت تشبه الحدائق المعلقة أو المرتفعة والتـــى كانت تروى بواسطة الآلات الرافعة . وقد قام بهدم هذا البرج أو هذه الزاقورة التـــى اعتبرت ضمن عجائب الدنيا السبع القديمة الملك اكسركسيس الأول فى القرن الخامس ق. م. وقد حاول الإسكندر الأكبر بنائها مرة أخرى ، ولكنه عدل عن ذلك لضخامـــة أصل البناء وارتفاع تكاليفه .

ويذكر سترابون الذى زارها ، أنها أصبحت مدينة مهجورة بعد ذلك .

نينوى : إلى جانب بابل ، كانت هناك مدينة نينوى ، إحدى عواصم آشور التى عثر فيها على كتلة حجرية مستطيلة عليها نص كتب باللغــــة المســمارية مـــن العصر الآشورى ويذكر حملة قام بها الملك سنحاريب ملـــك آشـــور ضـــد الفــرس ومحاصرته لها .[٢] وهذه اللوحة موجودة الآن بالمتحف البريطانى فى لندن .

نمرود : إحدى عواصم آشور ، وبدأ الكشف عنها عام ١٨٤٥ ، بواسـطة العالم " لايارد " الذى عثر فيها على نقش باللغة المســمارية وهــو موجــود أيضــا

---

(١) Eydoux, A la Recherche des Mondes Perdus, p. 58.

(٢) Id., op. cit., p. 48.

بالمتحف البريطانى .[١]

أور : عاصمة السومريين لعدة سنوات ، ومازالت تحتفظ أرضــها حتــى الآن بزاقورة أور الشهيرة . وقد عثر فيها العالم الإنجليزى " ولـــى " علــى لوحــة منقوش عليها بعض الجنود السومريين بعرباتـــهم الحربيــة . وهــى موجــودة الآن بالمتحف البريطانى .[٢]

---

(١) Eydoux, A la Recherche des Mondes Perdus, p. 47.

(٢) Id., op. cit., p. 61.

كشاف الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ش)

(ك)

(ل)

(م)

محتويات الكتاب

صفحة

تاريخ إيران القديم وبعض مظاهر حضارته

تاريخ إيران القديم

صفحة

بعض المظاهر الحضارية فى إيران القديم

تاريخ العراق القديم وبعض مظاهر حضارته

تاريخ العراق القديم

صفحة

صفحة

لعبت منطقة الشرق الأدنى القديم دوراً هاماً فى التاريخ القديم فهى المنطقة التى يتوافر فيها اقدم الاثار، والوثائق التاريخية التى تخص نشاط انسان الشرق الأدنى القديم واطولها بقاءا فى الزمن.

وانها منطقة نشوء الحضارات القديمة، فظهرت فيها اول واقدم الحضارات، وان انسان الشرق الادنى القديم خلف للاجيال التالية تراثا حضاريا غنياً بالنظم الادارية والاجتماعية والاقتصادية والافكار الدينية. والمعارف فى الحياة الثقافية والعلمية واساليب التربية والتعليم والابداع فى مجالات الحياة الفنية والتنوع فى مجال العلاقات الخارجية. وقد لا يعرف الكثيرون ان حضارات الشرق الأدنى القديم كانت مقدمة لنشأة الحضارة الاوروبية القديمة فكان لها تأثير واضح على حضارتى اليونان والرومان، وينفرد الشرق الأدنى القديم بأنه صاحب الاثر الدينى والروحى الذى لا يوجد له نظير فى مناطق أخرى من العالم القديم، واخيرا يجب أن نعلم أن تلك الثروة الأثرية الذى لا يزال معظمها قائما فى مكانه فى معظم بلدان الشرق الاوسط او عالمنا العربى تعد أدلة حقيقية وشواهد ثابتة على ما كان لأهل الشرق الأدنى القديم من سبق تاريخى وحضارى وهذا ما تحاول أن تظهره هذه السلسلة.

الناشر

